The Ideal Marriage

الزواج المثالي

فان دي فيلد

زين العابدين

مجلة الابتسامة

ترجمة: د.محمد فتحي

الطبعة الرابعة

مؤسسة الخانجي

محتويات الكتاب

بدء النص الكامل لكتاب فان فلد

السِّفر الأول

الفصل الأول

الفصل الثانى

الفصل الثالث

السِّفر الثاني

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

ملاحظات عامة . الذكر (عضو الذكرة) . الانتصاب (القيام) القمة (الغدة) . الجلد الأمامي للعضو وحافته وسرعة تأثرها — الإفراز الدهني ووجوب النظافة التامة — الختان — التركيب العصبي وموارد الأعصاب . طبيعة القيام (الانتصــاب) ميل عضو الذكرة (زاوية الذكر) ومقاييسه — مجرى البول ، وإفرازاته ، غدد كوبر . التليين (التزييت أو التشحيم) كيس الصفن والخصيتان . إفراز المني . عدد الخلايا المنوية ومقاييسها — البربخ . الحركة المنوية . تغيرات كيموية في السائل المنوي . المادة المنوية المتبلورة (سبرمن) (وتراجع البرستاتة) — قذف المني — المني (بالتفصيل) ومدة حياته ، ومدى حركته — خلاياه غير الناضجة — شروط بقاء المني حياً — التقاء الخلية المنوية بالبويضة : الإخصاب . مصير الخلايا الزائدة ـ البروستاتة . هلال مجرى البول . إفراز البروستاتة وتأثيره في المني — المادة المنوية المتبلورة : رائحتها وخواصها المهيجة ـ القنوات المنوية (الحبال المنوية) مخازن المني ـ الحويصلات المنوية وإفرازها ـ انقباضها وحركاتها .

طبيعة الانتصاب — قذف المني تماماً أو جزئياً — الاستحلام (قذف لا إرادي دون اتصال) العوامل النفسية والملاعبة ـ تحكم المخ ـ تفاصيل أخرى . مقدار المقذوف ومظهره — إفراز الخصيتين الداخلي : تأثيره النفسي والبدني ـ خلو الرجل من انتظام الوظائف الحيوية ـ ظواهر تقدم السن ـ تجارب إعادة الشباب ا ـ ربط القنوات المنوية ب ـ التطعيم ـ النشاط الحسي المعتدل المنتظم وتأثيره الحسي ـ أقوال مأثورة .

السفر الثالث

الاتحاد الحسي

وسائله الفنية ووظائف الأعضاء .

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

الفصل الرابع عشر

الفصل الخامس عشر

الفصل السادس عشر

القدرة الجنسية والنشاط الحسي مهمان كالخصب . الأمراض العامة يخففها الجماع غالباً . الحظر على الرجل المصاب بتصلب الشرايين .

العناية بنظافة أعضاء الملامسة : نصائح للرجال وللنساء وللزوجين معاً .

الفصل السابع عشر

الزواج رياطاً حياً . حاجته للنشاط دون إفراط . أخطار الإفراط . وجوب التحفظ . تجنب الصراع العقلي . علاقة الزواج المثالي بالدين ، شريعة موسى تحظر منع الحمل . سلوك البروتستانت والكاثوليك . الشرائع لا تناقض الزواج المثالي ، وظائف الأعضاء وفلسفة الأخلاق الكاثوليكية وسلوك البروتستانت . خلاصة . الزاهدون ينبذون الزواج المثالي ، ولكنه مبرور خلقياً . الزواج المثالي يفصح عن الاتحاد البدني والحب النفسي ويتطلبهما . ليس الجماع غاية بل وسيلة للافصاح يرقى بها الزواج المثالي .

اللوحات

هذا الكتاب

ألم يخطر ببالك السؤال التالى ؟

حين أذهب لشراء سيارة أو ثلاجة ، فإننى أفكر فى اختيار نوعها ومزاياها والعناية بها والإفادة منها وصيانتها ـ فلماذا لا أفكر فى الزواج وأهتم به ، قدر اهتمامى بالسيارة أو الثلاجة ؟!

لماذا لا أفكر فى الوسائل التى تسعدنى عند الزواج لأعمل بها ؟

ولماذا لا أفكر فى أسباب الشقاء لأتفاداها ؟

قد أستطيع تغيير سيارتى أو ثلاجتى إذا أسأت استعمالها أو اختيارها ، أما الزواج فإذا لجأت فيه إلى التغيير أو التبديل ذهبت روعته ، وفقد رونقه ، وطارت لذته ، وساءت سمعتى .

فلأعقدن العزم من الآن على أن أفلح فى زواجى وأكون زوجاً حسناً موفقاً (أو زوجاً حسنة موفقة) .

جاء فى كتاب « دع القلق وابدأ الحياة » تعريف بهذا الكتاب « الزواج المثالى » :

« . . . كنت أزور أحد أصدقائى الأمريكيين ، حين رأيت فى مكتبته الأنيقة كتاباً عنوانه « الزواج المثالى » تأليف الدكتور

(فان دفلد) ولاح لى كأن العنوان ينطوى على كثير من المبالغة أو التفاؤل على الأقل . ولكنى بدافع حب الاستطلاع ، تناولته وتصفحته ، فألفيته يتناول بالبحث الناحية الجنسية للزواج على وجه الخصوص . ويتناولها فى صراحة تامة ، بعيدة ــ فى الوقت نفسه ــ عن البذاءة والمجون .

ولو أن أحداً ، من قبل ، حدثته نفسه أن ينصح لى بقراءة كتاب عن الناحية الجنسية لجرح كبريائى ! فلقد بلغت حداً من المعرفة يمكننى من أن أضع كتاباً ! ولكن الشقاء الذى كان يسربل حياتى الزوجية ، دفعنى دفعاً إلى قراءة هذا الكتاب ، فجمعت أطراف شجاعتى ، وسألت صاحبى أن يعيرنى هذا الكتاب أياماً .

وإنى لأقرر مخلصاً ، أن مطالعتى هذا الكتاب كانت حادثاً جللاً من أحداث حياتى ، وقرأته زوجتى كذلك ، فأحال هذا الكتاب زواجاً فاشلا ، خائباً ، إلى رفقة سعيدة مباركة .

ولو أننى أمتلك مليون ريال ، لاشتريت حقوق نشر هذا الكتاب ، ووزعت نسخه مجاناً بالآلاف على الشبان والشابات الراغبين فى الزواج » .

والواقع ، أن « الزواج المثالى » مرجع فريد ، لم يعرفه فى مصر غير بعض الأطباء ، ومع أنه ترجم إلى لغات كثيرة ، إلا أن الجهود تقاعست عن ترجمته فى مصر ــ لأن الأطباء أنفسهم أثقلتهم المعانى

الدقيقة التى يقدمها الكتاب،و إن استطاعوا فهم اصطلاحاته التشريحية والدوائية ، أما غير الأطباء ، فضاقوا بهذه الاصطلاحات ، ثم أبعدتهم معانيه الدقيقة إبعاداً تاماً عن ترجمته !

لهذا لم يجرؤ أحد على تقديم هذا الكتاب باللغة العربية بأى وسيلة ولو مشوَّهًا ـ كالكتب الجنسية الكثيرة التى غمرت السوق فى أيامنا ـ والتى اضطلع « بترجمتها أشخاص » غير متخصصين ، ونحن وإن كنا نشكر هؤلاء على جهودهم ، إلا أننا نتهمهم بأنهم لم « يترجموا » ترجمة صحيحة أمينة ، أما مافعلوه ، فلا يتعدى نقل بعض الأفكار ، ثم حشوها بأفكار وأقوال مثيرة من عندهم ـ لا علاقة لها بالأصل ، بل لعل المؤلفين لم يرموا إليها أبداً .

ورأيت عجز المترجمين عن نقل هذا الكتاب بلسان عربى ، ثم إنى دؤوب على تبسيط المسائل الطبية بنشر « الجديد فى الطب » فى جريدة الأهرام وغيرها ، فخشيت أن يظل هذا المرجع مجهولاً للجميع بسبب جهلهم بالتشريح ومصطلحاته ، أو عدم إتقانهم للغات الأجنبية ، كما خشيت أن ينقل يوماً مشوَّهًا محرَّفاً ناقصاً مايخفى على المترجم العاجز ، فبادرت إلى ترجمته بدقة تامة ، وأمانة وعناية بكل لفظ أو معنى .

ولقد كنت أهوى الترجمة ، وزدت بها خبرة بتخرجى فى معهد التحرير والترجمة والصحافة بجامعة القاهرة وأعددت للدكتوراه رسالة عن الترجمة فى القرن العشرين ، وآمنت بأن ترجمة هذا الكتاب فرض

على أول مَنْ يجمع بين الثقافة الطبية والقدرة على التحرير والترجمة ، وكنت بذلك أول من يقع عليه هذا العبء ، وهو عبء ثقيل ولكنه لذيذ ، ولقد زادنى اهتماماً بضرورة الإسراع فى إخراج هذه الترجمة ، ما أسمعه من الأسئلة الكثيرة التى يوجهها لى المرضى حين أقوم لهم بتحليل طبى.

لقد قصد مؤلف الكتاب « فان دفلد » إلى تعريف الأطباء خفايا الحياة الحسية التى فاتت كتب الطب ، لعلهم يفيدون بها مرضاهم حين يأتون لاستشارتهم ، وأراد إلى جانب ذلك تقديم الكتاب لمن لم يدرسوا الطب لعلهم يفيدون ، ونصح هؤلاء بالرجوع إلى الأطباء فى فهم ما قد يستعصى عليهم . ولن يستعصى إلا القليل النادر ، ومع ذلك حرصت على ألا يعصاهم شىء فى هذه الترجمة .

فالكتاب مرجع فريد للأطباء أنفسهم ، ولغير الأطباء ، وهو أوفى كتاب من نوعه فى رأى الأطباء المشتغلين بالبحوث النفسية الزوجية وأعتقد أنه خير هدية تهدى إلى كل زوجين ، وإلى كل عروسين قبل زفافهما بشهر على الأقل ـ ليتسنى لهما دراسته دراسة مطمئنة وافية ، وقد قال الطبيب الدكتور جنستن أبرهم :

« إنه كتاب يجب ألا تخلو منه مكتبة طبيب لا يعتبر مرضاه مجرد حالات أو أعداد من المرضى ، بل يراهم آدميين ، أى مخلوقات إنسانية رقيقة ، تسعى إليه واثقة ، آملة فيه ، مطمئنة إلى عنايته وعلمه ودقته » .

وقد أهدى المؤلف هذا المرجع الثمين إلى السيدة « مارتافان دفلد ـ هوجلاندت » وقد أرفق الإهداء بأبيات رقيقة من الشعر الفرنسى نقلها عن روزموند جيرار ، وهى :

« وما دمت فى كل الأيام أحبك حباً متزايداً مطرداً .

فاليوم أحبك أكثر من الأمس ، وأقل من الغد .

ماذا يهمنى إذن ؟ . . »

ليس ث . فان دفلد طبيباً عادياً ، فقد نال درجة الدكتوراه فى الطب ، وكان أستاذاً جامعياً ومديراً لمعهد الولادة فى هارلم (هولنده) . وقد أسدى إلى العلم خدمات جليلة بابتكاراته وبحوثه فى وظائف الأعضاء والولادة والجراحة وغيرها .

وقد ألف أكثر من ثمانين بحثاً كتبها باللغة الهولاندية والألمانية والفرنسية ، ثم نقل معظمها إلى اللغات الأخرى ، وصدرت هذه البحوث فى كتب أو مقالات فى مجلات طبية ، أو تحدث بها فى المؤتمرات العلمية .

وشملت بحوثه المبتكرة فى أمراض النساء : التشخيص والتخدير والعناية بالطفل المولود حديثاً وحماية الأم من حمى النفاس ، والأمراض النسوية وعلاجها والجراحة النسوية ، وشملت فى الولادة الناحية العامة كوظائف الأعضاء فى الطمث ووظائف المبيض والكفاية الزوجية ، وتناول النباتات الدقيقة التى تؤثر فى أعضاء الأنوثة ، ووسائل علاج

السيلان فى المرأة ، والعلاج الإشعاعى بالراديوم وأشعة رنتجن والولادة الجراحية ، وله بحوث مبتكرة فى علم الجراثيم والأمصال ، وكلها تثبت أنه أنشط دعامات العلم الحديث .

وله كتب أخرى عن الزواج منها : «الشقاق الحسى فى الزواج» و « الخصب والعقم فى الزواج » ، و « اكتساب الكفاية الجنسية بالتدريب » ؛ و « الولادة المثالية » ؛ و « هل أنت كفء أو غير كفء للزواج » وسيصدر أولها باسم الزواج الموفق ، ونأمل أن نترجمها جميعاً .

وصدرت من « الزواج المثالى » الطبعات التالية :

الطبعة الأمريكية (فى نيويورك) ؛ والصينية (هنج هونج) ؛ والتشيكوسلوفاكية (براغ) ؛ والدنمركية النروجية (كوبنهاجن) ؛ والهولندية (أمستردام) ؛ وثلاث وثلاثون طبعة انجليزية (لندن) ؛ والفرنسية السويسرية (منتانا لوتسرن) ؛ والفرنسية (باريس) ؛ والألمانية (شتتجارت) والهنغارية (المجرية : بدابست) ؛ والبرتغالية الشائعة فى البرازيل (فى ريودى جانيرو) ؛ والإيطالية (ميلان) ؛ والروسية (لننجراد) ؛ والأمريكية الجنوبية (بونس إيرس) ؛ والأسبانية (مدريد) ؛ والسويدية (ستكهلم) ؛ والسويسرية (تسوريخ) واليونانية ؛ والهندستانية ؛ واليابانية ؛ والبولونية ؛ والرومانية ؛ والصربية ؛ واليهودية الألمانية (اليدية) .

وسيرى كل قارىء وقارئة فى أثناء قراءة الكتاب وبعدها ،

أن الزواج أمر ضرورى ، وسعادة كبرى يجب ألا تفوت رجلا أو امرأة ، وسيحس الكثيرون بالأسى لعدم اطلاعهم على هذا الكتاب قبل زواجهم ، وهم معذورون ، ولكن الناشرين والمترجمين بمصر معذورون أكثر لقلة الاهتمام بالكتب وتشجيع التأليف والترجمة .

وعلى أى حال فما زال أمام الجميع فرصة لمحاولة إسعاد حياتهم الزوجية بتطبيق هذا الكتاب على حياتهم ابتداء من اليوم ،ومن حسن حظهم أن قطار الحياة لم يفتهم فما زالت أمامهم فرص السعادة والحياة .

وأنصح بضرورة قراءة كتاب يتناول الناحية النفسية للزواج ، لأن كتاب فان دفلد يتناول الناحية البدنية الحسية وحدها ، وللآن لم يظهر كتاب أوفى من كتابى « الحب السعيد » يتناول الناحية النفسية من السعادة الزوجية، وقد نشرته دار الفكر العربى . ويصدر قريباً الزواج الموفق ثانى كتب فان دفلد ، ويتناول الجانب النفسى من الحياة الحسية .

وبالرغم من إعجابى بمراجع فان دفلد ، أرى ضرورة قراءة كتابى « الزواج السعيد » الذى نشرته مكتبة النهضة المصرية ، فهو مكمل لكتاب فان دفلد بما حواه من نقدله ، وأمور كثيرة كشفت حديثاً ، ولا غنى لقارىء « الزواج المثالى » عن كتاب « الحب السعيد » ، و « الزواج السعيد » لتفهم الحياة الزوجية وضمان السعادة الكاملة .

لقد دفعنى اهتمامى بالأمانة والدقة فى الترجمة إلى تسجيل النص الحرفى دون تغيير أو تبديل ، ودون تسجيل لآرائى ، فأرجو ألا يعتقد قارىء أو قارئة أنى موافق على اقتراحات هذا الكتاب كله ، ويجب

ألا ينسى أحد أن الكتاب ليس كتابى ، بل كتاب الأستاذ العالم العظيم فان دفلد .

اعتمدت فى الترجمة على ثلاث طبعات بالإنجليزية والفرنسية ، وحرصت على إبقاء الكلام كما هو ليكون كتابى مرجعاً يغنى عن الأصل . ولهذا لم أغير من الأصل شيئاً توخياً للأمانة والدقة فى الترجمة . ولن يجد القراء القلفة (الجلد الأمامى للذكر) لأنها تزال فى الرجال الشرقيين بالختان . وسترى بعض المصريات أنهن محرومات من الجزء الحساس الذى يعادل عضو الرجل والذى يزيله الختان .

درج مؤلفو الغرب على تمييز الهوامش والأقياس بحروف أصغر وحذوت حذو الأصل فى هذه الترجمة .

وقد نشرت هذه الترجمة بإذن من المؤلف ، وتفضل الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام رئيس القسمين الغربى والإنجليزى بكلية الآداب بجامعة عين شمس وعميد هذه الكلية فى الوقت الحاضر ، فراجع بعض أجزاء الكتاب بعد ظهور الطبعة الأولى ، وأسدى نصائحه مشكوراً . ونحن نقدم الطبعة الرابعة بعد أن قدمنا الطبعة الثالثة ، دون حذف أو تعديل .

محمد فتحى

ختان البنات

هذه مسألة تهم المصريين دون العالمين ، ولعل كل أب وأم يقرأ النقط الآتية قبل الشروع فى ختان بناته .

لختان البنات فائدتان :

الأولى : أن الإفراز الدهنى من الشفرين الصغيرين وجزء البظر إن لم تقطع بالختان ـ يتجمع و يدفر (يتزنخ) وتنبعث عنه رائحة غير مقبولة ، وقد يحدث التهاباً يمتد إلى المهبل بل إلى قناة مجرى البول .

والثانية : هذا القطع (الختان) ينقص حساسية البنت الجنسية إذ لا يبقى عندها شىء ينشأ عنه احتكاك مثير للشهوة .

والختان لا يقطع البظر كله ، بل يقطع جزءاً منه ، فهو يقطع الحشفة وجزءاً من العضو ، وهذا الجزء المقطوع شديد الحساسية ، أما الجزء الباقى فأقل حساسية .

والفتاة غير المختونة إذا احتك بظرها بثوبها أهاج فيها حساسية شديدة ، والمختونة تقل فيها حساسية الشهوة بخلاف غير المختونة .

ومن هنا قال المعترضون : إن إزالة البظر تحدث عفة جزئية للفتاة قبل الزواج ، وهى عفة مشكوك فيها . ولكنها تحرم المرأة المتزوجة من الشعور الصحيح (الكامل) باللذة الحسية .

وقال مؤيدو الختان : إن المتزوجة لاتحرم من الشعور الصحيح (الكامل) باللذة الحسية ، فالشعور مايزال فيها ، لكنه شعور غير فياض ، وهو رزين غير عابث ، مضبوط زمامه غير منفلت .

ويؤيدون الختان بحديث : (الختان سنة للرجال مكرمة للنساء).

وكانت « أم حبيبة » من النساء المهاجرات ، وكانت تخفض الجوارى ، فرآها الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فقال :

يا أم حبيبة ، هل الذى كان فى يدك هو فى يدك اليوم ؟

فقالت : نعم يارسول الله ـ إلا أن يكون حراماً فتنهانى عنه .

قال : بل حلال ، فادنى منى حتى أعلمك .

فدنت منه ، فقال :

يأم حبيبة إذا أنت فعلت فلا تنهكى ، فإنه أشرق للوجه ، وأحظى عند الزوج .

وفى رواية أخرى :

يأم عطية : أشِمِّى ولا تنهكى ، فإنه أسرى للوجه أحظى عند الزوج .

يقول مؤيدو الختان :

إن الجملة « لاتنهكى » معناها « لاتستأصلى » ، فمع أن الطب لم يكن قد عرف شيئاً عن أهمية هذا العضو الحساس (البظر) ،

ولا كان التشريح أظهر أعصابه ، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان عليماً خبيراً ، فأمر ألا يستأصل العضو كله لئلا يفقد الحساسية جميعها .

نشر السيد محمد رشيد رضا فى ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٠٤ فى الجزء السادس من المجلد السابع فى « المنار » ، وأعيد نشره فى « المقطم » فى ١٣ من أكتوبر سنة ١٩٣٦ :

« ليس فى الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع ، واحتج القائلون بأنه سنة بحديث أساسه عند أحمد والبيهقى :

« الختان سنة فى الرجال ، مكرمة فى النساء » وراويه الحجاج ابن أرطأة مدلس .

والذى لا نزاع فيه هو ما قلناه من أنه سنة عملية كانت فى العرب وأقره النبى صلى الله عليه وسلم ، وعده من خصال الفطرة ، وهو من ذرائع النظافة والسلامة من بعض الأمراض الخطرة .

وكانت هذه الفتوى عن ختان الذكور فقط ، وصدرت فتوى رسمية مماثلة من دار الإفتاء طلبتها جماعة من فضلاء الهنود بمناسبة زيارة البعثة الأزهرية للهند .

ويلاحظ ما يأتى :

أولاً : أن التهاب المهبل وقناة مجرى البول لا يحدث إلا نتيجة

وقال مؤيدو الختان : إن المتزوجة لاتحرم من الشعور الصحيح (الكامل) باللذة الحسية ، فالشعور مايزال فيها ، لكنه شعور غير فياض ، وهو رزين غير عابث ، مضبوط زمامه غير منفلت .

ويؤيدون الختان بحديث : (الختان سنة للرجال مكرمة للنساء).

وكانت « أم حبيبة » من النساء المهاجرات ، وكانت تخفض الجوارى ، فرآها الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فقال :

يا أم حبيبة ، هل الذى كان فى يدك هو فى يدك اليوم ؟

فقالت : نعم يارسول الله ـ إلا أن يكون حراماً فتنهانى عنه .

قال : بل حلال ، فادنى منى حتى أعلمك .

فدنت منه ، فقال :

ياأم حبيبة إذا أنت فعلت فلا تنهكى ، فإنه أشرق للوجه ، وأحظى عند الزوج .

وفى رواية أخرى :

ياأم عطية : أشِمِّى ولا تنهكى ، فإنه أسرى للوجه أحظى عند الزوج .

•

يقول مؤيدو الختان :

إن الجملة « لاتنهكى » معناها « لاتستأصلى » ، فمع أن الطب لم يكن قد عرف شيئاً عن أهمية هذا العضو الحساس (البظر) ،

ولا كان التشريح أظهر أعصابه ، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان عليماً خبيراً ، فأمر ألا يستأصل العضو كله لئلا يفقد الحساسية جميعها .

نشر السيد محمد رشيد رضا فى ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٠٤ فى الجزء السادس من المجلد السابع فى « المنار » ، وأعيد نشره فى « المقطم » فى ١٣ من أكتوبر سنة ١٩٣٦ :

« ليس فى الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع ، واحتج القائلون بأنه سنة بحديث أساسه عند أحمد والبيهقى :

« الختان سنة فى الرجال ، مكرمة فى النساء » وراويه الحجاج ابن أرطأة مدلّس .

والذى لا نزاع فيه هو ما قلناه من أنه سنة عملية كانت فى العرب وأقره النبي صلى الله عليه وسلم ، وعدّه من خصال الفطرة ، وهو من ذرائع النظافة والسلامة من بعض الأمراض الخطرة .

وكانت هذه الفتوى عن ختان الذكور فقط ، وصدرت فتوى رسمية مماثلة من دار الإفتاء طلبتها جماعة من فضلاء الهنود بمناسبة زيارة البعثة الأزهرية للهند .

ويلاحظ ما يأتى :

أولاً : أن التهاب المهبل وقناة مجرى البول لا يحدث إلا نتيجة

عدم النظافة ، ومع ذلك فهو أمر نادر ، ويمكن علاجه ، ولا معنى لحرمان المرأة من اللذة طوال حياتها لوقايتها من التهاب نادر لا يحدث إلا نتيجة القذارة .

ثانياً : لو كان المقصود بالختان هو ضمان عفة البنت بأى ثمن دون الاهتمام باستمتاعها باللذة الحسية طوال حياتها ، ودون اهتمام بإصابتها بالضيق والضجر والاضطراب العصبي طوال حياتها ـ فلماذا لا نعامل الرجال معاملة مماثلة ليرتاح العالم من سعارهم الحسى وجرائمهم الجنسية ولو أدى الأمر إلى حرمانهم من اللذة طوال حياتهم ؟

ما أشبه ختان البنات بعمل من يقطع يد ابنه خشية أن يسرق ، أو يقطع لسانه خشية أن يسب أحداً !

ثالثاً : استند مؤيدو الختان إلى رغبتهم فى ضمان عفة البنت ثم رأيناهم يعترفون بضرورة إبقاء جزء من العضو الحساس لتستمتع المرأة بحياتها الحسية استمتاعاً جزئياً ـ لا إفراط فيه ، ولا اكتمال فى النشوة واللذة !

ولكن هذا الجزء الباقى يستطيع أن يهيج المرأة إذا احتك بثوبها مثلاً . وهذا يهدم قولهم إن الختان يضمن العفة ، فلماذا تحرم المرأة من المتعة الحسية الكاملة ، والنشوة الفياضة الشاملة فى سبيل شىء غير مؤكد ، بل الحقائق عكسه ! ؟

رابعاً : إن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم مع أم حبيبة أو أم عطية لم يؤكد ضرورة هذه العادة ، بل لقد فضل تعديلها ،

وفوت الغرض الأصلى منها وهو استئصال العضو استئصالاً يضمن عفة المرأة » ، بل ذهب إلى أكثر من ذلك ، فأكد أن بقاء العضو الحساس فى المرأة أسرى للوجه ، وأحظى عند الزوج .

و بذلك انهدمت كل أغراض الختان ، كما أن الحديث لم يفرض الختان على البنات ، بل تركه بدون تقييد ولا فرض لتتبع كل أمة ما يناسب حالها حسب مزاجها ، وعاداتها وتقاليدها وحاجاتها .

فالختان للرجال سنة ، ولـكنه للنساء ليس إلا مجرد مكرمة ، والمـكرمة تفضّلٌ يستطيع الإنسان أن يأخذ به أو ينبذه. ولو كان الختان ضرورياً لقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو أفضل لـكم ، أو قالها بصيغة الأمر كما جاء فى الحديث : « تـكاثروا تناسلوا » .

ولـكن قول الرسول لم يصل إلى حد الدعوة الصريحة ولا الأمر ، بل ترك الرسول ذلك لظروف المسلمين ، فما يلائم المسلمين فى هذه المسألة فى أواسط أفريقيا والبلاد الحارة قد لا يلائم مزاجهم وعاداتهم فى أوروبا والبلاد الباردة .

إذا كان الحديث نفسه لم يضيق علينا فى هذه المسألة ، ولم يحرم شيئاً ، ولا دعا دعوة صريحة للختان ، ولا أمر أمراً صارماً ، فـكيف نسمح لأنفسنا بالاستمرار فى حرمان بناتنا ونسائنا من الاستمتاع الحسى طوال حياتهن ! .

لقد أبعد الرسول حديثه عن صيغتى الأمر والتحذير ، ولعله كان يود أن يحرم ختان البنات بالتدريج كما حرم الدين الخمر بالتدريج ،

ولـكنه ترك الأمور لتطور الظروف واختلاف المـكان والزمان .

وأخيراً ، فهذا الحديث كله غير مؤكد لأن راويه « مدلس » كما قال ابن منذر ، وحرام أن نحرم بناتنا من الاستمتاع الحسى حرماناً مؤبداً بسبب حديث غير مؤكد لم يفرض الختان .

لقد شاعت الثقافة الزوجية بين شبان هذا العصر ، فصاروا لا يقُبلون على الزواج إلا بعد روية وتبصر ، وبعضهم يفضل الزواج بالأجنبيات لأنهن أضمن من المصريات من ناحية بقاء العضو النسوى الحساس ، فالشاب لن يتعب فى إمتاع الأجنبية وإسعادها حتى درجة الرضا الـكافى والنشوة العارمة .

ويحذر الشـاب من الفتاة المصرية ، وقد يعدل عنْ الزواج عموماً ـ إذ يخجل من السؤال عن بقاء عضوها الحساس كاملاً حياً أو فنائه واستئصاله ، ويخاف أن يخدع عند إجابته على سؤاله ، فتصبح حياته جحيماً لأنه سيكون مطالباً بما يفوق طاقته دون أن يستطيع إرضاء زوجه وإمتاعها باللذة القصوى .

وحرمان المرأة المصرية حرماناً أبدياً من اللذة القصوى الـكاملة هو السبب فى شيوع طابع الحزن والأسى بين المصريات فى حركاتهن وحديثهن ونظرتهن للحياة، وهو مايدفعهن إلى جانب الحزن ويبعدهن عن الفرح والبهجة ـ لتأثر أعصابهن تأثراً شديداً نتيجة حرمانهن من اكتمال اللذة .

وقد يخيل إلى الرجل أنه يستطيع إمتاع المرأة بإطالة مدة المباضعة ، فيعمد إلى المخدرات دون نتيجة .

وقد قيل: «إن الخفاض(الطهارة) للفتيات تفقدهن جزءاً حساساً جداً من الجسم ، و بفقده تفقد الفتاة شيئاً كثيراً منه .

ولا تدرك هذه الحقيقة إلا عند الزواج ، وهذا ما يضطر الرجل إلى سلوك السبل الصناعية لإطالة فترة الخلوة الجنسية ،ومن هذه السبل استعمال المخدرات التي يتوهم الرجل تحت تأثيرها أنه باشر العمل (الحسى) فترة طويلة ، وبالإدمان تحدث المخدرات أثرها ،فيميل المدمن إلى الكسل، الكسل فى العمل ، والكسل فى الحركة ، والكسل فى أداء الواجب الزوجى نفسه » .

وهذا رأى الدكتور « أبو مدين الشافعى » فى الآثار النفسية للخفاض :

جرت العادة فى مشرقنا العربى ، وفى بعض الشعوب المجاورة أن يجرى الختان للأطفال ذكوراً و إناثاً بطريق التقليد دون بحث الغاية .

والغريب أن هذا العمل يتخذ مظهراً دينياً عند بعض الطبقات رغم أن الدين لم يأت بالأمر الصارم فى ذلك خصوصاً فيما يتعلق بالإناث

لاشك أن الختـان متصل اتصالا وثيقاً بالبنية الطبيعية ، فهو يحاول أن يتغلب على حرارة الجو التي تزيد في التهييج الجنسي ، ولهذا السبب وجدنا ختان الأنثى يختفي تماماً في البـلاد الإسلامية المعتدلة الجو مثل الشام والمغرب وتركيا وإيران ، ويشتد التمسك به في مصر والسودان .

اعتقد قوم أن أحسن وسيلة لتأخير النمو الجنسي المتأثر بحرارة الجو هو الختان الذي يقتضي بتر الجزء الأمامي الحساس من العضو التناسلي عند المرأة .

ولـكن هذا العمل يجري بطريق « المصادفة » على يد «حلاق» أو شخص جاهل بالتشريح الإنساني ، فيقطع في بعض الأحيان الغشاء الناعم الذي يكشف عن العصب الحساس ، ويكون الشخص بذلك معرضاً للآلام لأدنى مس ، ولأقل تنبيه ، وتكون الحال شبيهة بحال الضرس المفتوح الذي يكشف عن العصب ، فيـكون أي منبه حار أو بارد محدثاً الإحساس بالألم ، ولهـذا السبب نلاحظ أن بعض الفتيات يجدن في الزواج عذاباً مراً لأن الوظيفة الزوجية تنقلب إلى تعذيب .

. . .

وتـكون نتيجة الختان في بعض الأحيان الأخرى قطع العصب الحساس من أساسه، فيحدث ما يسمى بالبرود الجنسي أو الضعف الجنسي، وهذه الحالة مقابلة تماماً للحالة السابقة ، لأن الحساسية تـكون منعدمة .

وإذا كان عند الأنثى ميل للذكرة (صفات الذكور) ، فإن الأعراض الثانوية للأنثى تختفي ، ويحدث في النفس نوع من العراك الداخلي بين الميول الجنسية وبين وعدم الحساسية المحلية في العضو التناسلي .

ويحدث هذا الهبوط الجنسي اضطراباً عند الرجل ؛ إذ يدفعه تعلقه بزوجه وإخلاصه لها إلى محاولة تحقيق الانتهاء الجنسي لديها لتشعر بلذة مشروعة يرغب فيها الإنسان بعد زواجه ، ويتألم الزوج في بعض الأحيان إن هو لاحظ عذاب زوجته حين تشعر بعدم الانتهاء ، فيحاول تناول المواد التي يعتقد أنها تفيده للوظيفة الجنسية .

ولكن الواقع هو أن المواد المخدرة مثل الحشيش والخمر وغير ذلك من المواد الكيماوية ترهق الجهاز العصبي الداخلي أولا ، ثم تصل الآثار إلى الجهاز العصبي الخارجي والمراكز المخية ، ويؤدي الإرهاق إلى الضعف العقلي أو الشلل الحركي .

نحن في حاجة إلى مراجعة موضوع الختان على ضوء الدراسات الاجتماعية والنفسية لنقف على فوائدها إن كان لها فوائد . ولنحصي أضرارها ؛ إذ أننا نرى أن أضرارها كثيرة مؤكدة .

وقد سألت مجلة الدكتور طائفة من أهل الذكر : « هل تنصحون بختان البنات في مصر ؟ وهل هناك ضرر على البنت إذا بقيت دون ختان ؟ وما هذا الضرر ؟ » .

فقال الدكتور نجيب محفوظ : « إنى لا أحبذ مطلقاً ختان البنات » .

وقال إن العامة يعتقدون أن إزالة أنسجة الانتصاب (البظر) يضمن عدم اشتداد الميل الجنسى فى البنت ، ولكن الواقع يثبت أن الختان يفوت الغرض المقصود منه ، ونادى بسن قانون يمنع الختان ، وقد سبقتنا حكومة السودان إلى ذلك .

وذهب الدكتور ابراهيم مجـدى (أستاذ الولادة والأمراض النسوية بكلية الطب بقصر العينى) مذهبه واقترح منع الختان باستصدار تشريع خاص .

وأكد هذه الآراء الدكتور أحمد عمار (أستاذ الولادة والأمراض النسوية بكلية الطب بالعباسية) وقال إن الطبقة المستنيرة قد أقلعت عن هذه العادة المرذولة الضارة ، وبقاء هذه الأعضاء يزيد درجة استمتاع المرأة بحياتها الزوجية وإحساسها الجنسى ، أما تسليم البنات الى بعض النساء ليفعلن ما يفعلن بأعضائهن التناسلية من بتر وتشويه فهو عبث ينبغى تحريمه رفقاً بالبنات الصغيرات ووقاية لهن من التلوث بالجراثيم .

ورأى الدكتور منقبادى أن الختان ينشأ عنه نزف شديد أو تقيح أو خطأ ينجم عنه صعوبة فى العمل الجنسى .

ورأى الدكتور ابراهيم ناجى أن الختان يحرم المرأة من الاستمتاع بحياتها الزوجية الجنسية ، مما يعرضها للاضطراب العصبي ، ويدفع زوجها

إلى المخدرات عن جهل ، فتسوء العاقبة . وقد يحدث نزف أو التهاب يسيء إلى السيدة بعد الزواج ، ولذلك يجب منع ختان الإناث منعاً باتاً .

وذهب إلى هذه الآراء نفسها سائر الأطباء الذين سألتهم المجلة ، وهم جورج حنا ، وحنيفة صادق ، ورشدى إسماعيل ، وكوكب حفنى ناصف ، ومحمد وجيه مطر .

وختان البنات ممنوع رسمياً فى مستشفى قصر العينى .

يرى الشافعية وحدهم ضرورة الختان فى الإناث ، وقد قال الأستاذ محمود شلتوت فى مجلة الأزهر : إن الشافعية يرون أن الختان واجب فى الذكور والإناث ووافقهم الحنابلة على الوجوب فى الذكور فقط .

ورأى الحنفية والمالكية أنه سنة فى الذكور ومكرمة فى الإناث .

وقد قال الإمام الشوكانى بعد استعراض المرويات فى الموضوع من جهة الرواية والأدلة : «والحق أنه لم يقم دليل صحيح يدل على الوجوب ، والمتيقن السنية ، كما فى حديث (خمس من الفطرة ونحوه) » والواجب « الوقوف على المتيقن إلى أن يقوم ما يوجب الانتقال عنه ».

ومن هنا يتبين أن الأدلة لا تعطى أكثر من أن الختان سنة ...

ولكن كثيراً من المذاهب رأى أنه مكرمة فى الإناث ، وسنة فى الذكور .

ولعل هذه التفرقة ترجع فيما وراء الأحاديث إلى اعتبار آخر يقضى

بأهمية الختان فى الذكر ، والتأكيد فيه ، وهو أن داخل القلفة منبت خصب لتكوّن الإفرازات التى تؤدى إلى تعفن ، يغلب معه تكوّن جراثيم لأمراض ضارة . وإلى هذا الاعتبار يشير الإمام أحمد بقوله فى الفرق بين الذكر والأنثى : « إن الرجل إذا لم يختتن فتلك الجلدة مدلاة على الكمرة ، ولا ينقّى ما ثمّ » .

قال الفقهاء : « إنه (الختان) من شعائر الإسلام ، حتى لو اجتمع أهل مصر أو قرية على تركه يحاربهم الإمام. » وهذا فى الذكور خاصة.

أما الإناث : فلعدم تحقق هذا الاعتبار الصحى فيهن فقد نزل الحكم فيهن عن درجة السنية إلى درجة المكرمة .

ولعل ذلك يرجع إلى أن تلك « الزائدة » من شأنها أن تحدث عند الماسة مضايقة للأنثى ، أو للرجل الذى لم يألف الإحساس بها ، ويشمئز منها ، فيكون خفضها مكرمة للأنثى ، وفى الوقت نفسه مكرمة للرجل فى الفترات المعروفة .

وختان الأنثى بهذا الاعتبار لايزيد عما تقتضيه الراحة النفسية أو استدامة العاطفة القلبية بين الرجل وزوجه من التزين والتطيب والتطهر من الزوائد الأخرى التى تقترب من هذا الحى .

أما مايراه بعض الناس من لزوم ختان الأنثى نظراً إلى أن تركه يشغل لميلها الغريزة الجنسية فتندفع إلى مالا ينبغى فهو مما يحتاج فى قبوله

وترتيب الحكم عليه إلى فحص واستقراء ، على أن الانزلاق إلى مالا ينبغي كثيراً مايوجد فى المختونات كما هو معروف فى الجنايات العرضية ، والمستور منها أكثر مما يعرف الناس .

والواقع أن الشأن فى هذا لايرجع إلى ترك الختان ، وإنما يرجع ـ كما قررته (الطبيبة) كوكب حفنى ناصف ـ إلى سلامة البنية ونشاط الغدد وضعفها ، ثم ـ من جانبنا ـ يرجع أيضاً إلى الخلق والبيئة والرعاية فى التربية والإشراف والحزم فى المراقبة ، والقبض على ناصية الأمر ، وعدم إرسال الحبل على الغارب فى الاختلاط الذى كاد يقضى على العفة والكرامة .

وكذلك مايراه بعض آخر من منع الختان نظراً إلى أنه يضعف فى الأنثى النزعة الجنسية فيحتاج الرجل تمكيناً لها من تلك النزعة ، إلى الاستعانة بتناول المواد المعروفة ، ومن ذلك وجب ترك ختانها حفظاً للرجل من تناول هذه المواد الضارة .

والواقع فى هذا الاعتبار أن الذين يعتادون تناول هـذه المواد لايقصدون سوى تلبية نزعتهم الخاصة فى الجانب الجنسى ، وأن كثيراً منهم يتناولها لعادة تحكمت فيه وصارت بها لديهم من المكيفات اللازمة كما هى الحال عند مدمنى الشاى والدخان .

ومن هذا نرى أن هذا الاعتبار السابق لاينهض حجة فى منع ختان الأنثى .
إن الاعتبار السابق لاينهض حجة فى لزومه . ولذلك سَلِمَ لغير الشافعية

من الفقهاء القول بأن « ختان الأنثى ليس واجباً ولا سنة ، وإنما هو مكرمة للرجال أو النساء » .

هذا والشريعة تقرر مبدأ عاما ، وهو أنه متى ثبت ـ بطريق البحث الدقيق لا بطريق الآراء الوقتية التى تلقى تلبيةً لنزعة خاصة ، أو مجاراة لتقاليد قوم معينين ـ أن فى أمر ما ضرراً صحيحاً ، أو فساداً خلقياً ؛ وجب شرعاً منع ذلك العمل دفعاً للضرر أو الفساد ، وإلى أن يثبت ذلك فى ختان الأنثى فإن الأمر فيه على مادرج عليه الناس وتعودوه فى ظل الشريعة الإسلامية ، وعلم رجال الشريعة فى عهد النبوة إلى يومنا هذا ، وهو أن « ختانها مكرمة وليس واجباً ولا سنة » .

وقال الشيخ إبراهيم حمروش عضو جماعة كبار العلماء ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر فى مجلة لواء الإسلام عن ختان المرأة إنه ليس « لدفع الأذى واستدامة الصحة ، ولم يكن ختانها أيضاً لما يزعمه الناس من أن ترك ختانها يشعل الشهوة عندها ويدفعها إلى الخروج عن حد الاعتدال فتفسد أخلاقها ، لأنه لو كان ترك الجارية (المرأة) يستلزم كل ذلك لما كان ختانها مكرمة ، بل كان إما واجباً أو سنة مؤكدة » .

وقال الأستاذ عبد الوهاب خلاف أستاذ الشريعة بكلية الحقوق : « ختان الرجال سنة ، وختان النساء مكرمة » وفسروا كونه مكرمة نه يزيد فى متعة الرجل بالمرأة .

ومن هذا يتبين أن آراء الأطباء فى ختان البنات لا تخالف نصاً فى

الإسلام ، ولا تناقض حكما أجمع عليه فقهاء المسلمين . و إنما الذى يجب على الأطباء هو أن يوسعوا دائرة الاستقراء .

وقال الاستاذ محمد إبراهيم سالم رئيس المحكمة العليا الشرعية : « ختان البنات مكرمة مستحبة ، فهو ليس فرضاً ، ولا واجباً ، ولا سنة، بل هو مندوب ، من الخير عمله ، ولا عقاب على تركه .

. . . أما استئصال البظر من أساسه ، و إزالة الأغشية الداخلية بأسرها بالطريقة المتبعة عند الجهلة من أهل القرى ، فإن الشريعة الإسلامية لاتقره ، وتعتبره بدعة مكروهة ، لما ينجم عنه من فقدان حساسية الأنوثة فقداناً تاماً قد يؤدى إلى الزهد فى وسائل التناسل .

والختان سنة فى حق الرجال مكرمة فى حق النساء .

وهذا الختان الذى اعتبرته الشريعة الإسلامية مكرمة : هو إزالة الجزء البارز من البظر المرتفع من البشرة لينخفض إلى مستواها حتى لايكون عرضة للتهيج من الحركة أوالملابس أو ركوب الدواب أو نحو ذلك . ولهذا سمى ختان البنات خفضاً ، وسميت المرأة التى تقوم به الخافضة » .

وقال الأستاذ محمود عرنوس رئيس التفتيش الشرعى :

ونص الإمام أحمد فى روايته : لايجب على النساء.

.. . حديث شداد بن أوس : « الختان سنة للرجال مكرمة للنساء » ففرق فيه بين الذكور والإناث .

وقال الأستاذ محمد البنا وكيل الوزارة للشئون الدينية :

لما نظرت فى إسناد هذه الأحاديث إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تبين لى أن الأسانيد جميعها فيها مقال ، ولم يسلم سند واحد منها .

ولا أريد أن أطيل بذكر الطعون التى صوبت إلى هذه الأسانيد لأن هذا ليس محله ، ويكفى أن أقول إن هذه الطعون حملت بعض العلماء على أن يقول « ليس فى الختان خبر يرجع إليه ، ولا سنة تتبع » .

وجاء فى « الهلال » عن البرود الجنسى عند المرأة » .

أما الختان عند المرأة ، فهو بلا شك يفقدها جزءاً شديد الحساسية من جهازها التناسلى .

وقد حدث فى أثناء انعقاد المؤتمر الجراحى الدولى فى مدينة القاهرة عام ١٩٢٨ ، أن ألقى المرحوم على ابراهيم باشا محاضرة عن الختان عند الرجل والمرأة .

ثم عقب عليها السير « سانت كلير تومسون » ـ وهو من عظماء الجراحين الإنجليز قائلا :

« أفهم أن يكون الختان عند الرجل وسيلة من وسائل النظافة ولكنى لا أستطيع أن أجد أى مبرر لمثل هذا العمل عند المرأة »

« إن متع الحياة ومسراتها قليلة جداً بالسادة ، فمن الظلم والقسوة أن تحرم المرأة من عضوها الحاس » .

رأى الإسلام فى بعض مسائل الكتاب

تحدث فان دفلد عن رأى الإسلام وعادات المسلمين فى كثير من الأمور معتمداً فى ذلك على الكتب التى ألفها مسلمون بلغات أجنبية وأعوزته المراجع فى مسائل أخرى ، فنوجز رأى الإسلام فيها :

الجماع وقت المحيض :

« و يسألونك عن المحيض قل : هو أذًى ، فاعتزلوا النساء فى المحيض ، ولا تقربوهن حتى يطهرن » .

قال الدكتور أحمد عمار :

كان العرب فى المدينة وما حولها ، يفعلون كما يفعل اليهود من إفراطهم فى مجانبة النساء فى أثناء الحيض ، فلا يجالسونهن ولا يؤاكلونهن وكان النصارى لا يتحرجون من إتيان نسائهم فى الحيض .

ونزلت هذه الآية الكريمة قصداً بين هذا وذاك ، وأمر الله باعتزال النساء فى المحيض من حيث الجماع فحسب .

والمحيض والمحاض والحيض والطمث ، هو سيلان الدم من الرحم فى دورة منتظمة ، والمحيض مصدر كالمجىء ، والمبيت والمغيب ، وتسمى المرأة حائضاً ، وطامثاً وعاركاً ، وفاركاً ، وضاحكاً ، وكابراً ، ودارساً .

قل هو أذى :

والأذى : هو المكروه ، والمقصود هنا أن الجماع فى المحيض أمر مكروه كما يدل عليه فى الآية الكريمة ، لأنه ضرر يصيب المرأة

والرجل جميعاً ضرراً متعدد الوجوه ، متشعب النواحى .

فأما فى المرأة ، فمن المسلم به من الناحية الطبية أن مقاومة المرأة للأمراض تنقص إلى حدها الأدنى فى أثناء الحيض ، فتكون أكثر تعرضاً للعدوى ، إذا مادخلت جراثيم الأمراض المهبل أو عنق الرحم ، وهو أمر كثير الحدوث فى الجماع .

أما فى غير أوقات الحيض ، فإن هذه الجراثيم لا تستطيع الاعتداء على الجسم نظراً لشدة مقاومته .

وهو أذى للمرأة لأن الأعضاء التناسلية تكون محتقنة فى الحيض ، فإذا أضيف إلى هذا ما ينشأ عن الجماع من الاحتقان الشديد ، فقد يؤدى ذلك إلى نزف ، لاسيما إذا كان بالأعضاء التناسلية أورام أو التهابات .

وهو أذى للمرأة لأنها تكون فى الحيض مضطربة الأعصاب ، والجماع يحدث من الانفعال النفسى مايزيد فى هذا الاضطراب ، وربما منع ذلك نزول الحيض ، فتختل الدورة الحيضية بعد ذلك .

وهو أذى للمرأة لأنه قد يصدها عن الاختلاط الجنسى لما يحدثه أحياناً من الاشمئزاز والنفور النفسى ، وإنى لأعرف نساء كرهن الجماع كراهية دائمة منذ أول عهدهن به ليلة العرس ، لما استقر فى أذهانهن من أنه عمل حيوانى غير مهذب لفعلة أتاها أزواجهن كانت خارجة عن الذوق السليم ، وهى صدمة نفسية يعرفها علماء النفس .

وهذا الأذى بعينه هو ما قد يصيب الرجل عند أداء الجماع فى

الحيض ، ويزيد فى مقداره ما يصاحب الحيض ، من القـذر وكريه الرائحة أحياناً .

وهو أذى للرجل لأنه يعرضه لالتهاب مجرى البول ، إذا ماتسرب بعض دم الحيض إليه حاملاً معه جراثيم الأمراض ، وقد يؤدى ذلك إلى امتداد الالتهاب إلى المثانة والحالبين والـكليتين .

وهو أذى للرجل لأن الجماع فى أثناء الحيض إسراف فى الجماع من جانب الرجل فى وقت مقطوع فيه بعدم حدوث الحمل ، وهو الغرض الأسمى من الجماع ، ووجه الأذى أن يجعل الرجل ذا الحيوان المنوى الضعيف المحدود الحيوية والعدد ، غير قادر على إحداث الحمل فى وقته المناسب بعـد الحيض ، والحيض على كل حال يمكن اعتباره فترة استجمام للرجل أياً كانت قوته ، يكون بعدها أشد رغبة فى الجمـاع ، وأكثر إقبالا عليه .

عند الصوم :

أحل القرآن المباشرة فى ليلة الصوم ما بين المغرب والفجر ، وقد ذكر القرآن ذلك فى لمسة حانية رفافة للمشاعر ، تمنح العلاقة الزوجية شفافية ورفقاً ونداوة . وتنأى بها عن غلظ المعنى الحيوانى وعرامته :

« أحل لـكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائـكم . هن لباس لـكم ، وأنتم لباس لهن » .

لباس فيه الستر والمحافظة ، وفيه المباشرة والملاينة .

وهكذا أباح الله لنا كل مايبيحه الفطر طوال الوقت من العتمة إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، فيطلع الفجر الصادق الذى يعقبه الشروق .

« علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ، فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ،وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل » .

« ويسألونك عن المحيض ، قل : هو أذى . فاعتزلوا النساء فى المحيض ، ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، إن الله يحب التوابين ويحب الْمُتَطَهِّرِين » .

ويذكر القرآن فى موضع آخر : « وجعل بينكم مودة ورحمة » .

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة والأنعام والحرث . . . » .

فهى شهوات مستحبة مستلذة ، وليست مستقذرة ولا كريهة . والتعبير لايدعو إلى استقذارها وكراهتها ، وإنما يدعو فقط للتطلع إلى آفاق أخرى ، وفى ذلك مراعاة الفطرة وقبولها بواقعها ، ومحاولة تهذيبها لا كبتها وقمعها .

خلق الإنسان :

« فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب » .

والصلب فى اللغة : هو مكان الظهر ، ويكنى به عن الرجل :

والترائب : هى الجزء الأمامى من صدر المرأة الذى تعلق فيه القلائد ، ويكنى بالترائب عن المرأة .

« يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث»

. .

ويستطيع القارىء الرجوع إلى كتابنا « الزواج السعيد » المكمل لهذا الكتاب وتبدأ الآن الترجمة الدقيقة للزواج المثالى ، وكل مايرد بعد الآن كتبه المؤلف ولم يزد عليه المترجم .

نكرر ذلك لأننا سئلنا من بعض القراء هل الهوامش من صنع المؤلف أم المترجم ؟

الزواج المثالي

النص الكامل لكتاب "ڤان دِڤلد"

هذا الكتاب

للمؤلف فان دفلد

يود المؤلف أن يؤكد آراءه عن محتويات هذا الكتاب قبل رفع الستار عنها ـ ليتفادى قدر الإمكان سوء ظن القراء العابرين .

هذا الكتاب أول جزء من ثلاثة . وهو يعالج الأسس الحسية (الجنسية) فى الحياة الزوجية ، ويرمى إلى زيادة قوى الفتنة المتبادلة فى الزواج وذلك بتدعيم العلاقات البدنية وتقويتها .

أما المجلد الثانى ، فهو « منع النفور الزوجى » ويتناول مسألة حفظ السعادة فى الزواج ـ من الناحية النفسية الخالصة ـ محاولاً مكافحة أسباب النفور المتبادل .

وأما المجلد الثالث فيستهدف معالجة « الإخصاب والعقم فى الزواج » وهو مشكلة عظيمة الأهمية فى السعادة الزوجية .

والمجلد الأول يتناول النواحى البدنية فى الحياة الزوجية ، لأن معرفتها أساس لاغنى عنه ، نظرياً وعملياً للتوفيق فى الزواج .

ويحاول هذا المجلد أن يملأ فراغاً مازال شاغراً فى الأدب العلمى

بالنسبة للرجال والنساء المهتمين بالناحية الطبية ، وليتيح الأطباء والطبيبات مرجعاً يرجع إليه مرضاهم حين يحتاجون إلى تعليم وإرشاد فى هذا الموضوع بالذات . وكل الأطباء والطبيبات يعرفون مدى كثرة هؤلاء المرضى ! فإذا جاءهم هذا الكتاب وفّر على الأطباء والمرضى جهوداً كبيرة ، وما على الطبيب إلا أن يشير على المريض بالرجوع إلى بعض فصول هذا الكتاب ، فيُريح نفسه من عناء الشرح الطويل ، ومن مشاق الاستشارة الشخصية المملّة أحياناً .

وأخيراً ، فالكتاب يحاول أن يساعد المتزوجين ولو لم يستشيروا الأطباء ، وذلك بتوضيح الاحتمالات الكثيرة التى لم تحقق لهم السعادة أو التى تحسّن لهم وسائلها ، وهى وسائل لم يسمعوا بل لم يحلموا بها أبداً .

ومن ذلك يتضح أن الكتاب يجب أن يكتب بأسلوب يستطيع القارىء العادى فهمه دون صعوبة .

وعنوان المجلد كان يصح ترجمته بعنوان « الزواج الأكثر كمالاً » أى إنه أكثر كمالاً وتوفيقاً من الزواج الذى نعرفه حتى الآن ، ولكن هذه الترجمة الدقيقة ستدل على السخف والحماقة ، فمجمل ملاحظاتى وتوصياتى يدل على أن العنوان يجب ألا يفسّر بأنه يحصر السعادة الزوجية فى الناحية الحسية البدنية وحدها .

فليكن هذا العنوان اختصاراً لعنوان أكبر هو « الزواج المثالى الكامل من النواحى البدنية والفنية » .

كلمة شخصية

يقرر هذا السّفر أشياء كثيرة كانت ستظل دون تسجيل، ولذلك نتائج كثيرة لاتسرنى . و إن لعلى يقين من ذلك لما خبرته بالتدريج فى إخوانى البشر ، ولما اعتادوه من استهجان كل شىء جديد خارج عن التقاليد .

لهذا السبب لم يمكن تدوين هذا الكتاب قبل هذا الوقت ، فالطبيب لا يسمح لنفسه بالخروج على التقاليد ما استمر فى مزاولة مهنته ومواجهة ضروراتها .

أما الذى يتحرر من هذه القيود ، فيستطيع على الأقل أن يعلن مايوقن أنه حق ضرورى ، ومن واجبه أن يتكلم أمام العالم .

لهذا يجب أن أسجل ما تعلمت أنه حق . ولن أستطيع مواجهة فترة الغروب فى حياتى بضمير مطمئن إن أهملت تسجيل ما أعتقد أنه صحيح . والحاجة ماسة إلى هذه المعرفة ، وما أكثر الآلام التى يتحملها البشر مع أنهم يستطيعون تفاديها ، وهناك متع كثيرة لم يتذوقها البشر ـ ولو تذوقوها لصارت للحياة قيمة أجمل وأعظم .

لقد بلغت الآن من العمر والخبرة مايؤهلنى لهذا الواجب الخطير ، واجتمعت فى شخصيتى عدة شخصيات لتسجل كتاباً واحداً بقلم واحد وأسلوب واحد .

وهذه الشخصيات هى :

شخصية العالم الذى درّس العلم النظرى والتطبيقى أكثر من ربع

قرن من الزمن ؛ ورجل الآداب الذى أفصح عن كثير من الأفكار بأشكال شتى ، وطبيب النساء المجرب ، والرجل الذى وثق به كثير من الرجال والنساء ؛ والرجل الذى جمع بين شعور الذكرة وشعور المروءة (الشعور الإنسانى) ؛ والزوج الذى تذوق كل مسرات الحياة وآلامها ، وأخيراً رجل الخمسين الذى تعلم أن يتأمل الحياة منفصلاً عنها فى حياد هادىء رزين ، وقد جاوز سن طيش الشباب وتهوره وحماقته ، ولكنه لم يفقد كل رغبات الشباب .

كل هذه الشخصيات الحقيقية قد اجتمعت لتكتب كتاباً واحداً بقلم واحد .

وكان فى استطاعتى أن أهرب من كل هذه المضايقات باستعمال اسم مستعار ، ولكنى لا أستطيع الاحتماء بالاسم المستعار ، فواجبى عالماً أن أوقع باسمى الخاص على كتاب علمى طبى رصين . وقد قدمت نصائحى وتوصياتى بروح خلقية متزنة تماماً ، مقدراً كل التبعات .

ولا شك أنها كانت تفقد نصف قيمتها الخلقية لو قدمت باسم مستعار أو بغير اسم .

إذن سأواجه كل ما يترتب على ذلك من تأنيب ومضايقة بعقل هادىء ، آملاً ، بل متأكداً ، أن الكثيرين ـ ولو لم يعلنوا شكرهم ـ سيكونون لى من الشاكرين حين يخلون إلى مخادعهم آناء الليل .

ت . هـ . فان دفلد
دكتوراه فى الطب

فال فونتيل ، منزيو ـ لوكارنو
سويسره

الزواج المثالي

السِّفر الأول

مقدمة ونظرة عامة لوظائف الأعضاء الجنسية

الفصل الأول

مقدمة — الزواج الواقعى والزواج المثالى

سأرشدك فى هذا الكتاب إلى طريق « الزواج المثالى » .

ولعل كل ما نعرفه عن الزواج أن فيه شهراً تملؤه السعادة الغامرة الفياضة ، هو « شهر العسل » . وهو قصير جداً ، فسرعان ما يخيب أملك وتصل إلى هاوية اليأس .

ولكن شهر العسل ـ بما فيه من أفراح العرس ـ يجب أن تتفتح براعمه عن أزاهير الزواج المثالى ، فأرجو أن يساعدك هذا الكتاب على بلوغ هذه السعادة .

. . . .

ما أكثر ما يفشل الزواج ـ فى الحضارة الغربية على الأقل ! هذا أمر لا شك فيه ، مع أن الزواج يمكن أن يكون باباً إلى فردوس دنيوى ، ولكنه فى الواقع جحيم من الأهوال فى أغلب الأحيان .

كان يجب أن يكون الزواج خلاصاً وتطهراً ، ولكن ما أندر الوصول إلى هذا الهدف !

فهل يُلغى الزواج ؟

لقد دعا بعض الناس إلى إلغاء الزواج ـ دون أن يقترحوا نظاماً

أحسن وأفضل : ولكن أعظم الناس ـ ومنهم كبار المفكرين ـ كانوا فى صف الزواج الخالد على مرّ الدهور .

والزواج رابطة وثيقة وأمر مقدس فى عين المؤمن المتدين ، لاغنى عنه للنظام الاجتماعى ، وهو ضرورى لإنجاب الأطفال ، وهو وحده الذى يضمن للمرأة ـ نسبياً ـ حبهّا للحب ولتضحياتها فى الحب باسم الحب ، و يدرك الرجال عامة أن فى الاعتراف بالزواج وتقدير تبعته دائماً أحسن مايدفعهم إلى العمل المثمر المفيد .

وإننى أومن بالزواج لكل هذه الأسباب ولإيمانى بدوام الزواج المفرد ، وهو خطوة فى التطور الحسى كما أنه ينظم دافع الطبيعة القوى و يكبح الأثرة الفطرية .

لعلنا نقاسى كثيراً فى الزواج و بسببه ، ولكننا بدونه نقاسى أكثر .

•

لقد قبلنا الزواج وضعاً اجتماعياً أو نظاماً خالداً ، فلنقرر تخليصه مما يبعده عن أسباب السعادة ، ولنعالج أزماته ، ولنحاول حل مشاكله .

إن عمل الطبيب ـ لا سيما الطبيب النسوى أو الجنسى ـ يجعله يعرف دائماً أكثر من غيره ما يحدث وراء الجدران فى الحياة الزوجية ، وهذا الطبيب يجب أن يخاطر بكل شىء لتوثيق العلاقات والروابط التى تكفل للبشر السعادة الدائمة فى الزواج .

أسس الزواج

أسس الحب والسعادة للزواج المثالى ، أربعة وهى :

١ ــ حُسن اختيار الزوج (الرجل أو المرأة) .

٢ ــ سلوك الزوجين سلوكاً نفسياً حسناً ــ بعضهما بالنسبة إلى بعض و بالنسبة إلى العالم عامة .

٣ ــ حل مشكلة الأبوة والأمومة بطريقة تُرضى رغبات الزوجين معاً .

٤ ــ حياة حسية قوية منسجمة .

لقد اشترك الكُتاب المخلصون جميعاً فى النصح باختيار الزوج (الرجل أو المرأة) ، واستوى فى ذلك أهل الطب والدين والفلسفة ، وملأوا الدنيا بتحذيرهم منذ قرون خلت وما زالوا يحذرون العالم حتى الشهر الماضى !

و إذن ، فلا داعىَ لإعادة ما كتبوه : لأنه خارج عن دراسة التخصص التى يرمى إليها هذا الكتاب ، ومع ذلك فيؤسفنى أن أسجل أن الناس مازالوا ينبذون كل الحكمة التى تمخضت عنها الدهور ، فمعظم الناس لايتوخون التميز وحُسن الاختيار ، بل يتزوجون دون روية أو تبصر كأنما عُصِبت عيونهم أو أصابتهم الحماقة .

وأحب أن أضيف إلى حكمة القدماء والمحدثين أمر الصحة الكاملة وأهميتها العظمى وضرورة توافرها فى الزوجين ، فلا يعوق السعادة

الزوجية منذ البداية غير اعتلال الصحة فى أحد الزوجين .

وليس الزواج من الناحية النفسية من موضوعات هذا الكتاب ، فأنصح من يهمهم الأمر بقراءة كتاب لوفنفلد « عن السعادة الزوجية » وكتاب ث . فون شفر « فلسفة الزواج » ، فهما كتابان ممتازان حقاً ويستحقان الدراسة بإمعان .

ويرى الرجل كثيراً من الغذاء الفكرى فى الفصل الخامس من كتاب جينا لمبروزو « نفس المرأة » .

يقول شفر : « الزواج استسلام بعد معركة وطلب فى الحال ، ولكن إذا أريد أن يستمر الزواج ويفلح ، فيجب استمرار التفكير فى الشريك الثانى » .

« ولعل الزواج أقوى دافع تعليمى فى مدرسة الحياة بأكملها ؛ وليست الحياة لعبة غبية »[(١)] .

أعظم أخطار الزواج هو الإعياء (التعب) ، والتخمة ، والضيق ، وما ينتج عنه من تباعد أو تنافر يؤلم المرأة أشد مما يؤلم زوجها إذ يتسلى بعمله الذى يشغله ويشغفه . أما طبيعة المرأة فهى أشد عمقاً وأكثر عاطفة ، ولذا تعتمد على العلاقات الشخصية .

كانت جينا لمبروزو ابنة الأنثروبولوجى المشهور سيزار لمبروزو ،

(١) هافلوك إليس : مقالات صغيرة عن الحب والفضيلة . الناشر : بلاك ـ لندن .

وقد عملت له أمينة وكاتبة . وقد تزوجت المؤرخ جلو جليمو فريرو ، وكانت أما لطفلين ، بل لقد نالت درجة الدكتوراه فى فلسفة اللغات وفى الطب .

لقد قالت جينا لمبروزو هذه : « إن العزلة (وحدة العقل والقلب) التى قد يفرضها الرجل على زوجه أشد إيلاماً وضرراً من الاستبداد والتوحش العنيف اللذين يستهجنهما الرأى العام بشدة . فهذه الآلام تراها العين ، وهى ليست إلا آلاماً بدنية ، ولن تكون إلا عابرة وقتية ، إذ يتأثر بها الرأى العام تأثراً سريعاً يكفل الحماية والعلاج .

أما وحدة الهجر (عزلة الهجر) ، فهى عذاب غليظ لا تراه العين ولا يتصوره العقل ، وهى ذاتها تجعل المقاومة عبثا ، وتسمم كل ساعة من اليوم وتملأ أيام الحياة كلها بالشقاء ، لأن الوحدة هدم للأمل والحياة ومن ثمراتها تثبيط الهمة وتوزيع الهدف ، وهما يصيران على مر الأيام أشد وأشمل وأعصى على العلاج ، ويثقلان على النفس أكثر من أى ضربة قوية سريعة .

من واجب الرجل أن يشرك زوجه معه فى عمله ، تساهم فيه ، كما يجب أن يتعرف صعابها ويرشدها فى نشاطها ، ويطمئنها ويؤمنها من المخاوف والشكوك » .

إنه قادر على أن يفعل ذلك كله ، فليس لرجل عمل لا تستطيع

امرأة أن تساعده فيه عقلياً ومادياً ـ إلى حدما وما استبد بالمرأة قلق إلا كان فى استطاعة الرجل أن يطرده بكامة . فليعطها الرجل قسطاً من عمله ، وليحاول أن يفهمها ويرشدها ، فتعتقد أنها تحظى بحبه وتقديره ، وتغمرها السعادة مهما طلب منها من تضحيات » . لا أستطيع إلا أن أنقل بعض أفكار هذه السيدة (سنيورا فريرو) التى تأثرت بها مشاعرها تأثراً عميقاً .

وعلى هذا المنوال أفصح الكثيرون عن مشاعرهم ، فقال ألبرت مول فى الطبعة الأولى من كتابه « كتاب العلم الجنسى » سنة ١٩١٢ :

« إن الرابطة بين الزوجين تقوى حين تستطيع المرأة أن تعاضد زوجها وتسانده فى عمله فى الحياة ، وحين تكون مساعدة قديرة ماهرة فى كل شىء حتى التفاصيل ولو جاءت مساعدتها بطريق غير مباشرة . ولعل هذا سبب رواج الزواج السعيد ـ رواجا نسبياً ـ بين صغار التجار حيث تساعد المرأة زوجها فى محال البيع ، وبين أهل الفن حيث تساهم المرأة فى العمل » .

أوافق على هذه الآراء موافقة تامة ، وأود أن أضيف إليهـا أن الزوجة تستطيع أن تفعل أشياء كثيرة لتمنع الملل الزوجى وهو جهد ثقيل ـ وذلك بأن تعتاد ألواناً طريفة مستقلة من الهواية ، تحاول أن تقنع زوجها بمشاركتها فيها .

فهى تستطيع مثلا أن تمتع زوجها بمشاركته فى قراءة كتاب أو تقرأه له أو تشاركه فى رحلة ممتعة أو محاضرة أو حفل موسيقى ، أو تصفها له فى حماسة ومرح . وبذلك تحوّل عقله عن العمل ومشاغله وهمومه وقلقه . ولكن يجب على الزوج أن يراعى تقدير زوجه له .

قد تبدو هذه الصغائر تافهة ، ولكنها عظيمة الأهمية من الناحية العملية ، بما تحدثه من إنعاش ودعم ، بخلاف ما يحدثه إهمالها من هبوط وتحطيم ، وفى هذه الأمور الصغيرة يجب أن يراعى الزوجان الكياسة واللباقة بفهم شعور الزوج وحسن معاملته ومحادثته وقول الكلمة الواجبة فى اللحظة المناسبة . وباللباقة وحدها يستطيع الزوجان أن يرقيا الجبل السعيد الذى يثويان الفردوس فوقه .

ويستطيع الزوجان أن يجتنبا خطراً دائماً هو خطر التباعد الفكرى والروحى (النفسى) باتباع الطرق السالفة . ولكن أقوى الوسائل الدفاعية ـ خارج المحيط الحسى ـ هو دائماً وبدون شك أن يكون بين الزوجين انسجام قوى متبادل فى موضوع يجذبهما بقوة متساوية تقريباً .

ويختلف هذا الموضوع ، فقد تكون زراعة الأزهار أو جمع طوابع البريد أو الموسيقى أو الألعاب الرياضية أو لعب الشطرنج أو علم السيارات ! والاشتراك فى هواية واحدة يحفظ للود المتبادل حيويته ونشاطه وانتعاشه .

ومهما تعددت الرغبات المتبادلة التى تربط الزوجين ، فلن يفوق شيء حبهما ورعايتهما لأطفالهما اللذين اشتركا فى ولادتهما . إن الأطفال هم أقوى رابطة فكرية فى الحياة الزوجية الطبيعية ؛ والذين يتجاهلون هذه الحقيقة القديمة سيندمون فى الغالب .

دور الزوج والطبيب

ومع ذلك فلا يعرف أحد مايعرف الإخصائى النسائى من أن مشكلة الذرية ليست سهلة ميسورة الحل عند أهل هـذا العصر وعند أولئك الآباء والأمهات المحسودين الذين لا يرون فى ذلك مشكلة ، بل يتركون الأمر لإرادة الله !

ويتاح للطبيب النسوى يوماً أن يلقى أمهات غاضبات غير سعيدات تلاحقهن الخيبة لاعتقادهن أن العقم يسد عليهن طريق السعادة فى الزواج ! وكذلك يضطر النسائى يوماً إلى الوقوف على أسرار المآسى التى تحدث فى المخادع الزوجية ، فقد يهجر زوج مخدعه السعيد لأنه يخاف حدوث الحمل إذا أرضى رغباته الحسية ، أما النساء فما أكثرهن ! إنهن كثيرات جداً ! وكل منهن تنتظر اقتراب زوجها الذى تحبه حقاً ، وهى تخاف وترجف للسبب نفسه (الخوف من الحمل) .

يعلم أطباء النساء وطبيباتهن وحدهم أن هناك عدداً عظيما جداً من الأزواج لا يسعدون ، ويخفق زواجهم إخفاقاً تاماً لا لسبب سوى الخوف من حمل لا يرغبون فيه .

ولن تتيسر مناقشة هذه العوامل مناقشة مفيدة إلا بمعرفة الوظائف الجنسية الطبيعية ، ولهذا سنوجه اهتمامنا الأول فى هذا البحث إلى دراسة الوظائف العضوية فى الزواج ، وهذا ما قصدت إليه بقولى :

إن النشاط الحسى القوى المنسجم هو الركن الرابع فى صرح الزواج فيجب أن يكون هـذا الركن (النشاط الحسى) متين البنـاء مشيّداً بمهارة عظيمة لأنه يرفع جزءاً هاماً عظيما من نقل البناء كله . ولـكنه فى معظم الأحوال ضعيف القوام ، ردئ التـكوين ، فلماذا نعجب إذا انهار البناء كله سريعاً ؟

إن الناحية الحسية هى أساس الزواج ، ومع ذلك فمعظم الأزواج (الرجال والنساء) لا يعرفون شيئاً فى هذه الناحية ، ويجب علىّ أن أزيل غشاوة هذا الجهل ، وأظهر لهم الوسائل اللازمة لتوثيق العلاقات الحسية وتقويتها وتدعيم الانسجام بين الزوجين فى حياة زوجية منعمة بالوفاء ، لا يتطلع فيها أحد الزوجين إلى غير زوجه .

وأوجه الحديث للمتزوجين وللمشتغلين بالمهن الطبية ؛ فالأخيرون يجب أن يرشدوا العامة فى هذه المسائل ، وهذا « واجبهم » ، ولـكن ما أقل اهتمامهم بإرشاد الناس فى المسائل الحسية ، والسبب فى ذلك يرويه لدفيج فرنـكل فى كتابه عن « أمراض النساء » بعنوان « وظائف الأعضاء الحسية النسوية فى حالتى الصحة والمرض » وهو يقول :

« جعلت المتخصص الجنسى يتحدث فى إسهاب ، لأنه ربما كان وحده المتخصص فى هذه المسائل ، ولأن معظم أطباء النساء يعرفون القليل جداً عن المسائل الحسية ، أوهم يلتزمون السكوت والتزمت فيها ، وهم فى ذلك مخطئون » .

نقص كفاية الزوج

وأوجّه الكتاب للمتزوجين ؛ فالرجال بالطبع معلمون ، وهم الذين يكشفون الستار لأزواجهم عن النواحى الحسية ، ومع ذلك فهم فى الغالب لا يتصفون بصفات الرائد المِقدام القادر على كشف الأسرار ، بل لايتصفون بالصفات الضرورية للمشاركة المتبادلة القائمة على المساواة !

ولا يدرك هؤلاء الأزواج نقائصهم ؛ إذ أن الرجل العادى ذا القوة الحسية المتوسطة العادية يؤدى واجباته الزوجية بانتظام ويرضى نفسه بدنياً ، فيتوهم أنه قد أرضى كل مطالب زوجه ، وإذا لم يستطع إرضاء رغباتها ، وبقيت على حال مستمرة من الإمتاع الناقص ، فقد يأسف أو يحتقر زوجه حسب ذوقه ومزاجه ، ويحسبها باردة من الناحية الحسية ، ثم يندب حظه وينأى عنها أكثر وأكثر ! (ويُظَن أن ٢٠ ٪ إلى ٨٠ ٪ من النساء باردات حسياً ، ولكن هذا التباين فى التقدير إنما يدل على الجهل والخطأ !) .

أما إذا كان الحظ قد أسعده بزواج امرأة أكثر ميلا وأشد رغبة وأسرع انفعالا ، تقدر تقاليد الزواج وتحترم واجباته ، وإذا كانت

هذه الأعمال الزوجية تحدث بنظام واحد لايتغير ودون تنويع فى التهييج الموضعى والإعجاب الحسى ـ فإن التخمة الحسية والملل يهيمنان على حياة الزوجين وشعورهما خلال سنوات قليلة ، ويهددان زواجهما بالخطر .

لايعالج الملل الناشىء عن العمل على وتيرة واحدة إلا بالتنويع ، والرجل الجاهل لايرى سبيلا للتنويع إلا بتنويع هدف جهوده (أى بتغيير زوجه) وهنا تتسع شقة الخلاف ، ويقف العود عن ترديد أنغامه.

ولا يخطر ببال هذا الرجل أن العيب عيبه ، وأن النقص قد يكون نقصه ، وأنه كان يمكن أن يمنع التباعد الذى يأسف حقاً لحدوثه .

والسبب فى ذلك أنه لايعرف أن هناك فروقاً وألواناً دقيقة كثيرة من اللذة الحسية ، وهى كلها فى حيز العادى المقبول ، وتستطيع أن تُبعد عن المخدع الزوجى الطرق الرتيبة الآلية المماثلة التى تبعث الضيق والملل. وبإبعاد هذه الطرق المملة تتلون العلاقات الزوجية بمفاتن جديدة طلية .

وإذا خطرت بباله هذه الحقيقة ، فقد يظن أنها دليل الانحطاط والفجور ، لأنه لايقتنع بأن المعقول بدنياً يمكن قبوله خُلُقياً[1] ، وهو يعتقد أن زوجه « أسمى من ذلك بكثير » فيتركها لنفسها ، وينأى عنها باحثاً عن مفاتن جديدة خارج بيته . والنتيجة أن الأمر ينتهى بالفجور الواقعى والانحطاط الحقيقى !

---

(١) وقد يقبله الدين كما سأذكر فى الفصل السابع عشر .

لا يعرف الزوج العادي أن أحاسيس زوجه الحسية تنمو وتبلغ ذروتها فتصير إيقاعاً (كإيقاع النغمات الموسيقية والشعرية)، ولكن إيقاع المرأة أبطأ من إيقاعه، ولا يعرف هذا الزوج مطلقاً أنه يجب عليه أن يوقظ أحاسيسها برعاية رقيقة لطيفة، وهو لا يفهم لماذا تسخر المرأة الهندية من الرجل الأوروبي الأحمق وتعتبره طفلا مغروراً[1] لما عرفته في زوجها من المهارة والمثابرة. ولا يقدر الزوج المتوسط رأي الجاويين، فهم لا يفخرون باللذة التي يستمتعون بها، بل يفخرون باللذة التي يقدمونها لأزواجهم[2].

ولا يخطر ببال الزواج الأوروبي أن «أحلى ثمار القدسية تذبل وتذوي في طريق العدم في رحم المرأة لأن الرجل لا يعرفها ولن يعرفها! فالرجل لا يتسع قلبه ولا يقوى على استعمال قواه الموجهة الملهبة، بل يقدم نفسه لهالات من النور تحيط بالأجفان المرتعشة! ولا يقدمها إلى البدن المتأجج باللذات الذي يحلم بأنه من حقه وحده! وقد ينال الرجل بذلك قشوراً من اللذات العابرة ولكنه لن يصل إلى لب اللذة وجوهرها إلا بالتماس رغبات المرأة وإرضائها[3]».

يخطئ الكثيرون في فهم سلوك دون جوان، ولو قرأوا بحث مارسيل باريير «عن دون جوان العصري» لعلموا أنه لم يكن يهتم بنصر

---

(١) «الدافع الحسي» كوريلا ـ طبع ليبزج.

(٢) برنشتاين: «٢١ سنة في الهند وبورنيو» ـ طبع برلين.

(٣) شعر منقول عن فرتز شلنبرج «دون جوان وحبه الأخير».

هزيل قوامه الخطف والنبذ ، ولـكن كان يهمه دائماً شيء واحد هو لذة إعطاء الحب ومباهجه . وبهذه الروح يجب أن يعامل الرجل زوجه . وسيرى أنه حين يسعدها يسعد نفسه سعادة متجددة مستمرة ، ويجعل زواجه مثالياً .

وإذا لم يتميز الزوج بالعبقرية الحسية ، فما أشد حاجته إلى معرفة واضحة وافية إن أراد أن يكون مصدراً لبعث الرغبة وإعطاء اللذة . يجب أن يعرف كيف يغازل ويواصل .

وقد تساعده الفصول التالية ، ويستطيع القارىء العادى المتعلم أن يفهم بعض أجزائها دون صعوبة ، أما باقى الأجزاء فتحتاج لدراسة دقيقة متمهلة . وهدفى أن أقدم تعليماتى واستنتاجاتى بصبغة علمية خالصة على أساس علمى مع البعد عن التحذلق . وقد ألجأتنى طريقة البحث العلمى إلى استعمال كلمات أجنبية واصطلاحات فنية ، فإذا عجز قارىء عن فهم بعض هذه الـكلمات ، فليلجأ إلى طبيب ليجدد له معناها . فالغرض الذى يرمى إلى تحقيقه يستحق الدراسة فعلاً .

الفصل الثاني

لمحات عامة عن وظائف الأعضاء الجنسية فى الإنسان

تطور الدافع الحسي – الأحاسيس والمؤثرات الداخلية

تسيطر على الحياة الرغبة فى حفظ الذات ، كما يسيطر عليها الدافع الحسى . وحفظ الذات يحفظ الفرد ، بينما يحفظ الدافع الحسيُّ الجنس (البشر) ؛ فالدافع الحسى أقوى من الجوع ومن الخوف . ونرى فى الوسط الحيوانى أن أكثر الذكور قوة وقدرة تضحى بحياتها قبل غيرها فى معارك الزواج لأجل عشيراتها ، وكذلك نرى الأمر نفسه عند الإنسان البدائى ، وفى الحضارة نلاحظ يومياً أن البشر يعرضون أنفسهم لكل الأخطار والمصاعب المحتملة لإرضاء الرغبات التى تسيطر عليهم وتستبد بهم ، وغالباً ما يستهينون بالموت فى سبيل من يحبون .

لا شك مطلقاً فى أن الرغبة الحسية هى فى أساسها رغبة فى التكاثر ، ولكن لا شك أن الرغبتين قد زادتا تباعداً واستقلالا ووضوحاً ، ويعترف فلاسفة الدين بذلك ، وقد اعترف الراعى إرنست بارز ، فى مجلة «المسائل الحسية» (صفحة ٧٥٣ سنة ١٩٠٩) بأن «الرغبة فى الأبوة قلت وهبطت إلى الأرض إن قورنت بالرغبة فى العلاقات الحسية» .

ورغبة التكاثر (الأبوة والأمومة) قد تغيرت قوتها الأولى فى

الحضـــارة ، وهي فى المرأة أقوى مما هى فى الرجل . ولا يمكن أن تكون رغبة فى التكاثر . ولـكن يمكن القول إنها اشتياق للأمومة وتلهف على طفل . وبهذا الشكل تمكن ملاحظتها فى معظم النساء .

أما تطور الدافع الحسى فى الرجل فمختلف ، ولم يبق من آثار دافع التكاثر المباشر غير رغبة قوية شائعة ، هى الرغبة فى إنجاب طفل من امرأة عزيزة غالية ، يعتز بها الرجل ويحبها ليخلد امتزاج روحه بروحها وجسمه بجسمها تخليداً ظاهراً بشكل بشرى (هو ولادة طفل) . وهذا يعادل رغبة المرأة المشغوفة بزوجها ، المتيمة بحبه ، فى الحصول على طفل من زوجها المحبوب بالذات[1] .

ويزيد هذا التمنى تأججاً رغبة صوفية خداعة فى الخلود والبقاء . وذلك باستمرار المحافظة على أصل الحياة ووراثة الصفات والمواهب الخاصة . ولـكن هذا التمنى قليل العلاقة أو لا علاقة له على الإطلاق بالقوة الأساسية للدوافع الفطرية[2] : وغاية ما يبلغه هذا التمنى أن يكون تلهفاً فكرياً .

(١) تقارن الـكلمات الأخيرة فى شعر أدالبرفون شمسو :

« يا صديقى العزيز : إنك ترنو إلى فى عجب » وهى من (حب المرأة وحياتها) التى سجلها شومان تسجيلا خالداً بتـكراره : « إن شبهك يتطلع إلى ــ ماأحلى شبهك » .

(٢) أستعمل كلة « الدافع » بمعناها الضيق الذى حدده كرافت ابنج ولاأقصد المعنى العام الذى استعمله وندت ، الذى لا يعنى أكثر من الميل أو الرغبة .

أما سائر الدواعي التي تدفع الرجل إلى الرغبة في الأطفال ، فهي أقل اتصالاً بالفطرة والغريزة ، وهي كلها أسباب فكرية عقلية أساسها التقليد . ويستوى في ذلك أن يكون سبب الرغبة في إنجاب الأطفال : الأسرة والوراثة ، أو الظروف العابرة ، أو التآلف ، أو الرغبات الاجتماعية ، أو الرفاهية ، أو مجرد الزهو ، وهذه الدوافع الثانوية قد تتخذ كلها أو بعضها صفة السيطرة والإلزام .

ومن ثم فدافع التكاثر بين الأجناس البشرية المتمدينة لم يعد أول عناصر الدافع الجنسي وأهمها ، بل يبدو طوراً متقدماً من أطوار التقدم ؛ فهو تقدم في القوة النفسية وتعقيد للناحية النفسية .

يرى الكثيرون من فطاحل العلماء مثل (هيجار والنبرج) ، أن الرغبة الحسية دافع للاجتماع الجنسي ـ بصرف النظر عن التكاثر والتناسل . ولا أستطيع أن أوافقهم على ذلك ، فالمجامعة (أى الاتصال الحسي المثمر) هي اللب والذروة في الرغبة الحسية . ولكن يجب أن نتذكر أن النشاط الحسيّ قد لا يماثل الجماع الكامل ؛ وأن الدافع لهذا النشاط الحسيّ موجود في الأطفال عموماً ـ إن لم يكن دائماً ، وقلّ أن يكون لديهم أى فكرة عن احتمال الجماع (الوصال) . وأنواع النشاط الحسي مفضلة غالباً على الجماع العادى .

ولا ضرورة لتحديد معنى « الدافع الحسي » خصوصاً حين نُسقط

« دافع التكاثر » المباشر ـ كما فعلت فى هذه الدراسة .

الدافع الحسى هو دافع للنشاط الحسى (أو هو إفصاح أو مظهر لهذا النشاط) ، وأساسه أو أصله و إشعاعاته ليست فى أعضاء التناسل وحدها ، بل هى فى الجسم كله وفى الشخصية النفسية كلها .

فقوة الدافع الحسى تكاد تكون قوة غلابة مقدسة ، تمتد كثيراً وراء مجالها المعين المحدد ، ومن أمثلة هذه القوة تأثير الدافع الجنسى تأثيراً شديداً غير محدود فى ألوان الفن كلها .

أهمية الإفرازات الداخلية

إن الدافع الجنسى ـ بكل مظاهره ـ يعتمد إلى حد كبير على الغدد التناسلية ؛ وليس على إفرازاتها الخارجية (كالمنى والبويضات) فحسب ، ولكنه يعتمد بوجه خاص على إفرازاتها الداخلية المهيجة (الهرمونات). [وسنسميها خلال الكتاب كله « الإفرازات المهيجة » حسب معناها الإغريقى] .

ثبت أن الغدد التناسلية (مثل كثير من الغدد الأخرى) تنتج مواد كيماوية خاصة ، ولا تستعمل استعمالا خارجياً ، ولكنها تمتص بانتظام فى الدم فى أثناء دورته خلال الجسم . وهذه المواد الكيماوية مهما قل إفرازها ـ تستطيع أن تؤثر تأثيراً قوياً فعالا فى الجسم كله أو فى أجزائه .

و إفرازات الغدد التناسلية ـ حتى قبل البلوغ ـ لها أهمية عظمى

فى توجيه نمو الجهاز التناسلى كله ، وفى تحديد العلاقات والمميزات والصفات والأعمال الحسية .

وإذا كان نمو الغدد الجنسية ناقصاً أو ضعيفاً ، أو كانت لا تنمو مطلقاً - كما يحدث بعد الأعمال الجراحية فى فجر الشباب ، فإن إفرازاتها الداخلية لا تؤثر التأثير العادى ولا تنتج النتيجة الواجبة فى الفتى النامى أو الفتاة النامية ، فلا يكون شاباً عادياً ، ولا فتاة عادية ، بل ينشأ شخصاً مخنثاً أو خصِيًّا ، ينحرف تماماً عن صفات الذكور والإناث كليهما فى النمو العضلى والتمثيل الكيموى والتركيب النفسى .

وكلما اختل نمو هذه الغدد الجنسية وقلّ امّحت الإفرازات الداخلية الجنسية بدرجة أشد وأسرع .

والإفرازات الداخلية للغدة الجنسية النسوية (المبيض) تطبع جسم المرأة البالغة والمراهقة بالعلامات النسوية المميزة .

وتؤثر الغدة الجنسية (الخصية) فى الذكور تأثيراً عكسياً مماثلا ، فتجعل الولد رجلا مثالياً .

ونتأكد من صحة هذا القول بنزع الغدد الجنسية فى الحيوان ، وفى صغاره خاصة ، ثم يطعم الحيوان بغدد الجنس الآخر بدَلَ الغدد المنزوعة مع توخّى وسائل الوقاية والحرص والحذر وسرعان ما يتصف الحيوان بصفات الجنس الثانى الذى طُعِّم بغدده . وتتضح هذه الصفات فى عقله

وميوله الحسية ومحاولاته الوصال والملامسة . وكذلك تتعدل وظائفه بدنه وتركيبه بقدر مابلغه من أطوار النمو التشريحى عند إجراء الجراحة.

ومع ذلك ، فإن الصفات والميول والعواطف الحسية ، والوظائف الجنسية نفسها ، لاتتوقف تماماً على نشاط الغدد الجنسية . وتلك هى الحال فيمن اكتمل نضجهم و بلوغهم .

ولو كانت الصفات والميول والعواطف والوظائف الحسية تتوقف تماماً على نشاط الغدد الجنسية لما عاشوا بعد امتناع الغدد عن النشاط . ولكن المشاعر والمظاهر الحسية تبقى فى الكثيرين رغم توقف غددهم الجنسية عن العمل ـ سواء أكان هذا التوقف ناتجاً عن استئصال أم حادث أم جراحة أم مرض خبيث ، وقد يحدث التوقف فى النساء جميعاً فى فترة محدودة من حياتهن ، وهى غالباً بين الثالثة والأربعين والخامسة والأربعين من العمر ـ نتيجة انحلال الجسم انحلالاً طبيعياً .

والإفرازات الداخلية للغدد الصم (التى لا قنوات لها) قد تؤثر تأثيرها كبيراً فى انحلال الغدد الجنسية وكمال نشاطها . ويجب أن نلاحظ فى هذا الصدد عاملاً هاماً آخر هو المسايرة والانفعال الناشىء عن العادة والميل للاتصال الحسى ، وكلها أمور تنتج عن الممارسة والتجربة ، بل إن الميل الجنسى الموروث أقوى من الميل النفسى المكتسب . ومع ذلك ، فكلاهما أساسه عمل الغدد الجنسية عملا فعالا .

وهكذا نستطيع أن نؤكد أن الدافع الجنسي ينشأ قبل كل شيء في المبيض (عند المرأة) وفي الخصية (عند الرجل).. أما في الإنسان الحديث البالغ فقد غدا فيه هذا الدافع مختلطاً ممتزجاً ، وهو يعتمد على الآراء النفسية الموروثة والمكتسبة ، كما يعتمد على نشاط الغدة الخارجي والداخلي بالنسبة لكل شخص على حدة .

ميز ألبرمول في كتابه (بحوث في الحيوية) الحسية بين أمرين ناشئين عن الغريزة ، هما : اللمس ، وزوال الاحتقان أو زوال التورم .

وإني أوافقه تماماً فيما ذهب إليه ، ولكن أميل إلى توسيع معنى هذين الاصطلاحين فمن الصعب الفصل بينهما بحدود قاطعة محددة ، لأن كلاً منهما يلج في الآخر ، ولا يمكن مطلقاً حفظه واضحاً كاملا .

أما (اللمس) فيستعمله ألبرمول بمعنى الاجتماع الجنسي بشخص من الجنس الثاني ، وأرى أن هذا الدافع (اللمس) ليس إلا دافعاً للدنو أو الاقتراب من الجنس الثاني بقدر الإمكان ، ولذا أسميه (دافع الاقتراب الحسي) .

وسأسمي زوال الاحتقان والتورم (دافع الارتخاء أو دافع الارتواء الحسي) أو (إطفاء الظمأ الحسي) والتسمية الأخيرة أدل على الرضا الموضعي كما تشمل الرضا البدني عامة والنفسي خاصة . ويجب أن يساير كل منهما الآخر ويصاحبه .

و (دافع الارتواء الحسي) اصطلاح أنسب إذ يفرض الرضا عاماً ومحلياً مصاحباً لبلوغ ذروة التوتر الحسي وإطفاء ظمئه . وقد استعمل كلمتي الارتخاء والارتواء ـ حسب الحال .

نستطيع قراءة وصف فنى أنيق واضح للمظاهر المثالية لدافعى (التجاذب) أو الإشباع الجنسى فى فتاة ريفية عادية فى كتاب كلوداني (المدينة الصغيرة) .

يرى هرمان رولدر فى كتابه (الحياة الحسية العامة للجنس البشرى) ويوافقه الكثيرون أن هناك عنصراً ثالثاً هو دافع الاحتقان والتورم . ولست أوافقه على ذلك لأن زيادة التوتر حتى بدء الاتصال الفعلى ليست إلا مصاحبة وتأثيراً لدافع الاقتراب والتجاذب . ومنذ يبدأ الاتصال حتى بلوغ ذروة اللذة (وهو كذلك ذروة التجاذب ، والطور الأول من الارتواء ، فهو يرضى الإنسان إرضاء مزدوجاً) يستمر التوتر فى الزيادة حتى يبلغ أقصاه . ولكنه ليس ظاهرة مستقلة . فهو وسيلة إلى غاية هى بلوغ الارتواء والارتخاء المرجو . فالتوتر – منذ يبدأ الجماع هو جزء من (دافع الارتواء الحسى) .

يتأثر دافع الارتخاء الحسى بالمؤثرات الخارجية الخاصة والمعتقدات النفسية إلا أنه يتأثر كذلك بالأحوال الوقتية الخاصة التى تكون عليها الغدد الجنسية . وهذه هى الحال ولا سيما فى الذكور ، حيث يكون التخلص من التوتر فى بعض الأحيان مجرد إفراغ أو تخلص من المواد المنوية المتراكمة .

وفى إناث الحيوان علاقة واضحة بين إفراز البيض وانطفاء الظمأ أو التوتر الحسى . ويتجلى هذا بين بعض فصائل السمك . وفى أنواع

الحيوان الأرقى يتضح هذا التفاعل بين الدافع الحسى والتبويض فى فصل السفاد .

أما فى التطور البشرى ، فقد انفصل تبويض المرأة عن رغبتها الحسبة ، واشتد التفاعل بين الأمرين . ولكن هذا التباعد ليس تاماً بالدرجة التى يظنها الكثيرون ـ حتى فى المرأة العادية فى هذه الأيام .

وفى الفصل الخامس سنذكر مايؤيد استمرار هذه العلاقة والفعل المنعكس .

ومجمل القول أن الدافع الحسى (أو دافع النشاط الجنسى) يتوقف أصلا على إفرازات الغدد الجنسية ، وهى إفرازات مهيجة تطلقها الغدد فتبعث الميل الأول، أى الرغبة فى الاقتراب الحسى ، على حين تسيطر الإفرازات الخارجية على التطور الثانى ـ أى دافع الاسترخاء الحسى أو الارتواء أو الرضا .

(و بالطبع لايمكن الأخذ بهذا التعريف أخذاً حرفياً ، فلا بد من التصرف والتعديل) .

لقد صار دافع الدنو الحسى مركزاً تتجمع حوله كل أنواع العواطف والأعمال العقلية. وهى تكوّن فكرة الحب المجردة المعقدة دون ربطها بشخص واحد .

ولكن هذا لا يعدو أن يكون طوراً عابراً فى تطور الشخص

تطوراً حسياً إذ لاتلبث مشاعر الحب - إن عاجلاً أو آجلاً - أن تتركز في ثورة واحدة. وينمو نفسياً هذا الشعور المركب ويصير أشد تشابكا وتداخلا مع مجموعات متجددة من الأفكار، وفي النهاية يطغى جبروته ويمتد حتى الجزء الأكبر من الوعي (الشعور)، ثم تتوارد الأفكار وتتجمع حول شخص واحد يستأثر بها وحده بشكل واضح مستمر.

وقد يرى المحب المحبوب (هدف الحب) أول مرة في الأحلام، أو في أحلام اليقظة وحدها، ثم يتحقق هدف الأحلام بشكل إنساني أصفى وأوضح.

وتتعدل صورة المحبوب - رجلا أو امرأة - بتأثير الخيال وهدف الأحلام، فتقارب الصورة الخيالية التي كان المحب (أو المحبة) يرسمها لهدف أحلامه. وهكذا يلقى المحب مثله الأعلى في صورة بشرية حقيقية تتنفس، ويمكن رؤيتها ولمسها لحماً ودماً.

ومهما تكاثرت العيوب على الهدف البشري - لا الخيالي، فلن يكون لها تأثير عند مقارنتها بالهدف المثالي الخيالي، لأن دافع الحب يطبع المحبوب بكل مرغوب شهي، وكل مرموق طلي.

فإذا حدث اللقاء الأول في خجل ومسارقة وتبادل الرجل والمرأة كلمة أو نظرة انطلق اللهيب الخالد يعلن ولادة الحب بصورة يفعمها الفرح والتيه والزهو بدرجة تفوق الوصف.

ويتسامى دافع الاقتراب فيصير حباً ، ويتكشف عن حقيقته ، ثم يوفق ويقوى وتنتثر الأوراق والبراعم ، ويتقارب المحبان بالتدريج من الاتحاد والمشاركة . وفى تلك اللحظة يحس كل من الفتى والفتاة بالارتواء ، ويروى كل منهما ظمأ الآخر ، ويلتقى دافع الاقتراب بالرغبة فى الارتواء ، فيتحدان ويكونان شعوراً جديداً متحداً كاملاً .

حينئذ يكون الحب قد نضج وازدهر مبشراً بأجمل الثمار .

العوامل النفسية

يجب الاعتراف بأن المشاعر النفسية المركبة ، التى لا نستطيع أن نحرمها من اسم الحب بسبب عمقها واستمرارها ، وتنوعها ورقتها العاطفية ـ قد تكون فى بعض الأحوال الشاذة موجهة نحو أكثر من هدف واحد فى وقت واحد . وما دام الشخص يحب بكل نفسه وحواسه ، ينشغل العقل بصورة المحبوب دون سواه ، ويقتصر حبه على شخص واحد ، ولو دفعته الظروف القاهرة إلى الاتصال الحسى بغير المحبوب (قد تكون هذه الظروف خضوعاً لتقاليد السلالة أو العادات الدينية أو تكون بدافع الضغط والعوز) .

ويختلف الأمر إذا لم تتصف العاطفة بعظمة الحب وقوته ومجده ، وحين تتدهور من هذه الذروة العالية فى تطور الحب ، ففى هذه الحال

يظهر الميل الأصلى الدفين إلى تعدد المحبوبين ، ويستوى الجنسان فى ذلك ، ولـكن الأمر أوضح فى الذكور .

الزواج هو الصورة الدائمة للعلاقة الحسية المقصورة على شخص واحد[1] وعلى هذا الأساس يـكون الزواج تقدماً خلقياً واضحاً ، وهو تطور لأنه يتيح أكمل فرصة للرغبات الأصلية البدائية التى تقصرهم الشخص على تركيز العناية بنفسه دون غيرها ـ إذ تسمح لهذه الرغبات بالعمل والشعور لخدمة الآخرين وحفظ ذواتهم .

فالمحبون الذين يمجدون حفل الزواج إنما يسـاهمون فى ميثاق جدى مقدس ، وليس ذلك مقصوراً على المعنى الدينى القديم لـكلمة

---

(١) الزواج الأحادى (غير المتعدد) ينطبق على الذكر والأنثى من البشر الذى يتزوج مرة واحدة فى حياته كلها ، فإذا فقد زوجه لأى سبب لايتزوج بعدها أبداً .

أما الزواج المتعدد فينطبق على الذين يتزوجون مرتين أو أكثر ، مرة بعد أخرى ، بعد فشل الزواج الأول أوانتهائه بالموت أو الطلاق ، كما ينطبق على الرجل الذى يتزوج امرأتين أو أكثر فى وقت واحد . وينطبق على المرأة المتزوجة بأكثر من رجل ، فالاصطلاحان يتعلقان فقط بالزواج المسئول المعترف به وليس بأى علاقات جنسية كما يشيع استعمالها .

التقديس[1] : فكلا المحبين يعد الآخر بأسمى وأعذب وأشق واجب يمكنه التعهد به . وهو توجيه مشاعره الحسية الشهوية نحو المحبوب ، وتوجيه مشاعر المحبوب وشهواته نحو نفسه ! ويتعاهدان على أن يستمرا إلى الأبد فى أن يمنح كل منهما الآخر الفرحة العظمى أواللذة الكبرى وهى أحسن هدية يمكن أن يتقاسمها البشر .

حينئذ يكشف الحب أسمى مباهجه الرائعة ، وقيمه الخلقية . ويتوسل الحب بالزواج إلى إمتاع الحبيبين وإسعادهما . وإنه « ليستطيع » ذلك ، ولكن هل ندرك ماتتمنى ؟ ! فما أكثر ماتذوى المشاعر السامية ، وتضمحل الأهداف الجدية ! حينئذ تشتغل النفس بالرغبة والشهوة دون أن يساعدها الجسم على تحقيق أهدافها ، فتتراخى رغبات النفس و يصيبها الهمود بعد حين !

ويتأثر الزواج الهنيء بعدةأسباب ؛ منها تنافر الطباع ، وتصادم آراء الزوجين فى الحياة وأمورها ، واختلافهما فى درجات التطور وفى تأثرهما بالعادات الموروثة ، وهناك ألوان كثيرة أخرى من المخاطر والمصاعب

---

(١) « الاستمتاع بالزواج » غير « عقد الزواج » فى البلاد التى ترفض الطلاق بسبب القوانين والدين ، تترك الفرصة « لإلغاء » الزواج فيمكن إثبات أنه قد عقد عقده باحتفال دينى مدنى ، ولكنه لم ينفذ ولم يستمتع به بالوصال الحسى الأول (الجماع) .

والمآسى يتعرض الزواج لنتائجها ، ولا يدرك خطرها غير الذين يقاسون ذلها وأهوالها ومآسيها .

وثمة صخرة كبرى هى أن التجاذب الحسىّ قد ينطفىء بالزواج ، فيحل محله نفور حسىّ وعداوة حسية ، وهذا النفور أو التعادى الحسىّ له وجود بين البشر على الأقل ، ولا شك فى ذلك ، وهو يبزغ ويظهر إذا اعتلت قوة الميل المتبادل ، ويكون النفور قوياً عنيفاً بقدر ما كان الميل والتجاذب . وقد يصبح عداوة منتظمة وكراهية شديدة - كما تثبت ذلك قصص الحياة والأدب (سترندبرج مثلا) .

وهذا التنافر يهدد الزواج تهديداً مستمراً ، وخاصة فى أطواره الأولى على الأقل حيث يقل عن درجة الشعور الكامل ، ويقل تكشفه عن حقيقته .

هناك طريقتان لحفظ سعادة الزواج ودوامه وسط هذا النزاع المستمر بين الميل الحسىّ والنفور الحسى (وكلتاهما ناشئة عن الغريزة) .

أما الأولى وهى الأهم ، فهى العاطفة القوية السامية التى تدفع الإنسان إلى العمل لإسعاد الآخرين والتضحية فى سبيل ذلك .

وأما الثانية فهى الإسراع والاستمرار فى تحسين العوامل والأسباب التى تزيد الجاذبية ، ليظل النفور نائماً لا سبيل أمامه للنمو .

يجب الحذر أولاً من النفور الحسِّى أو عدم التوافق الحسِّى بصفة

خاصة . ويجب ألا يبدو النفور أو ينشط أو يقوى إلا بأقل درجة فى كلا الزوجين ، وأما النكسات فيجب تفاديها .

كل هذا ممكن ، ولـكن التنفيذ ليس سهلا !

هو ممكن لو تجددت المغازلة باستمرار ، وتنازل كل من الزوجين فرضى بمقابلة زوجه فى منتصف الطريق محاولا التفاهم معه ، مستعداً لإرضاء حاجاته ، حريصاً على راحته وإسعاده ، مهتما بالأمور الصغيرة ، مظهراً للحب والحنو ، مستعيناً بالذكاء والعبقرية والابتكار فى إرضائه وتلبية رغباته ، متوسعا فى ثقافته الحسية الزوجية توسعاً يساعد على إمتاع الزوج بوسائل مبتكرة متنوعة كثيرة لم يسبق تجربتها .

حينئذ تتحقق السعادة الزوجية وتستمر حلاوة الزواج المثالى .

الفصل الثالث

لمحات عامة عن الوظائف الجنسية فى الإنسان

فى الفصل السابق لاحظنا تطور الدافع الحسى من أبسط مظاهره ، وهو دافع التكاثر ، حتى بلغ الذروة بالزواج المثالى . وتكونت لدينا فكرة جلية عن العناصر المشتركة فى تكوين دافع النشاط الحسى ، ورأينا كيف تتأثر هذه العناصر بالأعمال البدنية الداخلية ، والتجارب والميول النفسية .

وسنحاول الآن توضيح المشاعر والأحاسيس الناتجة عن الأسباب الخارجية التى قد تنشط الحيوية الحسية أو تكبتها .

يمكن تقسيم المؤثرات الداخلية إلى مؤثرات بدنية ومؤثرات نفسية .

أما المؤثرات البدنيــة فناتجة من الإفرازات الداخلية والدورة الدموية وتضخم (احتقان) بعض الفجوات والمسالك فى الجسم .

وأما المؤثرات النفسية فهى الصــور النفسية وتداعى الأفــكار وتوليدها كما نستطيع مقارنة المنبهات الخارجية الناشئة عن عوامل بدنية بالمنبهات الناشئة عن الناحية النفسية الفــكرية .

ومع ذلك ، فهناك استمرار فى التفاعل والتعاون بين كل هذه

الأنواع المختلفة من المنبهات ، بل إن التبادل فى التنشيط والكبت والتعديل عظيم حتى ليستحيل التفريق التام بين أنواع المنبهات . وينطبق هذا القول على المؤثرات الخارجية والداخلية ، فأشد المشاعر والأحاسيس النفسية تتلقاه الحواس .

ومع ذلك ، فمن المفيد تقسيم هذه المؤثرات وتصنيفها .

مشاعر النفس

سندرس أولا المشاعر النفسية التى تؤثر تأثيراً قوياً فى المشاعر الجنسية ، فترى أن كل المظاهر الطبيعية التى تحدث الخوف والقلق تستطيع إثارة التهيج الحسى الشديد . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى الرغبة فى الحماية ، أو مجرد التماس الرفيق ليكون عوناً وقت الشدة ومساعداً على الخطر ؛ وهذا مايدفع المرأة إلى التماس حماية الرجل ، ويدفع الرجل إلى محاولة حمايتها ، فهذه العلاقة القائمة على الحماية ـ الممنوحة والمطلوبة ـ تثير دافع الاقتراب والتجاذب ، وتيسره .

ولكن ليس هذا وحده هو السبب ، فالتأثير الحسى للخوف والذعر قد يظهر ـ ولو لم يكن ثمة احتمال للحماية والتماس الرفيق (المصاحبة) ـ لتفادى ظواهر الطبيعة ، كما لوحظ فيمن يلجأون إلى الاستمناء (الإرضاء الحسى الذاتى) . ولا نعلم هل تصاحب كوارث الطبيعة والمناخ ـ كالزلازل والعواصف ـ تصاحبها اضطرابات جوية

تؤثر تأثيراً مباشراً فى المراكز العصبية العليا فى المخ ؟

ولكن يدفعنا إلى هذا الاعتقاد ـ ما عرفه « فرجيل » منذ القدم وما نعرفه الآن عن جو العاطفة الذاتية وتأثيره الخاص الذى يدفع للتهيج والتحرك الحسى ، وتدنو العاصفة قبل بدء الرعد والبرق .

وليس الخوف وحده هو الذى يثير المشاعر الحسية ، فقد يثيرها الأسى . وهنا تتدخل العوامل النفسية تدخلا واضحاً ، ومن أمثلتها تطلع الإنسان إلى المواساة : يواسى غيره ، أو يواسيه غيره ، وتلك المصاحبة أو المشاركة فى الحزن رباط قوى متين بشكل غريب ، والمثل الثالث هو الرغبة اللاشعورية فى الهرب من الأفكار المؤلمة الثقيلة .

ولكن بجانب هذه المؤثرات الثانوية (المساعدة) ، هناك مشاركة بين الأسى والحب ، وهى مشاركة فطرية تستحق التقدير ، ويؤكدها كل من يدرس الأعمال والصفات الفكرية فى نفسه أو فى غيره .

وربما كان السبب فى هذه المشاركة والتفاعل متعلقاً بزوال الكبت الناتج عن العوائق والقيود التقليدية ؛ فالأسى يحدث اضطراباً فى الاتزان النفسى يؤدى إلى زوال تلك العوائق والقيود التقليدية وانطلاق الدوافع الفطرية الحسية انطلاقا قويا عنيفاً بشكل ظاهر لا يخفى .

ولا يخلو هذا القول من تناقض ، فالمشاعر التى تثير القلق والخوف والرعب بدرجة كبيرة تميت التهيج الحسى ولو كان موجوداً فعلا ،

كما تستطيع منع ولادة هذا التهيج ولو اشتد التنشيط الموضعى . ولهذا فكثيراً ما يؤدى الخوف من الحمل إلى عجز المرأة عن الإحساس باللذة والرضا بالجماع مهما كانت قوية المشاعر عادية الأحاسيس فى ظروف أخرى . أو يحدث أن عضو الذكر يكون قد انتصب فعلا ، ولكنه لا يلبث أن يسترخى ويذبل بدون إطفاء ظمئه بالعمل .

يشبه الأسى الشديد والخوف سائر العواطف والأعمال الفكرية ، فهى حين تشتد ينصرف إليها العقل انصرافاً يشغل الإرادة الواعية عن ألوان النشاط الحسى ، ولا شك أن العقد العقلية والعاطفية قد تؤثر تأثيراً لا حدود له فى الدافع الحسى ، فتزيده أو تنقصه .

قد يكون لهذا التأثير عيوب ـ كما ذكرت قبلا ، ولكن العقلاء المتزنين كثيراً مايسخرون المؤثرات النفسية لسعادتهم أو لإسعاد الزوج ـ بالتحكم فى دافع الاقتراب من المحبوب سواء بمنع هذا الدافع أو تنشيطه ، أو إطالة العلاقات الحسية أو الإسراع فيها .

لقد أطلت قليلا فى معالجة هذه الأمور لأظهر شدة تعقد المؤثرات والعوامل الحسية وتشابكها ، وكيف أنها متداخلة الخيوط بدنياً ونفسياً ، وكيف يقوى بعضها بعضاً أو يضعفه ، أو تزيده ارتفاعاً أو تحيد به عن الطريق المستقيم ، ومن الصعب تمييز بعضها من بعض .

وسيكون لغواً أن نعيد التحدث عن هذا التعقد فى المناسبات

القبلة ، ولذا سأقتصر على دراسة الموضوع راجياً ألا ينسى القراء مطلقاً هذا التشابك الشديد فى المسائل الحسية ـ نظرياً أو عملياً . ولعل هذه الناحية فى نفس الإنسان هى أكثر النواحى صعوبة وغموضاً ، والذين يجهلونها أو يتجاهلونها يعرّضون أنفسهم لأنواع مؤلمة كثيرة من الخداع والانخداع .

والمشاعر التى تنتقل بالشخصية النفسية لبعض الأفراد إلى الآخرين تؤثر فيهم وفى الدافع الحسى عندهم فتكون جذابة أو منفرة ، وتلك هى الحال خصوصاً فى بعض الصفات ذات الأهمية الخاصة فى « الاختيار » .

فالمرأة يروقها كرم الرجل وشجاعته وسخاؤه ، وتثير فيها هذه الصفات دافع الاقتراب ، بينما اللؤم والجبن والبخل تقتل فيها هذا الدافع وتنفرها من الرجل .

أما الوداعة والترفع فى البنات والنساء فيجذبان الرجل بقوة غريبة ، بينما العكس يثير اشمئزازه ونفوره . وقد يتأثر دافع الاقتراب تأثراً شديداً بالصفات وألوان النشاط الخارجة عن المجال الحسى . ولا يندر أن يكون أساس الإعجاب بهذه الصفات فى شخص من الجنس الآخر . فالإعجاب أهم عامل فى هذا الصدد ، والمعجب مجذوب ، والمعجب به مجذوب إليه ، ومن ثم نستنتج الأهمية العظمى للزهو والعظمة الشخصية فى الحياة الحسية .

بجانب هذه الصفات النفسية المتباينة قوى تجذب مشاعر الحواس بين الجنسين . إن التطور من مجرد الدافع الساذج للاقتراب الحسى حتى يبلغ درجة الحب ـ يتكوّن من فهم الشخص وتفضيله لأنه يجمع أكبر عدد وأعظم درجة من المفاتن التى تروق النفس والحواس . وهذا ما يسميه الكثيرون « التفضيل الحسى » أو « الاختيار الحسى » .

وحتى بعد تطور الحب لا تفقد هذه المفاتن قيمتها ، فهى ضرورية لصيانة الحب ، لأن المغازلة لا يمكن أن تنشأ أو تتجدد إلا بتأثيرها الساحر .

قال ستاندال : « الحب معناه الالتذاذ أو الاستمتاع برؤية شخص يروقنا ويحبنا ، وكذلك الالتذاذ بلمسه وإدراكه بكل الحواس ، وبأقرب الطرق الممكنة »[1] .

فلنراجع التأثير المهيج للحواس البدنية المختلفة .

مشاعر الحواس

لا نعرف على وجه التأكيد إذا كان لحاسة الذوق (وتشمل الطعم والنكهة) أى تأثير فى هذا المجال (التهييج الحسى) . وعلى أى حال ، فليس هذا التأثير كبيراً .

ويصعب هنا أن نفرق بين حاستى الذوق والشم ، فالفم والأنف

---

(١) كتاب ستاندال (عن الحب) السفر الأول الفصل الثانى .

شديدا الاتصال ، واختلاط الطعم بأحسيس الشم شديد ، وهو عظيم التأثير فى المشاعر الحسية .

أعترف بكل ذلك ، ولكنى أميل إلى توكيد أثر حاسة الذوق من الناحية الحسية ، ولا أقصد بذلك الإشارة إلى القول المشهور : « المعدة هى الطريق إلى قلب أى رجل » ولن أثبت أن دافع التجاذب والاقتراب من الزوجين يقوى غالباً إذا تقاسما طعاماً منتخباً مطهياً ـ ولو كان جافاً خالياً من المشروبات لن أتحدث عن هذين القولين لأنه ليس فيهما أى انفصال حسىّ مباشر نتيجة لأنواع المذاق المختلفة أو لمقوّمات الطعام .

ولا أقصد تلك التجارب التى يبدو أنها تثبت أن بعض إفرازات المحبوب ـ كاللعاب ـ قد تثير الرغبة بمذاقها الدقيق . وقد تثور الرغبة الحسية بدرجة عظيمة ، فيتوقف الأمر هنا ـ كثيراً أو قليلا ـ على صفات المادة أكثر مما يتوقف على استعداد المحب . واستعداد المحب يختلف كثيراً باختلاف الأشخاص وأحوال الشخص نفسه واختلاف سنه ، وتلك هى الحال فى المؤثرات الحسية .

وأود أن أؤكد هنا أنى أعالج فى هذا الكتاب المشاعر والعواطف الداخلة فى حدود « الحياة الحسية العادية » وهذه الحدود واسعة متباينة . أما الانحرافات والرغبات المنحرفة الشاذة ، فلا مجال لها فى الناحية

البدنية من الزواج بالرغم من تشعبها الأصيل ، وتنوعها الكثير ، وكثرتها المفرطة فى عالم الحياة الحسية .

يجب أن ينأى الزواج المثالى عن الانحراف والشذوذ بكل ما يمكن من علم وقوة .

يقول ريمى ديجورمون[1] : « إن الانحراف فى الحب جحيم يجب أن نفتحه أبداً » وسنحرص دائماً على إغلاق أبواب هذا الجحيم .

حاسة السمع وصوت المرأة

لقد قال الكثيرون عن قيمة « حاسة السمع » وظلموا السمع بذلك ظلماً لا مبرر له ـ بالرغم من شدة آثاره المهيجة .

تنهد الشاعر هين ، فقال :

« آه لو استطعت أن أسمع الأغنية الحلوة القصيرة ، التى غنتها حبيبتى العزيزة منذ وقت طويل ! إذن لاجتاح صدرى فيض من الحنين القوى » .

لن يستطيع أحد أن يتفوق على الشاعر هين فى معرفة الحب ! والألحان التى تصاحب سعادة الحب فى الماضى ـ لها قوة دافعة ، ولو كانت « نغمات بدون ألفاظ » فالذاكرة تلتصق باللحن دون اللفظ ، أو يندر أن تتعلق باللفظ .

كان اللحن يصاحب اللذة العارمة ، فصارت حاسة السمع هى التى تزايد قيمة اللذة وجمالها ، وهى التى تزين المجال الحسى وتمجده .

---

(١) طبيعة الحب ـ مقال عن الغريزة الحسية . فى مجلة مركورد فرانس الصادرة فى باريس .

إن عالم الأصوات المنسجمة والملحنة له تأثير مهيج قوى شديد فى ذوى المشاعر المرهفة من ناحيتى الذوق الجميل والشهوة الحسية . والموهوب بهذه الموهبة المزدوجة يستطيع أن يشعر بموجة الجزر الموسيقى فى الفصل الثانى من لحن فاجنر « تريستان وايزولت » وكيف تتسرب إلى شعوره مع إحداث استجابة حسية عميقة .

والموهوب بالذوق الجميل والقوة الحسية لا يفوته الاستمتاع بمتعة نادرة هى سماع موسيقى يوهان شتراوس « فينزفلد » ولا بد من حدوث ذبذبات حسية دقيقة جداً .

لقد سمى شكسبير الموسيقى « غذاء الحب » ولن نجد قولا أفصح من ذلك عن قوة الموسيقى فى الإثارة الحسية .

ولعل العامل الأساسى فى تأثير الموسيقى هو العامل الإيقاعى ، فالإيقاع بكل مظاهره له أهمية حسية أصلية ـ ويؤكد ذلك المشتغلون بالتحليل النفسى على وجه خاص .

وليست الموسيقى هى الشعور السامى الفريد الذى يثير الناحية الحسية إثارة قوية ، فالدافع الحسى يهتز اهتزازاً أعنف ، ويستجيب أكثر بالمحيط الشخصى لصوت إنسانى خاص .

قد تتيقظ الشهوة وتتهيج الرغبة بدرجة قوية لا تصدق لمجرد سماع جرس الصوت وتنغيم كلمة واحدة ، لا يكون لها معنى أو ملابسات .

ما أعذب صوت المرأة حين تنطق : « أنت » ، وهي باللغات الأوروبية (يو ـ ذو ـ فو ـ دو) إنها تنفث في نطقها سحراً عظيما وفتنة فريدة . وهذه الفتنة الصوتية وحدها تكفي للتغلب على كل قوى الذكر وقدرته على التمتع والمقاومة ، وقد تكفي لتحدث عنده أشد مظاهر الإفصاح الحسي ، وتبلغ به ذروة اللذة .

قد يقول قائل : إن هذه النتيجة العظمى لا ترجع إلى مشاعر السمع وحده ؛ فالرجل يتأثر بحركات المرأة المحبوبة ، وما يبدو على جسمها الفاتن ووجهها الحلو من تعبيرات وإفصاحات ، ولا سيما تحديقها أو رنوّها العذب بعينيها ، فهو يؤثر تأثيراً كبيراً في هذه النشوة العظيمة .

وهذا محتمل وكثير الحدوث . ولكن النظر ليس ضرورياً ؛ فالسمع وحده يستطيع أن ينقل أعظم لذة .

وتدليلا على سحر صوت المحبوب ، أشهد أن المحب السامع يتأثر تأثراً كاملا ـ ولو سمع صوت المحبوب ، خلال مسمعة المسرة (التليفون) كما أن الذاكرة تتعلق بمشاعر السمع تعلقاً عاطفياً شديداً ـ مما يدل على أهميتها .

وأعرف أحوالا كثيرة عن حب قديم ، كان أثمن ذكرياتها نغمات امرأة انتقلت إلى عالم الفناء ، وسمعت في محادثة بالمسرة (١) .

(١) لنفكر في أغنية أليس ميديل الجميلة ، ونهايتها :

« كلماتك لي . . . كلماتك ! »

الروائح الطبيعية والشخصية

للصفات الشخصية أهمية كبيرة فى ربط الشعور الحسى بحاسة الشم . تلك هى الحال فى استقبال المنبهات الشمية والاستجابة لها والتأثر بها . وكذلك حال الروائح الخاصة الشخصية(١) . والاختلافات فى هذا الصدد عظيمة تختلف والسلالة . واستعداد المرأة للشم أكثر من استعداد الرجل ، وكذلك قوة الروائح الشخصية ومداها أشد فى النساء مما هى فى الرجال .

والجاذبية المتوقفه على الشم عامل غير مؤكد كما أنه يختلف كثيراً. ولا وجود للاستجابة للروائح عند بعض الأشخاص . ولا يؤمن الكثيرون بما للروائح من أهمية حسية ، ولا يدركون أن للروائح أى تأثير خاص . فهؤلاء يحرمون أنفسهم من التمتع بلذة شهية ومذاق طلى نتيجة إهمالهم تقدير الروائح وأهميتها وتأثيرها . وأنصح لهؤلاء الأشخاص بالاهتمام بموضوع الروائح ليدركوا المتعة الرائعة التى تبعثها الروائح المختلفة الذكية المنبعثة عن جسم المحبوب .

و بقدر مايهمل بعض الناس الروائح وحاسة الشم ، يتمتع آخرون بشم قوى جداً . والعلماء المغرمون بتقسيم البشر جمعوا ذوى

(١) كتاب « الروائح والنفس » تأليف دان مكنزى ـ الناشر هينمان سنة ١٩٢٣ .

الشم المرهف فى مجموعة خاصة . وهؤلاء المعروفون بقوة الشم يشاركون أجدادنا القدامى والسلالات البدائية فى أن حاسة الشم عندهم أهم من النظر من حيث التأثير الحسى المهيج .

ويختلف البشر فى روائحهم الخاصة كما يختلفون فى تأثرهم بالشم . وبالطبع يجب أن يفهم أن « الروائح الخاصة » أو «الروائح الشخصية» لا تشمل روائح الفضلات الكريهة فى الأجسام والملابس غير النظيفة ، وكذلك روائح الغازات الناتجة عن فضلات الأمعاء ، أو الأنفاس المشبعة برائحة الثوم ، أو غيره من ألوان الطعام الكريهة الرائحة . وكذلك لا تشمل «الروائح الخاصة» أى شىء منفر حسياً ـ وما أكثر هذه المنفرات إن اعتلت الصحة أو قلت العناية بالنظافة والتجمل . فيجب تجنب المرض كما تجب العناية بالتجمل والنظافة والصحة لأن إهمالها يتلف الصحة ويضيع الحسن والجمال .

ومن الضرورى تجنب الروائح الكريهة الغريبة التى تصاحب بعض أنواع الانحلال والمرض ـ ولا سيما ما يتعلق منها بالتنفس ـ لصعوبة إخفائها . وقد يتهدم الحب باستمرار سوء الهضم ، والأسنان النخِرة ، والتهاب الأنف وغير ذلك .

ويعترف الإسلام بالنفور الحسى الناتج عن هذه الأمراض ، ويهتم بنتائجه . ولذا سمح للمرأة المسلمة بالطلاق لأربعة أسباب : منها

« أن يكون زوجها أبخر ، أى حين تسوء رائحة أنفاسه ، أو حين يصاب بالتهاب الأنف المزمن ، أو بما يفسد رائحة الأنف . » (١)

يستطيع أى كلب أن يثبت أن لكل شخص من البشر رائحة خاصة مميزة ، ولو لم يدرك الإنسان الاختلاف فى هذه الروائح . ألا ترى أن الكلب يعرف سيده برائحته وحدها ، ويميزه بها عن رفاقه ، ويتبعه مقتفياً أثر رائحته دون تردد أو خطأ ! ؟

ومن البشر أشخاص يستطيعون تمييز الاختلافات الفردية المماثلة ، ولكنهم فى العالم العربى أقل عدداً منهم بين الشرقيين وسكان المناطق الحارة . ومع ذلك ندرك أن الرائحة الشخصية المميزة المنبعثة عن شعر المحبوب وجلده كله يمكنها أن تبعث فينا اللذة . ألا يحاول المحب دائماً أن يستنشق ما فى أنفاس المحبوب من عبير نفاذ ؟

قال خبير فى الحب :

« ما القبلة ؟

« أليست محاولة قوية لامتصاص ـ أو استنشاق جزء من كيان المحبوب » . (٢)

---

(١) « الأمراض الجنسية والزواج فى الإسلام » للدكتور حسين همت ـ ١٩١٧ . الناشر مولرو ستانيك ـ مونيخ .

(٢) فلسفة الحب ـ جيا كومو كازانوفا .

والروائح المنبعثة عن النفَس والشَّعر خفيفة وضعيفة جـداً ، ومن ثم لا تستطيع أن تؤثر تأثيراً واضحاً إلا إذا كان الحبيبان متصلين اتصالا فعلياً أو قريبين أشد القرب .

ومع ذلك يمكن إدراك رائحة العرق فى أول أطوار القرب ، وتأثيرها واضح جلى وهو جذاب أو منفر .

رائحة العرق

وهذا التأثير الواضح المؤكد يختلف كثيراً باختلاف الأشخاص وتنبعث رائحة العرق ـ على الأخص ـ من غـدد تحت الإبطين ؛ أما فى النساء فتلاحظ « الرائحة الشخصية » ولا سيما حين يلبسن ثوب الليل الخفيف ، كما تلاحظ فى أثناء الحركات السريعة والاقتراب الشديد فى الرقص .

وفى هذه الظروف ينبعث بسهولة شعور الدعوة الجذابة ، ولـكنه يثير نفوراً لا سبيل للتغلب عليه ، لأن رائحة الإبطين عند الـكثيرات من النساء والفتيات ليست إلا رائحة حيوانية لا تسرهن مطلقاً . ومن سوء حظهن وحظ الأخريات أنهن لا ينتبهن أبداً إلى هذه الرائحة ! وهؤلاء يفيدهن كثيراً إعلان مزيل الرائحة ـ كالذى تنشره مجـلة « ستراند » اللندنية .

وهناك حالات تـكون فيها رائحة العرق لطيفة جذابة من أول لحظة ، ولـكنها نادرة . والرائحة الشخصية عامة لا تثير اهتمام المحب

وانتباهه فى أول الأمر ، وقد تكون منفرة إلى حَدٍّ ما ، ولكنها قد تكون منبهة منشطة بدرجة عظيمة بعد بلوغ درجة خاصة من التهيج الحسى .

فى كل هذه الأمور الدقيقة يكون لذوق مستنشق الرائحة أهمية تعدل اختلاف التأثر بها اختلافاً عظيماً باختلاف الأشخاص الذين تنبعث منهم الرائحة .

وقد ثبت لى هذا بشكل واضح عجيب فى أثناء زيارتى لشابين أعرفهما ، وهما كذلك صديقان حميمان . وكانا يتحدثان عن فتاة فى ريعان الشباب ، أما أحدهما (ولم يتجاوز الثانية والعشرين من العمر) ، فقد قال دون اكتراث أو إدراك لأهمية كلامه :

« لا ، لا . . لا أحب أن أراقصها . إنها فتاة جميلة حقاً ، ولكن رائحتها لا تسر ! » .

فأجابه صديقه وكان يماثله سناً وسذاجة :

« أتظن هذا ؟ لا أفهم ماتعنيه أبداً ، فإن مايجذبنى إليها هو رائحتها . كم أحب رائحتها ! » .

وبعد أسبوع سمعت عرضاً محادثة مماثلة بالتقريب لهذه المحادثة ، وكانت بين فتاتين فى الثامنة عشرة من العمر ، متماثلتين فى البراءة والصراحة ، وكانتا تتكلمان عن شاب راقصته كل منهما .

وأسجل الحقائق التالية مثلا لدقة شم الروائح فى بعض الأشخاص ،

وإظهاراً للتباين العظيم بين الناس حين يستنشقون روائح شخص واحد بالذات .

وكانت عندى مريضة شابة فى السابعة عشرة من العمر ، كثيراً ما تلم بها الحمى ، وكانت أمها تدرك فى الحال أنها محمومة بمجرد شم رائحتها حتى ولو كانت على بعد بضع خطوات ، ومع أن هذا التغيير لم يكن يلحظه أحد آخر فإن تشخيص «الأمومة» كان دائماً صحيحاً يؤيده مقياس الحرارة .

ولن أحرم القراء من تفاصيل مثل آخر ، وهو حال شابة متزوجة كانت تدرك حال زوجها تماماً وتميز مزاجه وأطواره النفسية من الروائح المنبعثة من جلده ـ مع أن أنفاسه كانت ملوثة بالتدخين المستمر ! وقد وصفت أطواره هكذا :

« رائحة حلوة نوعاً ما إذا كان فى حالة انشراح وسرور .

رائحة ملحية قليلا عند التعب .

رائحة لاذعة جداً عند الغضب والتهيج الشديد . وتزداد فى صفتها الحريفة ونفاذها كلما ازداد فقد اتزانه وقلّ ضبط نفسه » .

رائحة الطمث

هناك رائحة هامة أخرى ، تختلف عن الروائح المذكورة قبلاً ، وتختص بالنساء وحدهن فى بعض المواسم هى « رائحة الطمث الشهرى » أو « روائح » الدورة الشهرية . وتنبعث خاصة من الإفراز الشهرى من الأعضاء الجنسية ، ولها خواص مشتركة فى النساء جميعاً ، ولكنها

تختلف باختلاف كل امرأة من حيث الطابع ، والشدة ، والمميزات الشخصية ؛ فهى متباينة مختلفة بين امرأة وأخرى .

ولـكن يجب أن تخلو تماماً من الروائح التى تنتج عَرَضاً عن نقص النظافة الشخصية وتجمد كريات الدم التالفة ، وهما أمران متلازمان غالباً ، ويضران بالصحة وينفّران للغاية .

ويمكن إخفاء الرائحة الشهرية بالملابس ، وأهم من ذلك يمـكن تغيير الملابس الداخلية تغييراً كثيراً وافياً ، ومع ذلك يستطيع ذو الشم القوى إدراك هذه الرائحة الشهرية . وشم هذه الرائحة لا يقتصر على المنطقة الخاصة المتأثرة بالدورة الشهرية (منطقة الأعضاء الجنسية) ، بل تمتد الرائحة فى معظم النساء إلى إفرازات الجلد (غدد العرق) والنفَس وتختلف هذه الرائحة اختلافاً عظيما حَسَبَ الأشخاص .

تُشبه الرائحة الشهرية رائحة العرق ، أى إن تأثيرها فى الدافع الحسى له ثلاثة أوجه : فقد يكون منفراً ، أو مبهجاً إبهاجاً جلياً ، أو ساراً لبعض الشروط وفى بعض الظروف كأن تـكون الرائحة منفرة إلى حد ما أول الأمر ، ثم تصير جذابة بهيجة ببلوغ درجة واضحة من التوتر بالشهوة .

أما الطائفة الثانية (التى تبهجها الرائحة الشهرية) فقليلة ، وتشمل مَنْ تجذبهم الرائحة الشهرية أو اللائى يجذبن غيرهن برائحتهن الشهرية من أول الأمر .

أما الطائفة الثالثة فأكثر مما نعتقد ، وهى التى تجذب غيرها أو تنجذب إلى غيرها بشروط وظروف مناسبة .

ولكن الطائفة الأولى التى تحس بالاشمئزاز والنفور هى الغالبية الساحقة .

فلتحذر النساء !

يقول المثل : « إن الرجل الذى سبق تحذيره يمكنه التعامل مع اثنين » ونضيف إلى ذلك « أن المرأة التى سبق تحذيرها تستطيع أن تعامل ثلاثة ! »

فى كل من المرأة والرجل رائحة حسية مميزة خاصة ، تختلف كثيرًا باختلاف الأشخاص من حيث الشدة والنوع . فإذا لم تكن هذه الرائحة الحسية المميزة ظاهرة جلية ، ولا يحدث هذا عادة ، فيمكن القول بأن الروائح الجنسية العادية تجذب الأشخاص العاديين من الجنس المقابل . ولكن لا يظهر هذا اللون من الجاذبية إلا حين يبلغ الزوجان درجة عظيمة من الانسجام والتفاهم الحسى (فى حدود تقاليدنا وقوانيننا المتمدينة) .

إذا ساءت الرائحة العادية الطبيعية بنتائج القذارة (كالعرق القديم المتراكم) أو أى إفراز منفر ، تغيرت صفات هذه الرائحة وأصبحت تثير نفوراً حسياً شديداً ، فلا يسود الود بين الزوجين .

والرائحة الجنسية أقوى فى المرأة مما هى فى الرجل ، وعند ما يتنبه الجسم كله ويتأهب للوصال تزيد هذه الرائحة بما تفرزه الغدد الثانوية من إفرازات ملينة مشحمة ، وتظهر بعض السيدات زيادة فى روائح الجلد والنفَس ، فهذه الظاهرة قد تصبح وسيلة لتهييج الرجل وإغرائه .

رائحة المنى

وهناك رائحة جنسية هامة ، هى رائحة الإفرازات المنوية للرجل . وتمتاز بالتنوع والتباين ، كما تختلف اختلافاً عظيماً باختلاف السلالات (الأجناس البشرية) ؛ فرائحة المنى فى الشرقيين أقوى وألذع مما هى بين الغربيين « البيض » .

ومَنِيّ الفتيان الأصحاء فى الأوربيين الغربيين له رائحة طازَجَة منعشة ؛ والمنى فى الرجال البالغين أنفذ رائحة .

أما من ناحية النوع والقوة ، فهذه الرائحة المنوية مميزة جدًّا ، وتشبه رائحة أزهار القسطل الأسبانى (أبو فروة) ؛ التى تختلف حسب حال الشجر والجو ، فتكون رائحتها أحياناً شبيهة برائحة الأزهار الغضة الحديثة ، وقد تكون فى بعض الأحيان حادة لاذعة منفرة غير مقبولة على الإطلاق .

وقد تختلف رائحة المنى فى رجل واحد بالذات اختلافاً شاسعاً عظيما كما أكدت أقوالٌ من مصادر موثوق بها ومستقل بعضها عن بعض .

فرائحة المنى لاذعة بعد التهيج الفكرى والعاطفى .

وهى عطرية بعد الإجهاد العضلى .

وبعد الوصال المتكرر المتتابع السريع تكون أضعف ، ولكنها تبدو قديمة غير مقبولة .

وقد وُصِفَ لى أن تباين روائح المنى يشبه روائح العرق المصاحب له ، المنبعث من البشرة كلها . وتتفق مظاهر أطوارهما المختلفة اتفاقاً ملحوظاً ، مع أن الوصف صار مستقلا ، عن نساء مختلفات ، وأشرن فيه إلى رجال مختلفين .

يتضح إذن ، أن الرائحة المنوية يجب أن تشعر الإنسان بألوان مختلفة من مشاعر الشم فى أثناء الوصال الحسى . ولكن المشتغلين بالتحليل تتاح لهم الفرصة لدراسة الإفرازات المنوية فى المعمل ، فيرون أن أنواع المنى لا تكاد تختلف إلا قليلا ، بل لا تكاد تختلف إلا فى درجة الحيوية ! وما أعجب هذه النتيجة !

لعل السبب فى ذلك أن المحلل (فى المعمل) يحاول قدر الإمكان أن يتجاهل الرائحة ، أو يكبت حاسة الشم فى أثناء فحصه وبحثه ، لأن الشم قد يحدث عنده اشمئزازاً أو غثياناً . ثم إن رائحة المنى المميزة تتأثر بالتعرض للهواء وبقذفها فى عضو الذكر (فلا رائحة لها ، أو تكون رائحتها عسيرة على الإدراك ـ ما بقيت محفوظة داخل الغدد الجنسية)

وهذا التأثير الجوى يزيد فى شدة رائحتها . ويمحو كل الاختلافات المميزة الدقيقة الخاصة بشخص دون آخر .

ولكن النساء الخبيرات لايترددن لحظة فى تأكيدوجود هذه الظلال الطفيفة من التباين والاختلاف بين شخص وآخر ، وهن يؤكدن أهميتها .

وأعرف عن سيدة ذات مواهب عقلية عالية ، حساسة رقيقة للغاية ، أنها قطعت فى الحال علاقتها بالرجل بمجرد أن لاحظت فى أول جماع أن رائحة منيه كانت كريهة لديها كراهة لاتحتمل. ويمكن أن يقال بصفة عامة إن رائحة المنى تثير النساء وتستهويهن ، وأنها كريهة بل تحدث الغثيان للرجال .

ولكن الروابط الفكرية فى هذا المجال قوية جداً حتى إنها لتطرد تماماً شعور الشم الأول أو تزيله ، فلا يحس الرجل عادة بأى نفور من رائحة المنى الخاصة به ، ولكنه يصاب بغثيان شديد إذا شم الرائحة المنوية لرجال آخرين .

أما المرأة فيتجدد تهيجها ـ فى أثناء الجماع ـ برائحة منى الرجل المحبوب،وإذا كانت لاتحبه فإن رائحته تزيدها له كرهاًواشمئزازاً ونفوراً.

ومعظم المنى يرتد فى الحال إلى الوراء ، أو تتسرب نقطه إلى الخارج بمجرد نزوله فى المهبل . وما يبقى منه فى الداخل يفقد حالا رائحته المميزة .

أما الرائحة الناتجة من امتزاج إفرازات الرجل والمرأة داخل المهبل بعد البضاع ، فهى رائحة ضعيفة ولكنها واضحة مميزة ، يستطيع الخبراء تمييزها ، كما يميزها أقوياء الشم فى الملابس ومفروشات المخادع .

وهذه الرائحة تهيج الجنسين كليهما إذا شمها الرجل أو المرأة . ويتأثر الشعور الأول عند الجنسين تأثرًا حسناً بالمعانى العقلية المترابطة التى تثيرها الرائحة المنوية ، كما يتأثر هذا الشعور بالتأمل اللاشعورى فى أصل الرائحة .

وآخر رائحة جنسية يجب ذكرها رائحةٌ تندر ملاحظتها ، ولكن لها أهمية عظيمة من نواح كثيرة ، فلن أهمل تسجيلها وخاصة لأنها لم توصف للآن ـ بقدر ماأعلم.

وأساس ملاحظاتى أن ثلاث سيدات قلن لى منفردات إنهن بعد الجماع بخمس دقائق ـ قد تمتد إلى ساعة ـ لاحظن أن أنفاسهن تحوى رائحة منوية خفيفة تستمر ساعة أو ساعتين .

ولم تنتبه السيدات أنفسهن إلى ذلك أول الأمر، ولكن أزواجهن لاحظوها من أول وهلة ، وكثيرًا ماأدت هذه الملاحظات إلى تكرار الجماع بالنسبة لاثنتين من السيدات الثلاث .

وقال لى زوج إحداهما إنه قد صار هو وزوجه جسما واحداً متحدًا متصلا متداخلاً ، ويشعر أنه يشبع شخص زوجه المحبوبة بثمرة نشاطه

الحسى (المنى) ، الذى تظهره الرائحة المنوية الخفيفة فى أنفاسها ، وكان يستعيد فى خياله سائر ما أحسه من ألوان البهجة والمتعة فى أثناء الجماع ، فيتأثر خياله تأثراً شديداً بالرائحة والمتعة ، فيعاود من جديد إشباع جسمها المحبوب بثمرة نشاطه الحسى .

وهكذا فسر هذا الزوج تهيجه الحسّى باستعادة صور المتعة ، وبالترابط الفكرى . ولم يبدأ التنبيه الحسى إلا بعد شم الرائحة المنوية . ويبدو هذا التفسير مقنعاً جداً فى نظرى ، وهو أكثر احتمالاً من تفسير التهيج من جديد بأن مشاعر الرجل الحسية يثيرها مجرد شم رائحته المنوية التى يمتاز بها جسمه ومنيّه دون سواه .

لاشك أن هؤلاء النساء كن يلاحظن هذه الحقائق ويسجلنها وقد فحصت أنفاس سيدتين من هؤلاء الثلاث وعثرت فيها على الرائحة المميزة . أما السيدة الثالثة ، فقد فحص أنفاسها أحد الزملاء فوجد فيها الرائحة .

تثبت حال السيدتين الحقائق التالية :

ا ـ أن المركبات الكيمويات فى المنى قد أعيد امتصاصها لأعضاء المرأة الجنسية .

ب ـ نفذت المواد المنوية وتشبعت بها إفرازات المرأة البدنية ودماؤها .

حـ ـ انتقال هذه المواد إلى الرئتين وانتشارها بالتنفس .

وإعادة امتصاص المواد إلى الأعضاء الجنسية النسوية لها قيمة بدنية ، سنعود إليها فيما بعد .

والغشاء المخاطى للرحم حساس جداً ، قوى الامتصاص ، ولكن الغشاء المخاطى للمهبل أقل حساسية وامتصاصاً ـ ولو أنه قادر على التشبع وقد أثبت البحث الحديث إثباتا قاطعاً هذه القدرة على التشبع ، وذلك بالفحص المجهرى وعاملة المصل (السيرم) وباختبارات قاطعة أخرى .

ومع ذلك ، فهناك حقيقة واضحة ، هى أن المنى الذى تستقبله المرأة فى أثناء الجماع له تأثير فى أنفاس المرأة ، وهو دليل على انتقال المنى وإفرازه خلال الرئتين .

وتذكرنى هذه الظاهرة باختبار معروف يمس فيه رحم المرأة باليود ، فتظهر الرائحة اليودية فى أنفاسها بعد إدخال اليود بقليل .

تؤكد هذه الحقائق تجارب أخرى قمت بواحدة منها .ولكنى لا أقطع بنتيجتها .

وليس هناك غالباً فرص للملاحظة فى هذا السبيل ، لأن الرائحة إذا لوحظت تكون ضعيفة جداً فلا يمكن شمها إلاّ بالاقتراب الشديد من مصدرها وهى مسألة رقيقة دقيقة .

وفى الأمثلة القليلة التى استطعت ملاحظتها ، كانت الرائحة الخاصة المميزة غائبة . ويمكن تعليل ذلك بفقدانى حاسة الشم فقداناً وقتياً . ولكن هذا التفسير لا يمكن تطبيقه فى كل الأحوال التى فحصت فى فترات طويلة من الزمن .

وربما كان السبب فى غياب الرائحة ضعف انتقالها عن طريق العرق ،

أو اختلال عمل الغشاء المخاطي الماص في الرحم أو لا متناعه عن العمل مطلقاً فلعل المني لم يدخل الرحم كما يحدث كثيراً حدوثاً طبيعياً أو نتيجة استعمال وسائل منع الحمل .

وهذه الملاحظات تؤكد خبرة بعض النساء اللائي يلجأن لأنواع من غسيل الفم لإزالة رائحته ـ مثل « أودول » .

ولو راجعنا ملاحظاتنا عن الروائح الطبيعية الجنسية ، لاستنتجنا حتماً أن حاسة الشم لها تأثيرات هامة في الدافع الحسي ـ حتى بين الشعوب المتقدمة . والروائح الحسية عامة وكل الروائح البدنية القوية لها تأثير سلبي أو منفر بغيض في الأشخاص المثقفين المهذبين ، في أول مراحل الاقتراب ، فهي تثير النفور الحسي أو تزيده .

فإذا انتهت مراحل الاقتراب الأولى و بلغ الزوجان العاشقان درجة خاصة من التقرب والتودد ، فإن الروائح الحسية تستطيع أن تزيد الشهوة وتلهب الرغبة وتيسّر السبيل لاتصال أكثر عنفاً وشدة وكمالا .

وكذلك الاقتراب الحسّي الذي قارب الهدف يمكن ضبطه أو منعه الروائح المحلية المنفرة ـ ولا سيما مايدل منها على القذارة والمرض .

نفهم بسهولة أن المخلوقات البشرية كانت في مثل هذه الظروف منذ أقدم العصور تلجأ إلى المواد الطبيعية أو المنتجات الصناعية لإخفاء الروائح الشخصية أو تحسينها .

العطور والدافع الحسي

هذه ناحية هامة كثيرة التفاصيل فتستحق فصلاً مستقلاً. و يسعدنى أن أكتب هذا الفصل ، ولكن معلوماتنا فى هذه الناحية لم تتقدم تقدماً وافياً ، ولن نستطيع إلا التعميم عند تناول هذه الموضوعات. ولو كنت مثل سائر المؤلفين لكتبت كتاباً يشمل مظاهر العشق الحسى بروح لا أرضى أن أكتب بها .

ومع أنى أستطيع الآن أن أسجل ملاحظات وحقائق هامة مؤكدة تصلح فى المستقبل أساساً لنظرية علمية عن العطور الحسية ـ إلا أن هذه النظرية ينقصها للآن أساس مناسب من التجارب والأسانيد . ولن يتكون هذا الأساس إلا بالتعاون التام بين المشتغلين بالبحوث الحسية ومنتجى العطور . إن مجال البحث فى العطور وتأثيرها مجال هام ساحر لم يرتده أحد تقريباً بالرغم من أهميته من كل النواحى .

ومع ذلك ، أود أن أعالج استنتاجاتى فى الموضوع ببعض التفصيل ، فقد تفيد فى ترقية علاقات الحب المتين وفى حفظها ، لأن لها تأثيراً خاصًا فى مصنع الذخيرة الزوجية فى « الزواج المثالى » كما أعتقد أن لها أساساً عملياً عاماً يبرر التوسع فى الشرح والبحث .

يمكن تقسيم الروائح والعطور والمركبات ذات الرائحة خمسة أقسام من ناحية التأثير البدنى . وثمة قسمان لهما طبيعة عامة ، ويكوّنان

المجموعة الأولى أو « المجموعة العامة » ، وتبقى ثلاثة أقسام لها تأثير حسى أكيد ، وتكوّن « المجموعة الثانية » .

أما المجموعة الأولى (المجموعة العامة) ، فتحاول إخفاء الروائح غير المقبولة التى إذا تُركت دون إخفاء ، فقد تقلق المزاج وتميت الرجاء وتخيب الآمال .

وهذه المجموعة تنعش الجهاز العصبى كله ؛ فالروائح الحلوة حين تنفث بمقدار كاف و بطريقة رقيقة لن تروق حاسة الشم وحدها ، بل تؤثر تأثيراً منبهاً فى الجهاز العصبى المركزى ، مما يزيد الاستجابة والحيوية .

ولهذه الروائح قيمة حسية عظيمة بأوسع المعانى .

أما المجموعة الثانية فتستعمل للأغراض الحسية المباشرة. وأهدافها :

ا ـ إخفاء الروائح الشخصية المنفرة ومحوها .

ب ـ بعث الروائح الشخصية المقبولة وتحسينها وتمجيدها .

حـ ـ إثارة المشاعر الحسية .

والقسم الثالث يهيج من يستعمله ، بينما القسمان الأولان (ا ، ب) يؤثران فى الشريك دون التأثير فيمن يستعملهما .

ويلجأ الخبراء إلى استعمال الروائح لتنشيط الشهوة وإهاجة مشاعرهم الخاصة .

وأكثر الناس خبرة فى استعمال الروائح لإلهاب الشهوة الثانية

الخاصةهن النساء على وجه عام ، فهن يستعملن الروائح لإهاجة مشاعرهن الحسية ، ولعلهن يدركن تماماً مايرمين إليه باستعمال هذه الروائح .

وهناك معتقدات مفيدة شائعة عن الروائح ؛ فالمجموعة الثانية تتميز فيهـا روائح الذكور عن الروائح النسوية . وروائح الرجال تشبه الروائح الذكرية المثالية وتنشطها وتثبتها ، وبذلك تنبه الأعضاء الجنسية النسوية وتهيجها .

أما الروائح النسوية فتنسجم مع طراوة المرأة المثـالية ووداعتها وتتفق مع أرجها الفوّاح الذكى الذى يجذب الرجل ويهيجه .

وثمة روائح أخرى يمكن تسميتها « سابية للذكور » و « سلبية للنساء » لأنها تزيل الروائح الشخصية غير المقبولة فى الرجال والنساء على السواء[1] .

---

(١) فهناك أربعة أنواع من العطور الحسية يمكـن استعمالها لبلوغ الأهداف المرجوة فى (ا) و (ب) ولا يحتاج الأمر إلى وسيلة خاصة لهدف القسم (حـ) أى التهيـج الذاتى بالروائح ، لأن النسـاء لا يحتجن إلا لاستعمال الروائح الذكرية ، بينما يحتاج الرجل إلى استعمال الروائح النسوية . فالقسم (حـ) ليس له وجود منفصل عند صانعى الروائح .

أما تقسيم الروائح الذى ذكرته فى نص الكتاب ، فلجأت إليه توضيحا للأغراض المختلفة فى استعمال الرائحة . والمقصود بكلمة (الرائحة) كل مواد الزينة الفواحة مثل مسحوق الأسنان ، ومعجون الأسنان ، ودهان الوجه ، والصابون وصابون الحلاقة ، وغسيل الفم ، وغسيل الشعر ومسحوق الوجه .

قبل تفصيل الـكلام عن الروائح ، يجب أن نذكر ـ فيما يتعلق بالتخلص من الروائح أو تثبيتها ـ أن هناك مواد خاصة تستعمل بمقادير ضئيلة فتكون لها قوة آسرة منشطة ، فهي تحفظ الروائح والعطور الطيارة وتحسنها تحسيناً كبيراً ، وبدونها تطير الروائح سدى ! وهذا هو التثبيت .

وثمة مواد أخرى تزيل بعض الروائح بإخفائها أو بمعادلتها كيمويا .

وهناك عوامل كيماوية وطبيعية تستطيع تقوية الروائح أو تقليلها .

ومن أمثلتها القريبة في الحياة اليومية أن بعض المواد الفواحة تنقطع عن نشر شذاها حين تجف ، ولكنها بمجرد ترطيبها (تنديتها) تعاود نفث رائحتها المميزة .

وطبقاً لهذا الانسجام بين الروائح المختلفة يركز صانع الرائحة فنه في تركيب الروائح تركيباً منسجماً مناسباً . وصانع الروائح المشهور بيس كون سلماً عطرياً كالسلم الموسيقي (مفاتيح المعزف) وأعلن أنه من الممكن فهم أوتار الروائح وألحانها ، وكذلك بيان ما فيها من نشاز وتنافر .

ولو فرضنا أن ابتكار صانع الروائح بيس هو مجرد رياضة أو لعبة نفسية أكثر مما هو تجربة علمية ، إلا أنه يثبت أهمية الحكمة والمهارة في مزج المركبات التي يتكون منها كل عطر من العطور .

يجب كذلك أن أؤكد أنه لم يكتشف للآن الجزء الأكبر في علم الروائح الحسية ، فيجب الاهتداء إلى قواعد هذا العلم واختيارها وتطبيقها علمياً .

لقد قدّمت لنا الطبيعة الرائحة المثالية للذكور ، وهى المسك الذى تفرزه الذكور البالغة من غزلان المسك ، من غدد خاصة تجاور الأعضاء الجنسية . أما مقدار المسك ونوعه فيتحسنان فى الربيع حين يعجز الحيوان عن الحركة .

ويستعمل العطارون المسك بكثرة تفوق ماتتصور ، ولكنه أحد المواد القوية النفاذة الرائحة التى نعرفها ، فيجب استعماله بشرط تخفيفه تخفيفاً عظيماً ومزجه بروائح أخرى - لأن كثيرًا من الرجال ينفرون نفوراً طبيعياً شديداً من رائحة المسك حين تكون قوية مميزة ، وهذا النفور معقول بالطبع وتبرره الأسباب البدنية .

ولن نعترض مطلقاً على استعمال المسك استعمالا كثيرًا فى أفخر أنواع الصابون والمساحيق والروائح وأنواع الغسيل إذا خففت باستمرار تخفيفاً مناسباً ومزجت بحكمة ومهارة وحرص ، وهو أمر عسير لا يطابق الواقع .

ونذكر مادة أخرى يكثر انتاجها واستعمالها ، هى اللاوند ، وهو سلبى من ناحية التأثير النسائى ، وقد عرف العرب فى القرن السادس عشر أهمية البرعم الشذىّ فى مقاومة « الرائحة السيئة المنبعثة من المهبل » .

كانت جداتنا يعشن فى عصر يعتبر الحمامات ترفاً زائداً نادراً ، ولكنهن اعتبرن أزهار اللاوند شيئاً ضرورياً ، فلجأن إلى أزهاره

الجافة الرقيقة التى يتراوح لونها بين اللونين الأزرق والبنفسجى ، وكن ينثرن زهر اللاوند نثراً فى صوان الملابس ، أو يضعنها فى أكياس صغيرة فى صوان الملابس والمنسوجات بين ملابسهن الداخلية . ولهذه الحقيقة أهمية عظيمة .

فاللاوند من أبدع مزيلات الروائح إلا إذا أفرطت رائحة الأعضاء الجنسية ، أو نتجت الرائحة عن الإفرازات السيئة ، أو البعد عن النظافة ، ويمكن أن نقول إن اللاوند يعادل كيماوياً الرائحة الخاصة بالأعضاء الجنسية النسوية ، ولعله قوى التأثير فى مناهضة الزائد من الروائح النسوية الأخرى ، وهو ما يفسر شيوع استعمال ماء اللاوند وأملاح الحمام المعطرة باللاوند .

ولن تفلح مواد الزينة المعطرة باللاوند فى تأدية مهمتها إلا إذا صنعها الخبراء ثم استعملتها المرأة بمعرفة حاذقة ومهارة بارعة .

لنأخذ اللاوند مثلا للعطور الأخرى ؛ فنرى أن « خل الزينة » المحضّر باللاوند يستطيع إزالة الرائحة بدقة وإتقان بتأثير الحمضى - خصوصاً فى منطقة الأعضاء الجنسية ، بينما تعجز عن ذلك المستحضرات القلوية كالصابون ، لأن القلويات تؤازر الروائح الجنسية .

ولن ينفع ماء اللاوند فى إزالة الروائح لو ثبّته العطار بإضافة المسك ! وقد رأيت هذا الخطأ فى مستحضر وصفه إنجليزى ، ولا يعود السبب

فى هذا العجز إلى ذكرة المسك ، بل لأن المسك له قوة تثبيت الروائح وتأكيدها ــ ولا سيما الروائح الشخصية[1] .

فهذا المثل القصير الواضح يظهر لنا كيف تتعقد العوامل عند استعمال العطور استعمالا ذكياً . وكيف تتعدد أنواع تفاعلها المتبادل .

ولكن لن أسمح لنفسى بالاندفاع فى الحديث عن هذا الموضوع الفاتن فى تفصيل كبير ، ولذا أختم الحديث باستنتاج قواعد واضحة

---

(١) يمكن تركيب عطر لاوندى حسن كما يأتى :
١ لتر ماء لاوند ــ ١٢٥ جرام ماء ورد (بدون مسك أو أى مواد حيوانية أخرى) ــ ٧٥ جرام ملح نشادر . ثم يمكن تلوينه باللون الأزرق الباهت بمادة فنيسين (النيلة) . و « خل اللصوص الأربعة » عطر معروف ، يحوى خلاصة كحولية لأوراق اللاوند والنعناع وحصا لبان والذب والقرنفل ومواد أخرى أقل أهمية ،كما يضاف الكافور إلى محلول حمضى . ولم يقصد صانعو العطر ــ بقدر ما أعلم ــ إلى جعله مزيلا لروائح الأعضاء الجنسية ، ولم يصفه أحد مطلقاً لهذا الغرض . ومع ذلك ، ومع أنه ليس شيئاً فاخراً إلا أنه نافع جداً لهذا الغرض ، ويمكن الإطمئنان إليه فى الزينة لأنه مكون من أجزاء مناسبة للتعادل ، وليس فيه أى مادة تأثيرها مضاد كالمسك . وواضح أن هذه المستحضرات يجب استعمالها بشرط تخفيفها تخفيفاً جيداً فى حمامات ستز (الحمامات الجالسة) وفى حمامات الأعضاء الجنسية وهى حمامات ترتفع عن الأرض قليلا ويجلس فوقها الإنسان ليغتسل (بدى) ولا تستعمل لغسل المهبل إلا برقابة (طبية)

خرجت بها عن ملاحظاتى ، ويمكن إعتبارها قواعد أساسية ، كما أنها تفتح الطريق لبحوث جديدة .

إن كل روائح الأعضاء الجنسية تزيدها القلويات وتنقصها الأحماض[1] . . . .

أما الكافور[2] ومادة اللوز المر (أمجدالين)[3] واللاوند

---

(١) نلاحظ فى هذا الصدد أن البول العادى حمضى . وإذا احتوى ماء الشرب على جير (ماء عسر) ، فإن البول يقرب من أن يكون قلوياً . وكذلك يكاد يكون قلوياً حين يتبخر البول أو ينحل داخل الجسم أو خارجه . ومع ذلك تستطيع بعض الأدوية حفظ حموضة البول داخل الجسم.

وإفرازات المهبل عادة أقرب إلى الحموضة ، أما مقدار هذه الحموضة فيختلف وحالة الجسم . وقد تكون إفرازات المهبل أحياناً قلوية ولا سيما حين تختلط بالإفرازات الأخرى العادية أو المرضية أو حين تصلها بعض الجراثيم.

أما الإفرازات اللزجة السائلة الخارجة عن غدد بارتولين وغدد الحالبين ـ فتفاعلها قلوى .

والدم المصل (سيرم) والمنى تفاعلها قلوى .

وأما العرق فحمضى التفاعل .

(٢) كما فى تحضير الدهان المبرد « كولد كريم » .

(٣) فهو مثلا فى « ماء البنفسج » يحوى ٢ ٪ من زيت اللوز . وهو كذلك فى « معجون اللوز » المستعمل للبشرة ولكنه ليس فى مادة « أماندين » الصابونية لأن القلويات الزائدة تستطيع معادلة الأمجدالين فتحرمه من خواصه فى إزالة الروائح .

فكلها تعادل الروائح الجنسية (أي تزيلها وتغيرها كيمويًا) وقد تزيل سائر الروائح الشخصية .

ويثبت المسكُ كلّ الروائح الشخصية سواء ، أكانت جنسية أم غير جنسية ، والمسك يثبت هذه الروائح إذا استعمل بأقل مقادير ممكنة (وربما شارك المسك في هذه الخواص مواد أخرى حيوانية فواحة ـ مثل العنبر) .

وإذا استعمل المسك مركزاً بعض التركيز ، فإنه يغلب على سائر الروائح ويمحوها ، وتظهر صفاته الذكرية المهيجة المميزة وتغلب على كل ماعداها .

وأذكر مادة واحدة من المواد ذات الرائحة القوية الغلابة هي « النعناع » ولو أنها أقل تأثيراً وأضعف اختصاصاً .

وعند استعمال الروائح الخارجية يراعى أن تتفق مع سائر المركبات ومع الروائح الشخصية لمن يستعملها ، كما يجب ألا تحوى مواد تُظهر ما يريد المستعمل إخفاءه أو تحسين رائحته .

النظر

لا تحتاج دراسة حاسة « النظر » وتأثيرها الحسىّ إلى تطويل وإسهاب كما حدث فى دراسة الشم . ولى فى الشم آراء جديدة أو آراء لم يسبق تنظيمها وتأكيدها ، وقد ذكرتها فى الفصل السابق ، ولكنى لن أستطيع إلا أن أكرر ما نعرفه جميعاً ـ منذ بدء الكون ـ عن المفاتن الحسية التى تكشفها العين ، ولا أكاد أحتاج إلى تأكيد أهمية النظر ـ وهى أهمية عظمى ـ فى بدء التجاذب والاقتراب الحسى .

والعين هى التى تبعث « المشاعر الأولى » بين الجنسين ـ إلا فيما ندر . وقد تكون هذه المشاعر نهائية حاسمة إلا أنه من حسن الحظ أن كل شىء لا يعتمد على مشاعر العين وإلاّ لقل احتمال ولادة الحـ ويقظته ثم حمايته وصونه !

تزداد أهمية مشاعر اللمس والشم كلما اقترب الزو الفعلى ولكن حاسة النظر تفقد أهميتها العظم من المحبوب .

وإذا كانت المشاعر التى تنقلها النظرات ما سحراً قوياً أكيداً ، فإذا لم يكن ثمّ جمال خاسة النظر ، بل يمكن إلغاؤها بحكم العادة ، أو

بالصور العقلية ، أو بمشاعر الحواس الأخرى عامة والعوامل النفسية على وجه خاص .

قال الشاعر كاتس الهولندى : « اسمع يا صديق وتيقن : إن كل الجمال يثوى فى عين الرائى ».

والعلامات الحسية الأولى ـ كالأعضاء الجنسية ـ لها تأثير بصرى محدود ضئيل فى المتحضرين البالغين ، وهى لا تزيد الشهوة إلا بعد تأججها فعلاً .

أما العلامات الحسية الثانوية فهامة جداً لأنهـا تجذب الرجل إلى المرأة ، والمرأة إلى الرجل . وأهم هذه العلامات ما تعلق منهـا بالاستعداد للاتصال الحسى ونتائجه الطبيعية .

ال جل يجذبه نهدا المرأة الممتلئان المستديران الـكاعبان ، كما ل الرجل وقوة بنيته .

علامات الأنوثة الناقصة لأنها تفسد الحياة الزوجية ، النـاحية بغرائزه كما أكد مقال « هرش » فى

ساء مخنثات إذا ظهر شىء من مميزات الذكرة فى تناسق هذه الأعضاء وتناسبها ، او إذا لم يكتمل . وتشمل هذه الأعضاء : نمو الشعر ، الحنجرة ، عذوبة جرسه ، شكل الوجه ، والأعضاء الحسية

والنهدين والأطراف وزوايا الفخذين والوركين وامتلائهما وبضاضتهما .

وقد تخلو المرأة من هذه التشوهات والانحرافات ، ولكن مشاعرها المنبعثة عن الغرائز تقل عن المستوى العادى أو تنحرف هذه المشاعر نحو الذكرة ، فتعتبر المرأة فى هذه الحال من « النوع الحائر بين الجنسين » .

تلك هى الحال بالنسبة للدافع الحسى ، وقد لا تتميز تماماً فتتعلق المرأة بأمها تعلق الطفولة ، أو قد يتأخر الدافع الحسى فى نموه فيصاب بالشذوذ ، بل قد تصاب المرأة بالجمود العاطفى ، فتميل لجنسها وتتعلق بالنساء دون الرجال .

إن الدافع الحسى فى هؤلاء النساء إما أن يكون خفيفاً أو غير محدود الأهداف ، أو ينشأ عن اندفاع أحمق أو تغير مفاجىء فى الهدف . قد تبدو حياة هؤلاء النساء طبيعية من الناحية الحسية منذ يبدأ النشاط الشهرى حتى البضاع الأول،أو إزالة غشاء العذراء فى أثناء الوصال والحمل، ولكن حياتهن الحسية كلها ـ فيما عدا ذلك ـ تكون سلسلة متصلة من المآسى والتمرد النفسى أو البدنى (ومن أمثلتها تمرد الجسم على الجماع وتقلصات الفرج وعدم تفتحه له ، أو العقم ، أو تسمم الحمل أو آلام الجماع أو الآلام الشهرية وغيرها من احتمالات الولادة العسيرة) وأتفق فى ذلك مع « ماتس » تماما .

تمتزج حاسة الذوق الفنى [1] بالدافع الأصلى فى هذا الإعجاب

---

(١) فى مؤتمر أمراض النساء فى هيدلبرج سنة ١٩٢٣ قرأ « اسكنر» رأى «شتراتس » أنه فى كل ألف امرأة لا تستطيع أكثر من خمس نساء أن يزعمن أنهن حقاً جميلات حسناوات . وشتراتس عالم مشهور فى التشريح.

المتبادل بالمميزات الحسية الثانوية ، ولكن العامل الفعال هو دافع الغريزة القوى ؛ وهو بالذات صوت الحياة نفسها بحاجاتها وضروراتها ـ سواء أكونها العقل الواعى أم العقل الباطن أم اللاشعور ـ وهو المعتاد .

وحركات الجسم تجذبُ العين وتروقها بقدر ما تجذبها نسبه ـ سواء كان لهذه الحركات هدف خاص فى إثارة الشهوة كما فى الرقص، أم حين تزيد رشاقة القوام حسناً دون إدراك المرأة ولا تفكيرها السابق. وتظهر الحركات النسوية الفاتنة حين تتبختر المرأة وتخطر فى مشيتها الإيقاعية التى تكاد تشبه الرقص والتأرجح . وما أشد فتنة المرأة حين تخطر وتتبختر مزهوة معجبة بمشيتها !

لقد ذكر « جرتشن » عن « جوته » رأى المرأة فى سهولة الحركة النسوية وخفتها الفاتنة وقدرتها على أن تفتن بها مَنْ تشاء (وهى تحس بقدرتها دون أن تدرك ذلك إدراكاً شعورياً) .

وقالت امرأة فى رواية من روايات « جوته » :

« آه من مشيته الملكية وقوامه . . ما أطوله ! »

ويلاحظ أخيراً أن تأثير الحركة النسوية فى الافتتان الحسى يتوقف على ما تمتاز به حركة المرأة من إيقاع كإيقاع اللحن الموسيقى .

فتنة الملابس

لا يلجأ الإنسان إلى الملابس لحماية الدورة الدموية وحفظ حرارته البدنية إلا فى الأجواء الباردة وحدها . أما فى المناطق الحارة

الدافئة والمتوسطة بين الدافئة والاستوائية فأصل الارتداء ينشأ كله عن الرغبة فى تزيين الجسم ،وجعله ملحوظاً مرموقاً جذاباً بدرجة أكبر ، وليثير الانتباه إلى بعض الأعضاء الخاصة . ذلك رأى المختصين فى علم « الإنسان » (الأنثروبولوجيين) .

ومع ذلك فالغرض العام من ملابس الذكور هو الوقاية من تأثير الجو وذلك فى السلالات التى بلغت درجة محدودة من الحضارة . ويندر أن نرى فى تاريخ الحضارة زياً يؤكد بوضوح صفات الذكور المميزة . ولعل أوضح مثل لهذا الزى تلك الأحجبة الفرنسية (١) التى شاع لبسها فى أواسط عصر النهضة ، وكانت حقائب أو جيوباً ضئيلة تحوى الأعضاء الجنسية وتظهر حجمها وشكلها من أول نظرة .

أما ملابس الذكور فى أيامنا فهى عموماً لا تعنى بتوضيح النواحى الجنسية (٢) .

---

(١) ارتديت هذه الأحجبة الجنسية أول مرة فى السنوات الوسطى من القرن الخامس عشر - كما تظهر سجاجيد نانسى المصنوعة أيام شارل الباسل دوق برجنديا .

وفى أول القرن السادس عشر أصيبت هذه الأحجبة بالمبالغة الجنونية الحمقاء ، وقد وصفها « درر » ومعاصروه كما كان يلبسها الجنود المرتزقة فى أيامه .

(٢) منذ ظهور الأحجبة الجنسية ظهرت محاولات قليلة ضعيفة لعملها من جديد .

ولكن يظهر العكس عموماً فى الملابس النسائية ، فهى فى عصرنا تتبع الأزياء البدائية والاستوائية ، ولا ترمى إلى إخفاء المفاتن البدنية ، بل تعمل على زيادتها وتأكيدها ومضاعفة سحرها .

لقد كانت الملابس تظهر المميزات الحسية الثانوية وتسايرها منذ أقدم العصور ، حتى كانت تستعمل للوقاية من البرد القارس .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، فمنها « الديكولتيه » فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وهو الثوب الذى تدلت فيه فتحة العنق إلى أسفل لتظهر مفاتن الصدر .

وكذلك المشد « كورسيه » الذى كان يقصد به استعمالاً ومعنى أن يرفع الصدر للأمام ويشده بطريقة مؤلمة خطيرة . وكذلك كان الخصر النحيل يضغط ليظهر استدارة الصدر وتقوسات الفخذين . وكان النساء يستعملن إطاراً أو مسنداً يرفع الجزء الخلفى من ملابسهن ليلفتن الأنظار إلى استدارة الردفين ـ فالردفان المستديران فتنة حسية هامة (١) تخلب عقول الذكور .

والمؤسف أن هذه الفتنة أصابتها المبالغة إلى حد الهوس ، فصارت

---

(١) قارن تمثال « فينوس ذات الردفين الجميلين » فى المتحف الأهلى فى نابولى .

سيدات المجتمع البارزات يشبهن سيدات « الهوتنتوت »[1] ذوات الأرداف الضخمة ، وهو شبه يدعو للأسى حقاً .

وحين تولت حكم فرنسا « حكومة الإدارة » بين سنتى ١٧٩٥ ، ١٧٩٩ تأثرت السيدات فى ملابسهن بالأزياء اليونانية القديمة ، وكانت المرأة تلبس قبعة وثوباً يجمع بين الزى الباريسى والزى الإغريقى القديم .

ولم تكشف هذه الأزياء معظم البشرة ، ولكنها كانت تكسو ما تكسوه من الجسم بمنسوجات خفيفة رقيقة تلتصق به التصاقاً شديداً ، فتلفت الأنظار إلى خطوط الجسم بدلا من أن تخفيها ،فزادت حركات الجسم مرونة وليونة ، وفاق تأثيرها الفاتن تأثير العرى الكامل .

لقد أدرك النساء دائماً أن تغطية الجسم أدعى للفتنة من تعريته ، فلجأن إلى تغطية أجزاء جسمهن لزيادة سحرها ، وذلك باستعمال القناع للوجه ، والشال ، وشال الرقص وغيرها .

من هذه الناحية يمكننا أن نقول : « لا جديد تحت الشمس »

---

(١) تمتاز سيدات الهوتنتوت بضخامة نمو النسيج الدهنى فى الأفخاذ والأرداف . وكان رجال الهوتنتوت يعتبرون ذلك آية الفتنة فيهن . والهوتنتوت قبائل متأخرة تقطن جنوب إفريقية حول رأس الرجاء الصالح وتمتاز بصغر الجسم . وقد أطلق الهولنديون هذا الاسم (هوتنتوت) عليها لأنه يشبه فى الجرس لهجة هذه القبائل وهى تماثل الدجدجة (صوت الدجاج) .

لقد كان النساء فى كنوسوس فى جزيرة كريت يلبسن المشدات (كورسيه) والثياب المزخرفة أطرافها السفلى بالحلى .

هكذا استدل « آرم » من نقوش الجدران فى كنوسوس ، وذلك فى كتابه « المرأة فى الفن القديم » .

لغة العيون

ولكن أقوى المشاعر الحسية التى تلقاها عين الإنسان هى التى تنتقل إليها عن طريق العيون الأخرى (فهى النظرات الساحرة المحملة بالمعانى والمشاعر)[1] .

روى كروس عن فكتور هيجو (فى كتاب « المرأة » لمؤلفه كروس وناشره هفمان ــ شتتجارت) :

« لقد بالغت أقاصيص الحب فى الحديث عن قوة النظرة وتأثيرها فى الحب حتى كاد الناس لا يصدقون . ويصعب علينا الآن أن نعترف بأن الحب بين شخصين نشأ عن نظرة أحدهما إلى الآخر . ومع ذلك ، فالحب يشرق بهــذه الوسيلة ، ولا يشرق بغيرها أبداً . ويأتى الباقى بعد ذلك .

ولا يقرب شىء من الحقيقة والواقع أكثر من أن الروحين قد تلتقيان وتتواصلان بشرر ضئيل تومض به العين فى أية لحظة » .

فكيف تعمل هذه النظرات المتبادلة ؟

---

(١) قال جريتشن : « السحر فى ابتسامته ، والفتنة فى نظرته » .

وكيف ينظر النـاس بعضهم إلى بعض تلك النظرات المتوددة المتحببة ؟

وما هى الحركات العضلية الدقيقة التى تحدث ؟ أهى ارتجافات ورعشات ، وانسجام وتوافق ؟

تلك هى الأسئلة التى يصعب تحليلها ، كما يصعب تقدير قيمة النظر وأهميته وأهدافه من الناحية النفسية .

قال القدماء : « القلب فى العين ، فابحث عنه هناك » .

وما أصدق قولهم فى مسائل الحب !

هذا التبادل العاطفى بين العين والعين ينبعث من أول لقاء يسوده التقديس والحياء والوفاء ، والرغبة فى التضحية والولاء . و يشتد الافتتان الطاغى بدرجة لاتقاوم و يستمر هذا التبادل العاطفى حتى يبلغ الحب ذروته بالحمد والفرح والشكر .

تتأثر العين بالأشياء الجامدة تأثراً يقل كثيراً عن تأثرها بالأشخاص فالأشياء لاتثير الدافع الحسى بقـدر ماتثيره رؤية الشخص نفسه . ولا شك أن الـكتابة والرسائل والمطبوعات والرسوم وصور الأشخاص وتماثيلهم وكل مايتعلق بالأشخاص أو بما يمثلهم ـ تؤثر تأثيراً مختلفاً عن غيرها من الأشياء التى لا علاقة لها بالمحبوب ، فالأشياء المتعلقة بالمحبوب

تمثل بيئته الشخصية ولها أهميتها الشخصية ، الواضحة .

ولـكن الأشياء التى لاتتبع شخصاً على الإطلاق قد تثير المشاعر الحسية ، ولذا يتهيج أشخاص عاديون تهيجاً حسياً، حين يتأملون منظراً خلاباً من مناظر الطبيعة . وهنـاك آخرون عاديون ـ ولـكنهم أقل عدداً ـ يثيرهم حسيا جمال الخطوط وحسن الألوان ، وهو جمال مجرد . حقاً إنهم قليلون ، ولـكنهم موجودون .

وكل من درس الحياة الحسية دراسة دقيقة عرف أمر هؤلاء الرجال والنساء العاطفيين الذين تتأثر مشاعرهم بالجمال الفنى المجرد .

اللمس

واللمس من أهم الحواس فى الأمور الحسية .

وتشمل الأعضاء اللامسة سطح البشرة كله (الجلد) ، والأجزاء القريبة من الغشاء المخاطى ، ولـكن أجزاء البشرة كلها لاتساوى فى حساسيتها اللمس .

والأفضل أن نفصل بين تنشيط أعصاب الأعضاء الجنسية و بين حاسة اللمس عموماً . أما تنشيط الأعضاء الجنسية باللمس فسنشرحه فى فصل قادم ، ونقصر حديثنا الآن على حاسة اللمس عموماً .

وهنا يجب أن نفرق بين نوعين من اللمس هما :

ا ـ اللمس المستسلم (أى أن الإنسان يكون ملموساً) .

ب ـ واللمس النشيط (أي يكون لامساً) .

وأحاسيس اللمس النشيط تثوى فى جزء الجسم الذى يلمس الشىء ، واليد أهم جزء نشيط لامس ولا سيما الأصابع وأطرافها . وطرف اللسان حساس جداً . أما العقبان «الكعبان» وأصابع القدمين ، فأهميتها ضئيلة من ناحية اللمس ولا سيما فيمن اعتادوا السير حفاة .

وشفاه الفم لها مكانة متوسطة بين الأجزاء اللامسة (النشيطة) والملموسة (المستسلمة) ، فهى تساهم فى كلا النوعين من الإحساس . وللشفاه عمل حسى أساسى هو التقبيل تكون فيه مستسلمة (ملموسة) ، نشيطة (لا مسة) فى وقت واحد ، ولها تأثير واحد .

وسيأتى التفصيل فى فصل قادم .

أما أحاسيس اللمس المستسلم ، التى يتلقاها الجزء الملموس ، فتشمل سطح الجسم كله ، والأغشية المخاطية الخارجية ، بل إن الأنسجة والأعضاء الواقعة تحت البشرة تستطيع أن تتلقى الأحاسيس من لمسة قوية عنيفة ، أو لمسة مستمرة ، وبذلك تشبه السطح الخارجي ـ إلى حد ما .

وحين تكون الأحوال النفسية مناسبة مقبولة ، تصبح منشطات اللمس المستسلم مثيرة حسياً . ويزيد التأثير كلما اقترب اللمس من المكان المناسب ، وكلما حذق الإنسان طريقة اللمس ووسائل تنويعه .

و بالتحريف والتطبيق يمكن التأكد من قيمة اللمس نفسياً وحسياً .

وسندرس هذه المنشطات عند الكلام عن الملاعبة التمهيدية (فى الفصل الثامن) ، ويكفى أن نذكر الآن أن البشرة كلها قد تكون حسياً قابلة للمس ، إلا أن بعض أجزائها أكثر من باقيها استعداداً للمس . وسنسمى هذه الأجزاء « مناطق الشهوة » أو « مناطق السعار الحسى » .

تتجمع مناطق الشهوة ـ على الأخص ـ حول فتحات الجسم أو بجوارها ، ولا يمكننى أن أوافق تماماً على رأى هافلوك إليس وغيره ممن يرون أن مناطق الشهوة تتوقف على العلاقة بين البشرة والأغشية المخاطية ، فسطح الشفاه وحده له هذه الصفة ، فهو منطقة شهوية .

ولكن يلاحظ أن منطقة الشهوة لا تشمل المساحة المحيطة بالأجزاء الجنسية وحدها ، بل تشمل كذلك ما يحيط بالشرج والأنف والفم (بالإضافة إلى الشفاه) . وتقل درجة الحساسية فى الجزء الجانبى من تجويف العين ، وما يحيط بفتحات الأذن . والواقع أن فص الأذن ، وصوانها (تجاويف الأذن الظاهرة الحلزونية) هما منطقة شهوية هامة عند الكثيرين .

وفص الأذن من مناطق الشهوة ، ولكنه يحتاج إلى تنشيط ضعيف كاللمس قبل إحداث التنبيه أو التنشيط الحسى ، فإذا ماحدث

كان التأثير شديداً فعالا للغاية ، ومع ذلك فبعض مناطق الشهوة سلبية مستسلمة لا تتصل اتصالا مباشراً بأية فتحة .

والثنية العميقة التي تفصل الردف عن الجزء الأعلى من الفخذ فى كلا الجانبين ـ حساسة جدًّا فى التأثر باللمسات الخفيفة الرقيقة ـ وكذلك تشبهها التجاويف الداخلية (التقوسات الداخلية) فى الجزء الأعلى من الفخذين وكلاهما قريب من مناطق الشهوة الجنسية والشرجية .

وهذا بعكس المناطق الحساسة على جانبي « الضلع الكاذبة » وراء زاوية الفك السفلي منحرفة إلى مؤخرة العنق بامتداد حدود الشعر فهذه المناطق لا يمكن القول بقربها من مناطق الشهوة الجنسية !

وهناك مناطق أخرى عارمة الشهوة ، ولكنها تختلف كثيراً باختلاف الأشخاص.

هـ - اسية النهدين

أما الحساسية الجنسية فى النهدين ـ ولا سيما الحلمتين ـ فهى شديدة هامة بدرجة غريبة : والعجن الخفيف والدعك وعصر هاتين الغدتين : (الثديين : النهدين) براحة اليد يكفى فى معظم النساء لإثارة تهيجهن الحسى .

و إذا زاد تهيج حلمة النهد باستعمال الأصابع أو بطريقة أشد كالمص بالشفاه واللسان ، انتفخ الثدى كله وامتلأ (بالدماء الواردة له ، وتوتر ،

وقد يفرز لبناً فى بعض الأحوال) .

وتتصلب الحلمة وتبرز للأمام (تنتصب) ، وقد يتصلب جزء من الثدى نفسه وينتصب . ويكون لذلك فعل منعكس منتظم فى الأعضاء الجنسية يمكن إدراكه فى تقلصات الرحم .

وتهييج الحلمة تهييجاً محلياً ، له قدرة فاتنة على إغراء المرأة إغراء عنيفاً لمدة طويلة (١) . وحين يرضع الطفل تتهيج المسالك الجنسية تهيجاً لاشك فيه ، وقد أثبت ذلك كتّاب كثيرون .

فهل ينطبق قولهم على النساء العاديات أم لا ؟

لا أستطيع أن أقرر رأياً جازماً فى ذلك . فهذا التأثير ممكن بدنياً ولكنه غير ممكن نفسياً . والتجربة وحدها هى التى تثبت ذلك ، وليس من السهل تحقيق الأمر ومقارنته .

وكل ما أستطيع ذكره هو أنى سألت عدداً صغيراً من النساء ممن

---

(١) والعكس صحيح ، فالتنشيط المحلى الكافى للأعضاء الجنسية يجعل الحلمتين تتصلبان وتنتصبان . لقد عرفت هذه الظاهرة منذ أقدم العصور وعلى أساسها قرر المشتغلون بالتشريح فى العصور الوسطى أن هناك اتصالا عضلياً مباشراً بين الثديين والأعضاء الجنسية دون تدخل مراكز العمود الفقرى .

وأول من سجل ذلك ليوناردو دافنشى ، ويقال إنه اهتم بهذه الظاهرة اهتماماً كبيراً . وقد رسم رسماً مشهوراً لزوجين فى أثناء الملامسة موضحاً هذا الانفعال المنتظم فى جسم المرأة .

أطمئن إلى صدق إجاباتهن ؛ فقلن دون استثناء إنهن لم يشعرن مطلقاً بلذة حسية واضحة عند إرضاع أطفالهن ـ مع أنهن كن يعلمن جيداً تأثير تنشيط الحلمة المهيج فى العلاقات الحسية .

وسنتحدث عن هذا الأثر المهيج فى « الملاعبة بين الزوجين » .

قد تؤدى حساسية اللمس النشيط إلى التهييج الحسى الشديد عند لمس جسم إنسان (من الجنس الثانى) بقصد إثارته حسياً ، أو حين تكون حاله النفسية مشجعة من الناحية غير الشعورية . و إذا كان الانسجام قد جمع شعور النفسين فأقل اتصال أو لمس يستطيع أن يثير أشد النشوة ـ مهما كان الاتصال خفيفاً ضئيلا عابراً .

فإذا لم يهتم اللامس بالملموس ، أو كان التوافق الحسى بينهما مكبوتاً عن عمد أو لانشغال الفكر بأمور أخرى ، فمن الممكن فحص الأعضاء الجنسية نفسها فحصاً دقيقاً دون إثارة المشاعر الحسية باللمس النشيط .

أما إذا كان العقل محايداً غير مكبوت فمن المحتمل كثيراً أن يحدث اللمس النشيط تهيجاً حسياً ، تناسب شدته حال الأجزاء الملموسة ومدى تأثيرها الحسى .

نستنتج أن حاسة اللمس أهم من سائر الحواس فى المسائل الحسية . ولكنها تتوقف على الحال النفسية توقفاً عجيباً ـ لتثير الجاذبية لا النفور ، وبذلك لا تستطيع أن تؤثر إلا بعد بلوغ درجة خاصة من التقرب والتودد .

أقوال مأثورة

١ ـ لاسعادة فى الحب ـ بدون زواج . (مدام دى ستايل)

٢ ـ ما الزواج ؟ إنه اتحاد فى الأهداف والنشاط والتجربة بين رجل وزوجه .

ليست آلام المرأة أسوأ ما يمكن حدوثه فى الزواج ، بل تتصوح زهرة المرأة وتغيض حين نضرتها تتأوه وتتطلع إلى آمال لا تتحقق ، وحين تثقل عليها الحياة فيصيبها الملل والسأم والضيق بالدنيا وما فيها ، وحين تحيا وحدها منعزلة أو مترملة قبل الأوان .

أبعد ذلك نعجب إذا نأت عن زوجها ؟ !

آه لو أنه اتبع خطة أخرى منذ بدأت أيامهما المشتركة الحلوة الأولى ، ومنذ لقيا معاً الصعاب الأولى ، فجعل الرجل زوجه جزءاً من نفسه وقاسمها أهدافه ورغباته وآلامه !

آه لو أنهما راقبا الأمور ، معاً وسهرا آناء الليل معاً ، يتألمان معاً بالأفكار نفسها ، إذن لظل قلبها خالصاً نقياً مثل قلبه ـ لأن الاشتراك فى الحزن والأسى رابطة قوية بين اثنين يحب أحدهما الآخر .

إن المشاركة فى العذاب والأسى لن تثمر بين الحبيبين سوى تجديد الحب . (جول مشليه)

٣ ـ يجب أن يكافح الزواج أخطبوطاً يلتهم كل شيء ، هو أخطبوط العادة .
(أرى دى بلزاك)

٤ ـ حظ الفتاة الحسن هو الزوج الطيب ، فهو لؤلؤة !

سأضحى بحياتى لو ثبت أن هذا الزواج ليس فردوساً .

(الشاعر الهولندى جا كوب كاتس)

(عاش الشاعر الهولندى جا كوب كاتس منذ سنة ١٥٧٧ م حتى سنة ١٦٦٠ ، ويسميه الهولنديون « الأب كاتس » ، ولم يكن سياسيا عظيما ولغويا متبحراً فقط ، بل كان قبل كل شيء مشهوراً بنظم الحكم الشعبية . وكان يصوغ الأقوال القديمة أو الحديثة فى أسلوب مسجوع ، ويجعل مغزاها درسا حسيا ، ثم كان ينقش للحكمة رسما على الخشب . وكان فى ذلك ماهراً ثم يضيف أمثالا وأشعاراً وألوانا من الحكمة فياضة غزيرة من مختلف اللغات) .

٥ ـ هذى أنواع الماشية كبيرها وصغيرها، وهذى الأسماك فى أغوار البحار

وهذه الطيور المجنحة جميعها ترحب بالزواج ؟

إنها تغتبط بمغازلة المحبوب وتبتهج بالفوز به ، فلماذا أظل وحدى ـ أتعذب وأتلهف وحدى ؟
(كاتس)

٦ ـ يا صديقى العزيز !

أتعرف لماذا يجذبنا إلى الميناء ذلك الألم الحلو السريع ؟

إن « الفتى » الذى أثقله الحب ، يسعى ثانية للاتحاد بذلك النصف المفقود ، وهو الآن « الفتاة المحبوبة » . من « صور لمعنى الحب »

(للشاعر يعقوب كاتس : امستردام سنة ١٦٥٨)

يماثل هذا القول أشعاراً وأقوالا بلغات مختلفة تدور حول نقش خشبي عن خلق حواء من ضلع آدم .

وعنوان النقش « إنما يفقده الإنسان يتطلع إليه و يتلهف عليه » .

٧ ـ لو شاء الله أن تسيطر المرأة على الرجل ـ لخلقها من رأس آدم .

ولو شاء الله أن يجعل المرأة للرجل عبداً لخلقها من قدمه .

ولكن الله خلقها من جانب الرجل لأنه أراد أن يجعلها له نداً تعاونه وتساويه . (القديس أوجستين)

٨ ـ كلما عظمت النفس الإنسانية زاد الحب عمقاً . (ليوناردو دافنشى)

٩ ـ المرأة ضعيفة . وهى فى الزواج تسلم إرادتها لإرادة زوجها ، وفى مقابل ذلك يدين لها الرجل بتضحية أثرته وعزيمته . (بلزاك)

١٠ ـ يربط الزوج حياة زوجه ويمتصها فى دائرة تجاربه الخاصة ـ بقوة لا تقاوم . (جوت : جوته فى كتابه «ابنة الطبيعة»)

١١ ـ المرأة لزوجها ـ ما أرادها أن تكون ! (بلزاك)

١٢ ـ لا تتعذب المرأة باستبداد الرجل ، ولكن يعذبها استهتاره .

(مشليه)

١٣ ـ لااعتدال فى حرارة الحب ، فليس فى الحب وسط ، ولابين بين .

لن ينال الحب والاحترام مَن يعجز عن معانقة امرأة بقوة وسيطرة ، لأنه بذلك يسئمها بطريقته المملة غير السارة . وحيث يكون السأم تكون الكراهية . (مشليه)

١٤ ـ المرأة « الباردة » ، التى لم تشتعل عاطفتها ، إنما هى امرأة لم تعثر للآن على الرجل الذى يستحق حبها ، والذى يمكنها أن تحبه .

(ستاندال)

١٥ ـ بالغزل المعسول ، والمناجاة الحلوة ، يخرج الشرر من أجمد الصخر !

(يمثل هذا الشعر رسم فتى وفتاة يجلسان أمام النار المشتعلة .

والفتى مشغول بمغازلتها ، بينما أخذ طفل صغير فى ضرب الصخر وإحداث الشرر ، وشعاره : « بالجهد المتواصل يمكن إذكاء النار من الصخر ») .

ليكن مبدؤك أن تحب دائماً أكثر مما أنت محبوب ، وألا تقف أبداً موقفاً ثانوياً فى قلب المحبوب (نتشه : هكذا قال زرادشت)

١٦ ـ حين يتحاب اثنان ، فلا يسعدهما شىء أكثر من « المنح والإعطاء » : يعطى المحب دائماً كل شىء ، يعطى أفكاره وحياته وجسمه وكل ما يملك . ويشعر بالمنح ولذته ، ويخاطر بكل شىء ليعطى المحبوب أكثر وأكثر . (جى دى موباسان)

١٧ ـ العطور ضرورية للإنسان ضرورة العبادة والماء والحركة للجسم .

(عمر الحلبي : الكتاب)

(« الكتاب » بحث عربي فى فن الحب يشبه الموسوعات ودوائر المعارف . وقد كتبه عمر للمساعدة والهداية يدفعه الإخلاص وحبه للخير) .

١٨ ـ إن جو المخدع الفواح فتنة طاغية لا تسهل مقاومتها ـ ولو استسهلها الناس .

لا أدرى : أنشفق أم نحسد الرجل العاقل الذى يضطرب ويرتجف حين تصله روائح الأزهار التى تلبسها صاحبته على نحرها !

(جان جاك روسو)

١٩ ـ منظر الجمال الرائع فى البيعة أو فى الفن الجميل يذكر المحب حالاً بصورة المحبوب !

(ستاندال : « عن الحب »)

الزواج المثالى

السّفر الثانى

تشريح الأعضاء ووظائفها

الفصل الرابع

الوظائف الجنسية فى المرأة البالغة

تقديم وتعريف . القُبُل (الأعضاء الحسية الظاهرة)

سيفهم القارىء المدقق من عناوين هذه الصفحة أننا لا نرمى إلى التفصيل فى حديثنا عن الوظائف الجنسية النسوية ، بل نود حصر الموضوع وتحديده .

سنكتفى بالحديث عن المرأة البالغة المتزوجة ، ونهمل الحديث عن أطوار تطورها الباكرة فى فترة المراهقة إذا كعب ثديها ثم نهد . وكذلك يخرج عن هذا الحديث الحمل والولادة فلن نذكرهما إلا قليلا .

ولن نستفيد كثيراً إذا توسعنا فى دراسة نواحى الحياة الحسية فى المرأة الناضجة ، ولا جدوى فى هذه الدراسة ، إذ لن يستسيغها القراء عامة ، ولن يحفل بها الأطباء والطبيبات لأنهم يستطيعون الرجوع فى ذلك إلى الكتب والمراجع ، ولا سيما الفصل الحديث الذى كتبه : لدفج فرنكل من برسلو ، ففيه يعثر الدارس على كل ما يحتاج إليه ، كما يرى فيه ثبتاً شاملا للمطبوعات الحديثة المتعلقة بالموضوع . وقد حاولت فى الصفحات القادمة أن أستعين بما كتبه فرنكل (موسوعة هالبان ـ ساتيز : حياة المرأة وأمراضها ـ نشره اربان وشفارزنبرج ـ فينا) .

سيقتصر درسنا وتوضيحنا الوظائف الحسية العادية فى المرأة الناضجة على ما يتعلق مباشرة بإفهام القراء وظائف الزواج وفنونه . ولى فى هذا المجال بالذات بحوث ونتائج خاصة تخلو منها المراجع الفنية فى علمى الولادة ووظائف الأعضاء .

وفى هذه الناحية تختلف الآراء كثيراً ، وتكثر المسائل الغامضة التى تنتظر حلا . ومناقشة هذه المسائل لن تزيد القارىء إلا اضطراباً وتخبطاً . وسأحاول أن أقدم الأوصاف والنتائج حسب المستوى العلمى الذى بلغناه الآن ، وقد جعلت أساسها بحوثى وتجاربى . ولا شك أن كثيراً من أفكارى ستحتاج إلى تعديل فى القريب العاجل ، ولكن لا أظن أن استنتاجاتى واقتراحاتى ستحتاج إلى تعديل كثير فى الناحية العملية .

يحتاج دارس الوظائف البدنية لأى عضو إلى صورة جلية لتكوينه التشريحى ، وسأحاول توضيح تشريح الأعضاء الجنسية لجمهور القراء بالرسوم ، ثم أحصى الوظائف الخاصة بالأعضاء المختلفة ، وسنعود إلى أهميتها العملية فى أثناء الكتاب .

وقد ذكرت الأسماء فى الرسوم باللاتينية حين لا يكون لها مقابل . وستشمل نصوص الكتاب الاصطلاحات بالعربية واللاتينية ، ولم أشأ

حرمان القراء من اللاتينية لأنهـا أقرب إلى الطب الحديث ، كما أنها لاتدعو للنفور .

تنقسم أعضاء الأنوثة إلى أعضاء داخلية وأعضاء خارجية ظاهرة .

أما الأعضاء الظاهرية الخارجية ، فتبدو للعين إذا استلقت المرأة على ظهرها و باعدت ما بين قدميها وما بين الشـفرين الـكبيرين (وهما الشفران الخارجيان) ، وتظهر هذه الأعضاء فى الرسم الأول ، وهو مرسوم حسب القياس ، وليس لمجرد التوضيح ؛ فالأعضاء الجنسية تتباين كثيراً فى قطرى الشفرين الصغيرين وطولها مثلا ، وكذلك فى شكل غشاء العذرة « البكارة »

والشـفران الـكبيران لحميـان سميكان يحيط بهما الشعر ، وهما يتلامسان عادة فى النساء اللائى لم يلدن . و إن أبعد ما بينهما بالأصابع وظهر الفرج اتضحت باقى أجزاء القُبُل (الأعضاء الجنسية الخارجية).

والشفران الصغيران : هما أول ما نلاحظه من هذه الأعضاء ، وهما صغيران عادة (١٠ فى الرسم) لتميزهما عن السطح الداخلى للشفرين الـكبيرين (٧) . ومتوسط طول الشفر الصغير يتراوح بين ٢٥ ملليمتراً و ٣٥ ملليمتراً ، و يتراوح الارتفاع بين ٨ ، ١٦ ملليمتراً ، والسمك بين ثلاثة وخمسة ملليمترات .

(وهذا تقدير فالدير فى كتابه : « التشريح الجراحى المقياسى » وناشره كوهن فى بون) .

يصغر الشفران ويتضاءلان بالتدريج حتى يختفيا عند الجلد الممتد بين الفرج والشرج أو يتحدان بحافة ضيقة هى حافة الشفرين ، وهى تضم الشفرين وراء مدخل المهبل . وتذوى هذه الحافة وتختفى بعد تكرار الملامسة ، ويضيق الشفران الصغيران من أمام ، ويتحدان عند قاعدة البظر فى حافته (٦) .

البظر

والبظر (رقم ٥) هو أبرز عضو فى الأخدود الممتد بين الوركين ، وقمته هى « غدة البظر » أو « رأس البظر » ، وهى تبرز قليلا للأمام بين الطرفين العلويين للشفرين الخارجيين .

وللبظر قضيب يميل ميلا خفيفاً من أمام إلى الخلف ، ويغطيه نسيج رقيق متعرج هو « الجلد الأمامى للبظر » ورقم ٤ ، وتوضحه خمس ثنيات سود فى الرسم . ولا يتضح هذا الجلد الأمامى تماماً للعين ، إذ يبدو مجرد ارتفاع أو تضخم بسيط ، ولكن يمكن تمييزه بسهولة باللمس ، وهو يقابل عظمة العانة .

وفى حالات كثيرة ، وخاصة حين يكون النمو موقوفاً ، يغطى الجلد الأمامى للبظر قمة البظر ، ولكن يمكن دفعه إلى الوراء فتنكشف للعين قمة البظر .

أما الجلد الأمامى الذى يغطى قمة البظر ،فيمكن تحريكه ، ولكن

لايمكن سحبه إلى وراء ، وفى الرسم الثانى يظهر البظر (٢٧) بروزاً ينحنى إلى أسفل العانة .

والبظر عضو اللذة الحسية العارمة ، تنتشر فيه شبكة من الأعصاب ، تترا كم أليافها العصبية الكثيرة تحت « قمة البظر » مباشرة ، ولها قدرة عظيمة على تلقى المؤثرات المهيجة ونقلها . وأ كثر أجزاء البظر إحساساً الجزء الواصل بين رأس البظر والجلد الأمامى (٦) . وأخف لمس لهذا الجزء يثير أرهف أحاسيس اللذة . ويتضح هذا كلما كانت الملامسة خفيفة رقيقة .

ويؤدى باقى البظر ماتؤديه شبكته العصبية ، فهو يشبه عضو الرجل ويماثله ، وكلاهما شبكة من العروق (الأوعية الدموية) ، وهى تتضخم وتتجمد وتتصلب حين تمتلىء بالدم . وتسمى هذه الظاهرة الانتصاب فى البظر والذكر على السواء ، وتحدث نتيجة التهييج الحسى تهيجاً بدنياً أو نفسياً . والبظر المنتصب أطول مرة ونصف مرة من طوله مرتخياً .

يرتد إلى الخلف الجلد الأمامى للبظر ، وتبرز هذه القمة للأمام لتتلقى مزيداً من التهييج بالملامسة . وتزداد حدة الزاوية بين البظر والفرج فى الوقت نفسه ، ويرتفع العضو إلى أعلى إلى الأمام ارتفاعاً ضئيلا ملحوظاً ، فيسهل الاحتكاك والتهيج . ولكن البظر لا يستطيع ما يستطيعه الذكر المنتصب من قدرة على تغيير الوضع والزاوية ، كما

يمتاز الذكر بقدرة أعظم على الامتداد والتضخم ، بينما يمتاز البظر بكثرة أعصابه فهو أسهل تهيجاً من عضو الرجل .

والبظر وسائر أجزاء الجهاز التناسلى النسوى لا تنمو نمواً كاملا ، ولا تبلغ غاية أحجامها إلا بالجماع المستمر المنتظم .

ومع ذلك فقد يكبر البظر و ينشط فى العذارى الأبكار إذا اعتدن مداعبته بالتهييج (الحك) الموضعى . (وهو الإرضاء الحسى الذاتى ويعادل الاستمناء فى الذكور) .

يثوى غلاف الجلد الأمامى للبظر بين قمة البظر وجلده الأمامى على جانبي قيد البظر (فى الجزء الأسفل من المساحة البيضاء فى الرسم الأول) .

الإفراز الدهنى

وثمة إفراز شحمى (دهنى) أبيض سائل فى هذا الغلاف ، بين ثنايا الجلد البظرى الأمامى . وهى ثنايا دقيقة ضئيلة ، وهذا الدهن البظرى (أو شحم البظر) يتجمد و يتصلب إذا لم تعتن المرأة دائماً بإزالته بالنظافة ، وقد يتحول إلى قشور أو طبقات رقيقة بعضها فوق بعض .

وشحم البظر له أهمية خاصة لتركيبه الكيموى ، (ومع ذلك لم ينل من الاهتمام ما يناسب أهميته العظيمة) فهذا الشحم يحوى مركبات كيموية حمضية كالتى يحويها (نبات الفاليريان) ـ مثل الحمض الكبرى .

(كبريك) والمجموعة الكبريلية (كابريليك ك $_8$ ى $_{16}$ ا $_2$) .
(ى : يد : ايدروجين ، ك كربون ، ا : أكسجين) .

وسيدرك القارىء أهمية هذه المركبات الكيموية حين يعرف أن لهذه الأحماض رائحة سارة مبهجة قوية كرائحة لب الأناناس الطازج ، ولكنها كذلك السبب فى رائحة كريهة كرائحة الجبن المتعفن ، وهى سبب النفور من الأقدام الغزيرة العرق ذات الرائحة الكريهة !

وقد تتحول رائحة الأناناس فى الحال إلى شىء مختلف تماماً إذا تعرضت للهواء .

ففى حديقة شجيرة من فصيلة (فبرنم) ، تمتاز براعمها الغضة بشذى خفيف فواح ، يشبه رائحة أعضاء الأنوثة فى المرأة السليمة غير المريضة . فإذا تصوحت أزهارها وذوت ، تغيرت رائحتها الطاهرة الأصلية التى تجذب الرجال والفتيان السذج الذين لا يعرفون علاقة هذه الرائحة بالمرأة ، ومع ذلك فالنساء ينفرن من هذه الرائحة نفوراً عجيباً .

وتصوح الزهرة يغير رائحتها فتصبح منفرة دفرة (زنخة) ، لاذعة نفاذة ، وهو أمر مألوف عند أطباء النساء والتوليد !

وشحم البظر هو السبب الأساسى فى الرائحة النسوية الخاصة بالأعضاء الجنسية بكل مافيها من فروق مميزة .

تتأثر بالأحماض الكبريلية الروائح الشخصية الخاصة بالعرق والشحم والإفرازات الأخرى .

ويمتاز شحم البظر بقيامه بعمل من أعمال الفتنة الواضحة ـ بالرغم من تفاهته، فهو يزيد فتنة المرأة وقدرتها على جذب الذكور ـ إذا كان إفراز الشحم معتدلا، ورائحته طازجة خفيفة.

أما إذا تراكم شحم البظر تراكماً عظيما ـ كأن يكون ظاهراً للعين المجردة، فتصبح رائحته العادية ظاهرة تجذب الانتباه، أو تتحول بالتخمر السريع إلى رائحة منفرة من روائح الانحلال، تثير الاشمئزاز، ويكون لها أثر سيء محزن لا مفر منه، حتى لو كانت الشهوة قد تيقظت تماماً.

(وتحدث أسوأ النتائج وأدعاها للنفور والاشمئزاز الشديد حين تهمل المرأة النظافة الشخصية مع شدة الحاجة إليها، إذ يختلط الإفراز الموضعى العادى بإفرازات التبول والطمث الشهرى، بل قد تختلط بالبراز، فيبدأ فيها الانحلال المنتظم، وتصبح مأوى للجراثيم!)

ولهذه القذارة عواقب أخرى، أشد خطراً ولو أنها أقل إثارة للاشمئزاز والغثيان، فالإفرازات الثانوية الناتجة عن الانحلال تدفر (تتزنخ) وتلذع، فتلتهب الأغشية والأنسجة المجاورة، ويظهر عليها الاحرار والتورم والإفراز المائى. ويزيد الالتهاب الموضعى نفور الرجل من رائحة التعفن والانحلال، كما يحدث إحساساً بالتنميل و (الحرقان) مما يجعل الاتصال الجنسى أمراً صعباً مؤلماً للغاية.

فتجب إزالة شحم البظر باستمرار وسرعة ، و إهمال النظافة إثم لاحصر لنتائجه فى المرأة التى لا تهتم بنظافتها أو التى تتكاسل فيهـا ، وكذلك فى المرأة النظيفة التى تغسل سائر أجزاء جسمها ولا تعنى بهذا الجزء .

ولن يدرك أحد الحقائق التى تتكشف باستمرار للطبيب المولد ، فالنساء يعتذرن له دائماً عن إهمال تنظيف أعضائهن الحسية بجهل تركيبها وعدم الاهتمام بها والعزوف عن لمسها .

وفى هذا العضو النسوى الدقيق (البظر) ثنيات وفتحات كثيرة صغيرة ضئيلة حتى ليصعب على المتخصص نفسه إزالة هذه الإفرازات إزالة تامة لأنها زيتية ملتصقة . ولكن إزالتها ضرورة للأسباب السالفة ، كما أن شحم البظر والجراثيم التى قد تصيبه مصدر خطر عظيم فى إجراء أعمال الجراحة أو التوليد لأنها تفسد التعقيم ، وقد تحدث تسمما قاتلا .

ويكثر إفراز الشحم البظرى على السطح الداخلى لمقدمة جلد البظر ، ومع ذلك فقد يكون على الأسطح الخارجية فى الثنايا العميقة بين الشفرين الخارجيين ومقدمة الجلد البظرى ، وقد يكون فى الأعماق بين الشفرين الداخليين والخارجين وحينئذ لا تـكون له رائحة مميزة ـ كما لو كان على البظر . ومن حسن الحظ أنه يسهل الوصول إلى هذا الشحم لإزالته فإذا كان مقداره كبيراً بين الشفرين ، فهو الدليل على القذارة البالغة . ومع ذلك لا يدهش الطبيب إذا رآه !

والآن نتحدث عن الجزء المحدود من الأمام بحافة الشفرين (أو قيد الشفرين أو شوكة الفرج) رقم (١٧) ، وهو بين الشفرين الصغيرين (الداخليين) ويسمى الممر أو الممر المهبلي .

وفى داخل هذا التجويف « فتحة المهبل » أو « ثغر الفرج » ، (رقم ١٣ فى الرسم الأول) ، وهـذه الفتحة مغلقة فى الأبكار بالعذرة « البكارة » (١٥) . وثمة فتحة أصغر خاصة بمجرى البول (رقمها ٨) ، وبجوارها فتحتان لغدتى المجرى : إحداهما كبيرة والثانية صغيرة . وما أقل من يعرفون أهمية هاتين الغدتين وإفرازاتهما المخاطية .

وثمة فتحة على جانب فتحة مجرى البول ، وخلفها قليلا وحجمها حجم رأس الدبوس ، وهى السبيل إلى ممر غدة سميت باسم كاشفها (سكن) فهاتان هما « غدتا المجرى » الصغيرتان ، وطول قناتيهما يتراوح بين سنتيمتر واحد وسنتيمترين (٩ فى الرسم) .

وتصعب رؤية فتحتى الممر أو القناتين المؤديتين إلى غدتى المجرى الكبيرتين ، وهما غدتا « بارتلن » باسم كاشفهما ، وهما فتحتان دقيقتان على جانبى المدخل المؤدى إلى المهبل (المدخل المهبلى) ، وتثوى الفتحة داخل الثنية المكونة من السطح الخارجى للعذرة « البكارة » والأسطح الداخلية

للشفرين الصغيرين ، فإذا كان الشفران الصغيران أقصر مما هما فى الرسم، ولا يمتدان للخلف كل هذا الامتداد ، تفتح الغدتان (غدتا بارتلن) فى الحافة الضيقة بين العـذرة «البكارة» وقاعدة الشفرين الـكبيرين (الخارجيين) .

فإذا تمزقت «البكارة» فلا يظهر سوى ندبتين، هما بقايا الفتحتين ، وقد يصعب تحديد مكانهما أو يستحيل تماماً . ولا يتجاوز طول الغدة سنتيمتراً واحداً أو ١,٥ سم ، على عمق ١ سم و ١,٥سم من سطح المجرى (١٥ بالرسم) .

وتشترك غدد «سكن وبارتلن » فى إفراز مادة شفافة خالصة ، وهى رقيقة مخاطية لزجة ، لاتفرزها الغدد إلا عنـد التهيج الجنسى . وفى الغالب يكفى القدر العادى من هذه المادة المخاطية اللزجة لتشحيم ثغر الفرج وتزيينه وتليينه ، فأذا أضيف إليها الإفراز المماثل الخارج من الممر البولى فى الرجل أمكن الجماع .

وفى أحوال شاذة يكثر مقدار الإفراز الملين كثرة مفرطة يمنع التهيج العادى بالاحتكاك فى أثناء الجماع ، وهى حالات يعرفها المتخصصون .

أما فتحة مجرى البول أو الممر البولى ، فهى تثوى فوق نتوء خفيف على الممر ، وتختلف شكلا وحجماً بين امرأة وأخرى .

أما فتحة المهبل أو ثغره فتحتاج إلى درس وتفصيل .

غشاء الأبكار العذارى ، وهو يغلق فتحة المهبل إغلاقاً جزئياً ويزول الغشاء بالزواج ولـكنه يلعب دوراً هاماً فى الجماع الأول ، ويؤثر تأثيراً دائماً (فى نفس المرأة وفى الزواج كله) .

تختلف «البكارة» شكلا وحجماً فى فتاة عنها فى أخرى ، وشكلها هلالى فى الغالب ، وهى امتداد رقيق جداً لجدار المهبل الخلفى ، ينبسط للأمام ويكاد يغلق فتحة الفرج من الخلف . وثمة أشكال أخرى ، كالبكارة الحلقية (الدائرة) وقد يكون لها ثقبان طبيعيان أو أكثر .

يتمزق الغشاء فى أثناء العمل الأول من الجماع إذا كانت الظروف عادية ، أو ينثقب ثقبين فى العادة : أحدهما إلى اليمين والثانى إلى اليسار عند اتصاله الخلفى بالفرج ، ويصحب الإدخال فقدان قليل من الدم ، وقد يكون الدم كثيراً .

يختلف تأثر «البكارة» بين فتاة وأخرى من حيث الشدة وسرعة التأثر، وفى الغالب يكون تمزقه مؤلماً إيلاماً شديداً أو خفيفاً . ويتوقف هذا الألم على حجم الغشاء وسمكه وصلابته (عدم مرونته) ، كما يتوقف على بعض الأخطاء التى يمكن تفاديها ـ كفزع المرأة فزعاً عصبياً أو خشونة الرجل .

أما صلابة الغشاء (عدم مرونته) فتزيد بتقـدم السن ، وإذا

جاوزت المرأة الناضجة سن الثلاثين عذراء لم تمس ؛ ازدادت عذرتها « بكارتها » صلابة ومتانة كسائر أجزاء جسمها ، و بذلك تزيد مصاعب الجماع فى الغالب .

و يختلف سمك العذرة «البكارة » بين فتاة وأخرى، فهو لا يزيد على ملليمترين اثنين عند قاعدة « البكارة » أو عند اتصاله بالحافة المهبلية ، و يقل عن ذلك عند الطرف الخارجى ، فهو ليس طايقاً رقيقاً رفيعاً كالخيوط الحريرية الدقيقة ـ كما يتوهم العامة .

ما أكثر المعتقدات والأوهام الذائعة حول العذرة «البكارة» والتى يتناولها المتعلمون كما يتداولها البدائيون الجهلة الفطريون ، وهى لا تدل إلا على الحماقة والجهل ، وتنطوى على الخطر ، فالأفكار الخطأ تحمل أصحابها على إساءة الاستنتاج وعلى الخطأ فى الحكم على عفة النساء ، وهى نتائج حملة ظالمة كاذبة .

يجب أن نؤكد أن هناك نوعاً من الغشاء العادى يمتاز بكثرة الثقوب العميقة على حافته الداخلية ، وتشبه هذه الثقوب أسماك الصدف ، وتسمى « البكارة المنيّرة » أو « ذات السجاف » أو « ذات الهداب » أو « الشرابة » ، والطبيب النسوى الحاذق وحده هو الذى يستطيع تمييز هذه الثقوب الطبيعية من الثقوب الناتجة عن الجماع التام أو الناقص .

وهناك نوع آخر يناقض هذا التركيب تماماً ، وقد يؤدى إلى

أخطار مختلفة تماماً عن الأخطار الناتجة من النوع السابق . فهذا النوع يمتاز بنمو العذرة نمواً شاذاً زائداً زيادة طفيفة ، وقد يكون شكله عادياً ولكنه غير متماسك ؛ بل قد يقبل الامتداد ، فلا يثقبه الجماع ، حتى ليبقى سليما بعد ولادة الطفل الأول !

ولكن هذه الحالات نادرة .

وفى هذه الحالات تكون فتحة العذرة رقيقة جداً ، أو يكون الثغر سميكا لحمياً - كما فى الغشاء المتين متانة مفرطة ، فلا يمكن ثقب الغشاء بالطرق العادية ، ولا بد من الالتجاء إلى مساعدة الطبيبة أو الطبيب .

وبقايا الغشاء بعد الثقب (بعد إزالة العذرة) لا بد أن تزول بعد الولادة الأولى ، أو تندثر فتشبه الحلمات الدقيقة - أو الندب أو النتوءات الصغيرة المسطحة على جانبى المدخل .

فتحة المهبل

أظهرنا فتحة المهبل ثقباً لمجرد التوضيح فى الرسم رقم (١) ، والواقع أنه لا يمكن أن تبدو الفتحة ثقباً إلا إذا ركعت المرأة على أربع (وانحنت على الركبتين والكوعين ، فحينئذ تهبط الأمعاء إلى الأمام وينشأ فراغ فى تجويف البطن) وفى الوقت نفسه يرتد الجدار المهبلى الخلفى إلى الوراء ، ثم يندفع تيار هوائى إلى المهبل ، فينفرج ويمكن رؤية

مابداخل « الممر » خلال « المدخل » أو « فتحة الفرج » ، وتتخذ الفتحة شكل الثقب المستدير .

أما فيما عدا ذلك ، فلا تفتح الفتحة لأى شىء إلا إذا حدث ضغط يباعد مابين الجدار ين المهبليين . وقد يدخل هذا الشيء الضاغط من الخارج ـ كأن يكون عضو الرجل أو يكون إصبعاً أو آلة علمية أو طبية . وقد يمر الشيء من الداخل (من الرحم) إلى الخارج كرأس الطفل وجسمه فى أثناء الولادة ، أو تخرج الإفرازات الشهرية المنتظمة (الطمث) .

وفتحة المهبل مغلقة فى الظروف الطبيعية ، بسبب مرونة حافتها ودعمها بعضلات محلية و بسبب ضغط الجزء الأسفل من جدران المهبل . والعاملان الأولان يكفيان عادة لإغلاق فتحة المهبل إغلاقاً تاماً فى العذارى وفى النساء اللائى لم ينغمسن فى الجماع ، ولا سيما حين تكون هناك بقايا من الغشاء المثقوب ، فلا يظهر للعين من الخارج غير جزء دقيق جداً من الجدار الأمامى المهبلى (١٢) .

أما النساء اللائى تزوجن منذ وقت طويل ، فيمكن فيهن تمييز جزء أكبر من الجدار المهبلى . و بعد ولادة الطفل الأول يزداد الأمر وضوحاً ، فإذا تكررت الولادة برز كذلك الجدار المهبلى الخلفى بروزاً خفيفاً بسبب نقصان المرونة فى حافة الفرج ، وكذلك نقصان المرونة

فى العضلات المصاحبة لحافة الفرج ، وثمة سبب ثانوى هو هبوط الجدران نفسها هبوطاً تدريجياً .

والسبب فى هذه التغييرات هو الجروح الكثيرة غير المنتظمة التى تحدث حتى فى الولادة العادية ، وهى جروح خطيرة فى الجدران المهبلية والأنسجة المحيطة بها وتصعب رؤيتها ، وثمة جروح يمكن رؤيتها فى الأيام القليلة التى تعقب الولادة . وتحدث كل هذه الجروح (الظاهرة والخفية) فى كل الاتجاهات، ولكن أغلبها يتجه للخلف خلال الدائرة المهبلية الفرجية التى تغلق فتحة المهبل .

وتعرف المرأة عند الولادة أن جرحاً من هذه الجروح المتسلخة إذا اتجه للخلف قرب مركز القبل ، فهو فى الغالب يقطع حافة الشفرين الصغيرين (١٧) وقد يؤثر كذلك فى الجلد المهبلى الشرجى (١٨) .

ولكن المرأة لاتعرف أن الجلد المهبلى الشرجى إذا تهتك (جرح جرحاً غير منتظم) ، فمعنى ذلك دائماً أن المهبل كذلك متهتك ، ولا تدرك المرأة أهمية هذا فى مستقبلها . وقد تظن كما يظن زوجها أن علاج الجلد المهبلى الشرجى المتهتك ينطوى على آلام ومضايقات فى الجراحة والخياطة . ومن ثم يحاول الزوجان إقناع الطبيب المعالج بأن ينتهى من المسألة بأسرع مايستطيع و يعالجها علاجًا عابراً سطحياً دون

حاجة إلى جراحة ، أو يهمل العلاج كله ! ويقولان له :

إنك تقول بنفسك إن الجلد ممزق تمزيقاً خفيفاً ، فالمنتظر أن يلتئم بنفسه دون حاجة إلى غرز أو جراحات !

والمؤسف أن الطبيب يوافق على رأى الزوجين ، أو يعمل الغرزة والمريضة راقدة على جانبها دون عناية خاصة ودون خياطة المهبل ، وهو بذلك يخفف مضايقات المرأة ومضايقات أسرتها ، ويتخفف بصراحة من أعبائه بالذات !

وأعترف أنى ظللت أمداً طويلاً أعمل ذلك متتبعاً خطى أساتذتى، وأفعل ما تفعله المستشفيات الكبرى فى الدول المختلفة[١] ـ دون أن أشعر بحاجة إلى شىء سوى إعادة سطح الجلد المهبلى الشرجى إلى منظره الطبيعى فى المظهر دون المخبر والجوهر ، وهو أمر يمكن تحقيقه بهذه الوسيلة السهلة .

وقد اكتسبت الخبرة بالوقت ، فاتضح لى تماماً أن نتائج الجراحة السطحية فى المنطقة المهبلية الشرجية غير مناسبة من ناحية الصحة

---

(١) تغيرت الأمور بعدئذ تغيراً كبيراً ، فأضحت معاهد الطب الجامعية تخيط الجروح فى منطقة المهبل والشرج خياطة مثالية كاملة صحيحة ، وأخذ طالب الطب يتعلم هذا الفن ، كما جعلت الكتب الدراسية الطبية تصف الطريقة وصفاً دقيقاً . ولكن الصعوبات العلمية تجعل الطبيب يحيد غالباً عن العلم النظرى ومقاصده السامية .

والذوق الجميل . فهى تكاد تكون دائماً فتحات دقيقة تشوه سطح « الممر » خصوصاً الجزء الخلفى إذ يفغر ثغر المهبل و يفقد المرونة لعدم التئام الأنسجة المحيطة به ، وتفقد العضلات قدرتها وتحكمها لأنها تمزقت ولم تربط ربطاً منتظما .

ولهذه التشوهات والتغيرات نتائج خطيرة فى الحياة الحسية المستقبلة ، وفى سعادة الزواج ، إذ يفقد الجماع كثيراً من فتنته وسحره فى عيون الزوجين كليهما .

من الواضح إذن أن كل تسلخ أو تهتك فى المنطقة الشرجية المهبلية تجب خياطته بعناية عظيمة . وصرت أهتم بهذه الخياطة الاهتمام اللازم منذ أدركت قيمتها وضرورتها . وهذا يقتضى إعادة ربط الأنسجة العميقة والعضلات على وجه أخص بمنتهى العناية والمهارة والعبقرية فى خياطة القبل بدقة تماثل دقة جراحة الوجه والحنجرة .

ليست جراحة المنطقة بين الشرج والفرج جراحة سهلة هينة ، بل هى عظيمة خطيرة جليلة ، فهى تحتاج إلى مهارة فنية عظيمة واستعداد آلىّ كاف ومساعدة ماهرة وضوء واف وتخدير موضعى مناسب .

ومن الحق أن نطالب الأطباء بهذه الضرورات ، كما يجب على السيدات (وأزواجهن) أن ينتظروا توافر هذه الأمور الضرورية دون حاجة إلى القلق والخوف من الوقت والصعوبات التى قد تعوق النجاح

ودون اتهام الطبيب المعالج بتفاهة ما يفعل[1] .

بصل الممر

هو جزء منتشر على الجانبين ، يبعد سنتمتراً أو سنتيمتراً ونصف سنتيمتر تحت السطح على جانبي الفرج وفتحته ، وهو قريب من جدران المهبل . و بصل الممر شبكة من عروق الدم تشبه الاسفنج ، وهي عروق عريضة ولكن جدرانها دقيقة .

و يمتلىء بصل الممر بالدماء الدافقة الواردة عند التهيج الحسى سواء أكانت دوافعه نفسية أم بدنية محلية (وهو فى امتلائه بالدم عند التهيج يشبه البظر كما أسلفنا القول صدر البحث) .

والجزء الأمامى من هذه الأبصال أصغر من الجزء الثانى ، فهى تتجمع نحو قمة المثلث الذى يثوى فيه البظر . وتكبير الأبصال فى الخلف،

---

(١) إذا فشلت محاولة إعادة الفتحة العادية إلى طبيعتها ، أو أهملها الجراح المعالج ، فلا يسعنى إلا أن أطالب وألح فى المطالبة بأن تعاد المحاولة بعد ولادة طفل آخر . وبذلك تستغنى المريضة عن التزام الفراش إلا المدة اللازمة بعد الولادة . وفرص الشفاء التام عظيمة ممتازة إذا اعتنت المريضة بنفسها بعد الولادة بالرغم من احتمال غزو إفرازات الرحم للجروح المتهتكة فارتداد الأعضاء إلى أوضاعها السابقة الطبيعية يحدث عادة بعد الولادة ، فيساعد كثيراً على التئام أعمال الجراحة .

وحين تكون البصلة فى حجمها العادى دون تضخم يبلغ سمكها نصف سنتيمتر أو سنتيمتراً واحداً ، وأما العرض فيتراوح بين ١ سم و ١,٥ سم ، والطول بين ٣ سم و ٥ سم .

والنهاية الخلفية مستديرة تغطى غدة « برتلن » على الجانبين ، وتكاد تبلغ الجدار المهبلى الخلفى . وأما حافتها الخارجية فتستوى عند قاعدة الشفرين الكبيرين ، وأما حافتها الداخلية فتلامس الشفرين الصغيرين ، وفى المؤخرة تلمس الجدار المهبلى .

فالبصلتان معاً وسادة تشبه حدوة الحصان ، تنفرج إلى الخلف وتحيط « الممر » و « ثغر الفرج » .

وحين تتضخم البصلتان وتمتلئان يساهم الشفران الكبيران فى هذا التضخم والامتلاء ، فيتقوسان إلى الخارج و يبدو سطحهما الداخلى للعين بينما يفغر الفرج ويخرج قليلاً . وتتضخم كل أجزاء القُبل وتبرز وتبدو كلها مستعدة للوصال ، متحفزة فى مواضعها بشكل ظاهر مدهش .

وهذه الأبصال المقوسة تحيط فتحة الفرج بوسادة تحميها و يمكن الإحساس بها ولمسها أكثر مما يمكن رؤيتها ويزيد بصل الممر احتكاك الجماع كما يزيد مشاعر الاستمتاع فى كلا الزوجين .

الفصل الخامس

الأعضاء الجنسية الداخلية

عمادنا فى هذه الدراسة هو الرسم الثانى ، وهو مرسوم حسب المقياس ويمثل الجزء الأسفل من قطع عمودى يمر بمنتصف الجسم تماماً . فهو قطع مستقيم من الأمام للخلف يشق الأنف والسرة والعمود الفقرى شقاً دقيقاً . وهذا الشق ينصف كذلك الشق القطنى (مابين الوركين) بين الشفرين الكبيرين (٣٤) والشفرين الصغيرين (٣٣) والأخدود الذى يفصل الردفين من الخلف (٢٨) .

وهو يمر خلال البظر (٢٧) وفتحة مجرى البول (الكظامة) (٣٠) وثغر الفرج (٣١) وغشاء العذرة « البكارة » (٣٢ خطوط مائلة بيضاء وسوداء) وينصفها كما يمر خلال الحوض العظمى ويبدو فى الرسم من الأمام اتصال الحجبتين (اتصال عظمتى العانة) (٢٢) ومن الخلف تمثل هذا الحوض عظمة الفخذ (عظم العجز) (١٢) وآخر فقرة من العمود الفقرى (٢٤ العصعص) وكلها يقسمها القطع وينصفها طولاً .

وفى أعلى الرسم نرى العمود الفقرى (٧) . وأما الأجزاء العظمية

والـكبيرة مثل الفقرات والحوض فتظهر واضحة .

وفى العمود الفقرى وعظم الفخذ يظهر القطع العمودى لقناة (٦) وهذا هو النخاع ولا يهمنا فى شيء .

وثمة جزء هام جداً فى الحوض هو ذيل عظمة الفخذ (٨) عند اتصال الفقرة القطنية بعظمة الفخذ . ولو رسمنا خطاً بين هذه النقطة ومركز الحافة الداخلية العليا لعظمة العانة (٢٢) ، فإنه ينصف تماماً سطحاً مستوياً وهمياً يحتل وسط الجسم ، ولـكنه يميل قليلاً إلى الأمام . وجدار هذا المستوى أو محيطه يمكن إدراكه بعظام الحوض ، وله أهمية عظيمة فى الولادة وفى أمراض النساء .

ويثوى التجويف الحوضى داخل محيط العظام الحوضية ، تحت اتصال عظمتى العانة (الحجبتين) ، ففى داخل هذا الدرع العظمى تختفى الأعضاء الجنسية الداخلية بعيدة عن أى حادث . وهـذه الأعضاء ينصفها رسمنا ، كما ينصف المثانة ومجرى البول (٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣٠) والجزء الأسفل من الشرج (٢٥) .

فالمهبل (٢٦) والرحم (١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩) ينصفها الرسم تماماً لأنها متماثلة ينطبق نصفها على النصف الثانى تماما .

أما أعمق هذه الأعضاء ، فهى القنوات (١١) والمبايض (١٠) وكلها أزواج (مزدوجة التركيب) وتثوى على جانبى الرحم .

ولتوضيح الرسم واشتماله على الجزء الأيمن من الجسم وتجاويفه وغدده أظهرنا فيه المبيض الأيمن بأنبوبته أو ممره . ولكن لايمكن ظهوره حقاً في قطع عمودي ، بل يظهر وراء السطح (ومع ذلك أظهرناه) في النصف الأيمن من تجويف الحوض .

ولم نظهر في هذا الرسم الطبقات المختلفة من العضل والأنسجة الضامة ، فهي تثوى حيث المناطق البيضاء في الرسم ، ولا نحتاج لدراستها . وأما مواضع الأعضاء الجنسية الحقيقية ، وتناسبها الفعلي ، فهي أيسر على الفهم كلما ظل الرسم مسهلا .

يظهر في الرسم الثاني أربعة تجاويف في القطع العمودي ، وهي :

تجويف البطن (٥) ، والمهبل (٢٦) وامتداداته .

الرحم وممر البويضات (١١) .

المثانة (٢١) وممر البول التابع لها (٣٠) .

الشرج (٢٥) وهو الجزء الأسفل من الأمعاء ومعه الإست (٢٩) .

سندرس الأعضاء المجاورة أولا لعلاقتها الهامة بالأعضاء الجنسية .

أما الشرج فهو النهاية السفلى للأمعاء الغلاظ ، وينزل من الجانب الأيسر ويبلغ الخط الأوسط من الجسم ثم ينحني قليلا إلى الأمام ، ويكبر عند الجزء الأسفل من هذا الانحناء ، فيسمى الجزء الأوسع (التجويف الشرجي) . ومن الخارج يفتح الشرج في الإست الذي تغلقه عضلة عاصرة قوية . وممر الإست أضيق كثيراً من الشرج .

والشرج ممر واسع نسبياً ، جدرانه مرنة مرونة عظيمة ، قادرة على احتواء مقادير من الفضلات الجامدة (البراز) وتتجمع الفضلات في تجويف الشرج ، فإذا لم تتخلص منها المرأة تخلصاً منتظما سريعاً ، فإنها تزداد سمكا وتتصلب ، ويمتلىء التجويف الشرجي فيضغط على المهبل من الخلف ويحدث آلاماً وصعوبة في الملامسة (الجماع) .

وقرب الشرج والإست من الأعضاء الجنسية خطر مستمر متجدد لأنه يهدد بالتلوث بالبراز ، وهو أخصب مكان لتكاثر الجراثيم .

فالنظافة التامة المتقنة ضرورية جداً ، ولا غنى عنها .

يبدو التجويف الشرجي والمثانة ممتلئين إلى النصف في الرسم ، وتفرغ المثانة نفسها بانكماش جدرانها العضلية ، فينقص حجم العضو ، وفي الوقت نفسه يقترب الجزء العلوي الخلفي من الجدار من الجزء الأمامي الأسفل ، فإذا امتلأت المثانة بالبول تكورت وارتفعت نحو الجدار البطني الأسفل وضغطت الأعضاء الجنسية إلى الخلف .

وإذا تكرر حدوث هذا الضغط أكثر من المعتاد ، أو حدث بانتظام ، فنتائجه وخيمة خطيرة إذ قد يتغير مكان الرحم وينحرف عن موضعه ، وهي مشكلة مقلقة .

وتتأثر المثانة نفسها تأثراً بليغاً بهذا الامتلاء ، لو حدث الامتلاء مرة واحدة أو تكرر ولو كان مقدار البول قليلا ، وذلك لأن المثانة

إذا امتلأت مرة واحدة فوق طاقتها لاتستطيع الانكماش انكماشاً منتظما بعد ذلك ، ويصعب عليها أن تتبول تبولا صحيحاً فعالا . فيخرج البول أبطأ من الواجب ، ولا يخرج كله ، بل يبقى منه جزء صغير في المثانة تتكاثر عليه الجراثيم وتتوالد ، وما أسهل وصولها إلى البول! ويتحلل البول داخل المثانة ، فتحدث أورام حادة أو مزمنة ، وقد تصاحبها أخطار شديدة وآلام ومضايقات .

فالبول ليس عملا تافهاً كما يتصور الكثيرون ، بل هو هام جداً ويجب الاهتمام به .

وعدم إفراغ البول تماماً أو التبول الناقص معناه إبقاء جزء من البول فى المثانة ، وهو أمر كثير الحدوث والشيوع بين السيدات والفتيات غير المتزوجات لأنهن لايعطين التبول ما يستحقه من وقت كاف ، وهذا التسرع فى التبول يؤسف حقاً .

وهن لايذهبن إلى المرحاض إلا آخر لحظة ، ولا يفكرن هناك إلا فى الانتهاء من التبول بسرعة ، وبذلك يبقى البول فى المثانة بسبب تأخر المرأة فى الذهاب للتبول ، ثم عدم إتاحتها الوقت الكافى له ، وما أسوأ ذلك على الصحة !

ويحدث هذا على الأخص فى بعض الحالات الغريبة ، حين لاتستطيع المرأة التبول إلا راقدة ، فهناك نساء كثيرات لايعرفن التبول

راقدات ، فيبقى جزء من البول فى المثـانة بل قد يتوقف التبول .
ويتأجل فى بعض الأحيان ، وإذا احتاج الأمر إلى وضع آخر بعد الولادة أو بعد بعض الأعمال الجراحية مثلا ، يصبح من الضرورى الإلتجاء إلى الطرق الصناعية التى تنطوى دائماً على الأخطار والمساوىء مهما كانت المهارة .

لهـذا أنصح كل السيدات والفتيات أن يتجنبن إبقاء شىء من البول ، ويجب إفراغ البول من المثانة ، إفراغاً تاماً ، والانتظار فى أثنـاء التبول انتظاراً كافياً والإسراع إلى المرحاض بمجرد الرغبة فى التبول ، ويجب أن تتعلم كل امرأة أن تتبول راقدة وتتمرن على ذلك من وقت إلى آخر .

ولا تفتح المثانة فى الفرج مباشرة ، بل لها مجرى أو ممر هو مجرى البول ، وطوله يتراوح بين ٤ ، ٥ سم ، وينحنى قليـلا للأمام وهو مغلق فى نهايته العليـا بعضلة عند عنق المثانة . وأما الـكظامة (فتحة مجرى البول الخارجية) فليس لها جهاز يغلقها .

وقرب فتحة البول من الفتحة الجنسية فى « الممر » ـ يهـدد الأعضاء الجنسية والبولية كليهما بأخطر العواقب ، ومن هذه الأخطار أنه يصيب الجهاز الجنسى أو البولى بأى مرض ، فمن العسير منع انتشار

المرض و بلوغه الجهاز المجاور ، وهذا وحده يكفى سبباً للنظافة المتقنة التى تقرب الوسوسة .

المهبل وعضلاته

أما الممر الأوسط ، فهو المهبل (فى الرسم التالى) . والمهبل هو العضو النسوى الخاص بالجماع ، وهو السبيل لخروج محتويات الرحم ولا سيما فى فترات الطمث والولادة .

يتراوح طول المهبل بين ٥ و ٧ سم و ١٠ سم . واتجاهه يوازى محور الحوض ، فهو ينحنى قليلا للأمام . والعضو السليم (الذى لم يمس) ينحنى انحناء خفيفاً جداً إلى الخلف عند آخر نهايته السفلى فوق فتحة الفرج تماماً ، ويسبب الانحناء طبقة عضلية مرنة تحيط بثغر الفرج وتعمل عمل المفاصل العضلية الضعيفة القادرة على ضغط الجدار الأمامى ودفعه إلى الخلف (لأنه متصل بالإست من الخلف) .

والمهبل مزود بعضلة ثانية أقوى ، وهى متصلة بالسطح الداخلى لاتصال عظمتى العانة (الحجبتين) ، وتحيط بالجدار المهبلى فى جزئه العلوى ، فترفعه إلى أعلى وإلى الأمام ، ولهذه العضلات عمل هام فى الجماع وغيره ، ولهذا خصصنا لها الرسم الثالث ليكمل الرسم الثانى ، وهى تشمل عضلات الأعضاء الجنسية وعضلة إغلاق الإست .

ولفهم وضع هذه العضلات وعملها يجب أن ندرك أن « عضلة

إغلاق المهبل » (ا) جزء من مجموعات عضلات هى السطح الخارجى لقاعدة الحوض ، ويصعب أحياناً فصلها تشريحياً .

أما مجموعة العضلات الداخلية فهى أقوى ، وهى تحتضن المهبل من ناحية العانة وتتكون من الجزء الداخلى من عضلة قوية جداً ، تحيط أطرافها الخارجية بالشرج من الخلف وتدعمه ، بينما تحيط باقيها بالمهبل ويدعمه . (ولم نرسم هذه العضلة فى الرسم الثالث ليظل محدوداً سهلا) . وهذه المجموعة العضلية الداخلية مخروطية الشكل ، وهى أعمق طبقة فى قاعدة الحوض . وأوضح مظاهر انكماشها أنها ترفع الجزء الأسفل من الشرج ، ومن ثم سميت « عضلة رفع الإست » .

ويمكن الإحساس بوضوح بحركة الجزء الأمامى من العضلات (التى تحتضن المهبل وهى حـ فى الشكل الثالث) فى أثناء فحص الطبيب النسوى إذا أدخل إصبعين وطلب من المرأة أن تضغط بشدة . وحينئذ تتضح مواضع العضلات وتتضح إحاطتها للمهبل من الجانبين ومن الخلف وتضمه إلى العانة . وتختلف قوة هذه العضلات الحوضية (عضلات قاعدة الحوض) بين امرأة وأخرى بدرجة عجيبة تلفت أنظار الطبيب عند فحص المهبل والشرج .

ومعظم السيدات والفتيات لا يستطعن سوى ضم عضلاتهن الحوضية كلها مرة واحدة ضماً خفيفاً . (لاتستطيع أية عضلة الاستقلال فى

عملها وتأديته بقوة فيما خلا عضلة إقفال الشرج) .

ويستطيع بعض النساء التحكم في الحركات الإرادية لعضلاتهن الحوضية تحكما تاماً ، فتستطيع المرأة أن تضمها وتكمشها كلها مرة واحدة كما تستطيع أن تلعب بكل عضلة منها على حدة ، فتكمش ماتشاء منها وتدع ماتشاء ، وهذه القدرة المدربة الماهرة على التحكم فى حركات العضلات الإرادية تعطى الجزء المهبلى من العضلات كياناً مستقلا ، فيمكن تسميتها « العضلة الرافعة المهبلية » .

وتستطيع بعض النساء التحكم الإرادى فى العضلة العاصرة المهبلية (عضلة إغلاق المهبل ا فى الرسم) ، ولكن هذا نادر ، والأمر لا يزيد على مجرد التعاون بين هاتين العضلتين دون باقى عضلات قاعدة الحوض ومع ذلك فبعض النساء الخبيرات الماهرات يعرفن ويفهمن كيف يحركن عضلة إغلاق المهبل والعضلة الرافعة المهبلية ـ كلا منها على حدة ، أو يحركن العضلتين فى وقت واحد حسب الإرادة ، وهى موهبة عظيمة الفائدة فى فن الجماع والاستمتاع والإمتاع [1] (كما سيأتى فى الفصلين التاسع والحادى عشر) .

---

(١) كتاب « اكتساب القدرة الجنسية بالتدريب والرياضة البدنية للنساء » تأليف فان دفلد .

ما أهمية التحكم حسب الإرادة فى عضلات قاعدة الحوض ؟ إنها لاتقل أهمية عن تحريك سائر أجزاء الجسم ، لأن المرأة التى تستطيع هذا التحكم تتيح للطبيب محاولة إرجاع الجسم إلى حالته الطبيعية بعد تمدد أجزائه وارتخائها عقب الولادة ، وبذلك يحول دون زيادة الإصابات زيادة دائمة مطردة .

والمؤسف أن النساء جميعاً دون استثناء يهملن الرياضة البدنيـة لقاعدة الحوض مع أن هذه الرياضة المنتظمة مفيدة دون شك . فالنساء اللائى استطعت إقناعهن بتحريك عضلة إغلاق المهبل والعضلة الرافعة المهبلية ـ أتين هـذا التمرين الرياضى مرتين يومياً خلال فترة الحمل والولادة فتحسنت حالهن تحسناً ملحوظاً.

ولـكى تسيطر المرأة سيطرة مفيدة على انـكماش عضلات قاعدة الحوض[1] يجب أن تعتاد تحريك عضلاتها كلاً على حدة ، ثم تتمرن

مثلا : من الحركات الممتازة « تقوية عضلات الحوض » بمباعدة الركبتين ثم ضمهما . وقد وصفها « رفرشد » للنساء الوالدات فى كتاب شتوكل « كتاب الأمراض النسوية » وناشره جستاف فشر ـ يينا .

ولو اتبعت نصيحته ، وأتبعتها المرأة فى الوقت نفسه برفع الوركين وانـكماش العضلة العاصرة الشرجية بكل قوة ، فلن يحدث غير حركة عامة لقاعدة الحوض .

على استعمال العضلات بعضها مع بعض فى وقت واحد أو استم
بالتتابع عضلة بعد عضلة ، وهذا التدريب ضرورى ويمكن اعتياده
أثناء الفحص على يد المولدة ، ويجب على طبيبات النساء أن يستفدن
من فرص الفحص فى مساعدة المريضات على هذا التدريب .[1]

رأينا حتى الآن أنواعاً من العضلات يمكن التحكم فيها حسب الإرادة ، ولذا سميت «عضلات إرادية» وتتكون من ألياف مثبتة عرضية

وسنرى الآن « عضلات غير إرادية » مكونة من ألياف ناعمة لا يمكن التحكم فيها حسب الإرادة . والنسيج العضلى المكون من عضلات غير إرادية ينكمش متأثراً بمؤثرات كثيرة متباينة ، آلية أو كيموية ، مباشرة أو غير مباشرة ـ تنتقل خلال الأعصاب . وقد يتأثر مثل هذا النسيج غير الإرادى بالدوافع النفسية تأثراً غير مباشر ولا يتأثر بها أبداً تأثراً مباشراً .

ومن المستحيل التحكم تحكما منتظما عادياً فى المراكز العصبية (النفسية) العليا .

---

(١) إذا فشلت الرياضة البدنية ، فيمكن الالتجاء إلى التدليك المهتز فهو يفيد قاعدة الحوض الضعيفة المرتخية .

ولمنع المريضة من التهيج بهذا التدليك ـ يجب أن يكون التدليك شرجيا لا مهبليا . ولن تستطيع القيام به غير طبيبة متخصصة حاذقة .

ولا يمكن التدليك فى أثناء الحمل أو فى الأسابيع الأولى عقب الولادة.

وليس معنى هذا أن العضلات غير الإرادية والأنسجة المكونة منها تقل عن غيرها فى الأهمية والعمل ، فالعكس هو الواقع ، لأن الأنسجة المكونة من عضلات غير إرادية مهمة جداً فى الأعضاءالنسوية الجنسية الداخلية ، وجدران هذه الأعضاء النسوية تبطنها أنسجة عضلية ناعمة، وتشمل جدران المهبل ، وهى مزودة بفيض من الأنسجة الضامة المرنة .

درسنا أنواع العضلات ، ونعود إلى دراسة المهبل .

المهبل ممر عضلى يغطيه من الداخل غشاء مخاطى وردى متين القوام ، ولكن سمك جدرانه ٤ ملليمترات فقط ، فهو رقيق حقاً ، ولكنه قابل للامتداد والاتساع ، وهاتان الصفتان تميزان المهبل ، وهما صفتان ضروريتان له ليستطيع تأدية واجبه عند الولادة . وبعد هذا التمدد المفرط فى الولادة ، تفقد جدران المهبل غالباً بعض توترها المرن ، وينفرج الممر ويرتخى ، وهو شر لابد منه بعد الولادة .

والثلثان السفليان من الجدران المهبلية الأمامية والخلفية مزودان بوسادة بيضية من الثنايا المتعارضة والجزء الأمامى أكثرها نموا ، ويزداد حجما قرب فتحة المهبل ، بل يبرز فيها (١٢ فى الرسم الأول) .

وهذا البروز الذى يشبه الوسادة ييسر للجزء الأسفل من المهبل أن ينحنى أو يتقوس للخلف تقوساً طفيفاً ، وإذا أفرط نموه ـ كما يحدث

غالباً فى الحمل ، فقد تخطىء العين ، وتظنه تزحزحاً فى الجدار المهبلى الأمامى .

وثمة جهاز لمعانقة عضو الذكر واعتصاره وحكه عند إدخاله و بعد الإدخال فى المهبل ، وهو يساعد على إحداث القذف المنوى عند بلوغ ذروة التهيج واللذة ، كما أنه ييسر بالضغط والاحتكاك بلوغ ذروة اللذة والسرور فى المرأة ، و يتكون هذا الجهاز من وسائد بيضية وزوائد متقاطعة و بقايا البكارة وتساعده العضلات الرافعة والضامة ، وبروز بصل الممر .

وفى الرسم الثانى ، يبدو المهبل فراغاً مفتوحاً أجوف ، ولم نرسمه كذلك إلا للتوضيح والتسهيل ، ولكن الرسم لايطابق الواقع من هذه الناحية ولا يحدث هذا إلا إذا أدخل فيه جسم أو دخل فيه الهواء ـ كما شرحت عند وصف ثغرة الفرج .

وفى العادة يتلامس الجدران ، وأ يقترب الجدار الأمامى من الخلف و يستند إليه ، فالقطع المحورى يبدو هكذا (————) .

والجزء الأعلى من المهبل يحتضن القمة النازلة من الرحم (الجزء المهبلى من الرحم) و يغلق المهبل الذى يتحد به الجزء الأعلى منه . وهو مستدير و يسمى « القبو المهبلى » أو « عنق المهبل » .

والرحم مائل بالنسبة للمهبل ، والجدار الخلفى للممر أطول كثيراً

من جداره الأمامى ، ولذلك فهناك جزآن متميزان من القبو ، هما : القبو المهبلى الأمامى ، والقبو المهبلى الخلفى وهو أعمق وأبعـد (١٧ الرسم الثانى) .

وحين ترقد المرأة على الظهر يكون القبو الخلفى أكثر أجزاء المهبل انخفاضاً ، وهناك يتجمع المنى ولذلك يسمى القبو الخلفى كذلك « مجمع المنى » أو « كيس استقبال المنى » .

وكما يبدو فى الرسم الثانى ، يحاط قوس المهبل الأعلى من أعلى ومن خلف بجيب عميق داخل البطن هو « جيب دوجلاس » أو « كهف دوجلاس » باسم أول من وصفه . (ولون التجويف البطنى وجيب دوجلاس وردى فى الرسم الثانى) .

ويهبط جيب دوجلاس بين القبو المهبلى والجزء الأمامى من الشرج (وهناك فروق كثيرة فى النسب تختلف بين امرأة وأخرى) . وهذه الأجزاء منفصلة بعضها عن بعض بنسيج رفيع حساس ، دقيق للغاية ، ولـكن الجدار المهبلى أشد متانة فى هذا الجزء منه فى أى مكان آخر .

ولهذا الأمر أهميته ، فحين يـكون عضو الرجل كبيراً ضخما والمهبل صغيراً ، ثم يتغاضى الرجل عن هذه الحقيقة فيستعمل القوة فى الجماع ، يحدث تهتك أو تمزق خطير للغاية بسبب شدة حساسية البرتون وسرعة تأثره بالإصابات والجراثيم الثانوية فى المهبل العادى .

الحمض اللبنى من الفرج

لا يحوى الفرج أى غدد ، ولكن جدرانه تفرز قدراً ضئيلا من مادة تحوى الحمض اللبنى (حمض لبنيك) . وتختلف نسبة الحمض اختلافاً إيقاعياً (كإيقاع الموسيقى !) . وهذا الإيقاع يتناسب مع التغيرات المتكررة الدورية من « طمث » « وتبويض » .

تنخفض نسبة الحمض اللبنى فى الإفرازات المهبلية أشد الانخفاض فتصبح نحو ٥ . ر .) فى المدة بين طمثين تقريباً . (ويتفق هذا الوقت مع التبويض ، وهو قذف بيضة من المبيض) . ولهذا الانخفاض فى نسبة الحموضة أهميته ، لأن الخلايا المنوية التى يفرزها الرجل تستطيع الاحتفاظ بنشاطها وحيويتها أطول مدة إذا كانت فى محلول خفيف ضعيف من الحمض اللبنى (مابين ٥ . ر . ٪ ، ١ . ر . . ٪) ، وتهلك بسهولة إذا اشتدت الحموضة[١] .

والحمض اللبنى المهبلى له عمل فى الوقاية ، فهو يحفظ الوسط المهبلى مناسباً لبعض الجراثيم غير الضارة ، بل النافعة كما أنه يقاوم جراثيم الأمراض الآتية من الخارج ويقضى عليها . ويرى « زويفل » أن

(١) توسع فى دراسة هذه النقط « ا . جرافنبرج » من برلين فى مقاله « اختلافات الحموضة الدورية فى الإفرازات المهبلية » فى « سجلات التوليد » المجلد ١٠٨ بالعددين الثانى والثالث .

هذا « التطهير الذاتى » مفيد ناجع ضد العدوى فى فترة الحمل خاصة .

ويحوى هذا الإفراز عادة خليطاً من الخلايا البشرية وكرات الدم البيضاء ، فحين تكون المرأة فى أتم صحتها ، يظهر فى فرجها قدر ضئيل من مادة رقيقة لبنية بيضاء . وتعرف المرأة أنها إفرازات الدورة الشهرية . أما إذا ظهرت فى غير مواعيد هذه الدورة مادة تفوق المادة اللبنية البيضاء فى مقدارها أو قوامها ـ كأن تكون لزجة أو مخاطية ، فذلك دليل المرض .

وإذا كان الإفراز سميكا أصفر ، فهو الدليل القاطع على المرض .

الامتصاص المهبلى

لا تقتصر الجدران المهبلية على الإفراز ، فهى تمتص بعض المواد الكيموية التى تمر بالمهبل ، وتتمثلها فتمتزج بسائر إفرازات الجسم ، وتسرى فى الدم وتخرج بمرور الوقت حسب طبيعتها من الجسم خلال الرئتين وغدد اللعاب أو تخرج مع البول فى الكليتين .

وامتصاص المهبل عمل هام لا ينال حقه من التقدير ، وقد أشرت إليه فى الفصل الثالث عند الكلام عن المنى ، وألفت النظر إلى أن بعض السموم القوية مثل « السليمانى » يستعمل أحياناً لغسل المهبل لمنع الحمل ، فتمتصه الجدران امتصاصاً يؤدى إلى الموت .

وأمامى ـ وأنا أكتب هذا الفصل ـ مقال فى مجلة الولادة الألمانية

عدد ١٨ سنة ١٩٢٤ . وقد ذكر حالة انتهت بموت فتاة غير متزوجة في الخامسة والعشرين من العمر إذ أدخلت في جسمها قرصاً من السليماني (نصف جرام) لتمنع الحمل .

وذكر المقال حادثاً آخر استعمل فيه السليماني لرش المهبل . وقد ورد في العدد السادس سنة ١٩٢٣ في المجلة نفسها .

وفي أثناء الحمل تزيد قدرة المهبل على الامتصاص لازدياد تدفق الدم في الأعضاء الجنسية ، فتتضخم الجدران وتزداد سهولة إصابتها بالجروح ، وتنزف بغزارة وسرعة بمجرد خدشها أو خبطها (الضغط عليها) أو تسلخها ، ويتغير لبنها من أحمر إلى بنفسجي قاتم ، وتحدث تغيرات مماثلة في القبل (الأعضاء الجنسية الخارجية) ، فالشفران الكبيران عادة يتناوبان قليلا وينفرج المهبل انفراجاً بسيطاً بسبب تضخم الأنسجة والأوعية الدموية .

وأخيراً نتحدث عن تغيرات المهبل والفرج على مر السنين . وهي تزداد وضوحاً كلما تقدم العمر (لاسيما إذا استمرت المرأة في مزاولة النشاط الجنسي) ومع ذلك فإن مجرد الولادة بضع مرات يعقبه ارتخاء وعطب وانحلال ظاهر .

وينتج عن تكرار الولادة تفرطح وساند الجدران المهبلية وارتخاؤها وتهدل الممر نفسه ، ولكن يمكن تقليل هذه المساوىء باتباع أسباب

الوقاية السالفة ـ خياطة الجروح بدقة وسرعة مهما كانت صغيرة ـ والرياضة البدنية لتحريك عضلات الحوض .

ومن ألوان الانحلال التى تصاحب تقدم السن : نقص المرونة ، وتفرطح القبو المهبلى وانكماش جدرانه إذ تصبح ناعمة تماماً ، هشة بل جامدة سهلة الانكسار ، وكذلك ينكمش الممر .

ثمة تغيرات فى الفرج وفتحة المهبل ، فغدد سكن و بارتلن تصغر حجماً ، و يذوى النسيج الدهنى فى الشفرين الكبيرين ، فتبدو الأعضاء الجنسية الظاهرة كلها فى انحلال وتجعد وعطب ، فيجب على المرأة أن تهتم بهذه التغيرات فى الحمل و بعد انقطاع الطمث .

الرحم

للرحم عمل أساسى معقد ، أهم من عمل القبل والمهبل . ومع ذلك نختصر الحديث عن الرحم نفسه ، ونطيله عن أعضائه المساعدة .

أهم أعمال الرحم استقبال البيضة المخصبة القادمة من ممر البيض ثم حفظها فى جدران الرحم المخاطية وتغذيتها وحماية الجنين حتى يخرج إلى نور الحياة ، فالرحم عضو الحضانة والولادة (التكاثر) ، ووصف أعماله لايدخل فى نطاق هذا الكتاب .

والرحم عضو عضلى أجوف ، كمثرى الشكل ، عضلاته ناعمة (لاإرادية) تنسجها ألياف مرنة مطاطة ، و يبطنها من الداخل غشاء

مخاطى (بطانة الرحم) ومن الخارج الغشاء البريتونى ، ويسمى الجزء العريض الأعلى « جسم الرحم » (١٤ فى الرسم الثانى) ، بينما يسمى الجزء الضيق الأسفل « عنق الرحم » (١٦) وقد اعتدنا تسمية الثلث الأسفل من عنق الرحم « بالجزء المهبلى من الرحم » وهو يشبه صنبوراً بارزاً فى المهبل و يغلقه من أعلى . وسنفصل الحديث عنه لأهميته العظيمة فى الملامسة .

والرسم يمثله أحسن من الكلام ، فالرسم الرابع يمثل الجزء المهبلى من الرحم كما يظهر للعين فى أعمق أغوار المهبل - إذا أزيحت الجدران المهبلية بالأصابع أو بمسبر .

والعضو المرسوم على اليسار هو الجزء المهبلى من الرحم فى امرأة لم تلد أبداً ، وأما عضو اليمين ففى امرأة ولدت بضع مرات ، والرحم يمثل العضو فى حجمه العادى الطبيعى .

والفروق بين العضوين كبيرة واضحة ، فعضو العذراء ضيق وفتحة رحمها مستديرة تقريباً . ولكن عضو الوالدة سميك كبير وثغر الرحم متفتح قليلا . وفيه شق أفقى ينبعث عنه ندب جروح أو تهتك منتشر فى كل اتجاه كأشعة الشمس ، فثغر الرحم فى الوالدة يشبه الثغر حقاً بل هو أقرب إلى شكل الشفتين ، ومع ذلك تسمى الفتحة دائماً فى الوسط الطبى « ثغرة » وتسمى حافتاها الشفتين : « شفة الرحم الأمامية وشفته الخلفية » .

وفى ثغر الرحم تظهر غالباً نقط مستديرة مخاطية بارزة بروزاً طفيفاً ، ويجب أن تكون صافية رائعة كالبلور . وهى مادة سميكة قلوية تفرزها أغشية عنق الرحم ، وقد سميت باسم « كرستلر » أول من وصفها .

وسدادة الرحم كالسدادة بالنسبة للقنينة ، ولكن سدادة الرحم لها عمل آخر ، فهى تيسر دخول المنى إلى الرحم عقب الجماع مباشرة ، وسنعود إلى وصف ذلك .

تلتصق السدادة الهلامية التصاقاً شديداً بعنق الرحم وثغره حتى لتستحيل إزالتها وتتعسر ، وهى شفافة صافية للغاية ، ولكنها قد تكون غائمة بلون اللبن فإذا اصفر لونها ، فذلك دليل الخطر ، وإذا خرجت من الرحم نقطة صديدية بدلاً من سدادة كرستلر الصافية فذلك دليل الالتهابات والأمراض فى الرحم ، ويجب الإسراع إلى العلاج .

أخيراً نرى فى الرسم الرابع « القبو المهبلى الخلفى » تحت الشفة السفلى للرحم ، وهذا القبو عميق بعيد . وثمة قبو أقرب منه ، هو « القبو الأمامى المهبلى » وقد ذكرناه من قبل . ومن الضرورى أن نعود إلى الرسم الثانى لندرك حقيقة وضعه وحجمه بالنسبة للرحم .

وضع الرحم

يجب أن ندرك أن وضع الرحم فى الرسم الثانى ليس هو الوضع الحقيقى ، فهو مرسوم أعلى من حقيقته داخل البطن ـ لأن جزأه الأعلى

يبقى تحت مستوى الحوض ، ولا يخلو هـذا الخطأ من تعمد محمود ؛ إذ نريد إظهار منظر الأعضاء وتوضيحه دون تغيير . والوضع المرسوم هو في الواقع الوضع التقريبي للمهبل والرحم عقب إدخال عضو الرجل وحينئذ ينبسط المهبل أطول انبساط ، وتنفرج الجدران ويندفع الرحم كله وثغره إلى أعلى .

والواقع أن المثانة إذا كانت ممتلئة إلى نصفها ، وكان المهبل مغلقاً خالياً ، فإن جسم الرحم يميل إلى الأمام ، وتكون الزاوية بين جسم الرحم وعنقه حادة أكثر ، أما ميل الرحم للأمام فيزداد حدة .

ويستعيد الجزء المهبلي من الرحم ميله الخفيف بمجرد انسحاب عضو الرجل من المهبل ، وفي الوقت نفسه تنحني فتحة الرحم انحناء خفيفاً للخلف نحو القبو الخلفي (مجمع المني) ، بينما ينحني المهبل الخالي المنبسط انحناء خفيفاً إلى الخلف ، وتنضم الجدران بعضها إلى بعض ، فيحدث الإغلاق .

تلك هي الفروق المميزة بين وضعي الرحم والمهبل في أثناء الجماع ، وبين وضعيهما حين يكون جسم المرأة خالياً (دون جماع) . والرسم يمثل هذه الأوضاع في أثناء العمل الجنسي لأن هذا الكتاب خاص بالزواج ، كما أن هذا الرسم أكثر توضيحاً وسهولة وكمالا .

ويتضح من ذلك أن الرحم يشبه سائر أعضاء الأنوثة في القدرة

على الحركة ، وهو يتزحزح فعلاً بأسباب مختلفة ، وقد ذكرنا عاملاً يدفعه إلى أعلى .

وثمة عوامل أخرى تسبب زحزحته ، فعضلات البطن تستطيع أن تدفعه إلى أسفل ، والأمعاء المثقلة بالطعام قد تدفع الرحم إلى الأمام ، والمثانة الممتلئة تدفعه إلى الخلف ، ثم إن الرحم معرض لضغط الثقل والإجهاد فى مختلف حركات المرأة .

وليست حركات الرحم قاصرة على العضو كاملاً بالنسبة للأعضاء المجاورة ، ولكنها تشمل درجة الميل والزاوية بين جسم الرحم وعنقه . وبجانب هذا الاتساع فى مجال الحركة ، قد تحدث زحزحة ضارة ، فنستطيع أن ندرك مدى التقلقل وعدم الاستقرار بين مواضع أعضاء الأنوثة وما يجاورها .

ومع ذلك فهذا الاستقرار محفوظ بعضلات تعليق الرحم ، وهى جهاز معقد من أشرطة مطاطة مرنة غير إرادية ، تدعم الرحم كما تعلقه .

وتنقسم هذه العضلات ثلاثة أزواج هى :

الأول : زوج من « أشرطة الأم المستديرة » يمتد من أعلى الرحم ، ويغطيها الهرب (البريتون) ، وتمتد فى أقواس كبيرة إلى الرفغين (خنى الوركين) ، ومن ثم إلى العانة وقاعدة الشفرين الكبيرين .

والثانى : الشريطان الرحميان ، وهما زوج من العضلات أو الأشرطة ،

لها ألياف وخيوط عظيمة الانكماش ، تسمى « عضلات انكماش الرحم » . وهى تبدأ من أعلى جزء فى الرحم ، ومن الخلف (عند زاوية الرحم وعنقه) ، وتمتد على الجانبين وتحت البريتون ، ثم تحتضن كهف « دوجلاس » والشرج ، وتلتصق جيداً على جانبى الحوض من الخلف .

والعضلات القابضة (عضلات انكماش الرحم) مهمة فى الجماع ، وفى الحمل والولادة . ولهذا رسمت فى الرسم الثالث . وهى تجذب الجزء الأسفل من الرحم إلى أعلى وإلى الخلف — مما ييسر عودة الرحم إلى وضعه الأصلى المائل ، كما يمنع تزحزحه حين يشتد الضغط إلى أسفل عند الولادة فى أواخر الحمل .

والزوج الثالث : عضلات معلقة تمر من جانبى الرحم إلى أسفل إلى جوانب الحوض الداخلية . وتسمى « العضلات العريضة » ، وتتكون من امتداد هربى (بريتونى) يحوى الأعصاب والأوعية الدموية التى تزود الرحم من جانبى الجسم .

ولكن هذه الأزواج العضلية الثلاثة لا تكفى بالرغم من قوتها — لتعليق الرحم تعليقاً محكماً . فأقوى الدعائم هنا هى الوسادة العضلية المرنة المطاطة عند قاعدة « العضلات العريضة » حول « عنق الرحم » ، وهى تنبسط كالوسادة إلى الأمام والخلف وإلى أعلى وأسفل .

وأوضحت بحوث « مارتن » من « البرفلد » أن هذا الجهاز الواقى

يتيح لأعضاء الحوض ، لاسيما الرحم والمهبل ـ أن تتـأثر بمرونة بكل ضغط بطني مفاجيء أو مستمر ـ مثل السعال والصعود أو الإجهاد ـ دون أن تتزحزح أو تغير مكانها تغيراً دائمـاً و بفضل هذا الجهاز الواقى ترتد الأعضاء بمرونة إلى مواضعها مادامت سليمة .

ولـكن يمكن أن تضيع هذه المرونة إذا تعرضت لإجهاد شـديد مفرط ، فمن الضرورى توقى أسباب هذا الإجهـاد بتقوية قاعدة الحوض وزيادة متانته ، فقاعدة الحوض هى التى تضغط عليها محتويات الحوض من أعلى .

فهناك ضرورتان لحفظ أعضاء الحوض فى مواضعها الثابتة العادية :

أولا : جهاز للتعليق سليم المرونة .

ثانياً : عضلات حوضية قوية مناسبة للتدعيم والإسناد التام المتين :

وتجويف الرحم طوله ٧ سم فى المرأة التى لم تلد ، وطوله أكثر من ٨ سم فى الوالدة . وهو لايأخذ إلا حجمًا صغيراً عموديًا . ولـكنه مائل يشبه المثلث ، وقاعدته هى قاعدة الرحم . وقمة المثلث متجهة إلى أسفل ، وتنوى فى الزاوية بين جسم الرحم وعنقه ، حيث تـكون فتحة ضيقة جداً فى عنق الرحم نفسه . ولا يزيد اتساع هـذه الفتحة عن ثلاثة ملليمترات على الأكثر .

و يفتتح عنق الرحم من الطرف الآخر فى المهبل طبعًا «بفتحة الرحم»

وقد تسمى « الفتحة الخارجية » لتميزها عن الانكماش الحادث عند اتحاد عنق الرحم وجسمه ، ويسمى « فتحة الرحم الداخلية » .

وأركان المساحة المثلثة تسمى زوايا فالوب ، وفيها ينكمش حجم الرحم ويصير فتحات ضيقة جداً ، تنفذ من الجانب إلى قناتى فالوب .

وتجويف الرحم مبطن بالغشاء المخاطى الغنى بغدد الإفراز ، وله أعمال هامة فى حفظ البويضة المخصبة وتغذيتها . وهذه الأعمال تنطوى على تغييرات عظيمة فى الرحم نفسه .

يستعد الرحم فى كل شهر قمرى (كل أربعة أسابيع) لتأدية عمله ، وبسبب هذا الاستعداد يحدث تغير كبير . فإذا ذهب عبثاً هذا الاستعداد للضيف (البويضة) ، فلم تخصب بويضة ، تهدم هذا الاستعداد وذاب بسرعة ، وقذفت الإفرازات المخاطية إلى الخارج مصحوبة بقدر كبير من الدم والسائل الدموى ، وذلك هو الطمث المتكرر أو العادة الشهرية .

وبعد الطمث تبقى فى الرحم الطبقة السفلى من الغشاء المخاطى . وتظل ساكنة خاملة حتى تحس بدافع يجعلها تستعد ثانية لاستقبال بويضة أخرى . فإذا ذهب هذا الاستعداد الثانى عبثاً ولم يحدث إخصاب ، قذفت إلى الخارج الخلايا البشرية والإفرازات فى دورة شهرية ثانية . وفى سنوات النضوج الجنسى تتكرر هذه الظاهرة بانتظام

شهري ولا تنقطع إلا إذا حدث حمل . وهو غاية ما يصبو إليه الرحم ويستعد .

سنتحدث عن الحيض (الطمث) فى الفصل القادم وعلاقته بالتغيرات المنتظمة التى تصاحبه ، وتأثيره فى الوظائف النسوية الحيوية وفى تأثيرها وتوقفها على عمل المبيضين .

يتراوح سمك جدران الرحم العضلية بين ١ سم و ١٫٥ سم ، وهى أسمك ماتكون فى جسم الرحم - لا فى عنقه . وعضلة الرحم عضلة قوية جداً ، ولذلك تستطيع أن تقذف الطفل إلى الخارج فى أثناء انقباضات الولادة . واستعداداً لهذا العمل العظيم يستعد الرحم خلال الحمل استعداداً عظيماً بزيادة نسيجه العضلى ، فيزيد العضو من خمسين جراماً أو سبعين إلى ٩٠٠ جم أو ١٢٠٠ جم عقب الولادة مباشرة . (الوزن الأصلى لرحم العذراء ٥٠ جم ، ووزن رحم الوالدة ٦٠ أو ٧٠ جم ، ويتضخم استعداداً للولادة إلى ٩٠٠ أو ١٢٠٠ جم) .

ولكن حتى فى حالة عدم الحمل يستطيع الرحم أن يطرد الدم والخلايا البشرية بقوه عظيمة . وتمتد الألياف العصبية فى كل اتجاه ، ولكن أهم اتجاهاتها يبدأ من ثغور القنوات نحو الرحم وعنقه .

ينبذ الرحم نبذاً آلياً كل شيء ، ويقذف كل محتوياته عدا ثمرة الحمل (الجنين) قبل أن ينضج للولادة . وهذه المحتويات الأخرى تخرج أجساماً صلبة أو سوائل متجمعة ، كما أن العضلة تنكمش انكماشاً

آلياً حين تتأثر بالمؤثرات المنقولة بطريق الدم أو الأعصاب .

وتختلف النساء فى انقباضات الرحم ، فهى تبدأ فى بعض النساء خفيفة ثم تزداد قوة ، وتبقى مدة قصيرة على أشدها ، ثم تذوى . وبعد فترة من الراحة تعود الانقباضات ثانياً ، وتظهر هذه الأعراض بوضوح فى أثناء الولادة (آلام الوضع) ولـكن يمكن التحقق منها فى غير الحمل .

ويصاحب الانقباضات الرحمية القوية ـ آلام فريدة غريبة ؛ وتعرف النساء جيداً طبيعة هذا الألم الحاد فى أثناء الولادة وغيرها .

ولا تحدث آلام أو لا تشعر المرأة بالآلام إذا كانت الانقباضات خفيفة أو حين لاتحدث مقاومة . ومن حسن الحظ أن هذا لا يحدث حين يتشنج الرحم أو حين يحدث ألم حاد شديد مفاجىء فى أعظم لحظات الجماع وأشدها .

ويغطى الغشاء البريتونى الرحم من الخارج ، فالرحم يتلفع بالغشاء البرتونى من كل جهة عدا الأشرطة العضلية الضيقة على الجانبين حيث تتصل العضلات العريضة والسطح الأسفل الخارجى للرحم .

وفى الرسم الثانى يتضح أن البريتون لايمتد إلى أسفل من الأمام بقدر مايمتد من الخلف ، كما أنه من أمام لا يبلغ الجدار المهبلى . فالبريتون يحيط الرحم ويلفه بالعضلات المدعمة . أما من الأمام ـ أى بين الرحم والمثانة ـ فهو طليق يكوّن ثنية أو جيباً هو الجيب الثانى الرحمى . وفى

هذه الناحية بالذات يمكن تحريك الغشاء البريتونى تحريكا جانبياً.[1]

وعند الجزء الأمامى من الجسم ، يغطى الغشـاء البريتونى معظم سطح المثانة العلوى و يمتد فوق الجدار الداخلى الأمامى أعلى العانة .

ذكرنا (الثنية البريتونية الخلفية) فى الجزء الأسـفل من جيب دجلاس . ومنه يمتد الغشـاء البريتونى فوق مقدمة العمود الفقرى وجوانب الجدار البطنى .

يبطن هذا الغشاء الرقيق الشفاه تجويف البطن ، كما يغطى الأجزاء الداخلية . وتثوى الأعضاء الجنسـية الداخلية ـ عدا الفرج ـ داخل التجويف البريتونى ، الذى يدعمه و يغطيه غشاء برتونى مزدوج يمتد خلال الحوض . وقد حاولت توضيح ذلك فى الرسم الثـانى ـ لتعقد مواضع هذه الأجزاء بعضها بالنسبة لبعض . ولنلاحظ أن التجويف البرتونى الأسفل يمتلىء بالأمعاء التى تحيط بالأعضاء الجنسية من كل ناحية .

•

إن قرب الأعضاء الجنسية من البرتون خطير جـداً ، لأن مخارج الأعضاء الجنسية ونشاطها قد ينقل أنواع العدوى إلى أعمق أغوار الجسم .

تنضم قناتا البيض إلى الرحم من الجانبين (١١ فى الرسم الثانى) ،

---

(١) فالرسم يظهر شريطاً أبيض بين الرحم البنى والغشاء البريتونى الأحمر . ولـكن هذا الشريط لا يعنى أن ثمة طبقة عظيمة من النسيج الضام ، فلم تترك هذه المساحة إلا للتسهيل والتوضيح .

وهما ممران أو قناتان يتراوح طول الواحدة بين ١٠ ، ٢٥ سم ،وتتقوس إلى الخارج نحو جوانب البطن . وعند اتصالها بالرحم تضيق ضيقاً شديداً، ثم تتدرج فى الاتساع نحو الجوانب ؛ ومن ثم سميت « البوق » .

تحاط قناتا البيض بالحوافى العليا الخالصة من العضلات العريضة ، وهذه الحوافى تدعمها . وجزؤها الجانبي المقوس المخروطى يثوى مستقلا فى تجويف البطن . ومنظر الثنايا الطولية الرقيقة والحوافى الكثيرة المفتولة الحمراء القائمة فى نهايتى الأنبوبتين يشبه حوافى زهرة ملونة ذكية الرائحة .

وثمة طريق مستمر غير متصل بين الفتحة الحسية الخارجية (فتحة المهبل) وتجويف البطن . وهو أمر هام ، ولكن يجب أن تتذكر أن هناك عقبات قرب الجدران المهبلية هى سدادة كرستلر الهلامية والسائل الخفيف الذى تفرزه القناتان . ولكن إذا حقن سائل فى المهبل أو الرحم فإنه يستطيع الدخول فى القناتين ، ومن هناك يتسرب إلى التجويف الهربى (البرتونى) . وهذا التجويف عظيم القدرة على الامتصاص ، ومن ثم قد يحدث تسمم أو التهاب موضعى أو التهاب هربى عام .

وفى داخل كل أنبوبة ثنايا وأخاديد لاحصر لها ، وهناك شعيرات أو زوائد دائمة الحركة نحو الرحم . وهذه الخلايا السطحية لاتنقطع أبداً عن الاهتزاز والرعشة طول حياة المرأة ، فهى تشبه مضخات صغيرة

كاسحة وتحدث تياراً شعرياً هدبياً دائماً يتجه من الجسم نحو الرحم . وهو يساعد الأنبوبتين على تأدية عملهما وهو جذب البويضة والمنى ونقل البيضة المخصبة إلى الرحم ، ويساعد هذا التيار الشعرى فى الحمل تأثيراً مزدوجاً ، فتأثيره فى البويضات والمنى تأثير مكمل ولكنه عكسى .

والتيار الشعرى والزوائد المتموجة تسحب البيضة عند مغادرتها المبيض إلى فتحتى الأنبوبتين المخروطيتين داخل الجسم ، حيث تخصب ، ثم تقذفها إلى الرحم حيث تستقر وتتغذى ، وتتعاون الحركة الطاردة للخارج والامتصاص فى الأنبوبتين على تهييج الخلايا المنوية ، فتدفعها إلى بذل جهود عنيفة مناوئة ، لأنها تمتاز بقوتها على الحركة المستقبلة وتفضل أن تسبح ضد التيار ، ويجب عليها أن تسبح فى الداخل إلى أعلى متجهة إلى المبيض .

فالتيار الشعرى فى قناتى البيض يوحّد الخليتين المكملتين المختلفتين (البويضة والخلية المنوية) وكل منهما تبحث عن الأخرى . واجتماع الخليتين هو الإخصاب أو الحمل ، ويحدث فى الجزء المقوس المنحنى من قناة المبيض . وهنا تنمو البيضة أسبوعاً (الأسبوع الأول) . ثم تنتقل فى الأنبوبة وتثوى فى الرحم . وفى قناة البيض يساعد التيار الشعرى المستمر فى اتجاه الرحم على نقل البويضة المخصبة وامتصاصها . (آراء سينا وميكولكز فى مجلة الولادة الألمانية فى العددين ٣٠ و ٤٢)

المبيضان

للمرأة مبيضان وقناتان لنقل البيض (البوقان) والمبيض بيضى الشكل ، وهو عمودى تقريباً ، وتتجه نهايته القصيرة إلى أعلى .

وطوله يتراوح بين ٣ ، ٥ سم وعرضه بين ١٫٥ و٣ سم وسمكه بين ٠٫٥ ، ٢٥ ، وقوامه مرن مطاط ، ولكنه متين جداً ، وسطحه الأعلى يتعرض لاختلالات دورية بسبب أكياس جراف ونموها ، وهى تحوى البويضات .

والأطراف العليا القصيرة المقوسة للمبيضين تقع فى تجويف البطن ، كما يقع فيه سطحاها الداخليان . ويتصل السطح المسطح الطولى بالعضلات العريضة من الخلف على الجانبين ، كما أن لكل مبيض عضلة تربطه بحافة الرحم من الجانب وثمة شريط لتعليق المبيض (٩ فى الرسم الثانى) يربطه بجوار الحوض ، وبذلك يبقى الحوض فى مكانه ولو أنه يتزحزح قليلا . وتفتح القناتان بجوار حافتى المبيضين الخلفيتين والجزء الأوسط من سطحيهما .

وفى المبيضين تتكون البويضات ، ثم تطرد أو تقذف من هناك . وتكوين البيض وقذفه عملان مستمران لا ينقطعان ، وكذلك تتكون الحبوب أو الأكياس باستمرار وانتظام ، وتمتلىء بمادة سائلة ثم تحوى بويضة واحدة ، وبعد أربعة أسابيع تكون الأكياس قد نضجت فى

المبيض الأيمن ، و بعد أربعة أسابيع أخر تنضج أكياس فى المبيض الأيسر ، ثم يحدث التبادل ، فتنضج فى الأيمن ، وهكذا .

ومع ذلك فلا نؤكد أن المبيضين يتبادلان إنتاج البيضة الشهرية .

كيس جراف

تنمو الأكياس وتنضج وتستعد لقذف البيضة . وتسمى أكياس جراف (أو جيوب جراف) باسم « رجنيرد جراف » الذى كشف طريقة التبويض فى المرأة (وقد مات فى دلفت سنة ١٦٧٣) .

ينمو حجم كيس جراف حتى يقرب من السطح الأعلى للمبيض ، فينحنى هذا السطح ويتقوس بضغط الكيس النامى المتضخم ، ثم ينفجر . وقد يبلغ حجم الكيس حجم ثمرة الكراز الصغيرة (كريز) .

وحين ينفجر الكيس يندفع منه سائل يحمل معه البيضة إلى تجويف البطن قرب فتحة قناة البيض التى تمتصها إلى داخلها – كما أسلفنا الوصف (وقطر البيضة خمس مليمتر : ٠,٢ مم) .

لا ينتهى نشاط الكيس المتفجر بقذف البيضة ، إذ لا يلبث الكيس أن يكون سلسلة من النتوءات ، ويصير غدة صفراء يَقَق (شديدة الصفرة) هى الجسم الأصفر وسمها اللاتينى (كربس لوتيم) .

يفرز « الجسم الأصفر » مواد تسرى فى الدم ، وتؤثر فى الجسم كله تأثيراً شديداً ، كما تؤثر فى الأغشية المخاطية التى تبطن الرحم .

وإذا حدث حمل عقب قذف البيضة، تضخم «الجسم الأصفر» ونما خلال بضعة أشهر. فإذا لم يحدث حمل، ذاب الجسم الأصفر وتناثر تاركا ندبة ضئيلة على سطح المبيض الأعلى.

يحتاج كل كيس إلى أربعة أسابيع ليتم نموه ونضجه. ولكن معظم هذه الأكياس الكثيرة لا يكمل نضجه، بل تنحل وتعمل خلاياها عمل الغدد، يساعدها على ذلك نسيج الفجوات فى المبيضين (إفراز داخلى).

فالمبيض عضو يفرز إفرازاً خارجياً (البيضة)، وإفرازاً داخلياً. وإفرازه الخارجى دورى مستمر، أما إفرازه الداخلى فمتجدد مستمر إلى حد ما.

وقد أشرنا فى الفصل الثانى إلى أهمية هذه الإفرازات ووظائفها فى توجيه الدوافع الجنسية. وسنرى كيف تؤثر فى الطمث وفى الجسم كله وفى نشاط المرأة الناضجة.

الفصل السادس

الوظائف الجنسية فى المرأة البالغة

نشاط المبيض. انتظام المظاهر الحيوية فى الجسم النسوى . الطمث

تمتاز المسائل التى سندرسها الآن بتعقيدها الزائد ـ لتشابك أعمالها ووسائلها ، ولصعوبة فهم أسبابها ، ولجهلنا حتى الآن ببعض نواحيها .

ومع ذلك ، يجب أن نوضح نشاط المبيض ونكوّن عنه فكرة صحيحة ، لأن أهم مظاهر حياة المرأة البدنية تتأثر بل تخضع تماماً للمبيضين ، وكذلك تتأثر بها مظاهر حياتها العقلية والعاطفية إلى حد ما .

وفى قول مأثور : « تتأثر حياة المرأة من كل نواحيها بالمبيضين »

فما عمل المبيضين ؟

سنتحدث عنهما بلفظ « المبيض » لمجرد التسهيل ، ولو أن المبيض مبيضان وعمله عملان .

يفرز المبيض البويضات (وهى الخلايا التناسلية النسوية) ، ثم يحميها وينميها . وقد عرفنا الآن كيف يفرز البويضة ويقذفها ، ونحن فى ذلك مدينون للمجهر ووسائله . ومع ذلك فهناك مشاكل .

متى تقذف البويضة ؟

وهل يحدث القذف بانتظام وفى فترات دائمة ؟

وما علاقة قذف البويضة بالدماء المقذوفة بالطمث كل أربعة أسابيع من الرحم ؟

الطمث هام لانتظامه الظاهر ولأنه الدليل على عدم الحمل . ويعتمد عليه النساء والأطباء دائماً فى كل مكان لمعرفة مايحدث من أمور خطيرة داخل الأعضاء الجنسية بملاحظة ظهوره أو توقفه . وسنتخذ فترة الطمث مقياساً زمنياً فى تعرف أطوار التكاثر وغيرها من مظاهر النشاط الحيوى الكثيرة .

وحياة المرأة غير الحامل سلسلة من الدورات الشهرية المنتظمة المتحددة . والدورة الشهرية شهر قمرى أى أربعة أسابيع . وسنقسمها إلى أطوار تبدأ باليوم الأول بعد انقطاع الطمث ، وتنتهى باليوم الثامن والعشرين الذى يعود به الطمث إلى الظهور .

فى أى يوم من أربعة الأسابيع يحدث قذف البويضة ؟

استرعى هذا السؤال الاهتمام لأهميته العملية والنظرية ، فالأيام التى تعقب التبويض مباشرة هى أنسب فترة للإخصاب ، ولهذا حاول الجميع تحديد هذا اليوم دون الوصول إلى نتائج متفقة مضمونة .

وقد بلغنا من العلم مرحلة أكمل فى السنوات الأخيرة ، وعلى الأخص بعد جراحة البطن والحوض . ولم يكن المقصود بهذه الجراحة البحث المبيضى ، بل كان هدفها علاج الإصابات والتضخم فى أعضاء الحوض

المجاورة وفى الأعضاء الجنسية ، ودامت هذه الجراحة وبحوثها فترات طويلة من الزمن ولم تكن محصورة فى دراسة أطوار الطمث الشهرى . ودعمت هذه المعرفة ملاحظات دقيقة على نساء نضجت فيهن أكياس جراف . ونتيجة لهذه البحوث أستطيع أن أصف قذف البيضة .

يبدأ كيس جديد من أكياس جراف فى النضج فى المبيض قبيل بدء الطمث بيومين و بعد فناء بيضة غير مخصبة . و يستمر النضج منتظما ، وقد لاحظت ـ وأيدنى فى ذلك آخرون ـ أن النضج يستمر حتى اليوم الحادى عشر أو الثانى عشر ، بل الثالث عشر فى الفترة بين طمثين .

ومن الممكن التبكير أو التأخير فى قذف البويضة ، وقد يحدث التبكير بتأثير الجماع . ولكن يمكن أن نعتبر اليوم الثانى عشر بين فترتى الطمث هو اليوم المعتاد غالباً لانفجار الكيس وقذف البويضة . وتسحب البويضة نحو البوق (ممر البويضات) ، وتبقى فيه حية نحو خمسة عشر يوماً ، وتفنى إذا لم تخصب . وسرعان ما يتكون كيس جديد وتتكرر الدورة .

يتوتر المبيض توتراً مستمراً بسبب إنضاج الأكياس الدقيقة إنضاجاً لا يقف ولا ينقطع . ويزيد هذا التوتر (الضغط) إفرازُ سائل فى كيس جراف الدقيق ، ويبلغ الضغط أقصاه قبيل انفجار الكيس ثم يهبط الضغط فجأة .

ومقدار السائل فى الكيس كبير ، وقذفه من الكيس ينقص الضغط نقصاً كبيراً فى المبيض كله ، ولعل ضغطه يهبط إلى درجة تقل عن درجته قبل تكوين كيس جراف . ولا يلبث هذا الضغط أن يعود إلى الزيادة حين ينضج كيس جديد حتى تنتهى دورته ، وتبدأ موجة حيوية أخرى . وهكذا يعقب الضغط انفجار ، ويعقب التوتر ارتخاء .

وفى بعض النساء ، يدفع ضغط المبيضين المرأة إلى رغبة جامحة فى الجماع خلال الأيام التى تسبق انفجار الكيس مباشرة . وقد أشرت إلى ذلك فى الفصل الثانى .

ولتقدير الطريقة المعقدة التى تلجأ إليها الطبيعة فى التكاثر وحفظ النوع يجب استيعاب الحقائق المتداخلة الآتية ـ كلٌ منها على حدة :

أولاً : البضاع فى الأيام السابقة لانفجار الكيس الناضج قد يكون دافعاً إلى قذف البويضة ـ بسبب الاحتقان وزيادة الضغط وربما بتأثير التوتر (الاهتزاز الذاتى) المنتظم .

ثانياً : فى هذا الوقت يقل مقدار حموضة الإفرازات المهبلية مما يناسب صيانة الخلايا المنوية .

ثالثاً : بعد قذف البويضة مباشرة ، تكون الأعضاء الجنسية الداخلية بل الجسم كله على أتم استعداد وأحسن حال لتقديم أحسن الفرص وأفضلها لتبقى البويضة حية .

عرفنا إذن كيف يؤدى المبيض رسالته الأولى ـ بالتعاون مع سائر الأعضاء الجنسية . وهذا الانتظام الإيقاعى فى تموجات النشاط بين نضج الكيس وتوتر المبيض يوضحه الرسم الخامس بالخط الأسفل الأسود .

فكيف يؤدى المبيض رسالته الثانية ؟ أى كيف يحمى البيضة المقذوفة ؟

يُعِدُّ المبيض أحسن الظروف الممكنة فى الجسم كله لحفظ البويضة وحمايتها وتنميتها . ويستعين المبيض على ذلك بغدته « النسيج الأصفر » ذات الإفراز الداخلى الذى يسرى إلى الدم مباشرة دون قناة ، فينقله الدم إلى الأماكن المناسبة حيث يؤثر تأثيراً فعالاً .

ولكن « الجسم الأصفر » ليس دائم العمل ، فهو لا يعمل بنشاط إلا إذا كانت بيضته موجودة ، فهو يتبع البيضة ويعمل لخدمتها وحدها ثم تنقضى ثمانية أيام يذوى فيها ويتناثر .

وإذا لقحت البويضة وخصبت بقى « الجسم الأصفر » وتضخم بعكس الحال إذا لم يظهر حمل . أما إذا ماتت البويضة لعدم إخصابها فإن « الجسم الأصفر » يذوى حالاً وينكمش وينهار تأثيره المميز .

مع ذلك ينشأ فى الوقت نفسه « جسم أصفر » جديد غَضٌّ ، ينمو فى الحال مع نمو كيس جديد من أكياس جراف . وعند انفجار كيس وتحوله إلى « جسم أصفر » يتجلى عمل إفرازه الداخلى .

لا نستطيع أن نحدد بدقة تامة كيف يستمر هذا النشاط من يوم إلى يوم مع أننا استطعنا أن نفهم هذا النشاط فى أعضاء داخلية خفية كالمبيض.

ولكن بحوث ل . فرنكل ، ر . شرودر ، ر . مير وغيرهم تمكننا من القول بأن الجسم الأصفر ينمو بسرعة فى أربعة الأيام الأولى ثم يبطىء نموه فى أربعة الأيام التالية ، فهو يزدهر تماماً بعد ثمانية أيام . وخلال ستة الأيام أو سبعة الأيام التالية يبلغ الجسم الأصفر غاية نشاطه ويتضخم قليلاً ، حتى إذا انقرضت البويضة صار الجسم الأصفر دون قيمة أو عمل . وسرعان ما يذوب ، وبعد ثمانية أيام يتضاءل بدرجة تعجز عن أى عمل . ويمثل الخط الأصفر فى الرسم الخامس كل هذا ، فيوضح نمو الجسم الأصفر وانحلاله وأنواع نشاطه المختلفة فى أثناء ذلك .

وعند مقارنة الخط الأسفل الأسود بالخط الأصفر ، نرى أن تموجات تطورهما منسجمة متناسقة باستمرار . ويبدأ جسم أصفر جديد بمجرد انفجار كيس ، فيبدأ موجة كيسية جديدة بمجرد انهيار الخط الأصفر .

وأعلى ذرى الجزر هو قذف البويضة وانقراضها . وثمة تفاعل مشترك متداخل بين قذف البيضة وانقراضها ، فالجسم الأصفر يمنع تكوين كيس جديد لا داعى له مادام هناك استعداد لاستقبال بويضة مقذوفة حديثاً (واستعداد لحفظها) . وبمجرد قذف البويضة من جسم المرأة ينتهى دور « الجسم الأصفر » فيتضاءل إفرازه الخاص

ويتضاءل حجمه ، ويزول ما يمنع تكوين كيس جديد ، فتبدأ نشأة كيس . وتنمو بويضة أخرى .

ولكن كيف يتسبب انفجار الكيس فى نمو « الجسم الأصفر » ؟ وكيف يؤدى انقراض البويضة إلى انحلال « الجسم الأصفر » ؟

لعلنا نستطيع الإجابة على السؤال الأول بافتراض أن هناك تفاعلا بين الدم والسائل المصبوب فى التجويف البطنى حين ينفجر الكيس وعرض تعليل مماثل للسؤال الثانى ، ولكنه ليس إلا تأملا نظرياً ، والأفضل أن نضع علامة استفهام حتى نستطيع التفسير الصحيح .

وللجسم الأصفر نشاط مماثل ، أو لعله نشاط أقوى ، فهو يدفع الغشاء الداخلى للرحم إلى النمو ليكوّن للبويضة مهداً وغذاء . وأغشية الرحم صغيرة خاملة إلى حد ما ، ولكنها بتأثير إفرازات المبيض تزيد وتكوّن أجزاء مثالية للحمل . ويغدو الغشاء نسيجاً عظيما ضخما .

وقد وصف أطوار نمو غشاء الرحم « هتشمان وأدلر » فى فينا سنة ١٩٠٧ ثم وضحها « ف . درسن » فى أمستردام بجهوده وبحوثه المجهرية الدقيقة . وقد أوضحت بالأرقام والرسم والأقواس النتائج التى سجلها فى صحيفة الولادة الرئيسية فى هولندا سنة ١٩١٥ .

يشير « درسن » إلى أطوار النمو الخاصة بالأغشية المخاطية بالحروف ا ، ب ، حـ ، ى . ولكنى استعملت الأرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ لأن هذه الأغشية لا تزول أبداً ، ولكنها تبقى خاملة فى الطور الأول (١)

وقد حسبت المتوسط من ملاحظات درسن عن كل يوم ، ومنها استنتجت المتوسط بطريقة « بلـكسام » . وأضيفت أعداد كل يوم إلى عدد اليوم السـابق واللاحق ثم قسمت على ثلاثة . وهى طريقة تمنع الاختلاف المرضى الطارىء بقدر الإمكان .

والخط الأحمر فى الرسم الخامس يمثل نمو غشاء الرحم ، وهو ينبعث عن طور الرقاد أو الخمول ، ويبدأ فى الارتفاع فى اليوم الثانى لظهور الجسم الأصفر ، ويتبع الزيادة المنتظمة فى نشاط الجسم الأصفر وأعماله ، ولـكنه لا يلاحقه لحاجة الغشاء إلى وقت كاف للنمو .

وخلال فترة الجفاف يتشابه الخطان تشابهاً عميقاً ، ويصلان للذروة فى يوم واحد . وبمجرد انقطاع تأثير الجسم الأصفر (وهو تأثير عظيم قوى) يهبط خط نمو الغشاء الرحمى ، ويعود إلى الخمول فى أيام قليلة .

يبدأ الطمث (الحيض) بعد هذا الهبوط بيوم أو يومين أو ثلاثة أيام أو أربعة ، ولـكنه يحدث بعد يومين غالباً .

ويصاحب الطمث ذوبان معظم الأغشية المخاطية المـكونة حديثاً وقذفها مع إفراز سائل رقيق دموى اللون ــ وقد يكون مملوءاً بالدم ــ ويستمر ذلك حتى انقطاع الطمث . والطمث أمر هام للجسم النسوى ، فهو مظهر لراحة الجسم وارتخائه وانفعاله ، وسنعود إلى ذلك .

أما الخط الأحمر المنقوط ، فيمثل نتـائج بحث درسن فى الغشاء المخـاطى ، وقد مثلتهـا بالأرقام والخطوط ، وهى توضح إفراز

« الجليكوجن » فى الأغشية المخاطية ، والجليكوجن مادة وسط بين السكر والمواد النشوية ، وهى احتياطى هام للتغذية . وتكوين هذه المادة وحفظها فى المهد المعد لاستقبال البويضة من علامات الاستعداد للحمل .

يوازى هذا الخط (الأحمر المنقوط) الخط الأحمر المستمر ، ويرتفع بعد يومين من تكوين « الجسم الأصفر » ، ويتبع نشاطه فى العمل ، ثم يهبط فجأة بمجرد ذبوله وتناثره [١]

يساهم الثديان (وهما عضوان جنسيان) فى خط الطمث [٢] ، «وهما يتبعان الأطوار الثلاثة التى يتبعها الجسم الأصفر» : وهى الصعود ، والذروة ، ثم الهبوط .

وقد أثبت روزنبرج ذلك ببحوثه التشريحية المجهرية فى النهدين فى مختلف مراحل الذروة الشهرية . وعرض هذه التغيرات فى خط .

(١) اتبعت فى رسم هذا الخط الطريقة السابقة ، ولكن غشاء الرحم لايختفى مطلقاً بينما يختفى الجليكوجن ، ولذا استعملت حرف غ للدلالة على غيابه . فحرف درسن « د » يماثل رقم ٣ لا ٤ كما فى الخط الأحمر . والخط كله يمثل مقداراً أقل من هذه المادة .

وأخيراً لقد ضمت بحوث درسن المدة بين اليوم الأول حتى اليوم الثامن والعشرين . ولكنى أطلت المدة للتوضيح ، ولذا تكررت فترة الأيام بين ٢٥ ، ٦ .

(٢) ا . روزنبرج : « تغيرات النهدين فى الطمث » فى مجلة الولادة الألمانية العدد الثالث ١٩٢٣ .

أوضعته في الرسم الخامس . وقد جعلته في أعلاه لأن النهدين يرتخيان ارتخاء طفيفاً ، ولكن تغيرهما يستمر طوال الدورة ، ويؤيد حقائقها .

يحدث في النهد تضخم وتوتر (ضغط) وتشابه بالغدد ، وقد وصف هذه المظاهر روزنبرج وهي تشبه مظاهر تغير الغشاء الرحمي التي يحدثها الجسم الأصفر ، وتغيرات النهدين علامة مثالية على الاستعداد للحمل . وهكذا ينتظر إخصاب كل بويضة بمجرد خروجها من المبيض ، فيستعد الجسم للتغيرات التي تعقب هذا الإخصاب ؛ فإذا لم يحدث الإخصاب ، ولم تتحقق الأماني ، انهارت الاستعدادات وتناثرت .

يتضخم الثديان قبيل بدء الطمث ، فتتوتر الحلمة وتتصلب ، وقد يصيبهما الألم . ولكن هذا لا يساير التغيرات النهدية التدريجية بين فترتي الطمث - كما وصفها روزنبرج . فالعملان (المظهران) لا يتفقان في الزمن ، ثم إن التضخم الملحوظ قبيل الطمث يكون سريعاً حتى ليمكن اعتباره جزءاً من دورة الأيام الثمانية والعشرين .

لا يمكن الجزم بأن المرأة تشعر بالتغيرات الدورية الثديية التي وصفها روزنبرج ، فقد يشعر بها بعض النساء ، وقد لا تشعر الأخريات .

ولكن التضخم الثديي السريع قبل الطمث ملحوظ ملموس ، ولعله يرجع إلى تدفق الدم واتساع الأوعية الدموية الصغيرة . وقد يحدث

هذا بالفعل المنعكس خلال الأعصاب وليس فقط بسبب الإفراز الكيموى من الغدد الصم؛ فتضخم الثدى العابر قد يكون عصبياً وليس كيموياً فقط .

وأحسن مايعلل لنا هذه المسائل مانلاحظه من ارتخاء الثديين ارتخاء سريعاً تشعر به النساء بين دورتى الطمث ـ أى قبيل انفجار كيس جراف .

وليس فى هذه الحال مايدعو لتضخم الأنسجة الغدية ، ومع ذلك فهى تتضخم بسبب تدفق الدم الناشىء عن شدة ضغط المبيضين فى هذا الوقت (كما يؤيد ذلك الخط الأسود فى الرسم الخامس) ويظهر هذا التضخم فى الرحم . وقد أظهر « ب . شتراسمان » تأثير ضغط المبيضين بحقن الجلاتين فيهما ، فكان التأثير آلياً ، وزاد الضغط ، ولكنه أحدث تضخماً مماثلاً .

تأثير المبيضين فى الجسم

رأينا ما لعمل المبيض من تأثير قوى في المجال الجنسى ، وسنذكر تأثيره فى جسم المرأة كله .

تظهر اختلافات منتظمة فى الشدة فى أهم الوظائف الحيوية فى جسم المرأة البالغة فى فترة محدودة . وقد ظهر ذلك سنة ١٨٧٥ لمارى بتنام جاكولى بعد مقال جدمان فى صحيفة « أمراض النساء » الأمريكية

سنة ١٨٧٨ وأيد هذه الحقيقة كثير من الباحثين بعد ذلك .

يسبق الحيض الشهرى طور شديد نشيط ، ثم طور ضعيف من الارتخاء يساير الحيض ، ثم يزداد شدة بالتدريج ، ثم يهدأ ويهبط . وإذا لم يحدث الحمل تكررت الدورة نفسها خلال فترة النشاط الحسى بانتظام ملحوظ كل أربعة أسابيع .

تشمل هذه الدورة الشهرية ارتفاعاً ، وذروة ثم هبوطاً، وهى تؤثر فى حرارة الجسم وعمل القلب وضغط الدم وقوة العضلات وإفراز البول وتمثيل الطعام ، وظهر أخيراً تأثيرها فى الأعضاء الجنسية الهامة . وما زالت الأدلة تتوالى وتتكاثر وتثبت أن كثيراً من الأعمال الحيوية الهامة فى الجسم النسوى تتبع هذا الانتظام الشهرى فى التوتر والارتخاء . وهى تشبه جزر البحر ومده بتأثير القمر .

نشرتُ تقريراً سنة ١٩٠٤ فى هارلم عن «العلاقة بين نشاط المبيض ، والدورة الشهرية ، والحيض » وقد أشرت فيه إلى وضوح هذا الانتظام فى حرارة الجسم ، وهى تتبع خطاً واضحاً يوازى خط الأعمال الحيوية الأخرى ، ويمكن اعتباره ممثلا لباقيها . وقلت إن الأمر يتضح بحرارة الصباح الباكر ، إذ يظهر تغيرها وتأثرها بالأسباب الخارجية كالحركة العضلية والهضم وغيرهما إذا قيست الحرارة عند اليقظة كل صباح فى وقت واحد . وتصحح النتيجة حسب طريقة بلكسام السابقة ، فتضاف

درجة اليوم السابق ودرجة اليوم اللاحق وتقسم النتيجة على ثلاثة ، وبذلك يتخلص الخط من تأثير الحرارة العابرة والحوادث . وقد نشرت خطوطاً بيانية للتمثيل على ما أقول ، ومن تلك اللحظة تأتيني بيانات كثيرة عن درجات الحرارة الصباحية فى النساء والفتيات .

يستطيع أى طبيب أن يتأكد من هذه الملاحظات بإقناع سيدة بقياس حرارتها بمقياس دقيق مضمون وتسجيلها كلما استيقظت فى الصباح الباكر ، ولكن يشترط فى السيدة أن تكون دقيقة حساسة الضمير ، صحيحة الجسم غير معتلة ، ناضجة بالغة حسياً ، منتظمة فى حياتها . وهذه الصفات ضرورية لا غنى عنها لبلوغ نتائج مضمونة . وقد أكدت ذلك سنة ١٩٠٤ وأعود إلى تأكيد هذه الصفات لأن بعض الباحثين أهملوها فلم يستطيعوا التحقق من خط الدورة الشهرية .

وأود أن أضيف إلى ذلك أن السيدة يجب أن تكون متعلمة مرفهة ناعمة فى بيتها ، لأنى لم أوفق فى الحصول على أى معلومات مفيدة من السيدات الفقيرات رغم دقة إرشادى ـ فدقة الإرشاد لاتدل على النتائج المنتظرة !

ولا تنفع درجات الحرارة التى تقيسها المرضات فى المستشفيات ، فهى غير مضمونة للسبب السابق ، ولأن ساعة الصبح الباكر فى المستشفى هى أسوأ ساعات اليوم وأشدها ضجة وإقلاقاً ، كما أن هؤلاء المريضات

بعيدات عن الصحة التامة طبعاً .

زادت معلوماتنا فى ناحيتين هامتين هما :

ا ـ أهمية « الجسم الأصفر » وإفرازاته بدون قنوات . ونحن مدينون فى ذلك لبحوث ل . فرنسكل ، وفون برن .

ب ـ تضخم غشاء الرحم المتجدد ، الذى يبلغ ذروته عند تدفق الحيض وقد درسه هتشمان وأدار ودرسن ، وقد انتهينا من دراسة هذين العملين كما يتضح فى تعرجات الخطين الأصفر والأحمر فى الرسم الخامس .

ونتيجة لهذه الزيادة فى معلوماتنا راجعت آرائى المذكورة منذ عشرين سنة عن الوظائف النسوية ، والحيض ، ونشاط المبيضين ، ومظهر الاختلاف فى حرارة البدن.

ولنراجع الآن هذه الخطوط ونقارنها بالخط الأسود الدال على حرارة الصبح (بعد تصحيحه بطريقة بلكسام) من ناحية تمثيلها المظاهر الحيوية العامة ـ لا النواحى الجنسية .

وقد اخترت هذا الخط لأنه مأخوذ عن سيدة تحدد فيها يوم قذف الكيس .

وقد أمكن تحديد اليوم لأن أحد المبيضين كان منخفضاً عن الثانى بدرجة غريبة فى داخل كهف دجلاس ، ومن ثم كان تمدده خلال نضوج البويضات واضحاً يحدث آلاما كثيرة للسيدة ، فقد كان المبيض المتضخم يضغط على المساحة الضيقة التى يتعلق فيها . وكان ارتخاء التوتر (زوال

الضغط) بعد تمزق كيس جراف شيئاً ترتاح له المرأة ، ولهـذا استطاعت هذه السيدة أن تحدد اليوم بل الساعة التي يحدث فيها التبويض ، كما أثبت الفحص الطبي صحة تشخيصها لحالها .

وشدة تعدد المبيض (وقد تحققت منه بتكرار الفحص خلال سنوات كثيرة رغم اختفائه فى أعمق مكان بالجسم) ونقص حجمه وارتخاؤه بعد قذف البويضة ، كل أولئك لا تدع مجـالا للشك . وقد كانت بعض هذه المظاهر تلاحظ وحدها بدون مايصحبها ، ولعل السبب فى ذلك يرجع لظروف خاصة كفراغ المعدة جزئياً أو موضع الكيس فوق المبيض .

وقد أتيحت لى الفرصة لملاحظة حالات مماثلة ، تفيد كثيراً فى تحديد وقت التبويض بدقة ودون جراحة . وفى إحدى الحالات الجراحية استطعت التحقق من حدوث تمزق الكيس قبل لحظات بشهادة عينى .

يكفى أن نتأمل الخط البيانى فنرى أن الخط الأسود (الوظائف الحيوية العامة) لا يقتصر على موازاة الخط الأحمر الرحمى ، بل يظهر تماثلا ملحوظاً مع حركة الخط الأصفر لنشاط المبيض (الجسم الأصفر) وهو يتبع الخط الأصفر تماماً ، وربما اتضح هذا أكثر لو كنت استعملت الاختلافات الأصلية قبل تصحيحها بطريقة بلكسام .

يقارن الجزء الأسفل من الخط الأدنى (فى الرسم السادس) بخط بلكسام الذى رافقه .

ومن المحتمل جداً فى الخطوط التى تظهر ميلاً شديداً أن هذا الجزء يمثل يوم التبويض (تمزق كيس البويضة : كيس جراف) .

وقد تظهر أكثر من نقطة عميقة فى هذا الخط ــ كما يبدو فى الرسم

السادس (ب) حيث لا تظهر النقطة العميقة الأولى ، ولكن تظهر النقطة الثانية .

وكانت هذه حال السيدة التي رسمنا حرارتها في الرسم الخامس ، وثمة حالات مشابهة . وحتى لو كانت تنقصنا المعلومات الكاملة ، ففي الإمكان أن نحصل على حرارة الأيام السابقة والتالية للتبويض وارتفاع الحرارة في الأيام التالية بالإضافة إلى ارتفاعها المنتظم بضعة أيام وكلها أمور لاتخطىء .

وإني لموقن بأن ارتفاع درجة حرارة الجسم ارتفاعاً مفاجئاً ليس مجرد دليل على نشاط الجسم الأصفر (قذف البويضة وتمزق كيسها) ، ولكنه ينشأ عن هذا النشاط . وارتفاع الحرارة إلى ذروتها وانخفاضها إلى الحضيض يحدثان نتيجة جفاف الجسم الأصفر وتناثر أجزائه .

وكانت آرائي في الحيض لا تقوم على هذه النتائج الحديثة ، ولذا لا أستطيع تقديمها دون تغيير ، ولكني لا أستطيع أن أغمض عيني عن التفاعل بين الوظائف المختلفة التي تظهرها خطوط الرسم الخامس .

يفرز الجسم الأصفر إفرازاً خاصاً ينشط الوظائف الحيوية العامة ، ويحدث تضخماً في غشاء الرحم . وانقطاع الجسم الأصفر عن النشاط أو نقص نشاطه يمثل وظائف الجسم ، ويحدث انهيار غشاء الرحم وتناثره وهو ما يسمى الحيض أو الطمث .

نستنتج أن السبب الفعـال هو إفراز غدة وليس تأثيراً عصبياً .

ويثبت هذا ماينتج عن الاستئصال ، وزرع الأعضاء فى جسم بعد نقلها من جسم آخر ، وغير ذلك مما تثبته كتب الولادة ومجلاتها ، وذكر الأمثلة يحتاج إلى وقت وصفحات يضيق بها هذا السفر .

سأذكر دليلين على أن الوظائف الحيوية العامة ـ التى تمثلهـا حرارة البدن وتفصح عنها ـ تتأثر بنشاط الجسم الأصفر :

فالدليل الأول أن الجسم الأصفر أزيل فى جراحة ، وحدث طمث كما أوضح فرنـكل ـ فانخفضت الحرارة انخفاضاً سريعاً مفاجئاً ، وتكسرت موجة الحيوية المنتظمة قبل موعدها . (ربما تعقدت الأمور لارتفاع درجة الحرارة نتيجة الجراحة نفسها) .

والدليل الثـانى : بعكس الدليل الأول فى طريقته وتدليله ؛ فالحرارة تستمر ولا تنخفض إذا استمر بقاء الجسم الأصفر ـ بدلاً من زواله عند انقراض البويضة ، وهذا مايحدث أول الحمل ، وقد عرفنا أن الجسم الأصفر يبقى بل يزيد ويكبر خلال أشهر الحمل الأولى ، كما أن الطمث يقف وينقطع ، وقد عرفنا كثيراً عن تطور غشاء الرحم ونموه .

وعرّفنا درسن بإفراز الجليـكوجن الغزير فى الرحم فى أشهر الحمل الأولى ، ونحن نعلم أن النهدين يكبران ويتضخمان تضخماً منتظماً بسبب زيادة النسيج الإفرازى (نسيج الغدة) فيهما ، وقد أثبت التشريح ذلك،

فإذا حدث حمل استمرت الزيادة فى نشاط المبيض والثدى والرحم واستمر صعود الخطوط الصفراء والزرقاء والخطين الأحمرين أو تستمر هذه الخطوط باقية فى ذروتها ، ولا تنخفض فى اليوم السادس عشر بعد قذف البويضة .

خط الحرارة فى أثناء الحمل

لم نعلم للآن إذا كان هـــذا ينطبق على الخط الأســود فى الرسم الخامس (خط الحرارة البدنية) . ولــكن جاءتنى أخــيراً سيدة فتية متزوجة تفيض صحة وعافية ، وتمتعت دائماً بانتظام الحيض كل ٢٨ يوماً ، وحملت أول مرة فى أثناء قياس حرارتها اليومية ، واستمرت فى قياسها بناء على طلبى حتى بدأت آلام الولادة . ولاحظت انتظام الارتفاع والانخفاض فى وظائفها الحيوية قبل الحمل وبعد الولادة . وقد انقطع طمثها الشهرى بعد الحمل وانقطع معه « هبوط الوظائف الحيوية » ، والعجيب أن الحرارة بقيت على متوسطها حتى نهاية الشهر الرابع ، ثم هبطت فجأة خــلال الشهرين الخامس والسادس وزادت انخفاضاً فى الشهر السابع . وشهر الحمل ٢٨ يوماً أو أربعة أسابيع مثل شهر الحيض .

وعند بدء الشهر الثامن ظهر مستوى جديد لدرجة الحرارة يماثل درجة الحرارة الوسطى خلال الطمث ، واستمر استمراراً ملحوظاً اثنى عشر أو أربعة عشر أسبوعاً ، حتى بدأت آلام المخاض . ويؤسفنى أنى

لا أستطيع أن أثبت هنا لوحة الرسم الخاصة بذلك ، فهى تشبه ٧ وطولها متر ونصف متر ، ولكنها طريقة هامة فاختصرتها ورسمت هيكلها مع جزء من الأصل فى الرسم الخامس .

يمثل الخط الأسفل الانتظام العادى ، ويتيح الفرصة لمقارنته بالخط المصحح بطريقة بلكسام . والرسم المختصر موجز لنقط بلكسيام كل يوم رابع . ولا تخلو حال هذه السيدة من طرافة أخرى ، فقد تحدد يوم الجماع الذى حدث فيه الحمل إذ لم يكن ثمة فرصة أخرى طوال تلك الفترة ، وكذلك كان يوم قذف البويضة محتملا للغاية ، وقد سبق المباضعة بثلاثة أيام (بعد اليوم الثانى عشر من الطمث السابق) . وبدأت آلام المخاض قبل ٢٧٠ يوماً تماماً قبل قذف البويضة (عشرة شهور قمرية) وليس بعد الطمث السابق بعشرة شهور قمرية – كما اعتاد الأطباء النسويون .

يساير خط الحرارة فى أثناء الحمل حال « الجسم الأصفر الغض » الذى يستمر فى نشاطه وتضخمه حتى نهاية الشهر الرابع ، ثم يذوى ويفنى بالتدريج . وخط الحمل لا يظهر اختلافاً كل أربعة أسابيع وهو فى ذلك يشبه خط الوظائف الحيوية فى امرأة جاوزت فترة النشاط الجنسى أو خط صبية لم تشرف على مرحلة البلوغ أو خط الرجل نفسه .

ويتوقف على حيوية المبيضين ونشاطهما اشتدادُ الوظائف الحيوية وهبوطها الدورى فى المرأة البالغة حسياً ، وكذلك الطمث وهو جزء من هذه الحركة المنتظمة .

تأثير الوظائف الدورية فى النفس والبدن

لقد أسهبت فى شرح هذه الوظائف لأهميتها القصوى فى حياة المرأة اليومية ، وأهميتها التالية لعشيرها ومن يجاورونها ، فهذه التغيرات لا تحدث دون أن يتأثر بها شعورها ، بل تتأثر بها أشد التأثر راحتها البدنية ، وطاقتها العقلية ، وقدرتها على مقاومة المرض ومغالبة الصعاب . وهكذا تتصوح أيام الحيوية والنشاط والاتزان ، وتنحسر عنها الحلاوة والآمال لتعقبها أيام مختلفة .

أما أيام النشاط والاتزان والاعتدال فهى تماثل الصعود والذروة فى موجة الحيوية[1] ، وأما الأيام الأخرى (أيام الهبوط الحيوى) فيمثلها يومان قبل قذف سوائل الطمث وفى أثناء الحيض ، كما يمثلها الجزء الأعمق الأسفل من التموج ، ولا سيما حين يكون هبوط الوظائف الحيوية ظاهراً ملحوظاً .

تمتاز هذه الأوقات بانخفاض قدرة الجسم على المقاومة ونقص حيويته ومهارته ورشاقته فى الحركة ، وميل للشكوى من الإرهاق والضيق

---

(١) ومن المهم ملاحظة أن النساء يشعرن بقوة عجيبة وانتعاش فى بدء الحمل . ولكنهن يفقدن هذه الصحة العقلية البدنية النفسية إن عاجلا أو آجلا خلال الشهور الوسطى لأسباب مختلفة يحدثها الحمل .

والألم[1] وتظهر أعراض المرض بسرعة كما يزيد الاستعداد للعدوى والإصابة .

أما الأعراض النفسية ، فهي أوضح فى أكثر النساء ، فالمرأة التى تحس عادة أنها ممتلئة صحة وعافية ، تطفح قوة وحيوية ، وتطفر منها علائم الصحة والانتعاش تشعر حينئذ بالهبوط والضيق والزهد ، بينما تكون غيرها أسرع تهيجاً وتأثراً ، وتظهر على بعض النساء أعراض جديدة لاعهد لهن بها مثل اضطراب المزاج وزيادة الحساسية والتهور والانتقال السريع من رأى إلى رأى ، والامتعاض ، والتهيج والغضب لأتفه الأسباب ، وتغير المشاعر والأفكار تغيراً سريعاً .

هذه الأحوال عادية، ولكنها قد تشتد بدرجة خطيرة أو تصبح مرضاً مستعصياً . وينبغى على السيدة وطبيبها وزوجها أن يلاحظوا هذه الانحرافات البدنية النفسية ، لأنها تحتاج إلى مقابلتها بضبط النفس ، واللباقة فى القول والعمل ، والحب الزوجى المتبادل .

تتكرر هذه الأعراض ، ويجب أن تكافحها المرأة دون أن يغيب عن بالها الاهتمام بنفسها بدنياً بقدر الإمكان ، وتفادى كل إجهاد أو توتر ، كما يجب أن تتحكم فى لسانها وطبعها ومزاجها ، لأنها إذا انساقت وراء لسانها ومزاجها تعرضت لمشاكل مؤلمة وأخطار ثقيلة .

---

(١) ذكر سنجر فى مجلة ألمانية نقلا عن توبلر أن ٥١ ٪ من النساء يشعرن بهذه الأعراض .

ولا يغيبن عن بال سيدة السبب البدنى فى هبوطها النفسى أو فى تهيجها ، وهو سبب لا تدركه دواماً .

وقد تظهر الحياة شيئاً ثقيلاً لا طعم له ، والدنيا سخافة ، وتتوهم أن زملاءها البشر علؤهم الشر ، أو تعتقد أن النـاس يسخرون منها ويستخفون أمرها فتستبد بها رغبة فى مهاجمة من تحبهم ، فحينئذ يجب عليها أن تضع نصب عينيها صورة الجزر والمد الإيقاعية المنتظمة ، التى تخضع لها حياتها ، فتستطيع أن تبتسم وتطرد الهم والحزن ، ولا تشعر بمرارة وهى تفكر وتقول لنفسها :

« سأرى الحياة الآن فى صورة أبهى وضوء منعش جديد »

ففى حياة المرأة أيام صعبة حقاً ، تهتاج فيها لأى سبب ، بل بدون سبب ، ولـكنها تستطيع بكبح جماحها وضبط نفسها أن تثبت كرامتها وذكاءها وحبها . أما زوجها فيحتاج إلى اللبـاقة والحنو وضبط النفس فى معاملتها وقت الحمل وكلما شذت أحوالها ، ولـكنه يجب أن يعاملها بهذه اللباقة والحنو وضبط النفس فى مناسبتين أخريين هما :

أولا : الأيام الأولى فى الحياة الزوجية .

وثانياً : الأيام الأولى فى الهبوط الحيوى الشهرى .

والمناسبة الثانية أشق وأدق ، لأنها تتـكرر دائماً ، ولا تقل عن الأولى فى أهميتها .

مقدار الطمث ومدته ووصفه

الطمث قذف الدم والمخاط من الفرج ، فترات منتظمة ما استمر ربيع البلوغ الحسى فى النساء العاديات ، ولا ينقطع إلا عند الحمل .

ونصف النساء تقريباً لا يصيبهن الحيض فى أثناء إرضاعهن طفلا . والفترة بين طمثين أربعة أسابيع منذ ينزل الحيض حتى يعود إلى الظهور . ولكن بعض النساء يصيبهن الحيض كل ٢٦ أو ٢٧ يوماً ، وبعضهن كل ٢٩ أو ٣٠ أو ٣١ يوماً وبعضهن كل ثلاثة أسابيع . وقد تختلف المدة فى المرأة الواحدة بين مرة وأخرى ، والاختلاف الشخصى عظيم . ويمتاز بعض النساء بانتظام العادة (فى وقتها) ولكن لا يعرف بعضهن متى تفاجئه العادة . وتتعقد الأمور فى هذا الصدد بالوراثة والخلقة والجسم ويزيدها تعقيداً تأثير الجو وطريقة الحياة .

ومع أن نشاط المبيض يؤثر تأثيراً أساسياً فى الحيض ، إلا أن الحيض يمكن أن يحدث فجأة لا بسبب المرض وحده ، ولكن نتيجة لعوامل أخرى توقفه أو تعوقه ، أو تمنعه ، أو تدفعه دفعاً إلى درجة النزف الدموى الخطير . وأقوى هذه الأسباب هى : تغير الجو فجأة والانفعالات والمشاعر النفسية التى تؤثر فى اضطرابات الحيض ، فصدمة الجزع الشديد أو الأسى ، بل الفرح الشديد المفاجىء ، قد ينزل الحيض قبل موعده ، أو يمنعه عادة ، ومثل هذه الأزمات النفسية قد تعرقل الإفرازات الشهرية

أو تمنعها تماماً . ولا يعرف مايحدث في هذه الحالات ، فهو أمر معقد حقاً . وتحدث نتائج مماثلة بالتنشيط العصبي الخفيف الذي يدفع الشعيرات الدموية الكثيرة في الأعضاء الجنسية إلى الانكماش أو التضخم .

ومثل هذه الأسباب النفسية تجعل الدم يتدفق في الأجزاء الممتلئة بالأوردة والأوعية الدموية ، أو تحدث شحوباً شديداً مفاجئاً يعقب انكماش عروق الدم عند الخوف أو الفزع .

وقد يمتنع الحيض إذا استمرت الحالات النفسية كأن يكون الحمل مرغوباً جداً ، أو مكروهاً مخيفاً ، وليس هذا أمراً نادراً .

وأخيراً نذكر ظهور الحيض قبل موعده في ليلة الزفاف أو نهاره ، وتلك ظاهرة شائعة ، ولذا تحاول الأمهات الحكيمات تفادي هذا الحادث المكروه عند الزفاف ، فيحددن لزفاف العروس يوماً لا يبعد كثيراً عن آخر يوم انقطع فيه الطمث .

يستمر خروج الحيض العادي أياماً ثلاثة قد تصل إلى خمسة . وهنا يتسع مجال الخلاف بين امرأة وأخرى ، وبين وقت وآخر بالنسبة للسيدة الواحدة . ويتوقف طول مدة الحيض على المرأة نفسها إلى حد ما؛ فالإجهاد الشديد في أثناء الطمث يزيد مقداره ومدته ، ومع ذلك تؤكد نساء كثيرات ، ومنهن الطبيبات ، أنهن يفقدن دماً أقل إذا واظبن على عملهن الشاق المهني ، بل إذا تجاوزن ذلك إلى الألعاب الرياضية

وغير الرياضية ، ويفقدن دماً أكثر إذا لزمن السرر .

وإجمالاً ، فالحيض قصير جداً إذا استمر يوماً أو يومين ، ولكنه ثقيل طويل إذا تجاوز أسبوعاً ، وإذا تكرر الحيض الطويل الأمد لزمت استشارة الطبيب .

يبدأ الحيض عادة بزيادة الإفراز المخاطي فيصير سائلا ملوناً بالدم ، ويكون لون الدم فيه خفيفاً أول الأمر ، ثم يصير قاتماً . ويبلغ فقدان الدم أقصاه فى اليوم الأول والثانى ، ثم ينقص بالتدريج ، ويتحول سائلا دموياً يجف بالتدريج . ولا يندر أن يتوقف الدم يوماً ، أو يوماً ونصف يوم بعد بدء الحيض بثلاثة أيام ، ثم يعود إلى التدفق مدة مماثلة .

ومقدار الدم المفقود مبالغ فيه عادة . وكان الأطباء يشتركون فى هذه المبالغة ، فقالوا إنها من ٩٠ إلى ٢٥٠ جراماً بل ٦٠٠ أحياناً ! وهذا خطأ ، فقد بحث الأمر هوب وسيلر وغيرهما بكل عناية ، واتضح أنه لايزيد عن خمسين جراماً كل شهر ، وفى الغالب لايتجاوز ثلاثين جراماً ، ومقدار الخسارة اليومية تتراوح بين ١٢ ، ٢٠ جراماً .

يميل كثير من النساء إلى المبالغة فى مقدار الدم المفقود ، إذا كان الدم كثيراً غير قليل جداً ، ولعل السبب فى ذلك أن أقل مقدار من الدم يستطيع أن يصبغ الماء الذى يغسلن فيه أعضاءهن الجنسية ، ويلوّن البول تلويناً عظيما ، كما تنتشر به مفروشات السرير والمناشف ،

فتظن المرأة خطأ أنها فقدت ما يملأ نصف حجرة من الدماء ! أما الدليل الحقيقى المضمون على فقدان دم كثير ، فهو العثور على بقع متجمدة من الدم يكون حجمها كبيراً معقولا .

يمتاز الإفراز الشهرى بأنه يظل سائلا عادة رغم عناصره الدموية ، وسبب ذلك مايصاحبه من إفراز مخاطى من الرحم خاصة[1] . فإذا كان الدم غزيراً فلن يكفى المخاط لحفظ الحيض سائلا ، بل يتجمد الدم ويكون بقعاً متجمدة .

وللإفراز الشهرى رائحة خاصة ، تقوى بإفرازات غدد الممر التى تزيد وتغزر فى أثناء هذه الفترة . ومن الجلى أن أقل إهمال فى النظافة يحدث رائحة منفرة لأن السائل يحوى جراثيم يظهر أثرها حين تتجمد وتجف . و إهمال النظافة يحدث التهاباً وتهيجاً موضعياً فى المهبل ، وقد يصير أخاريج عنيدة بسبب الإفراز المستمر المتجدد واحتكاك المجففات (المناشف) المبتلة إذا لم تغير بين حين وحين ، وكذلك تكون الأعضاء الجنسية الخارجية أكثر تعرضاً للإصابة والالتهاب بسبب تضخمها وامتلائها فى فترة الحيض .

يبدو تضخم الأعضاء الجنسية بوضوح فى أثناء فترات الحيض

---

(١) يرى « برنبوم وأوستن » أن الدماء السارية فى عروق الجسم تخف قوامها وتزيد سيولتها فى أثناء الطمث .

انثناء الفرج يلمع احمراره ، و يمتد الشفران الكبيران (الخارجيان) وينثنيان إلى الخلف (مقلوبين) كما يحدث فى بعض أحوال التهيج الحسى ، ويزرق المهبل قليلا وتشعر المرأة بارتخاء الرحم وتضخمه قليلا . وتصبح الأعضاء الجنسية الخارجية والداخلية أكثر حساسية .

ويتضخم مايتصل بالرحم وكذلك تتضخم العضلات والأنسجة الضامة المجاورة ، مما يجعل المرأة تشعر بالثقل وتضخم أسفل بطنها كما تشعر بضغط على الأمعاء والمثانة وآلام تشبه الجذب والشد فى الفخذين العلويين ، وهذه الأعراض كلها عادية يجب أن تتوقعها كل امرأة .

ويصح هذا القول عن الآلام الخفية التى تصاحب انقباضات الرحم ، وهى عادة تصاحب بدء الدورة الشهريةوتنقص حين يغزر تدفق الطمث وتخرج قطع صغيرة متجمدة من الدم والمخاط من فتحة الرحم الداخلية .

والنساء اللائى جربن آلام المخاض ، يصفن آلام الحيض بأنها مشابهة لآلام الولادة ، ولو أنها أقل شدة ، وتصاحبها آلام بطنية وحوضية شديدة تمتاز بها الولادة .

تختلف آلام الحيض كثيراً فى شدتها بين امرأةوأخرى ، وكذلك تختلف باختلاف فصول حياتها ، فقد تكون الآلام خفيفة لاتكاد المرأة تحس بها ، وقد تصل إلى درجة خطيرة مرضية .

ومهما كانت هذه الأعراض عادية بدنياً ، إلا أنها فى مجموعها

تسلب قدرة المرأة وحيويتها وبهجتها ، ولهذا تصف النساء فترة الطمث بأنها فترة سيئة . ومع ذلك لا تشعر بعض النساء بأي ضيق بهذه الفترات، بل يرين أنها خالية من كل أعراض منفرة ، فلا يعرفن أنهن في فترة الطمث إلا حين يتدفق الدم منهن .

والشعور بالضيق في فترة الطمث ليس شعوراً محلياً ، بل هو شعور عام يشمل الجسم كله ، ولو أن الآثار العامة ليست إلا إشعاعاً وانفعالاً ناشئاً عن الأعراض الجنسية .

ذكرنا الاضطرابات النفسية الشائعة قبل الحيض وخلاله .

أما الأعراض البدنية الشائعة فهي الشعور بالتعب والضيق الغامض المبهم ، ويظهر الصداع غالباً فيمن اعتدن الصداع في هذه الفترات . ويزداد تدفق اللعاب ، ويتمدد الكبد ويتضخم . ويحدث مغص في الكيس الصفراوي ، ويضطرب الهضم وتضطرب شهية الأكل ، فإما أن تحس المرأة بجوع شديد أو تعاف الطعام . وكثيراً ما يحدث الغثيان ، والميل إلى القيء ، ويسوء النفَس ، ويزداد الريح في الأمعاء ، ويزداد نشاط الأمعاء الغليظة بدرجة كبيرة تقرب من الإسهال ، ولكن كل دورة شهرية تنتهي عادة بالإمساك .

وتظهر الاضطرابات في الدورة الدموية ، فالنبض غالباً لا يكون منتظماً متشابهاً وتضطرب ضربات القلب ، وتتورم الأوردة الدموية ،

ويبرز القدمان ، ويتضخم الرسغان والركبتان ، وتحتقن الأغشية الأنفية كما تحدث آلام مفصلية .

وتتضخم الغدة الدرقية والحبال الصوتية بشكل ملحوظ ، ويفقد الجهاز الصوتى قدرته لما يصيب الجزء الخلفى من الحنجرة من تمدد وارتخاء فى الغدد والعروق الدموية ، ويتضح هذا فى السيدات اللائى يستعملن صوتهن بكثرة كالمدرسات ، إذ يبدو التعب فى صوتهن بسرعة ، كما يصيبه التغير الملحوظ . ويتجلى هذا فى الغناء ، فيبعد الصوت عن النغم الموسيقى ويفقد الجرس والتنغيم وتقل القدرة على تنويع الأنغام .

ويظهر فى العين اضطراب فى أعمالها ووظائفها ، وتلتهب قليلا ، وتبدو « نقط وبقع » غريبة ، ويضيق مجال الرؤية ضيقاً ملحوظاً ، وتقل القدرة على تمييز الألوان .

ويصيب حاسة السمع أعراض مشابهة[(١)] ، وأما أنسجة الجسم العامة فهى تنبسط وترتخى أو تتضخم وتحتقن ، ويكمل وصف الحال بشحوب الوجه شحوباً شديداً ، واحمراره بسرعة عند التأثر ، وظهور تجعدات أو دوائر زرقاء تحت العيون .

لقد ذكرت كل هذه الأعراض بالتفصيل لأظهر أن المرأة الحائض

---

(١) اتبعت ثبت الأعراض التى أحصاها « هـ . شرودر » فى « كتاب الولادة » وناشره برجمان فى ميونيخ .

تكاد تكون مريضة ، بل هي مريضة بعض المرض .

ومن حسن الحظ أنه لم يفرض على امرأة واحدة أن تتحمل كل هذه الأعراض والآلام والمنغصات ، فهي موزعة يظهر منها جزء في امرأة ، ويظهر جزء في امرأة ثانية ، وجزء في ثالثة .

ويسعدني أن أكرر أن بعض النساء لايعانين أي شيء من هذه الآلام والأعراض .

اتضح بالتفصيل أن المنغصات العامة التي تصاحب الحيض لاتتوقف على الإفراز الشهري الرحمي ، ولكنها بالإضافة إلى هذا الإفراز ليست إلا نتائج لسبب شامل . (سميناها المنغصات العامة تمييزاً لها عن المنغصات الخاصة بأعضاء الحوض) .

وهنا يقابلنا سؤال عن كل هذه الآلام والاضطرابات وتناقص القدرة واضطراب الاتزان البدني ؛ وهو هل تنشأ هذه الأمور عن هبوط الوظائف الحيوية البدنية هبوطاً سريعاً مفاجئاً ـ كما وصفنا ورسمنا الخط الهابط في الرسم الخامس . ذلك هو السبب ؛ ولا سبب غيره .

وقد تنشأ أعراض أخرى بسبب غير مباشر ؛ فكثير من هذه الأعراض تنشأ عن انبساط الأوعية الدموية الدقيقة ، وهي جزء من الهبوط الدوري يشمل الجسم كله ، كما تنشأ عن التغيرات السريعة في الدورة الدموية كتضخم بعض الأجزاء تضخماً مفرطاً ، ونقص توارد

الدم أو فقر الدم فى بعض المواضع .

ومع ذلك ، فثمة صفات وافية كافية لتمييز الطمث ، ولا يمكن بالطبع اعتبارها اضطرابات فى الدورة الدموية ، كما لا يمكن إرجاعها إلى اضطراب توارد الدم ، والواقع أنها عكس ذلك ، فهى توحى بأنها أعراض تسمم ، ويذهب بعض الكتاب إلى اعتبارها نوعاً من التسمم الذاتى الوقتى (تسمم عادى بدنى) لا نعرف مداه وحقيقته .

ومجال هذا البحث واسع كالتربة العذراء ، ملأى بالحفر والمهاوى ، ولم يرتدها أحد ، فلا داعى للإسهاب والإطالة ، اكتفاء بالإشارة .

يرى « اسكنر »[١] البحاثة العصرى الدقيق أن الحيض وسيلة لتنظيف الدم وتخليصه من السموم ، وكذلك لا ننسى عقيدة النساء فى أن الحيض « تطهير شهرى » ، وهى عقيدة لم يتزحزحن عنها أبداً . ولم يبق ثمة شك فى أن الإفراز الشهرى هو إفرازات من أغشية الرحم مخلوطة بالدماء .

هل تستطيع وسائل العلم الدقيقة أن تثبت ما تزعمه المعتقدات القديمة

---

(١) ب . اسكنر « أهمية الافراز (تنظيف الدم) فى الرحم والحيض ونتائجه العملية » من مطبوعات جماعة الولادة الألمانية . انسبرك سنة ١٩٢٢ م .

من أن الحيض سم أو أذى ، وأن الحائض لا تسلم معها الأمور[1] .
والعجيب أن هـذه العقيدة شائعة بين الناس من مختلف الأديان والأجناس ـ منذ أقدم العصور حتى هذا اليوم . ولن نستطيع أن نهزأ حين نتذكر أن النساء أنفسهن يعتقدن أن الكعك الذى تخلطه أو تعجنه ربات البيوت الحائضات لا يحسن خبزه ، بل لا تحسن الفاكهة المطهية فضلا عن المربى والهلاميات والمأكولات المحفوظة إذا اشتركت امرأة حائض فى صنعها .

يتردد الأطباء فى تصديق ذلك ، وفى تصديق أمور كثيرة لعجزنا

---

(١) نظم « جوارينونيوس » سنة ١٦١٠ (بالشعر) القواعد والاحتياطات التى يجب أن تتبعها النساء فى فترة الحيض . وقد اقتبست فى كتاب « بلوس » العظيم « المرأة فى علمى الحياة والإنسان (أنثروبولوجيا) » .
تمتنع الحائض عن حضور حفلات الرقص وولائم الزفاف ، وتتجنب المباضعة فى هذه الفترات ، ولا تؤنب أحداً ، ولا تبكى ، ولا تتجول لئلا يسرى السم فى أوصالها « فيقعدها ويصيبها بالكساح ! » .
وتتجنب كثرة تقبيل الصغار ومعانقتهم ، ولا تعد المائدة بيديها .
ولا تذهب إلى مخزن الطعام فى البيت ، ولا قبو الجعة (خمر) ، ولا تقف تحت الكروم وأشجار الفاكهة الفتية ، ولا تنظر فى أى مرآة صافية مصقولة ، بل تبقى فى بيتها جالسة تحيك الثياب .
وأخيراً يجب أن تنأى عن البرد ، ولا تستغنى عن الأربطة والملابس الكتانية اللازمة فى هذه الأحوال .

عن تفسيرها ، فنحن لا نصدق أى شىء نعجز عن تفسيره ، ونعتقد أن ليس له وجود لمجرد عجزنا عن تعليله وتفسيره ! ولهذا أهملنا هذه المعتقدات ووصفناها بأنها « أحاديث العجائز ! » .

ولكن ارتفعت فى الأيام الأخيرة أصوات تؤكد أن أقوالهن لا تخلو من الصحة ، بل أكدتها التجارب الدقيقة . وقد ثبت أن المواد الخارجية فى الحيض لا تخرج من الرحم وحده ، بل تخرج بطرق أخرى مثل غدد العرق . وليس هذا حلاً كاملا ، فمن الصعب تمييز الحقيقة عما يكتنفها من أوهام التقاليد والخيال ، فنسبة الخطأ عظيمة وبعضها يخالف حقائق الإحصاء[1] . ولن تتضح الأمور إلا بالبحث التجريبى المستمر على سيدات كثيرات ونبذ أسباب الخطأ . وأى طبيب غير متحيز لا يستطيع أن ينبذ فكرة خروج السموم فى الحيض ، ولن يستطيع أن يزعم أن لا أساس لها .

تستمر فترة النشاط الحسى فى بعض السيدات أكثر مما تستمر فى بعضهن . ومتوسطها ثلاثون سنة أو خمس وثلاثون سنة ، وهى تنقطع فى ٤٠ ٪ من النساء بين سن ٤٦ و ٥٠ سنة ، وتنقطع بين ٤١ و ٤٥

(١) نشر « ب . شك » مقالا فى « مجلة فينا الطبية » بالعدد ١٩ سنة ١٩٢٠ وصف فيه تجاربه ونتائجه فى هذا الصدد ، ولكن « سنجر » ناقض هذه النتائج فى « مجلة الولادة الألمانية » ص ٧١٩ سنة ١٩٢١ . وأرجع نتائج « شك » إلى أخطاء فى البحث .

سنة فى ٢٦ ./ منهن ، و بين ٥١ و ٥٥ سنة فى ١٥ ./ منهن . ويبقى بعد ذلك ١٩ ./ ينقطع طمثهن بعد سن الخامسة والخمسين أو قبل الأربعين . ولكن استمرار العادة إلى هذه السن المتأخرة ، أو انقطاعها فى سن مبكرة ليس شيئاً عادياً ، ولو أنه لايدل على المرض ، ولكن انقطاع الطمث الباكر يدل على اضطراب العمل فى وظائف الأعضاء الجنسية الداخلية . والغالب أن ينتهى النضوج الحسى مبكراً فى السيدات اللائى لم يلدن ، ولكنه مستمر فى الوالدات ، وإذا ولدت المرأة بعد سن الأربعين تأخرت فترة نشاطها الحسى تأخراً ملحوظاً .

وعموماً ينقطع الطمث مبكراً فى السيدات اللائى ظهر فيهن متأخراً والعكس صحيح ، ولو أنه لاينطبق إلا على سيدات السلالات الشمالية فى المنطقة المعتدلة . وفى هذه الحالات تدل المراهقة الباكرة على أن فصل النشاط الحسى سيكون طويلا وأن الطمث سيستمر إلى وقت متأخر .

أما بين شعوب البحر الأبيض المتوسط والشعوب الملونة ، فالنساء يبلغن فى سن مبكرة وينقطع طمثهن ونشاطهن الحسى بسرعة كذلك ، وهن فى ذلك متشابهات دون استثناء تقريباً .

وهكذا يتضح تأثير السلالة والمناخ والوراثة ، فالبنت لأمها فى سرعة البلوغ وسرعة انتهاء فترة الطمث (فترة النشاط الحسى فى الحياة) ، وفى الخصب (نسل البنين والبنات) وفى تحمل آلام المخاض ، والميل

النزف فى أثناء الولادة و بعدها ، وفى ظروف أخرى .

وتستوى فى الأهمية طريقة الحياة وظروفها ، فالسيدة المرتاحة المرفهة تحتفظ بريعان الشباب أكثر مما تحتفظ به امرأة تنقصها الراحة والرفاهية والنعم . وثمة عوامل أخرى تتصل بالوراثة والتربية المنظمة الممتازة .

حين يقل انتظام العادة أو لا تظهر على الإطلاق يبدأ فصل جديد فى حياة المرأة ، هو فصل الحرج . و يستمر هذا الفصل سنة أو سنتين أو ثلاثاً أو أكثر ، فهو يختلف بين امرأة وأخرى وينتهى بانقطاع العادة الشهرية انقطاعاً تاماً . وحينئذ تدخل المرأة فى السنوات الأخيرة من منتصف العمر . والمؤسف أن الناس يبالغون فى أهمية انقطاع العادة الشهرية مع أنها ليست إلا مظهراً ثانوياً يصاحب تغيرات المبيضين ، فانقطاع العادة فى منتصف العمر يدل على انقطاع المبيضين عن عملهما المنتظم ، ولا يحدث حيض ما لم تقذف بويضة[1] .

تختلف طريقة انقطاع الطمث اختلافاً كبيراً بين امرأة وأخرى ، فقد يسبقها ظهور دورات شهرية طويلة المدة غزيرة الإفراز ، وفى أحيان أخر يتناقص الطمث كثيراً حتى يقف ولكنه يعود إلى الظهور ، وفى

(١) وقد يستمر نشاط المبيضين وقتاً أطول بالرغم من ذلك ، ولو أنه يكون أقل وأضيق مجالا .

بعض النساء ينقطع تماماً مرة واحـدة . وفى بعضهن ينقطع الطمث مدة قصـيرة أو طويلة ، ولـكنهن يفقدن بعض الدم بعد ذلك[1] . وإجمالا فهى فترة تغير تختلف مظاهرها بين امرأة وأخرى .

رأينا كيف تتأثر أعمال الجسم الحيوية الـكيموية (تمثيل الطعام) وأحواله النفسية بنشاط المبيضين ، وسنرى أن انقطاع المبيضين عن العمل يؤثر فى كل ألوان النشاط البدنى ، فينقطع التباين الدورى الشديد الذى تمتاز به المرأة فى ريعان شبابها ، والذى يبدو كالمد والجزر ، والشدة والهبوط ، فتظل الأعمال البدنية الحيوية عند مستوى ثابت واحد ، ولـكنه أقل درجة من ناحية الشـدة والعنفوان عما كان فى السنوات السابقة .

من مظاهر التغير الـكيموى الذى يصاحب هذه الفترة ما يبدو على المرأة غالباً من ازدياد الشحم (الدهن) فوق كل أجزاء جسمها . وأما الأعراض التى كانت تميز أيام الطمث وهبوط النشـاط البدنى - فتتخذ شـكلا مستديماً تقريباً ، وتصير أعراضاً مزمنة دائمة ، وتـكثر الاضطرابات الدموية كاحمرار الوجه فجأة والإحسـاس بموجات حارة فيلتفع الوجه بالحمرة العميقة المفاجئة ، ويزداد العرق بشكل مفرط مفاجىء

(١) ولـكن الحذر واجب فى هـذه الظروف ، فقد تظن المرأة أن الحيض قد عاودها فى حين أن السبب فى فقدان هذا الدم مرض رحمى خطير ، فيجب الالتجاء حالا إلى الطبيبة المتخصصة أو الطبيب الإخصائى .

وتكثر اضطرابات النبض والدُّوار ، وتحس أن رأسها يلف كما تسمع صوتاً كصوت الرعد ، وترى السواد بعينيها ، وكلها علامات الضعف !

أما الأعراض النفسية التى تظهر فى « فترة التحول فى حياة المرأة » فقد تكون مؤلمة وقد تستمر زمناً طويلا فى عناد عجيب ـ حسب السبب وذلك بعكس هذه الأعراض (النفسية) التى كانت تظهر قبل الطمث مباشرة أو فى خلاله .

ومن هذه الأعراض : سرعة التهيج ، وتغيير الأهداف والآراء بسرعة وعلى حين غرة دون روية ، ونقص فى القدرة على التفكير والتأمل ، بل تندفع إلى أى عمل دون تفكير وتدبير ، ويصاحبها غالباً « هبوط نفسى » مع ميل إلى الحزن واليأس . تظهر كل هذه الأعراض أو بعضها فى الغالبية ، ولكنها تمر بدون صعوبة ملحوظة . أما النساء اللاتى لم يكن قبل هذه المرحلة تعرضن لاضطرابات نفسية أو عاطفية أو اللاتى أصبن بالاضطراب العصبى أو الهيستيرى أو ورثن ميولا مرضية شاذة ، فإنهن يتعذبن عذاباً نفسياً بليغاً يعود خطره عليهن كما يعود على الآخرين .

تتضح هذه المضايقات الخاصة ببلوغ مرحلة العقم ، حين تنقطع العادة الشهرية ويمتنع كل قذف ، وحين يكون انقطاعهما مفاجئاً لا رجعة فيه . أما إذا دخلت المرأة مرحلة الحرج بالتدريج ، فتباعدت الفترات بين الطمث وتضاءل مقداره بالتدريج ، فمعنى ذلك أن عمل المبيض

يتوقف بدرجات بطيئة ، فالاضطرابات البدنية الشاملة ، والاضطرابات النفسية على الأخص لا تكون واضحة ، بل يمكن احتمالها ومقاومتها . والسيدات اللائى يحظين بالانتقال البطىء إلى مرحلة العقم يمتاز بعضهن بالاتزان العقلى العاطفى الكامل والوداعة الرقيقة ، والحكمة المحبوبة خلال مرحلة العقم .

فإذا استقرت المرأة فى مرحلة العقم بدأت غالباً مرحلة الهدوء النفسى العقلى ، وهى مرحلة ضرورية واجبة تشعر بها كل النساء حتى اللائى قاسين كثيراً فى أثناء التحول من مرحلة النشاط الحسى إلى مرحلة العقم والهدوء النفسى . لقد بذلت المرأة جهوداً بدنية كثيرة مضنية فى أثناء مرحلة النشاط الحسى ، فمن حقها أن تكافأ على هذه الجهود مكافأة عظيمة مماثلة ، ولذا تنعم فى مرحلة العقم والهدوء النفسى ، بقدر كاف من الصحة البدنية والاتزان العقلى لتبدأ مرحلة الشباب ، وتمتاز نشاطها بوضوح البصيرة مما يميز متوسطة السن ؛ فإذا كانت على الأخص زوجاً أو أماً صارت محور السلام والنعيم فى البيت مهما كثر ضجيج الحياة وزهو الأشياء الدنيوية .

لقد حنكتها الخبرة والدراية ، وامتلأت جوانحها بحنان الحب ، وأدركت مصاعب الحياة وأخطارها وأفراحها ، ففى استطاعتها أن تدرك ما يتوقعه أطفالها وما يجب أن تحذرهم منه قبل أن يقربوه . وإذا حفظت

ذكرياتها وحنانها شابة استطاعت أن تفهم النشء الشاب ، وأن تساعد الفتيات والفتيان بما أدركت وعرفت خلال مرحلة الشاب ، وفى استطاعتها الآن أن تفهم زوجها فهما تاماً ، فتشجعه على مصاعب الحياة وتسامحه على أخطائه وترضى رغباته ، فترد له الجميل إذا كان حكيما متزناً رقيقاً ، فساعدها وساندها فى الأيام الصعبة الكثيرة التى لقياها معاً حين انتقلت من مرحلة الشباب إلى مرحلة العقم والهدوء النفسى .

ولن يصعب على المرأة أن تلبى رغباته الحسية المعتدلة فى أثناء فترة الانتقال من الشباب إلى مرحلة العقم والهدوء النفسى وبعد هذا الانتقال ، بل يجب أن تطابق رغباتها رغباته وتمتزج بها وتلاقيها فى منتصف الطريق ، فبالرغم من انتهاء عمل المبيضين [1] ، تقدر النساء فى الخمسين من العمر لذات الحياة الحسية بدرجة لا تقل عن درجتها فى نظر أزواجهن ، وخصوصاً إذا كانت المرأة قد اعتادت الحياة الحسية

---

(١) ذكرنا فى السفر الأول أن الدافع الحسى بشقيه الأساسيين يتأثر بالغدد الجنسية ، بل تتحكم فيه وتوجهه ، وبالرغم من ذلك يستمر هذا الدافع دون نقصان حين ينقطع نشاطها فى أداء رسالتها . وهذا هو حال النساء؛ إذ لا تتوقف رغبة المرأة فى البضاع على ما يماثل توقف رغبة الرجل على قذف افرازات غدده .

فالاتصال الحسى والرغبة فيه يستمران إذا كان العقل قد اعتاد التهييج الحسى فصارت المتع الحسية شيئاً هاماً فى حياته لا يستطيع أن ينساها بسهولة .

المنتظمة وكانت تحب زوجها، ويزيد رغبتها فى الاستمتاع الحسى تحررها من تجارب الحمل ومخاوفه (١).

(١) كثيراً مايكون هذا الخوف شديداً مفرطاً خلال فترة التحول والانتقال من مرحلة النشاط إلى مرحلة العقم النسائى وبخاصة فى النساء اللائى سعدن بولادة الأطفال وحملهم. والغالب أن السبب هو خجل الأم وتأثرها الشديد كلما فكرت فى أن أبناءها فى فترة المراهقة ربما يلحظون أن والديهم مازالوا يمارسون الاتصال الحسى.

ويشبه هذا الخجل الغريب تلك الحيرة المؤلمة التى تنتاب المراهقين والمراهقات كلما فكروا فى العلاقات الحسية بين والديهم. والملحوظ نفسياً أن الشبان والشواب حين يبدأون النشاط الحسى ويدركون قيمته. لايستطيعون استساغة فكرة أن الوالدين مازالا قادرين على الإحساس بمثل هذه المشاعر، ولا يستطيعون التخلص من حيرتهم إلا حين تتسع تجاربهم ويزيد نموهم فيقبلون الأمر الواقع.

أما الخوف من الحمل فى خلال فترة الانتقال من مرحلة النشاط الحسى إلى مرحلة العقم، فقد تكون لها نتائج خطيرة لما تمتاز به المرأة حينئذ من اضطراب نفسى وحيضى وتمر بكل طبيب نفسى ونسوى حالات كثيرة مماثلة، ويحدث عكس ذلك عند السيدات اللائى يتأخرن فى الزواج، إذ يشتد بهن الشوق إلى الأمومة إن كانت لم تتحقق حتى هذا الوقت، ويتنازعهن الخوف والأمل حين ينقطع الطمث أول انقطاع ويبدو أنه ليس هناك أمل، ويقلن « قد فات الأوان ! » وإذا تكررت هذه المخاوف والتوتر والجروح النفسية كانت خطيرة العواقب غالباً.

وفى السنوات التى تسبق مرحلة « التحول » مباشرة تزيد عادة رغبة المرأة فى المباضعة ، كما يزيد استمتاعها به . وتستمر هذه الحماسة العاطفية النفسية غالباً خلال فترة التحول ، وقد تستمر بعد ذلك طويلا، ولكن هـــذا نادر ، فالغالب أن تذوى الحماسة العاطفية وتهبط إلى المستوى المعتاد .

وإذا كان الزوج حريصاً نشيطاً بقدر ما تحتاج زوجه ، فإن مشاعرها الحسية تبقى حتى سن متأخرة ، وتظل الأعضاء قابلة للبضاع ولو أنها لا تسلم من عوادى الزمن مثل زوال الوسائد والثنايا المهبلية ، وتمدد (انبساط) الشفرين الخارجيين . فإذا لم يحدث تهيج أو إرضاء حسى ، فإن المشاعر تتناقص خلال فترة انقطاع الطمث وتموت تماماً ، كما تضمحل الأعضاء الجنسية أو تضمر .

فلنجمل محتويات هذا الفصل عن مظاهر النشاط الحسى ودوراته المنتظمة .

يمتاز جسم المرأة الناضجة جنسياً (البالغة) ووظائفه بازدياد وانخفاض منتظمين دوريين كالمد والجزر . ويؤثر هذا المد والجزر الدوريان تأثيراً شاملاً فى الجسم كله ، كما يؤثران تأثيراً محلياً فى الأعضاء الجنسية ، ويتحكم فى هـــذا التأثير الجسم الأصفر (الثاوى فى المبيض) بنشاطه وتغيراته وهـــذا الجسم (الأصفر) يتمدد حتى الغاية ثم يتناثر حين

تقذف البويضة من كيس جراف لتبدأ رحلتها ، وعلى هذا الأساس نستطيع تغيير القول المأثور المذكور فى صدر هذا الفصل « تتوقف حياة المرأة على مبيضها » فنجعله : « ليست حياة المرأة إلا نتيجة نشاط خلية البيضة » وهذا القول يلخص الحقائق تلخيصاً أصفى وأوضح ، ويفيد القارىء ، ويقدم للمرأة وزوجها أساساً لعلاقاتهما .

ولكن يجب ألا ينسى الأطباء أن المشاكل والتفاعلات أكثر تعقيداً مما ذكرت ، فلم أذكر إلا الأمور الأساسية الهامة ، فقلت مثلاً إن المبيضين لا يقتصر عملهما على إفراز الجسم الأصفر وإنتاجه مع البويضات ، ولكنه يتجاوز ذلك إلى عمل آخر هو الإفراز الداخلى الدائم (غير الدورى) وذلك بعكس عمل الجسم الأصفر (الدورى).

لم أذكر هنا حقيقة هامة أيدتها الأمثلة ، وهى أن المرأة إذا استمرت على التغذى بخلاصة المبايض ـ لتعويضها عن ضمور المبيض ونشاطه ، فقد تستمر الدورة الشهرية مدة أطول ، وحينئذ لا يقتصر الأمر على زيادة نشاطها البدنى ، بل يشمل كذلك الهبوط الحيوى البدنى ، وإذا كان الرحم لم يضمحل ولم يضمر ، فقد يظهر الحيض ثانياً . ولكن التغيرات الدورية الناتجة عن إدخال خلاصة المبيض المركزة فى جسم المرأة ـ لا تكون واضحة قوية كالتغيرات الطبيعية الناتجة عن « الجسم الأصفر » ولكنها تحدث فعلا، وهذا يدل على أن الهبوط الحيوى الذى يسبق الحيض يرجع

أصلا إلى تناثر الجسم الأصفر إلا أنه كذلك صفة هامة أساسية فى الجسم النسوى الناضج . وهذه الصفة عمل دورى منتظم يشمل شقين هما : الإجهاد والارتخاء .

لقد اعتبرنا المبيض دائماً عضواً مستقلاً ، وهو كذلك فعلاً إلى حد كبير ، ولكن لا يستطيع أى عضو أن يعمل مستقلاً فى الجسم . وكذلك يتأثر نشاط المبيضين بنشاط الأعضاء الأخرى ـ كالغدة الدرقية (مقال مجلة الولادة الألمانية بالعدد ٢١ سنة ١٩٢٤) والغدة النخامية فى قاعدة المخ[١] والغدة الصنوبرية[٢] . ولا يغيبن عن البال توتر المبيض أو ضغطه الداخلى وقد أسلفنا الإشارة إليه ، وكذلك لا تفوتنا تجارب شتراسمان .

وأخيراً ، فلماذا تدوم الدورة ثمانية وعشرين يوما ؟
ولماذا يقف المبيض عن العمل فى سن خاصة ؟

---

(١) غدة صماء ، إفرازها داخلى يؤثر فى أعضاء المرأة الجنسية الداخلية .

(٢) تتدخل فى الأمر عوامل كثيرة معقدة ذكرها مقال ج . هوفبور فى مجلة الولادة الألمانية العدد الثالث سنة ١٩٢٤ « تأثير الغدة النخامية فى الدورة الشهرية وعلاقاته بالجسم الأصفر » .

وهناك أسئلة أخرى يقف العلم أمامها جامداً حائراً لا يحير جواباً ولن يستطيع لها جواباً .

إننا لا نعرف كل شيء ، ولن نعرف « كل شيء » ، كما يقول « دبواريمون » . ولكن من الخير أن نعمل بما نعلم جيداً ، وليعمل المتزوجون من النساء والرجال على الإفادة بما وضحته فى هذه الصفحات . ولن يستطيعوا ذلك إلا بعد فهم هذه الصفحات فهماً دقيقاً كاملاً ، وإذا فات ذلك المرأة لأى سبب فيجب ألا يفوت الزوج لأنه رائدها ومعلمها ودليلها النشيط فى الحياة الزوجية .

الفصل السابع

تشريح أعضاء الذكور ووظائفها

سنصف أعضاء الرجل الجنسية تشريحاً وعملا ـ كما وصفنا أعضاء المرأة الجنسية . وقد أطلت الحديث عن أعضاء المرأة الجنسية ، ولكننا نختصر الحديث عن أعضاء الرجل لأن أعماله الجنسية لا تسيطر على حياته ولا توجهها كلها بعكس الحال عند المرأة .

« ليس الحب إلا فصلا فى الحياة عند الرجل ، ولكن الحب هو كل شىء فى حياة المرأة ، بل هو كيانها كله » . (بيرون)

لقد نُسجت حياة المرأة وتركيب جسمها نسجاً محكماً متداخلا متشابكا فى حياتها الحسية واستعدادها للأمومة . أما الرجل ، فمسئول قبل كل شىء عن حفظ المرأة والأطفال وإعالتهم ورعايتهم ، وهو ليس مسئولا من حيث التكاثر وحفظ السلالة ، إلا عن إمداد المرأة بمادة الإخصاب .

فالحياة الحسية الجنسية أمر أساسى لا غنى عنه للمرأة ولكنه أمر ثانوى للرجل .

يبدو هذا التباين فى الجهاز التناسلى عند مقارنته فى الرجل والمرأة من حيث الوضع والامتداد والتشعب ، فهو خفى فى أعماق جسم المرأة ، ولكنه فى الرجل ليس إلا عضواً خارجياً ظاهراً .

وليس عضو الذكور شيئاً أنيقاً جذاباً يروق العين بجماله الفنى ، ولهذا أهمله أهل الفن والرسامون والمثالون ، وأظهروه أصغر من الواقع وأقل أهمية .

لن نقسم أعضاء الذكورة إلى أعضاء خارجية وأخرى داخلية، فالأجزاء الصغيرة الهامة داخل البطن يمكن دراستها مع الغدد الخارجية فى وقت واحد ، فالغدد لها المقام الأول فى الأهميـة ، أما الأجزاء الصغيرة الخفية فتتبعها فى الأهمية . ومن ثم فلن يشبه هـذا الفصل الفصل الخامس أو الفصل السادس ، لأن الرجل لا يحيض ، ولا تصيبه دورات منتظمة من الارتفاع والحول أو المد والجزر فى نواحى نشاطه الحيوية الأساسية .

ومع ذلك ، سيظل الكلام عن خلايا الرجل المنوية أكثر مما تكلمنا عن بويضة المرأة .

يمثل الرسم السابع أعضاء الذكر ومعها الأعضاء البوليـة فى قطع عمودى ، ونسب الأعضاء باقية وليس الرسم إلا مصغراً دقيقاً لحال الأعضاء فى الطبيعة ، والأعضاء المزدوجة موزعة على الجانبين ، ولذلك لم تظهر مقطوعة ، (يمثل الرسم أعضاء الجانب الأيمن ، ويجب تصورها كأنها بارزة عن السطح) . أما سائر الأجزاء والأنسجة ، فمقطوعة قطعاً نصفياً عمودياً .

والأعضاء المزدوجة هى الخصيتان (١٨) ، والبربخ ، وجزؤه المهم

الرئيسي (١٧) وزائدته (٢٢) ، والممر المنوى (القنـاة المنوية) (١٥) ، وسنفصل الحديث عن أجزائه المختلفة ، والجويصلات المنوية (٨) ، وغدد « كوبر » وممراتها (١٢) .

أما الأعضاء المفردة ، فهي الذكر أو عضو الذكرة أو الأير أو العرد ، وهناك الصفن (حاويا الخصيتين) (٢٣) ، وغدة البرستاتة (٩) : وقد أهملنا الأجزاء الثانوية في الرجل كما أهملناها في المرأة لأنها لا تهم في هذه الدراسة .

والأعضاء غير الجنسية المذكورة هنا هي المثانة ، والعانة أو اتصال الحجبتين ، أي اتصال عظمتي العانة ، وتسمى أحياناً الارتفاق العانى .

وللمثانة (٣) عنق (٧) ، وفيها عضلة عاصرة قوية محذوفة من الرسم ، ويمتد العنق إلى مجرى البول (١١) أي الممر البولى ، وفراغ المثانة (٤) وكذلك يظهر مجرى البول . ونذكر للمرة الأخيرة للتأكيد أن مجرى البول الذكرى أطول كثيراً من مجرى البول النسوى ، ويعمل عملا مزدوجاً ، فهو قناة للبول والمني في وقت واحد .

الذكر

يبدو الجزء الأمامى من الذكر بارزاً طليقاً معلقاً ، ويتراوح طوله بين ٩ ، ١٠ سنتيمترات . وللذكر جزء خافٍ خفي وهو الجزء الخفي أو الجذر ،

ويمتد تحت « مابين التر والفر » واتصال الكيس (الصفن) . ومع أن هـذا الجزء يخفى على النظر إلا أنه يمكن الإحساس به بسهولة بالأصابع . ويبرز قضيب العضو إلى أعلى ، ويثوى تحت العانة ، وهو متصل بعظام الحوض بعضلات عريضة متينة ، تثبت العضو تثبيتاً متيناً .
ويتكون الجزء الرئيسى من الذكر من « نسيج أجوف » ، فهو شبكة اسفنجية من الأوعية الدموية ، وتمتد وتتصلب حين تمتلىء . وفى الذكر نسيجان أجوفان .

وقد ذكرنا عضواً مماثلا مصغراً فى الجهاز النسوى ـ وهو البظر . ويحوى عضو الرجل نسيجاً اسفنجياً واحداً لمجرى البول ، ونسيجين اسفنجين للعضو . والأنسجة الثلاثة متوازية ، ونيقة الاتصال ، حتى ليمكن اعتبارها عضواً واحداً . وهى تكوّن الجزء الأكبر من العضو حين يكون هادئاً معلقاً فى حالة ارتخاء (وهو الجزء المتجه إلى أسفل متنائياً عن الكيس حين يكون الذكر هادئاً غير مهتاج ولا منتصب) . والجزء الخلفى من العضو يربطه باتصال عظمى العانة .

يبدو النسيج الأسفنجى فى مجرى البول عمودياً ضيقاً محيطا بالمجرى فى القطاع المنصف ، وهو أكبر قطع ، وحين يكون العضو مرتخياً يكون النسيج الاسفنجى لمجرى البول متجهاً نحو الكيس (فى الرسم بدون خطوط مائلة) ، ويتضخم وراء ذلك مكوناً جذر العضو ،

وقد أسلفنا ذكره ، ويمكن الإحساس به تحت الكيس ويسمى بصلة مجرى البول .

وقرب نهاية العضو ، يكبر حجم النسيج الاسفنجي للحالب فجأة مكوناً « قمة الذكر » (٢٦ فى الرسم) ، وتمتد قمة العضو وراء النسيج الأجوف الذكرى ، وتحتل نهاية العضو كلها . ويسمى هذا الجزء أو الفراغ « النسيج الأجوف الغدى » نسبة إلى غدة العضو وهى قمته .

وهذه التجاويف فى مجرى البول والذكر وقمته متصلة كلها بعضها ببعض اتصالا وثيقاً ، وتكون وحدة أو مركباً واحداً يتأثر بالتهيج كأنه شيء واحد .

أما التهيج ، فقد ينشأ عن الجهاز العصبى المركزى (المخ) أو يكون موضعياً محلياً ناشئاً عن الأطراف ، والتأثير واحد فى الحالين كلتيهما . وانتصاب العضو هو تضخمه (امتلاؤه) وتصلبه وتغيير موضعه لازدياد مايتدفق إليه من الدم خلال عروق النسيج الأجوف (الاسفنجى) حتى تمتلىء (العروق) إلى أقصى حد .

تلتفع الأنسجة الاسفنجية بكيس عضلى قوى من الألياف والخيوط العصبية ، وتمتاز بمرونة كافية وقدرة عظيمة على الانبساط والامتداد — مما يتيح للعضو أن يمتد امتداداً عجيباً ، وتدعم هذه الأنسجة النسيج

الدموى دعماً يحميه من تقطع الأوعية الدموية المنبسطة الممتدة .
وجلد العضو يكاد يخلو من الشعر ، وهو رقيق رفيع ، حساس مرن سهل المد والانبساط . وهو يكسو الأعضاء مباشرة دون طبقة وسطى من الدهن ، ولكنه غلاف فضفاض إلى حد ما ، فيستطيع العضو أن ينزلق فيه ويروح ويجيء كأنه فى جورب أو قفاز .

وفى نهاية العضو يكوّن الجلد ثنية مزدوجة لاتتصل اتصالا محكما بقمة العضو ، بل تتصل قبل نهايته بمليمترين أو ثلاثة بزاوية القضيب العليا الأمامية . وهذه الثنية الجلدية المزدوجة (٢٨) هى الجلد الأمامى أو الغرلة . وفى الأطفال الصغار والفتيان غير الناضجين ، تمتد هذه الثنية وراء قمة العضو ، وتغطيها فتبدو كالجذع الصغير !

أما فى الفتيان البالغين ، فقمة العضو واضحة مجرد الوضوح لأنها تبرز إلى الأمام فى فتحة الغرلة (الجلد الأمامى) . وهى فتحة واسعة اتساعاً كافياً . والغرلة مرنة مرونة تسمح لها أن تُدفع إلى الخلف . وشكل القمة يمكن تشبيهه وتوضيحه بقمع غير مدبب الطرف ، وهو أسمك وأطول فى الجانب الخلفى للعضو أكثرمما هو فى ناحية الكيس . فالطرف الخلفى الظاهر نوعاً عند القمة ليس مستديراً ، ولكنه يشبه البيضة ، ومستواه مائل عن محور العضو .

وغلاف الجلد الأمامى (الرفرف) (٢٧ فى الرسم) أكثر

عمقاً واتساعاً عند ظهر العضو ، ولـكنه أقل عمقاً واتساعاً ناحية الـكيس (الصفن) . وثمة شريط ضئيل وسط الجانب القريب من الـكيس ، ويربط الشريط قمة العضو وغمامة القضيب (الجلد الأمامى) ، ويمنع تعرض القمة تعرضاً كثيراً . وهذا الشريط الجلدى هو « قيد الذكر » (٢٤) ويشبه « قيد البظر » .

والواقع أن كل أجزاء البظر ، وهى القمة والقضيب والتجويف والجلد الأمامى والغلاف ، تماثل تماماً أجزاء الذكر ؛ فالبظر ذكر صغير من حيث التشريح والحيوية ، والتكوين والعمل ـ فيما عدا أن البظر لايحوى مجرى البول الذى يتميز به الرجل وحده .

ومن اللغو أن نعاود التنبيه إلى وجوب العناية التامة المتقنة بإزالة الإفراز الدهنى ، وقد سبق هذا التنبيه عند الحديث عن البظر .

والمعتقد عامة أن عادة الختان الشرقية (بين المسلمين واليهود وغيرهم) نشأت عن هذه الضرورة الصحيحة ، فإن إزالة غمامة القضيب (الجلد الأمامى) طريقة فعالة للوقاية من تراكم المواد الدهنية ، كما أنها تمنع العدوى المحتملة عند الجامعة . والختان يساعد كثيراً على النظافة وقد شاع فى الجراحة الحديثة .

ويغطى قمة العضو غشاء لايشبه الجلد العادى ، بل هو امتداد لغشاء الجلد الأمامى . وعند حافة فتحة مجرى البول يتحد غشاء قمة العضو بالغشاء المخاطى .

وتثوى فى جلد القمة أعضاء حساسة جداً ، وكثيرة الأنواع ، مترابطة كثيرة التشابك ، فهى شبكة دقيقة ضيقة من جهاز حسى رقيق جداً . وتستطيع هذه الشبكة أن تتلقى أخف المؤثرات الآلية وتنقلها إلى المخ ، فيشعر بها لذة حسية عارمة . ولكن الأمر يختلف إذا كانت هذه المؤثرات عنيفة مؤلمة .

وأكثر أجزاء العضو إحساساً باللذة الحسية هو الجزء الأسفل من قمة العضو (خصوصاً الشريط الجلدى الذى يربط رأس العضو بغمامته من ناحية الكيس) وحساسية الجزء الأسفل من القمة تفوق حساسية طرفه الأعلى (الخلفى) أو « التاج » . وهو ممتلىء بالأعصاب الحساسة الرقيقة .

وهنا نرى الشبه قوياً بين عضو الرجل وعضو المرأة (البظر) ، فقد رأينا أن الشريط الجلدى الرقيق (قيد البظر) والجزء الأسفل من العضو النسوى هما أشد أجزاء البظر إحساساً .

وغمامة القضيب (جلده الأمامى) غنية بالأعصاب التى تؤدى الغرض منها . وكذلك حال جلد العضو كله ـ ولو أن الإحساس باللذة أقل حدة مما هو فى الطرف .

وإذا نبهت هذه الأعصاب تنبيهاً آلياً حدث « فعل منعكس » هو انتفاخ الأنسجة الأسفنجية وامتلاؤها : فينتصب العضو ويقف .

وقد يحدث الأمر بالدرجة نفسها نتيجة تأثر المخ تأثراً مباشراً عن طريق الصور والمشاعر النفسية ، ولعل هذا النوع الأخير من التنشيط أو التنبيه هو الأكثر شيوعاً ، وحينئذ يحدث التهيج الآلى المباشر بعد بدء الانتصاب فعلا .

وقد ينشأ الفعل المنعكس عن أعضاء الحوض الأخرى ، فيحدث الانتصاب ، كما يحدث عند تصلب العضو فى الصباح الباكر ، وهو أمر ملحوظ عند الصحو من النوم ، وسببه انعكاس يحدث فى أثناء النوم نتيجة ضغط المثانة الممتلئة ، وقد يحدث الانتصاب فى بعض الأمراض بتأثير مباشر من مراكز العمود الفقرى ، فيكون الانتصاب عنيداً طويلا مؤلماً .

والشائع عندالعامة أن العمود الفقرى هو مركز الانتصاب ، ولكن البحوث الحديثة لم تؤيد هذه الفكرة ، مع أن الأفعال المنعكسة يجب أن تمر خلال الطرف الأسفل من العمود الفقرى إلا أن مركزها يثوى فى الجهاز العصبى السمبتاوى للحوض .

عند الارتخاء ، يكون العضو طرياً رخواً ، صغيراً ذاوياً ، لا يستطيع بحاله المسالمة أن يؤدى العمل الجنسى ، ولكنه يصير بالانتصاب عضواً جامداً متيناً ، ولكنه مرن قادر تماماً على قذف سائله المنوى إلى أعمق أغوار الجسم النسوى ، وهو يحدث عند الانتصاب زاوية مع الجسم ،

وينحني إلى الخلف انحناء خفيفاً وبذلك يناسب تقوس الفرج إلى الأمام قليلا كما يناسب زاوية الفرج المعتادة . وينطبق الفرج على العضو انطباقاً تاماً ، بل يمتلىء الفرج تماماً بالعضو المنتصب لازدياد طوله ومحيطه (ويزداد طول الفرج خلال الجماع) إذا لم يدخل العضو حتى نهايته .

ومع ذلك فالفروق عظيمة بين الأشخاص ، وسنذكرها عندالعمل الجنسي . وطول القضيب الظاهر من العضو عند الانتصاب يتراوح بين ١٤ و ١٦ سم ، ومحيطه في الوسط ١٢ سم ــ حسب كلام « ولدير » .

وحين تبلغ مؤثرات الانتصاب ذروتها ترتخي وتذوى ، ويرتخي العضو المنتصب إذ يقف ورود الدم الدافق الزائد ، ويرتد عن الأنسجة الاسفنجية الجوفاء .

مجرى البول

الممر البولى ممر طويل مقوس ، يمر من المثانة ويدلف داخل عضو الرجل . أما الجزء الأعلى من الممر ، فلا عمل له سوى نقل البول ، وأما الجزء الباقي فينضم إليه الممر المنوى على الجانبين (١١ في الرسم ٧) ويتلقى الإفرازات المنوية وينقلها . ويمكن تقسيم ممر البول تقسيما سهلا إلى ثلاثة أجزاء ــ حسب أجزاء الجسم التي يمر فيها .

فالجزء الأول (الأعلى) يثوى داخل الحوض ، وحين يقف الرجل على قدميه يتجه هذا الجزء اتجاها عمودياً تقريباً إذ يميل قليلا إلى أسفل

كما يبدو فى الرسم ، وهذا الجزء محاط بغدة البرستاتة (٩) وتفصله عن المثانة عضلة قوية عاصرة .

يتغير اتجاه مجرى البول تحت العانة ، فى الجزء الأبيض من الرسم بين البرستاتة والنسيج الاسفنجى ، فيمر خلال النسيج العضلى لقاعدة الحوض و يدخل فيما بين التروَالفرّ (مابين الشرج والذكر) و يثوى هذا الجزء الثانى من الممر البولى تحت قاعدة الحوض و ينتهى عند جذور الذكر ، واتجاهه أفقى ولكنه ينحرف قليلا إلى أعلى ويبدأ الجزء الثالث من مجرى البول (وهو الجزء الذكرى) عند تقوسه الثانى إلى أسفل حيث يبدأ الجزء الخارجى المعلق من العضو .

و يظهر الجزآن الثانى والثالث فى الرسم داخل النسيج الاسفنجى الأجوف و يسمى هذان الجزآن طبياً « الممر الأمامى » بينما يسمى الجزء القصير العمودى داخل الحوض « الممر الخلفى » .

حين يكون العضو مرتخياً معلقاً يكون طول الممر الأمامى ١٥سم تقريباً ، فإذا انتصب العضو رفع ممر البول ، وكذلك يمكن رفعه بإزالة تقوسه الخفيف إلى أسفل فى أوقات أخرى برفعه باليد ـ كما يفعل بعض الرجال فى أثناء التبول .

إذا انتصب العضو امتد ممر البول لمرونته وصار عمودياً ،ولكنه لايخلو من تقوس خفيف ، ويزداد حجم ممر البول فى أثناء مروره بقمة

العضو ، ثم ينكمش فجأة عند فتحته الخارجية ، فيصير ثقباً عمودياً دقيقاً وهذا الجزء أضيق أجزاء الممر البولى .

٤ غدد كوبر على جانبي مجرى البول

تنوي غدد صغيرة كثيرة جداً فى « الممر الأمامى » كما نلاحظ فى الرسم « غدد كوبر » (١٢) وهى أجزاء مزدوجة على الجانبين يبلغ حجمها حجم البسلة الصغيرة .

تشترك غدد كوبر مع غدد الممر البولى الأمامى الصغيرة الكثيرة فى إفراز قدر صغير من سائل شفاف صاف قلوى لزج جداً . وهذه المادة تشبه فى أهميتها إفراز غدد سكن وبرتلن فى المرأة ، فهى تعمل كذلك بتأثير التهييج الحسى وتساعد على جعل قمة العضو لزجة سهلة الانزلاق مما يسهل إدخال العضو فى المهبل .

تساعد إفرازات غدد كوبر ممر البول على حسن استقبال الخلايا اللنوية ونقلها إذ تمتاز هذه الإفرازات بتأثيرها القلوى الذى يعادل حموضة البول وآثارها الظاهرة .

ولكن هذا العمل أقل من التشحيم (التزييت : التليين) لأن مقدار البول فى المجرى ليس إلا آثاراً ضئيلة بينما يمر قدر عظيم من المنى بسرعة كبيرة جداً .

وقد يحدث بعد التهييج الموضعى وانتصاب عضو الرجل أن يظهر

إفراز هلامى من غدد كوبر ومن غدد الحالب الثانوية ، فيكون الإفراز استعداداً جديداً للاتحاد البدنى . وقد يظهر الإفراز والعضو مايزال مرتخياً أو حين لايكون انتصابه كاملا تاماً ، ويحدث الانتصاب الناقص حين ينشأ التهيج الحسى عن المشاعر النفسية وحدها ـ كالأفكار والكتب والصور دون تأثير نسوى بدنى ملموس . وقد يحدث الانتصاب الناقص إذا سبق الاتصال البدنى التأثير النفسى بمدة كافية ، وكانت المرأة المؤثرة عزيزة شهية فتانة . ويجب أن يتوخى الزوجان ذلك ، وهو ما أسميه التمهيد للاتصال الحسى (يراجع الفصل الثامن) .

وكثيراً مايخطىء الشبان غير المجربين ، يظنون أن هذا التشحيم أو التليين الطبيعى هو فقدان للمنى ، فيشتد قلقهم على صحة العقل والبدن ، وضياع قوة الذكرة . وليس الأمر كما يظنون ، فليس هذا إلا إعداداً مناسباً حسناً لأعضاء الجسم للجماع كما يفصح عن شهوات النفس ورغبتها .

وقد عرف ذلك علماء الدين الكاثوليكيون (مثل سانكيز والقديس الفونسو دليجورى) ، وقدروا قيمة التليين وآثاره العقلية وأهميته ، وسموه التليين تمييزاً له عن التلقيح ، أو ضياع المنى خارج الجماع .

وأخيراً ، نلاحظ أن التليين لا يحدث مطلقاً فى بعض الظروف كأن يكون سبب الانتصاب مؤثرات آلية خارجية أو مشاعر نفسية

خفيفة مترددة قلقة غير فعالة . وفى هـذه الظروف ، لايبعد أن يكون العمل الجنسى شاقاً ثقيلا أليماً صعباً للزوجين كليهما إذا لم تبلغ المرأة درجة مناسبة وافية من الاستعداد النفسى للمجامعة ، ولم تبدأ غدد المرء عملها .

الخصيتان

جسمان بيضيان (كالبيضة) موضوعان فى كيس (الصفن) .
والخصية اليسرى فى الغالب تتدلى قليلا بالنسبة لليمنى ، فيبدو الكيس بمحتوياته غير متماثل تماثلا تاماً ، ولا يروق عين الرائى ، ولا يتفق والذوق الفنى الجميل .

ومن حيث التناسب المعتاد كان يجب أن يكون مركز الكيس فى نقطة متوسطة أسفل قمة العضو المرتخى . ولون الكيس قاتم ؛ يغطيه شعر كثيف ، ويخلو من طبقة دهنية . وتحت الجلد طبقات سميكة من نسيج عضلى ناعم يتحرك حركة غير إرادية ، فينكمش بالمؤثرات الخارجية (كالبرد القارس) ويصير الكيس المتهدل متماسكا قوياً ويتجعد سطحه . ومنظر الكيس عند انكماشه وتماسكه أكثر أناقة وأقل تنفيراً ، ولذلك عمد أهل الفن ـ لاسيما القدماء ـ إلى اختيار هذا الشكل وواظبوا عليه فى تماثيلهم الرخامية . ولذلك أضحى الكثيرون من الذكور الأحياء يقارنون أجسامهم بهذه التماثيل ، وهى مقارنة لا داعى لها ولا أساس ، ولن تثير إلا الحسرة .

يقسم الكيس فاصل عضلى ، ويحوى كل قسم خصية واحدة وبربخاً واحداً . ويمتد الفاصل إلى الخارج ثنية إلى الوراء بين الشرج والذكر ، وإلى الأمام حيث السطح الأسفل من عضو الرجل .

وتجاور الخصيتان عضو الرجل ، ويعتمد كل منهما على الآخر فى العمل ، فبذور الحياة الذكرية (المنى) تتكون فى الخصيتين ، ثم تنتقل من الجسم عن طريق عضو الرجل . ولكن الخلايا المنوية تحتاج إلى دورة طويلة داخل الحوض لتستطيع بلوغ العضو . وقد حدث هذا بسبب التطور الحيوى ، فقد كانت الخصيتان أصلاً داخل التجويف الحوضى، ولم تهبطا إلى الكيس إلا فى طور حديث . وفى كثير من الفصائل الحيوانية ، يتكرر هذا العمل فى الجسم لأن الخصيتين تثويان عادة داخل البطن . ولا تنزل الخصيتان فى الكيس إلا فى فصل النشاط الجنسى ، فتظهران للعين . وقد يصيب بعض الرجال انحرافات مرضية أو فروق فى التكوين تعيد للأذهان مراحل التطور القديم (مثل التمزق والفتق ، وحالات عدم هبوط الخصيتين الضعيفتين إلى الكيس) .

نستطيع أن نتعرف الطريق الذى سلكته الخصيتان فى هبوطهما من البطن إلى الكيس بتتبع تلافيف «الحبل المنوى» . ويتكون هذا الحبل من ممرات (قنوات) منوية وشبكة من الأعصاب والأوعية الدموية ، وهى تجرى فى أعماق الرفغ (خن الورك) فوق العانة وترتد أسفل الخصية .

والخصيتان والبربخ والحبل المنوى كلها محوطة بعضلات وأغشية مماثلة لطبقات جدار البطن ، وتستطيع العضلات رفع الخصيتين ، ويحدث الرفع فى وقت واحد مع انكماش الكيس . ويمكن تمثيل ذلك بفعل منعكس مثالى ، وذلك بحك سطح الفخذ الداخلى حكاً عنيفاً وبضربه ضربات قصيرة ، فتتحرك الخصية الأدنى إلى الفخذ حركة واضحة ، وترتفع إلى أعلى .

يتراوح طول الخصية الناضجة بين ٤،٥و٤ سم ، ولا تتجاوز ٥ سم . وعرضها يتراوح بين ٢،٨ و١ سم ، ووزنها يختلف بين ١٥،٢٦ جراما .

والخصية اليسرى أكبر من اليمنى . وتدخل الأعصاب والأوعية الدموية إلى الخصيتين من خلف . ويمسك كل خصية البربخ من خلف . ورأس البربخ (١٧) مربوط بطرف الخصية الأعلى (١٨) ، وهذان الجزآن مرتبطان لأن أنابيب الخصية تمتد إلى البربخ . ونهاية البربخ السفلى عند أسفل الخصية تكون الممر المنوى ، ثم تنحنى انحناء شديداً إلى الخلف .

والخصية مقسمة من الداخل بفواصل منتظمة إلى أكواب أو خلايا هرمية . وفى داخل كل كوب هرمى مجموعة من القنوات الدقيقة المقوسة المتوائمة ، تكون المنى وتفرزه حاوياً عنصر التكاثر الذكرى . وهذه القنوات ضيقة جداً حتى إن شعرة سميكة لا تستطيع أن تمر فيها

إلا بصعوبة . وتتجمع الخلايا عنـد القمة ، وتستقيم الأنابيب الدقيقة وتتحد ، ثم تخرج أخيراً من كل خلية أو كوب كأنها أنبوبة واحدة ، تمر فى شبكة من الأنابيب المتماثلة داخل الخصية ، ولـكنها امتداد لشبكة الأنابيب المنتشرة فى رأس البربخ . وتعود هـذه المجموعة من الأنابيب إلى الالتفاف حول نفسها . وتتحد فى طريق واحد يتقوس وينثنى لتكوين الجزء الرئيسى من البربخ ، ويستمر كذلك عند الطرف حتى يصير الممر المنوى ، ذا التلافيف الـكثيرة ، شـديدة التداخل والتشابك . ويمثل الشكل (١٨) هذه الأجزاء .

المنى

يستمر إنتاج المنى منذ المراهقة حتى وقت متأخر من الشيخوخة .

وقد ساعدنا الفحص المجهرى لأنابيب الخصية الملتفة المنثنية على العثور على الخلايا المنوية فى كل مراحل التطور المتباينة مما يثبت أن الأمر يحتاج إلى وقت طويل .

وليس من خطة هذا البحث التوسع فى تفاصيل تـكوين الخلايا المنوية فطريقتها معقدة ، ولـكن من الضرورى أن يتوسع فى وصف الخلية الذكرية التناسلية (المنوية) بعـد تمام تـكوينها ، فهى مهمة جداً بالرغم من صغر حجمها المجهرى الدقيق وهى بذور الحيـاة ، وهى الجزء الحى النشيط فى إفرازات الذكر الجنسية .

ومنى الإنسان من أصغر أنواع المنى ، فهو أصغر من منى كثير من الفصائل الحيوانية ، ولو أن هذه الأجسام الحيوانية أصغر من الجسم البشرى ، فالخلية المنوية البشرية تتراوح فى الطول بين خمسين وستين ميكرونا . (والميكرون جزء من ألف جزء من المليمتر ، فلا تراه العين المجردة مطلقاً ؛ وأما بويضة الأنثى ، فيمكن رؤيتها بالعين المجردة ، ولكن بصعوبة) .

تتكون الخلية المنوية من رأس وعنق وذنب (شكل ٨ ب) .

أما الرأس فكمثرية مسطحة ، ومحيطها الخارجى أرفع وأدق ويشبه الشريط . والرأس هو أهم ما فى الخلية المنوية ، بل هو عنصر الإخصاب والتلقيح الذى يحمل صفات الجنس والشخص .

وطول رأس الخلية المنوية ٢و٤ ميكرون . وعرضه ١و٣ ميكرون وسمكه ٢ ميكرون ، وسمكه عند الطرف ٢و٠ ميكرون .

يربط العنق الرأس بالذنب . والذنب طويل نسبياً ، ويعمل عمل المجداف أو الدفة ، وهو يدفع الخلية المنوية أمامه بحركات متتابعة من التثنى والتشنج ، تشبه ثعبان البحر فى أثناء سباحته أو حركات السوط الضارب . ولكن هذه الحركات المميزة لاتبدأ إلا حين يلقى المنى إفراز الحويصلتين وغدة البرستاتة . فالخلايا المنوية تظل هامدة ساكنة لاتتحرك كأنها لم تكمل النمو ماظلت فى الخصية ورأس البربخ . ويكتمل

تطورها ونموها حين تذهب إلى الممرات التابعة لغددها (غدد الأب) .

وفى البربخ ثنيات وتعاريج لاحصر لها ، مخصصة لاستقبال المنى ولعلها تغمره بإفراز سائل يخرج من بين الأغشية . ولعل هذا السائل هو الذى يعطى المنى لزوجة تقرب من لزوجته وقت قذفه . (ونحن مضطرون لهذا التعليل ، لأن الخلايا المنوية المستخرجة من طرف البربخ لاتـكون متراكمة متجمعة ، بل تطفو كل خلية منها مستقلة) .

وبغض النظر عن استقلال كل خلية منوية فى الحركة ، يجب أن نعتبر أنها مدفوعة للأمام فى الخصيتين بتراكم الإفراز وازدياد الضغط العضلى التدريجى . وهذه العوامل نفسها تعمل فى البربخ ، تساعدها حركة الألياف الدقيقة التى تكسو الممرات ، وهى حركة دائمة لاتنقطع تُحدث تياراً شعرياً فى الممرات المنوية[1] .

وفى داخل الممرات المنوية ، يحدث نقل المنى ا

العضلى القوى الذى تمتاز به هذه الممرات ، ولعا

بطريقة منتظمة (كايقاع الموسيقى) وتم

البربخ عدداً أكبر من الخلايا المنوية .

خلال قناة البول بسرعة البرق فى أ

والموضوعات التى ذكرناها لم

(١) يقارن هذا التيار بالتيار ا

عظيمة لأنها تمنع الخطأ فى الاستنتاج ؛ فنفهم مثلاً أن القذف إذا تعدد وتتابع بسرعة نتيجة الجماع المتكرر فى فترة وجيزة ، قل مقدار السائل المنوى ، وقلت محتوياته من الخلايا الحية العادية ــ بينما تزيد خلاياه الميتة أو غير الناضجة .

وبهذه المناسبة أذكر حادثاً أزعجنى كما أزعج الزبون ! فقد كنت شاباً صغيراً عند مزاولتى المهنة الطبية ، وكنت أحلل السائل المنوى وأفحصه وجاءنى زبون فى عنفوان الشباب ، ينفجر حيوية ونشاطا ، وقد أصيب من قبل بالتهاب البربخ .

كان سائله المنوى رفيعاً دقيقاً جداً سائلا ، قليل الحجم لا يحوى أى خلايا منوية متحركة (نشيطة) ، وكان الأطباء فى ذلك الوقت يعتقدون خطأ أن الخلايا غير الناضجة ميتة منقرضة مشوهة لا تصلح للاخصاب . فكتبت فى تقريرى أن منى هذا الشاب لايصلح مطلقاً للاخصاب .

اعتبر الشاب هذا التقرير شهادة لا يدخلها الشك . واعتقد أنه بالنساء ماشاء دون تورط فى الحمل ، وانطلق يطبق ...مة الكبرى إذ حملت منه أول فتاة !

...راً آلياً فى السائل المنوى وفى الإفرازات

. ولاندرى الآن أهذه الخلايا المنوية

آخر ، وتسكن غالباً فى أثناء تقدمها

...درة هذه الخلايا أن تتغذى وتنشط

بإفرازات الذكر الأخرى أو بإفرازات المرأة (مثل إفرازات غدد سكن وبرتلن وممرات المهبل وعنق الرحم) ، فتحفظها وتساعدها على الاحتفاظ بحركتها النشيطة بالرغم مما تقطعه من مسافات طويلة عظيمة (نسبياً) .

لا نستطيع إنكار احتمال هذا الانتعاش والتهييج الموضعي ، ولا يبعد أن تنقطع الحركة انقطاعاً مؤقتاً . وقد رأينا أنها مدفوعة دفعاً إلى التقدم النشيط باختلاطها بإفراز البرستاتة مع أن لديها قدرة كامنة على الحركة المستقلة . ألا نعلم أن الخفاش يتصل اتصالاً جنسياً فى الخريف فيستطيع المنى أن يبقى نائماً فى الرحم طوال الشتاء ، ثم يلقح البويضة فى الربيع .

وإذا فحصنا المنى بالمجهر فى السائل المنوى المحفوظ بدرجة حرارة الجسم فى أفران خاصة تمنعه من الجفاف ، نلاحظ أن خلاياه تبقى حية فى هذه الظروف ثمانية أيام تستمر فيها الحركة الدائمة الدائبة ـ كلما فحصت بالمجهر .

وإذن ، فمن المحتمل أن الخلايا المنوية تستمر فى الحركة منذ اللحظة التى تقذف فيها حتى تندمج فى بويضة المرأة ويحدث الإخصاب .

وهذه الفترة (فترة نشاط المنى) يختلف تقديرها أشد الاختلاف ، فيقال إنها تتراوح بين ٢٤ ساعة ، ٣٦ ساعة ، بينما يزعم آخرون أنها ثمانية أيام بل ١٤ يوماً . وعلى أى حال ، أميل إلى الاعتقاد بأن نشاط المنى يستمر أمداً طويلاً ، وتؤيدنى فى ذلك ملاحظة أوجه الشبه بين

بعض فصائل الحيوان، ومقارنتها بالتجارب العملية غدا تجارب البحث.

تتحرك الخلايا المنوية تحت المجهر بسرعة ٣ ملمترات فى الدقيقة، فالخلية تتحرك إلى الأمام مسافة تعادل طولها فى ثانية واحدة. وهى مدفوعة للأمام بقوة عظيمة، تزيل العقبات وتدفعها عن طريقها أو تشقها شقا، ويستمر تقدمها ثابتاً لا يعوقه شيء.

أسلفت القول أن ثمة تياراً شعرياً مستمراً فى قناة البيض النسوية وفى الرحم، ويعمل هذا التيار داخلاً خارجاً متجهاً نحو المهبل وفتحته. ولا بد أن تسبح الخلايا المنوية الغازية ضد التيار لتبلغ أهدافها، ولعل سرعتها القصوى تقل قليلاً بالتيار الشعرى.

والمعتقد أن الخلايا الغازية تتقدم على الأقل ملليمتراً أو ٥و١ ملليمتر كل ثلاث دقائق، ولذلك ينطلق المنى من السائل المقذوف عند عظمة الرحم الخارجية فلا يبلغ تجويف الرحم إلا بعد ساعتين أو ثلاث ساعات.

وبعد بضع ساعات أخر، يكون المنى قد دخل قناة البيض النسوية فيلقى البويضة المنطلقة فى الجزء الجانبي من ممر البيض. وحينئذ تندفع إلى الأمام إحدى الخلايا المنوية، وتغزو البويضة وتغطس فى أعماقها، فتتحد رأس الخلية المنوية بالبيضة، وهذا هو الإخصاب.

فالإخصاب لا يمكن حدوثه مهما كان مبكراً إلا بعد مرور ثمانى ساعات بعد الجماع ـ وذلك إذا حسبنا الوقت بهذه الطريقة.

بعد كم يوم يحدث الإخصاب بالمنى ؟

سنفترض أنه لم يحدث جماع بين المنى المقذوف و بين وقت الإخصاب وهو أمر يصعب تقريره . ولـكنى مضطر إلى ترك وقت كاف لظروف مختلفة ، ولتوضيح ذلك أرى أنه يمـكن أن تمر ثمانية أيام أو عشرة بعد الجماع ، يستطيع بعدها المنى الخارج فى الجماع ـ أن يخصب البيضة .

ولـكنى أرى عكس ما يراه غيرى ، فالمنى الذى تتلقفه أعضاء المرأة فى أثناء جماع يسبق إفرازها الشهرى (الطمث) لا تـكثر أمامه الفرص ليبقى حيا بعد الطمث ، ولا يستطيع الاختفاء فى الأنابيب لتخصيب بو يضات التبو يض التالى . ومع ذلك ، لا أزعم أن هذا مستحيل لا سيما إذا حدث التبو يض فى وقت مبكر .

وأخيراً يجب أن نعلم ما يحدث للخلايا المنو ية الـكثيرة التى لا يتاح لها لقاء بو يضة الأنثى والاتحاد بها ، فلا تتاح الفرصة إلا لخلية منو ية واحدة يسعدها الحظ لتعمل وتنشط ، فتتحد بالبو يضة ، وبمجرد حدوث الاتحاد يتعسر على باقى الخلايا المنو ية ، بل يتعذر عليها غزو البو يضة .

و يقذف فى كل جماع فى المهبل ما يتراوح عدده بين ٢٠٠ مليون و ٥٠٠ مليون خلية منو ية ، تموت جميعا عدا خلية واحدة تسبب الحمل .

ويحدث هذا دائماً فى كل جماع إلا إذا تكررت مرات الجماع بسرعة بعد قذفٍ منوى سابق .

ماذا يحدث لهذه الحوريات السابحات ؟

ترتد أكثر الخلايا المنوية السابحة خارج المهبل مع الإفرازات السائلة المطرودة منه . ويذوب جزء كبير نسبياً وتعادله كيمويا إفرازات الفرج المحلية بعد فترة وجيزة ، فهذه الإفرازات شديدة الحموضة ، ولا تستطيع الخلايا المنوية أن تحيا فى محيطها الحمضى الشديد[1] .

ولكن يناسب المنى كثيراً الحموضة الخفيفة التى يمتاز بها الإفراز المهبلى فى بعض فترات الدورة الشهرية (الحيض) ، كما يناسبه السائل المنوى القلوى وإفرازات الرحم والقناتين .

تتحلل الخلايا المنوية وتتناثر وتتناءى ، وتترك بقاياها التى تخرج من الفرج مع البول ، أو مع محلول الرش والغسيل . ولكن الغشاء المهبلى يمتص بعض مركبات المنى الكيموية مع مركبات الغدد الثانوية ، وتسرى هذه المركبات فى الدم .

ويذهب قليل من المنى إلى الرحم ، ثم يفنى معظم هذا القليل فى طريقه إلى قناة البيض (قناة فالوب) ، ولكن جدار الرحم أكثر

(١) فى خلال الحمل تموت الخلايا المنوية وتتحطم حالا بحموضة الإفراز الشديدة .

من جدار المهبل امتصاصاً للمواد المنوية . ويدخل فى غشاء الرحم المخاطى كثير من الخلايا المنوية النشيطة . وقد كشفت خلايا منوية فى مختلف مراحل التحلل بين خلايا الغشاء الرحمى وفى داخلها ـ مما يثبت أن جسم المرأة كله يمتص مركبات المنى الكيموية ويتمثلها .

ولا يدخل قناة المبيض غير عدد قليل ضئيل جداً من الخلايا المنوية ، تموت جميعاً عدا الخلية الفريدة السعيدة التى قدر لها أن تنقل الحياة . ولم نوفق فى العثور على الخلايا المنوية فى قنوات البيض ـ ولو أننا عثرنا عليها فى الرحم .

ولا يصل إلى التجويف البطنى إلا عدد ضئيل جداً يمتاز بالحيوية العظيمة ونشاط الحركة الزائد ، ثم تهاجمه كرات الدم البيض وتبتلعه ، فهذه الكرات تنظف الجسم وتطرد مالا رغبة فيه ، وتستأصل المنى الزائد خلال عشرين ساعة على الأكثر . وقد أثبت ذلك « هن » بتجارب حقن فيها المنى فى التجويف البريتونى .

البرستاتة

وغدة البرستاتة تشبه حدوة الحصان ، وتحيط الجزء الخلفى من مجرى البول فيثوى الجزء الأطول خلف قناة البول والجزء الأقصر أمامها . والجزء الأمامى من البرستاتة يقترب من حافة عظم العانة السفلى . ويثوى عنق المثانة فى الجزء الأعلى من البرستاتة . ويظهر الجزء الخلفى من

البرستاتة (رقم ٩ فى الرسم السابع) وهو ينحدر إلى الخلف انحداراً خفيفاً ثم يجاوز الجزء الكبير من الأمعاء ، وقد شرحنا ذلك عند الكلام عن أعضاء الأنوثة .

ويمكن الإحساس بالبرستاتة بالإصبع إذا أدخل فى الشرج ، ويستند الطرف الأسفل من البرستاتة إلى قاعدة الحوض العضلية أعلى اتصال مجرى البول بالنسيج الاسفنجى الأجوف فى الذكر .

والبرستاتة كتلة من خلايا الغدد يفصلها نسيج ضام مزود بعضلات ناعمة (غير إرادية) يغلفها جدار خارجى من عضلات مماثلة . وهذا الجهاز العضلى القوى قادر على ضغط الإفرازات وإخراجها إلى مجرى البول فى أثناء التقلصات والتشنجات التى تحدث حين يتقدم النشاط الجنسى . والقنوات التى تتكون فيها هذه الإفرازات ثلاثون تقريباً وتنفتح فى مكان واحد من جدار مجرى البول حيث تتضخم القناتان المنويتان إلى مجرى البول عند هلال مجرى البول (١٠ فى الرسم) .

وهلال مجرى البول ارتفاع بيضى الشكل عرضه ثلاثة ملليمترات وارتفاعه ثلاثة ، ويثوى فى منتصف الجزء المار بالبرستاتة ، وهذا الهلال يبرز من الجدار الخلفى إلى المجرى نفسه . ولا يمكن قياس طول هذا الهلال لأنه يتحول إلى ما يشبه الأطواء الطولية فى الغشاء المخاطى ولكنه يتراوح بين سبعة ملليمترات وثمانية بالتقريب . ويتكون معظمه

من نسيج قائم كالنسيج الأجوف الذكرى ، والبظر والبصل فى المرأة ، ويتخلله نسيج عضلى غير إرادى ناعم مطاط .

والإفرازات الخاصة بغدد البرستاتة تكوّن سائلا قلويا رفيعاً لبنياً فى بياضه ويحوى المادة الكيموية الخاصة (المادة المنوية المتبلورة) التى تعطى الإفراز المنوى رائحته المميزة . وتخرج إفرازات البرستاتة إلى مجرى البول مع إفراز الحصيتين (المنى) وتمزجها الانقباضات التى تحدث فى أثناء العمل الجنسى . وإفرازات البرستاتة هى الجزء الأعظم من السائل المقذوف ، وقلويتها تحفظ الخلايا المنوية وتنشط حركتها .

ذكرنا بعض الحقائق الهامة عن القناتين المنويتين . وسنتحدث الآن عن علاقتهما بالمخازن والحويصلات المنوية . وقناتا المنى طويلتان ، إذ يبلغ طول القناة ٤٥ سنتيمتراً ومنشؤهما نزول الخصيتين من البطن إلى كيس الصفن ، وهما تخرجان من الجانبين من الخصيتين وتلتحمان بالأعصاب والأوعية الدموية لتكون الحبال المنوية تحت الجلد مباشرة عند الطرف الخارجى للوركين ، ويمكن الإحساس بسهولة بالحبل المنوى فى هذا المكان .

وإذا أمسكت محتويات الكيس بأصابعك بين الورك والخصية ، أمكنك الإحساس بحبل صلب مستدير سمكه سمك قلم رفيع ، وبعد المرور بأعلى الورك ، يهبط فى الحوض الصغير ، وهذا الحبل مغطى بالغشاء

البرتونى ويلتف حول قاعدة المثانة . ويكبر فى الحجم عند هذا المكان ويكوّن تجويفاً مغزلياً هو « المخزن المنوى » وهو مخزنان : مخزن في كل ناحية .

وطول الحبل المنوى مهم جداً من الناحية العملية ومن ناحية التطور ، لأن هذا الطول يزيد قوة امتصاص محتويات الخصية ، كما أنه يزيد قدرته على احتواء مقدار أكبر من هذا الإفراز . ولذلك يمكن اعتباره مخزناً وممراً . ولكن المخزن الحقيقى هو الجزء المتسع من الحبل المنوي فى أسفل المثانة ، وهو يشبه النتوءات الصخرية ، وينقسم داخلياً إلى حجرات دقيقة بزوائد من الغشاء المخاطى مكونة ثنايا وأخاديد عميقة وفى هذه الفجوات التى يتراوح طولها بين ٣ ، ٤ سم ، وسنتيمتر عرضاً يتجمع السائل المنوى من البربخ . وانقباضات العضل غير الإرادية تقذف السائل المنوى رذاذاً خلال الممرات الدقيقة التى تكون الجزء الأخيرة من الحبل المنوى فى مجرى البول وفى الوقت نفسه تندفع محتويات هذه الحويصلات المنوية إلى مجرى البول بالانقباضات العضلية .

والحويصلتان (٨ فى الرسم السابع) جسمان منبسطان بيضيان ، طول كل منهما ٤ـ٥ سم ، وعرضه ٢ سم ، وسمكه سنتمتر واحد . وهما تشبهان الخزانات فى تركيبهما الداخلي ولكنهما تختلفان فى أن كل حويصلة هى قناة ملتفة التفافاً شديداً ، ولها فروع متعددة تنتهى بأكياس تفتح فى

القناة الرئيسية وهذه تفتح مرة ثانية فى أسفل المخزن ، بحيث يمكن اعتبار الحويصلة ملحقاً أو امتداداً للمخزن . وقد ظل الطب يعتبر أن هذه الحويصلات تعمل مخزناً فقط ، ولكن بعض الخلايا المنوية تثوى دائماً فى حويصلات الرجل البالغ . وإذا حقن أى سائل فى الأوعية المنوية فإنه يملأ الخزان والحويصلات قبل أن يتسرب خلال فتحة مجرى البول الدقيقة . ولكن كل التجارب الاختبارية حدثت بالطبع بعد الوفاة ، ولذلك لا تضمن صحة هذه النتائج خلال الحياة .

ويبدو أن معظم تخزين المنى يحدث فى المخازن ، فإذا ازداد التخزين عن الطاقة فإن الحويصلات تعمل عمل صمام الأمن والخزانات الاحتياطية[1] .

ولكن عمل الخزانات الرئيسى ، هو إفراز مواد خاصة تختلط بالسائل المنوى . وإفراز الحويصلات إفراز صلب أصفر لزج يمكن تمييزه فى السائل المقذوف حديثاً ، إذ يظهر حبيبات دقيقة (تشبه

(١) من المهم ملاحظة أن الحيوان ذا الخزان الكافى ينتهى من الجماع بسرعة عظيمة كالإنسان . ومن أنواع هذا الحيوان : الماشية والخراف والخيل .

أما الكلاب والقطط وغيرها فليس لها خزان احتياطى . ولذلك فهى مضطرة إلى الاعتماد على الأوعية المنوية فيما تحتاج إليه من منى فى الجماع ، وهو ما يفسر حاجتها إلى وقت طويل للجماع .

بيض الضفادع دون أن يكون لها نواة) وفائدته إنقاص السيولة وزيادة اللزوجة ، ولكن هذه الحبيبات تذوب بسرعة فيصير السائل المقذوف سائلاً تماماً .

ذكرنا ما للإفرازات الحويصلات من تأثير مهيّج فى الخلايا المنوية. وزيادة هذه الإفرازات تساعد على المباعدة بين الخلايا . ولم تعرف الآن إذا كان لقوام هذه المادة أى قيمة خاصة فى حفظ هذه الخلايا . والجزآن الأخيران من الوعاءين المنويين يصبّان محتويات الخزانات والحويصلات فى مجرى البول . وطول الجزء يتراوح بين سنتيمترين ، وسنتيمترين ونصف سنتيمتر . وهما يقطعان البرستاتة من الجانبين قطعاً مائلا ، ويفتحان فى مجرى البول فى فتحتين متجاورتين عند هلال مجرى البول : ويبلغ قطرهما أول الأمر ٢ سم ثم يضيق إلى الربع (٥ و . مم) .[(1)] وبذلك تضغط المادة المنوية وتعصر عصراً فتقذف إلى مجرى البول رذاذاً رفيعاً جداً بقوة عظيمة ، وهذا أمر هام سنعود إلى شرح أهميته .

وبهذا القذف تطرد الخلايا المنوية من جسم الرجل طرداً نهائياً . والواقع أن القذف هو هدف العمل الجنسى كله وهو غايته ونهايته ، وسنعود إلى تفصيله عند الحديث عن المشاعر والأحاسيس التى تصاحبه .

(١) يمكن تصور هذه النسب وتوضيحها بأنبوبة المبخر فى السيارة المتوسطة الحجم التى تبلغ فتحتها ضعف عرضها .

نقتصر الآن على طبيعة القذف وطريقته ، لأننا نرى أن السائل المنوى إذا تراكم وتجمع فقد يفرغ تفريغاً آلياً فى الفتيان والرجال دون جماع ، بل دون تهيج شهوى أو أفكار حسية أو رغبات جنسية .

يتزايد التوتر وتتراكم المهيجات الخارجية والآلية (أى مهيجات الأطراف) ، وقد تكون نفسية خيالية (فهى مركزية) أو تكون نتيجة تراكم السائل المنوى فى الخزانات والحويصلات ، فإذا بلغ التهيج درجة عظيمة انقبضت العضلات الناعمة غير الإرادية فى هذه الأعضاء الأربعة انقباضاً آلياً فى تشنج قوى وطردت محتوياتها السائلة رذاذاً دقيقاً متصلاً يرتطم بالجدار الأمامى لمجرى البول .

وفى الوقت نفسه تنقبض عضلات البرستاتة ، وتقذف إفرازاتها الخاصة فى مجرى البول ، وهذه الإفرازات الخاصة يختلط بعضها ببعض اختلاطاً تاماً بسبب دقتها ودفعها الشديد ، وبسبب دفعها وارتدادها (ارتداد الكرة المرتطمة بالحائط) عن جدار مجرى البول لتلقى إفراز البرستاتة حين يتدفق من فتحاته الكثيرة (يقارن وصف تركيب البرستاتة ووظائفها) .

وهكذا نرى شدة تعقيد الأعمال المؤدية إلى اختلاط الإفرازات ، وتكتمل هذه الأعمال (فى الإنسان العادى) بالانتصاب الذى

يسبق هذه الأفعال المنعكسة [1] ، ويؤدى إلى تضخم هلال مجرى البول وبروزه ، وهذا يجعل المهبل الأمامى للجزأين الأخيرين من القناتين المنويتين أشد انحداراً وأكثر اقتراباً ، مما يساعد على اكتمال امتزاج السوائل المختلفة ، ويتجه المزيج كله نحو الجزء الذكرى من مجرى البول . وفى الوقت نفسه يعمل هذا الانتفاخ عمل السدادة ، فهو يغلق الجزء الخلفى من مجرى البول الذى تغلقه بعض عضلات البرستانة التى تحيط مجرى البول بحلقة مستديرة وتنقبض انقباضاً تشنجياً .

وبذلك يتعذر على السائل المنوى أن يتدفق فى اتجاه المثانة ، ولا يستطيع إلا أن يخرج إلى العالم الخارجى ، وكذلك يستحيل على البول أن يخرج مع الخلايا المنوية أو يختلط بها ، وما دام الذكر منتصباً ، فإن الإغلاق الذى يحدثه هلال مجرى البول يمنع القدرة على التبول .

تمتزج الإفرازات السائلة فى الجزء البرستانى من مجرى البول ، فيتكون المنى ، أو السائل المنوى ويقذف حالا من الجسم بفعل منعكس تماماً . ولذلك يستحيل تماماً منع القذف مهما بذل الرجل من مجهود شعورى - مادام القذف قد بدأ . ويحدث القذف من تلقاء نفسه

---

(١) الفعل المنعكس هو انفعال غير إرادى ينشأ عن تهيج عصب أو عدة أعصاب . ويؤثر فى أعصاب أخرى ، وتحدث الحركة الانفعالية الناتجة دون مساهمة المراكز المخية فيها . وهذا أمر هام .

ولا يمكن منعه فى هـذه الحال بعمل العضلات الإرادية (المخططة) مع أنه يمكن التحكم فيها بالإرادة الشعورية فى غير هذه الحالات .

ويبدأ الانفعال (الفعل المنعكس) بخروج المنى السائل وارتطامه بالجدار الداخلى لمجرى البول ، وحينئذ تحدث نتيجة حسية هى الشعور باللذة العظيمة (حتى عند خروج المنى فى أثناء النوم) ، وتحدث نتيجة أخرى (حركية) هى انقباضات تشنجية أو منتظمة إيقاعية تحدث متتابعة فى الحال حول قاعدة الذكر كما تصيب هذه الانقباضات كل الجزء الأسفل من الحوض .

وأنشط العضلات عند القذف هى عضله تحيط بصلة مجرى البول وتثوى تحت الجلد المتصل بين الشرج والذكر . ويمكن فى هـذه الظروف أن تشعر أى إصبع من أصابعك شعوراً واضحاً بنوبات اللذة المفاجئة الشديدة التى تصيب هذه العضلة المرسومة فى الرسم السابع والمرقومة (١٤) (عضلة البصلة الجوفاء) .

والتشنجات المنتظمة التى تحدث عند القذف تطرد المنى وتقذفه قذفاً شديداً من الفتحة الخارجية بقوة دافعة كبيرة يمكن ملاحظتها إذا حدث القذف فى الفراغ . ويقطع التيار المنوى (المنى) مسافة كبيرة فيقذف مابين ١٥ ، ٢٠ سنتيمتراً ، وقد يقذف متراً كاملاً .

وفى التشنج الأول فى الجماع يقذف بعض المنى للخارج ، وقد

يتسرب بعضه إلى الجزء الخلفي من مجرى البول . وحين تبدأ التشنجات المفاجئة الشديدة يرتد جزء أكبر من السائل المنوى إلى الخلف فيعمل التوتر العضلي المتبادل مع الارتخاء العضلي عمل المضخمة الماصة .

وفي الانقباضات القليلة التي تصاحب الاندفاعات (الطعنات) الأمامية يقذف سائر المني ، ثم تحدث انقباضات خفيفة تقل بالتدريج ، وهي تخلص مجرى البول مما بقي فيه من مني ، وبذلك ينتهي الانفصال . وحينئذ يذوى الذكر القائم ويتبدل ويعود إلى وضعه الطبيعي (إلا إذا تجدد التهيج) فينتهي الانتصاب والقذف .

ويصعب علينا أن نتحقق تمامًا مما إذا كانت الخزانات والحويصلات تفرغ تفريغًا تامًا حين يحدث القذف . أما حين يمكن إعادة الجماع في الحال فيمكن القول بأن هذه الأعضاء تفرغ تفريغًا جزئيًا - ولو أننا يجب أن نسلم بأنه تحدث انقباضات متتابعة متموجة في القناتين المنويتين وهي تجلب بسرعة مزيداً من السائل المنوى ، وهذه التموجات أو الانقباضات تحدث خلال القذف الأول واستجابة للمؤثرات المهيجة التي تسبق القذف الثاني .

ولعل القذف الكامل أو الجزئي مسألة شخصية تختلف باختلاف الأشخاص . ويعتقد بعض المؤلفين أنه من الممكن حدوث تفريغ من ناحية واحدة أي من الحويصلات المنوية اليمنى أو اليسرى فقط .

وتفسر الاختلافات الشخصية السبب في أن شخصاً يستطيع الجماع مرة واحدة في كل مناسبة ، بينما يستطيع آخر الجماع بضع مرات متتابعة سريعة .

وهذه الموهبة (أو القدرة) تتوقف بالتأكيد على مقدار إفراز الخصيتين أقل مما تتوقف على زيادة نشاط الغدد المساعدة . وإذا تكرر القذف السريع فالسائل المقذوف يكون رفيعاً في النهاية ، ومعظمه إفراز برستاتي ولكنه لايحوى خلايا منوية أو يحوى منها قدراً ضئيلا للغاية . أما فقدان المنى فقداناً غير إرادى ، مما يتعرض له الشبان الزاهدون الأبرياء فيحدث نتيجة تراكم المنى ويتكرر كل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع وقد يتكرر أحياناً كل ثمانية أيام . وإذا تقدمت السن تباعدت فترات القذف البرىء . وهو يحدث عادة خلال النوم وحده وتصاحبه أحلام شهوية لذيذة ويصحب القذف إحساس اللذة العنيفة والارتواء الممتع .

ويحدث تفاعل بين الوظائف الوضعية للأعضاء الجنسية وبين الصور والمشاعر النفسية . وتوتر الخزانات والحويصلات يحدث حركات انفعالية (حركات ناشئة من أفعال منعكسة) هى حركات الانتصاب والقذف وتمر الأحلام بالعقل مروراً متفقاً إذ ينشأ الحلم عن التوتر الموضعى وينشأ القذف عن الحلم .

وعلى أى حال ، فالانتصاب والقذف خلال النوم تقدم لنا خير الأمثلة البدنية على دافع « إزالة التوتر » أو « دافع الارتخاء » ، ففى

مثل هذه الحالات يمكننا تسميته « دافع التفريغ الجنسى » .

وفى ساعات اليقظة تحدث استجابة نفسية لتوتر الخزانات المنوية ، وما أشد تعقد هذه الاستجابة النفسية ! وحتى لو كان القلق النفسى نتيجة مباشرة للتوتر البدنى ، فإن الدافع الناتج والشهوة الحادثة يقصد بها شعورياً إرضاء العاطفة أكثر من إرواء الظمأ البدنى ! ومن ثم لا نستطيع تسميتها مجرد التفريغ[1] .

ما أعجب الملاعبة المتبادلة بين التهييج والكبت ، والتنشيط والتقييد ! فحركة القذف الانفعالية تصدر عن الخزانات المنوية وحدها ، وهى تسبب خروج المنى خروجاً لاشعورياً فى أثناء النوم وحده ! وهذا يثبت أنه عند تيقظ الشعور تكبت وظيفة القذف إذ تتحكم فيها القشرة المخية بمشاركة النفس مشاركة نشيطة فعالة .

وقد يكبت الانتصاب والقذف بمراكز المخ العصبية العليا فى ظروف أخرى مختلفة . وهو أمر عظيم يسر الكثيرين ، وكذلك يسر عكسه بعض الناس[2] .

---

(١) الدافع إلى إزالة الضغط (إزالة التوتر) أى البلوغ الماضى الجنسى أو الارتواء الجنسى يختلف تماماً عن دافع التفريغ المنوى ـ فى الحالات الكثيرة التى لا تحصى حيث يتراكم المنى ولا يتزايد الضغط البدنى ولكن يحدث تطلع نفسى ولهفة ودوافع نفسية .

(٢) تقارن القصة الشاعرية الرابعة « رجن » للشاعر « شنتزلر » .

حقائق عن المني

يخرج المني فى كل مناسبة ، ويتراوح حجمه بين خمسة سنتيمترات مكعبة وعشرة سنتيمترات ، ويحوى كل سنتيمتر مكعب نحو ستين مليوناً من الخلايا المنوية . وإذا تكرر القذف تكراراً سريعاً قل نوعاً وقدراً .

وبمجرد تعرضه للهواء يبدو المني سائلا غروياً يحوى حبيبات متجمدة دقيقة ولونه أبيض مصفر اصفراراً ضعيفاً . وتفاعله الكيموى حمضى ، وله رائحة خاصة مميزة تزيد بالحرارة أو الغسل بالماء الدافىء . وسرعان ما تزيد الحبيبات ويصير المني سائلا تام السيولة ولو أنه يميل إلى تكوين قشور بعضها فوق بعض .

وإذا جف المني صار لزجاً جداً ، ثم يترك على المنسوجات (الملابس والمفروشات وغيرها) بقعاً بيضاء جامدة يمكن إزالتها بغسلها بالماء البارد ، ولكن تصعب إزالتها بماء ساخن . وعند التحليل الطبي لأغراض قانونية يلجأ المحلل إلى تمييز المني فى ماء الغسيل .

وبالمجهر نرى فى المني خلايا منوية نشيطة حية كما نرى أشكالاً شاذة أو غير ناضجة ، وخلايا أخرى متنوعة وأجساماً دقيقة مجربة لاتهمنا فى هذا البحث .

وإذا ترسب المني أو تجمد بالبرد تكونت بلورات غريبة عجيبة للغاية تقرب فى طولها من طول الخلية المنوية . وبالرغم من تنوعها

العظيم فى الشكل فهى تتحد جميعا فى المادة ، فهى المادة المنوية ، المتبلورة « سبرمن » (وقد كشفها بتشر فى سنة ١٨٦٥) .

وفى عشر السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر قتلت هذه المادة بحثاً من الناحيتين الكيموية والحيوية ، وقد بحثها « ا فن بهل » من بترسبرج ، وأفلح فى تأليف المادة المنوية المتبلورة بطرق كيموية خالصة ، أى أنه ركب المادة من عناصرها الكيموية الأصلية دون أن يلجأ فى ذلك إلى جسم الإنسان أو إلى مركب بدنى .

وقد أظهر خواصها ، ومنها أن رائحة المنى المميزة إنما تسببها هذه المادة المتبلورة ، فالرائحة لا تأتى من إفراز الخصيتين لخلوه من المادة المتبلورة ، ولكنها تنشأ من سائل البرستاتة . وإذا أخذت الإفرازات المنوية من الأوعية المنوية مباشرة فلن تنبعث منها رائحة المادة المتبلورة ـ مع أن إفراز الخصية هو أهم محتويات السائل المقذوف وأكثرها حجماً . وإذا مزجت مقادير مختلفة من المادة المتبلورة المنوية المصنوعة كيموياً خارج جسم الإنسان . فإنها تبعث رائحة منوية لا يخطئها الشم ولا تفوت أحداً مهما كان المحلول ضعيفاً . وهذا يساعدنا على فهم انتقال الرائحة المنوية الخاصة إلى أنفاس بعض النساء بعد الجماع .

وأثبتت بحوث « بهل » أن المادة المنوية المتبلورة إذا أدخلت فى الجسم الإنسانى زادت أعمال التمثيل والبناء وشملت زيادة الطاقة الحيوية العامة

ويفسر هـذا ما للجماع من تأثير مقوّ فى النساء ، فلا شك أن أنسجة الجسم النسوى تمتص المنى امتصاصاً جزئياً . ونعترف بالطبع بأن انبعاث الرائحة فى أنفاس المرأة وتقويتها بدنياً قد لا يكون سببهما الأوحد هو المادة المنوية المتبلورة ، فلعل المواد المنوية الأخرى تساهم فى تقوية المرأة وبعث الرائحة فى أنفاسها .

وكذلك ندرك أنه من الممكن أو من المحتمل أن الاتحاد الجنسى ينعش المرأة ويقويها بطرق أخرى ؛ كأن يزيد مقدار إفرازاتها الداخلية كما يؤثر فيها تأثيراً نفسياً بطرق مختلفة .

الإفرازات الداخلية

أما إفرازات أعضاء الذكورة الداخليـة (إفرازات الغدد الصم والمهيجات) فأهميتها عظيمة ، إذ تؤثر فى الرجل الناضج تأثيراً شاملا ، فتزيد قوته البدنية العامة ، وقدرته العقلية على الابتكار والابتداع ، والأعمال الفكرية ، كما تزيد مشاعره الجنسية ولا سيما فى أول أطوارها .

وتختلف إفرازات الرجل الداخلية عن إفرازات المرأة المبيضية ، فهى فى الرجل لا تظهر أى اختلاف أو انتظام دورى ، ولكنها تستمر استمراراً متزناً ثابتاً خلال حياته الناضجة . وهذه الإفرازات لا تؤثر تأثيراً فعالا فى جسم الرجل كله ، بينما تؤثر إفرازات المبيض فى جسم المرأة تأثيراً شاملا دقيقاً ، ولا تصاب وظائف الرجل الحيوية بما تصاب

به كل أعمال المرأة ووظائفها الحيوية من مد وجزر متبادلين منتظمين[1] .

ولكن تنقص إفرازات الخصيتين الداخلية والخارجية نقصاناً تدريجياً عند بلوغ الرجل سناً معينة . وهذا أحد أعراض العنة وتقدم السن ، وله أهمية خاصة ، فإن الخصيتين تبدآن فى الضمور وحينئذ يقف تأثير إفرازهما المهيج ولا يظهر ما كان يظهر من تنبيه وتنشيط وتهييج فى الجسم كله . ووظائف كل عضو على حدة بالإضافة إلى ضمور الخصيتين حقيقتان تؤكدان تقدم الجسم كله نحو الشيخوخة وتساعدان عليه ، وقد تؤديان إلى شيخوخة العقل كذلك .

فهذه دائرة الشر حقاً (وتسمى أحياناً الحلقة المفرغة الجهنمية) ، إذ هى سلسلة مستمرة من الآثار السخيفة المضايقة وأهم حلقاتها نقصان إنتاج المهيجات التى تفرزها الخصيتان .

أثبت البحث العلمى الحديث هذا الرأى بطريقتين مختلفتين واستنتج نتائجه من ملاحظات قديمة . وظهر من تجارب « شتيناخ » أن ربط القناة المنوية لا يقتصر أثره على منع العنة ، بل قد يزيل أعراضها الموجودة فعلا إزالة جزئية . وكذلك عمد « فرنف » إلى استبدال الإفراز الداخلى الذى تنتجه الخصيتان البشريتان عند إخفاق الإفراز ـ بزرع

---

(١) يقارن شعر رلف شيلى الأمريكى : « إنك تتحركين ياعزيزتى مع القمر ، وتتنفسين مع الجزر دون أن تهتمى بصحبتى ومسايرتى ! »

أنسجة من الثنايا والطوايا من أجسام القردة المشابهة للانسان . وكان لتجربته نتائج مشابهة للنتائج السابقة الباهرة .

ويقصد بهذه التجارب مساعدة الرجال المصابين بالعنة والشيخوخة والإجهاد قبل الأوان . ولم تبلغ درجة تمكننا من التحدث عن خبرة عن نتائج هذه البحوث والأعمال من الناحية العملية فى الحياة العادية اليومية .

وفى مثل حالنا يغلب الشك ، فننصح الرجل الصحيح فى سن الخمسين والستين بمنع ضمور أعضائه بقدر الاستطاعة ، وذلك بتدريبها واستعمالها استعمالا منظماً مناسباً ، فلا يفرط فى العمل الجنسى ولا يبخل به . وأفترض فى هذا كله أنه سيحفظها من الإصابة بالأمراض .

إن كل عضو يضمر إذا قل استعماله أولم يستعمل على الإطلاق ، ويلتق الأطباء هذه الأعراض أنى كانوا ، ويحذرون الناس منها دائماً .

فلماذا لانلفت الأنظار إلى أن خمول الخصيتين يساعد على مجىء الشيخوخة الباكرة والاضمحلال قبل الأوان مما يقلل من حيوية الشخص وقدرته بينما استعمال الوظيفة الجنسية استعمالا معتدلا مناسباً أمر ممكن حتى سن متقدمة جداً . وهو يحفظ الجسم كله قدرته وقوته وعنفوانه إلى حد كبير . وحين أنصح الشيوخ الكبار بالجماع أرى بعض المساوىء والأخطار الخلقية والبدنية ، وما إلى هذا قصدت !

ولكنى أحتمل تبعة النصح بالمجامعة المنتظمة عند بلوغ الخمسين والستين إلا إن كان الرجل مصاباً بأمراض أو أعراض تمنعه من اتباع هذا النصح . وفى هذه الحال تستطيع الحياة المنزلية المسترشدة بالزواج المثالى وأضوائه وتطبيقاته أن تمتع البدن والعقل والنفس بالصحة والسعادة .

أقوال مأثورة

١ ـ لتأدية الجماع حسب الشرع الالهى ، يحتاج الإنسان إلى معرفة كاملة وسيطرة شاملة على كل التفاصيل الخاصة بالرجل والمرأة .

(عمر حلبي)

٢ ـ ليس فى المشاكل الحيوية جميعاً مايفوق ضرورة فهم الأعمال والحركات والطرق التى تضمن استمرار الحياة . (كاميل موكلبر)

٣ ـ إن موضوع الجماع هام جداً ، وأهميته تشغل العالم البشرى كله ، كما تهم كل شخص بدرجة قصوى . وهو يحتاج للنصح السديد ، فقد انغمس الإنسان فى كل العصور والبلاد فى إتيان الحماقات والسخافات مدفوعاً بالشهوة القاسية العمياء . (ل . د . لانجل)

٤ ـ سيسعد معظم الأزواج لو اهتم الرجل بحياته الزوجية ، فمنحها من رعايته واهتمامه وتفكيره عشر مايستهلكه عمله . (روبرت هاس)

٥ ـ إن من يزعم أنه يحب بدون رغبة ـ عاجز عن تنفيذ هذه الرغبة . (و . ت .)

٦ ـ ليست الحياة الحسية دنساً ، والواقع أنها على العكس لأنها زينة الحياة الدنيا ، وهى نعمة من الله تشبه النسائم المنعشة الحلوة التى تهب فى الربيع والصيف . فلنستمتع بها بضمير مطمئن ، ولنقبل عليها فى غبطة وبهجة ، ولنتمناها لكل فتى صحيح ناضج ولكل فتاة ناضجة صحيحة ـ مادامًا يرغبان فيها ويحتاجان إليها . (جستاف فرنسن)

٧ ـ الزواج أفضل من الاحتراق .

٨ ـ إذا اتصفت الحياة الزوجية بالحب العميق القوى ، وكانت المرأة فى ريعان الشباب ، وغاية الصحة والعافية ، فستقابل المرأة رغبات زوجها بدون حماقة أو أثرة ، ولن يشكو الزوج من المصاعب المؤكدة لو أظهر قدراً كافياً من العناية بزوجه ورعاية صالحها وظروفها . (س . ربنج)

٩ ـ كل رجل خالص القلب والعزيمة ـ يحترم زوجه ويرعاها ويترفق بها . (أخيل فى إلياذة هوميروس)

١٠ ـ ما أعظم الرجل الذى يحب زوجه ويغمرها بعطفه ورعايته ، وحنوه وحمايته . (لوثر)

١١ ـ ما أقصر البرهة التى تتأجج فيها نيران الحب فى قلب المرأة ـ إذا لم تتعاون العين واليد على استمرار إلهابها من جديد . (دانتى)

١٢ ـ إذا كان الزوج وفياً مخلصاً ، عطوفاً رقيقاً ، فإن حبه يظهر فى وجه زوجه الباسمة المشرقة السعيدة . (جوت ـ حكمة)

١٣ ـ كل شىء فى المرأة لغز ، لا معنى له ولا هدف سوى الحمل . (نيتشه)

١٤ ـ الروية للرجل والصبر للمرأة . (مثل إيطالى قديم)

١٥ ـ ما أندر النساء ذوات العقل النشيط والشخصية المتزنة اللائى يعرفن كيف يحتفظن بأنوثتهن فيفهمن طبيعتهن ، ويدركن مزاياهن الحقة التى تسمو بهن ، كما يدركن عيوبهن . (جل هرى)

١٦ ـ يغطى الحب حشداً من الرذائل والآثام .

ما أعجب مايفعله الحب ! إنه يبعث الصحة فى المرضى ، وينشر الاطمئنان فى العالم ، ويسكت الضجيج الزائف ، ويفعم البيت فرحاً وحبوراً ، وبركة وهدوءاً .

والحب هو الوفاء والثبات والإخلاص ـ رَضِيَ العالم أم غضب !

(ج . كانس)

١٧ ـ ما أطول شبابنا ؟

مادمنا متحابين .

(من الكتاب الذهبى للكونتس ديانا)

(وهو موجز يسجل أسئلة وأجوبة من أشهر الرجال والنساء)

١٨ ـ لا يحصى الحب السنين . (ستاندال)

١٩ ـ هل يهمنا العمر (أو تقدمه) مادمنا نلاقيه معاً ! (ستاندال)

٢٠ ـ يعتد بى الحب لأشملك ، ويهذبنى لأعانقك . (و . ت .)

الزواج المثالي

السِّفر الثالث

الجماع (المباضعة) : طبيعته وطريقته

كل موهبة طبيعية ، وكل وظيفة عضوية تصبح موهبة طبيعيــة أو فناً بالمران والتطور والوراثة .

« هـ . فايهنجر »

(فلسفة كأن)

الفصل العاشر

تعريف التمهيد والملاعبة

يقصد بالمباضعة كل أنواع التلامس والاتصال بين رجل وامرأة بقصد الارتواء الحسي ، فإذا اضطررنا للتحدث عن العلاقات الحسية الشاذة فسنؤكد شذوذها ، ولن نذكر هذه النواحي الشاذة إلا قليلاً جداً لأننا نريد أن نغلق أبواب جحيم الشذوذ الجنسي : ولكن الزواج المثالي يتيح للزوجين كل ألوان النشاط الحسي الطبيعية في أوسع مجال ، وبالطرق المرغوبة ، وسنشرحها دون خجل ولكن بكل احترام للعفة الحقيقية ولن نتحدث عن أي شيء شاذ أو خبيث ، لأن مجالنا مجال مقدس .

ليس من السهل تعريف « البضاع الطبيعي » ، فمن الصعب في الأمور الحسية أن تعرف تعريفاً جامداً . ولعل أدق تعريف شامل هو « المباضعة بين رجل بالغ وامرأة ، ولا يحدث فيه قسوة ولا التجاء إلى الطرق الصناعية لإحداث أحاسيس اللذة ، ويرمى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى بلوغ الرضا الحسي ، وحين يبلغ درجة خاصة من التهييج ينتهي بقذف المني في المهبل . ويحدث في اللحظة

نفسها أن إحساس الشريكين يبلغ أعلى قمة وآخر نقطة . وتلك هى ذِروة اللذة » .

والجماع التام يشمل : التمهيد ، والمداعبة ، والاتحاد الحسى (الجماع) ، وما بعد الملاعبة . وذروة هذا الجماع وغرضه يتحدان فى الطور الثالث . والطور الثالث يسمى الوطء أو غير ذلك ، ولكنى سأسميه « الاتحاد الحسى » أو المشاركة النفسية الحسية . وهذا التعبير يشمل الاتحاد والجماع ، ولايؤكد نشاط الرجل دون المرأة ، فنى الزواج المثالى يجب أن يكون الجماع منسجماً فى العمل والاستجابة له . ومن ضرورات هذه المشاركة المساواة فى الحقوق وفى الاستمتاع فى الاتحاد الحسى .

و يبدأ الاتحاد الحسى بإدخال عضو الذكر فى المهبل ، و يبلغ الاتحاد ذروته حين يبلغ الشريكان معاً أعلى درجة من اللذة ، والغرض من الاتحاد هو صب بذور الحياة واستقبالها . و ينتهى الاتحاد تماماً بإخراج العضو من المهبل . و يتم الغرض الحيوى « بالإخصاب » أو « الحمل » . ولكن الحمل ليس ضرورة فى الاتحاد الجنسى ، وليس هذا الاتحاد الجنسى دائماً مقدمة لا مفر منها لإحداث الحمل .

قد يحدث الحمل دون جماع

على

حدث الحمل فى ظروف كثيرة شاذة نتيجة تسرب الخلايا المنوية من أعضاء المرأة الجنسية دون إدخال الذكر إدخالا تاماً . وهى حالات م

لأنها تثبت بوضوح أمرين :

أولا : قد يحدث الحمل نتيجة تلوث المهبل من الخارج بالسائل المنوى ولو ظل غشاء العذراء سليما .

ثانياً : قد يتسرب الحيوان المنوى بطريقة غير مباشرة إلى الأعضاء النسوية كأن ينتقل بالإصبع ، فيحتفظ بحيويته ويستطيع القيام برحلته الطويلة صاعداً من الفرج إلى المبيض (عن طريق الرحم إلى البوق) – دون حاجة إلى قوة القذف لتدفعه طوال هذه الرحلة ، وأخيراً يدخل الحيوان المنوى المبيض ويلقح البويضة النسائية فى خدرها العميق المنعزل . وهذا أقوى دليل على احتفاظ بذور الحياة بحيوية لايصدقها العقل .

وقد تنتقل الخلايا المنوية المخزونة فى مجرى البول إلى قمة الذكر فى أثناء التبول ، وتظل هناك فترة دون حركة ، فإذا ما لامس الرجل امرأة ملامسة سطحية أو أدخل عضوه دون قذف ـ فإن الخلايا المنوية تتسرب إلى أعضاء الأنثى .

وهناك حالات معقدة تزيدنا علماً ، فقد يتلوث الفرج أو أعضاء المرأة الحسية الخارجية بالخلايا المنوية ولكنها تنتقل إلى مهبل امرأة ثانية ، وتحمل المرأة الثانية بينما تنجو من الحمل المرأة الأولى الملوثة بالمنى . وهذه الحالات نادرة ولكنها حدثت فعلا ، وهى تثبت سهولة الحمل دون جماع ، فيجب العناية عناية تامة عند لمس أشياء ملوثة بالمنى وعند فحص الخلايا ث . وكذلك تتضح أسباب الحمل التى لا تخطر على البال بالرغم من ون الشديد والتحوطات التامة من حدوث الحمل .

و بعد الانتهاء من المشاركة الحسية النفسية (الاتحاد الحسى) تبدأ رة مابعد النشوة » أو النهاية أو « مابعد الملاعبة » وهى فترة قد يهملها

والإشارات الخفيفة للاستعداد للعمل الأعظم .

ولكن الاتصال السريع الخاطف لايحدث إلا قليلا جداً فى ظروف شاذة بين زوجين مرهفى الشعور قادرين على الزواج المثالى . وإذا حدث هذا الاتصال الخاطف ، فيجب أن يسيطر الزوجان تماماً على حركات الاتصال وإلا صارت سخيفة ثقيلة ، وساءت عواقبها النفسية . فالرجل الذى يهمل الملاعبة مجرم أثيم لأنه بالخشونة والوقاحة الحيوانية وإهمال الملاعبة يضايق المرأة ويثير اشمئزازها ، بل يؤذيها إيذاء بدنياً خالصاً .

فإهمال الملاعبة إثم لايغتفر ، وهو دليل الغباوة والحماقة ، لأن الملاعبة فن غزير اللذات ، ولذاته لاتقل عن لذات الجماع . وفى (الزواج المثالى) ، يجب أن يهتم الزوجان بالملاعبة (الدور الثانى فى العلاقات الحسية) اهتمامهما بالجماع (الدور الثالث) .

ولو قدرنا لكل دور أهميته ، لاتضح أن التمهيد دور عظيم جداً ، لأنه فن البراعة والمهارة والحذق فى تنفيذ ماجاء فى الفصل الثالث عن وظائف الأعضاء الحسية .

والألفاظ والنظرات لها أهمية عظمى فى التمهيد ، لأنها أقدر على الإفصاح عن المشاعر والأحاسيس فى هذا الدور الباكر حين تكون النفس أكثر من الجسم استعداداً للتأثر والإثارة .

ومهما بدت الأمور تافهة صغيرة ، فإنها هامة جداً ، ويكفى أن تراجع ماجاء عن ارتباط حاسة الشم بالناحية الحسية وما قاله « روسو » عن قوة العطر الحلو فى حجرة الزينة .

تأثير الرقص

لقد فقد الرقص شطراً من أهميته إذ كان وسيلة حسية ، ولكنه مازال يحتفظ بالكثير من قوته فى الإيحاء والتصوير الحسى الشهوى ، لاسيما فى بعض الرقصات الشعبية مثل رقصة « تريباك » الروسية ، ورقصة ضربة الحذاء (شو بلاتر) فى صقلية والتيرول ، فهما مغازلات صامتة واضحة . وهما لاتؤثران بالحركات والإيماءات وحدها ، بل بقوة الحركة ورشاقتها الممتلئة بالحياة والنشاط ، وكذلك بالمصاحبة الموسيقية ، وأقوى أسسها هو العامل الإيقاعى .

يؤثر دافع الاقتراب فى دور التمهيد فى ثلاث حواس هى : النظر والسمع والشم . أما الذوق واللمس فلا يتدخلان إلا بعد ذلك ، و إذا مابدأ اللمس صارت له الأهمية العظمى فى الحال .

يمتاز دور التمهيد بدافعين هامين هما : الدلال ، والمداعبة .

الدلال

أما الدلال فهو فن لطيف يشمل تعاقب التقدم والتراجع ، والجذب والدفع ، فيزداد التوتر وهو أشد الدوافع النفسية إلى الاتصال والحب .

أثناء التقبيل فى أثناء احتكاك الشفاه واللسان احتكاكاً ساراً لذيذاً .

وأؤكد هنا عاملين مساعدين ، أهملهما الفصل الثالث : أما الأول فهو إحساس الملامسة اللذيذ الناشيء عن الامتصاص ، وهو موجود بدرجة كبيرة أو صغيرة ، وقد يعدل أو يختلف حسب ما إذا كان التقبيل جاداً نشيطاً ، أو خاملاً هادئاً ، أو كان مزيجاً من الاثنين .

دور الأسنان فى القبل

والعامل الثانى لم نذكره للآن ، وهو استعمال الأسنان فى القبلة ، فالأسنان لا تساعد الشفاه فقط ، بل هى عناصر فعالة نشيطة فى القبلات الحارة .

ولا شك أن النشيط والمستسلم يحس كل منهما بلذة عارمة حادة غريبة كلما عضته أسنان الرجل أو المرأة عضاتها الدقيقة الرقيقة ، المهذبة أو الحادة ، دون أن تكون مؤلمة حقاً . وتكثر هذه العضات كلما تحمس دور الملاعبة وزاد نشاطاً وسرعة ، وتكون ألذ كلما تتابعت العضات بسرعة وفى أماكن متقاربة .

أظهرت أ... ...ة كثيرة متباينة

أن هنا...

والحي...

...

المثالى » . وقد قال بلزاك « إذا لم يستطع الرجل أن يقدم لزوجه فى ليلتين متعاقبتين ألواناً مختلفة متباينة من اللذات ، فلا شك أنه استعجل زواجه قبل الأوان » .

ولا شك أن الزوج قد تزوج قبل الأوان إذا كان يجهل أن القبلات يمكن أن تختلف بين زوجين متحابين ، أو إذا كان يعجز عن استغلال هذه المعرفة وتطبيقها عملياً لإسعاد زوجه .

تقبيل البدن

ولا تكتفى الملاعبة بالقبلة العارمة بين فم وفم ، بل ترحب بالقبل على مختلف أجزاء الجسم ، فهى مناسبة مقبولة فى هذا الدور من الاقتراب .

ويمكن التدرج فى هذه القبل مبدئياً حسب مواضع التقبيل ، فالفم والنهدان (الثديان) مواضع حساسة شهوية ، وتزيد الحساسية الشهوية بزيادة الاقتراب من الوسط فهى أشد فى الوسط مما هى فى الأطراف ، وأشد فى الخدود والعنق مما هى فى الجبين والحواجب ، وأقل فى أطراف
كنها تزيد مع لاقتراب من ... ثم الذراعين ، وتقل
اية الساق
خذين
م) ،

وهى تزيد زيادة منتظمة كلما زاد الاقتراب من الأعضاء الحسية ، ويستطيع الدارس أن يراجع خاتمة الفصل الثالث عن « المناطق الحساسة » .

وثمة مجموعة أخرى تتباين فى شدة الدرجة بتبادل القبلات الخفيفة أو التى تحك حكا خفيفاً ، أو قبلات الدغدغة بما فيها من مص وضغط بالأسنان وبتبادل الفمان فى القبلة مشاعر اللمس النشيط والمستسلم . أما تقبيل الجسم فتختلف لذته ، حسب ما إذا كانت القبلة مأخوذة ، أو ممنوحة . وتزيد اللذة الحسية فى كلا الإحساسين إذا حاول كلاهما فى الوقت نفسه أن يُقَبِّل ويُقَبَّل .

وبتحليل هذه القبل يضتح أن تأثيرها فيمن يتسلم القبلة هو تأثير اللمس وحده ، بينما الذى يقبِّل تسرى إليه بالشفتين وطرف اللسان ، أحاسيس اللمس والرائحة ، وتنتقل إلى مراكز الوعى العصبى فى المخ . وتقبيل البدن يعود بنا إلى طريقة فطرية هى طريقة الشم أو الاستنشاق وهى فى ذلك تفضل طريقة تقبيل الفم للفم ، ويستمتع بها المستلم للقبلة ، كما يستمتع بها المقبِّل نفسه .

يحدث تيار هوائى يتراوح فى درجة حرارته من البرودة إلى السخونة حين يستنشق (بالشهيق) أو يخرج (بالزفير) ، وهو يكاد يشبه التدليك الهوائى المنقطع ، وهو أهم عامل هنا ، ويحدث هذا التيار الهوائى أحاسيس غريبة تتأثر بها أعصاب البشرة الخارجية ، ويلتذ بها الكثيرون ، وهم

يسجلونها في وعيهم تسجيلا ظاهراً كما هي - وتهتم بذلك النساء على وجه أخص .

و يختلف إحساس الشم بالنسبة للزوج النشيط (المقبِّل) حسب موضع التقبيل ، وهو أمر لا يحتاج إلى مزيد من التدليل . ولا داعي للتوسع في تأثير حاسة الذوق في أحوال خاصة ، و بالنسبة للأشخاص ، ومختلف مواضع الجسم .

العض في أثناء التقبيل والجماع

ذكرت دور الأسنان في القبل العارمة سواء في تقبيل الفم للفم أو في تقبيل سائر أجزاء البدن ، وأكدت أنه من العادي تماماً - أن يكثر في الجماع - حدوث العضات الخفيفة الرقيقة وكذلك العضات المؤلمة التي لا تقطع الجلد .

وليس معنى هذا أن عضات الملاعبة يحدث تبادلها في كل قبلة عارمة فما أبعد هذا عن الواقع . ومع ذلك ، فإن الملاعبة حين يحمى وطيسها وتبلغ ذروتها ، ويفصح المتلاعبان بالقبل عن شدة شعورهما ، يلجأ الزوجان إلى استعمال الأسنان ، وليس في ذلك أي شذوذ أو مرض أو انحراف عن الصواب .

أيمكن أن يقال ذلك عن العض الحقيقي الذي يجرح الجلد ويُدميه ؟ نعم - إلى حد ما . ولكن هناك حداً إذا تجاوزه المرء صار عمله شذوذاً

ومرضاً حسياً ، ومع ذلك يصعب تحديد هذا الحد الفاصل ، لأن التحول من الطور العادى إلى طور المرض والشذوذ ، ومن الشدة إلى الحماقة والغرابة يحدث بتدرج غير ملحوظ بحيث لايمكن وقفه بأى حد سريع ، وهذا التحول التدريجي يحدث فى كل نواحى الحياة العاطفية .

ألا يعتقد كل محب ولهان أنه مجنون من بعض الوجوه ، وأن غرضه محدود بدرجة غير عادية ، بينما يدل مجال نظره على الضيق والحماقة ، ومع ذلك فلا بد أن تكون ثمة قاعدة أو حد أو علامة للإرشاد .

وأظن أننا محقون فى وضع هـذا الحد فى عضة المجامعة وفى كل مايحدث منه لذة حسية عند الإيلام أو الالتذاذ بالألم (حسياً أونفسياً) . وكذلك نرسم هذا الحد واضحاً فاصلا عند أول بوادر القسوة[1]

(١) لسنا مضطرين هنا إلى مناقشة القسوة وعلاقتها بالحياة الحسية ، ولكن نعترف تماماً وبصراحة أن هذه العلاقات متعددة قوية . ومع ذلك فهى تدل على الانحراف والمرض والشذوذ فى الحياة اليومية العملية على الأقل ، وهى تتبع ذلك الطراز من الشذوذ الحسى الذى يدل فى أوضح مظاهره على الوحشية وعدم الإنسانية وهو هدام قبيح بشع جداً . فلنترك هذه القسوة فى التفكير والفعال ونتذكر أنها مثل سائر ألوان الشذوذ الخلقى لها جذورها فى الطبائع والأحوال العادية تماماً . فالميل إلى القسوة يثوى فى كل شخص عادى ، ويمكن ملاحظته فى الأطفال ، ولكن من حسن الحظ أنه يمكن أيضاً استئصاله والتغلب عليه .

تحدث عضة الجماع العادية فى أشد لحظات الملاعبة الشهوية أو خلال البضاع فعلاً ـ سواء فى أثناء سورة الأحاسيس العارمة السريعة أو فى اللحظة العظمى . وأحب المواضع فى جسم الرجل هى الكتف ـ خصوصاً الكتف اليسرى أو فى الفراغ الملاصق لعظمة الترقوة (الكتف) مباشرة .

وأشهى المواضع فى المرأة هو العنق فى الجهة اليسرى ، وكذلك جانبا البطن . ولعل هذا الاختيار يتوقف على أوضاع الجسمين المتلاصقين وطولها وحركاتهما فى أثناء المباضعة . ولعله يعود كذلك إلى عوامل وراثية غامضة ، لم نفهمها ولم نعرف أصولها .

ميل المرأة للعض

ومن الواضح أن النساء أشد من الرجال ميلا لعضات البضاع . وليس غريباً على امرأة عاطفية أن تترك تذكاراً للاتحاد الحسى على كتف الرجل ، ويتخذ هذا التذكار شكل بويضة مائلة تطبعها أسنانها . وتحدث العضة ـ من غير استثناء تقريباً ـ فى أثناء المباضعة أو بعدها مباشرة ، بينما عضات الرجل للمرأة عموماً خفيفة رقيقة أو غير ملحوظة وهى جزء من المداعبة الشهوية قبل البضاع أو فى المرحلة الأخيرة منه .

هل يعنى ذلك أن الرجل أرق من المرأة وأكثر منها عطفاً وحناناً ؟

أيتراجع الرجل عن العض حتى فى أشد أوقات اللذة العارمة القصوى ؟ كلا ، فما أبعد ذلك عن الحقيقة ، ولو فعل الرجل ذلك لخيب آمال المرأة ؛ فالنساء لا يعتقدن أنهن مرغوبات محبوبات حقاً إلا إذا شعرن أن العاطفة قد أفقدت الرجل شعوره وتحكمه فى نفسه فى الوقت المناسب. وما أكثر العلامات الزرقاء التى تركتها عضات الرجال على أذرع النساء فهى الدليل على غرق الرجل فى دوامة حسية أفقدته الإدراك والشعور والقدرة على ضبط النفس . وذلك ماتريده المرأة .

الألم واللذة

قال هافلوك إليس فى السفر الثالث من كتابه « دراسات نفسية » عن « الحب والألم » : لنعترف بأن التذاذ الرجل بإظهار قوته على المرأة بإيلامها ــ هو ثمرة أو أثر لطريقة الغزل الفطرية البدائية ، وهى عنصر عادى (تقريباً أو تماماً) فى الدافع الحسى عند الرجل . ولكن هذا العنصر الحسى يضبطه ويتحكم فيه الرجل العادى المتزن . وهو حين يعذب امرأة يحبها ، أو حين يميل إلى إيلامها إيلاماً بدنياً ، يصعب أن نقول إنه مدفوع إلى ذلك بالقسوة ، فهو يشعر شعوراً غامضاً أن إيلامها أو رغبته فى إيلامها إنما هى فى الواقع جزء من حبه ، بل إن حبيبته لا تمتعض لإيلامه إياها . ولكن شعوره لايدل مطلقاً على المعرفة ، بل يدل على حاله العاطفية .

والقوة البدنية ، واستبداده بها واستغلاله ضعفها ، ومضايقته لها كأنما يمزقها ــ كل هذه مظاهر يميل إلى ممارستها بدافع التهييج الحسى ، وهو

يحاول أن يقنع نفسه بدون شعور أن هذه المظاهر لا تجد نفوراً من حبيبته .

ويجب أن تتذكر حقيقة لها مغزاها من أكثر من وجهة . وهى أن المظاهر العادية للذة المرأة الحسية إنما تشبه تماماً مظاهر الألم .

ماأصح ماقالته سيدة :

« إن مظاهر الألم الخارجية كالدموع والصرخات وغيرها من الأشياء التى يتهم محدثها بالقسوة ـ لا تختلف عما تفعله مثلها امرأة تشتد بها نشوة اللذة فتستعطف الرجل بدموعها ليكف عن الاستمرار فى عمله ، مع أن هذا فى الواقع آخر ماتريده » .

وإذا اقتنع رجل بأنه يحدث ألماً حقيقياً ثقيلا ، فإنه يندم فى الحال ، إلا إن كان شاذاً ، أو كانت سورة الشعور قد جرفته إلى حد الجنون الوقتى ،

إن الرجل والمرأة كليهما تدفعهما الدوافع الفطرية الغامضة ويريدان فى أثناء العمل الحسى أن يستشعرا قوة الذكرة وضراوتها بامتلاك الرجل للمرأة امتلاكا كاملاً عنيفاً . ويشعر كلاهما بالزهو بضراوة الذكرة وسيطرتها (الحقيقية أو الظاهرة) . ومن هنا يحدث العض والقرص لذراعى المرأة وجانبها وردفيها . ومما يؤكد هذا أن مظاهر الذكرة الشهوية العارمة تحدث فى أثناء المجامعة وحدها ـ لا قبلها .

عنف حركات الرجل وقت الجماع

ويؤكد الزهو بالذكرة تلك الحركات الداخلية العنيفة الخاصة بالمجامعة

والتي يلجأ إليها أحياناً الكثيرون في أثناء العمل ، والتي يقدرها النساء أكثر مما يقدرها الرجال أنفسهم ! فهذه الطعنات المتوحشة لا تنبع عن رغبة الإرادة والشعور في زيادة اللذة الحسية بالاحتكاك — لأن الاحتكاك لا يزيد اللذة إلا حين يكون رقيقاً قليل الضغط .

أما القسوة الغريبة في عضة العشق فيندر أن يلجأ إليها الرجل في أثناء العمل الجنسي . وهذا أمر ملحوظ لذاته ، فلعل أجدادنا في أثناء تطورهم الحيواني قد أورثوا الإنسان غريزة الالتصاق بشريكته بأسنانه ومخالبه في أثناء العمل . وربما كانت هناك أسباب وراثية تفسر وجود عضات الحب القليلة الخفيفة التي يتركها الرجل في أثناء المجامعة دائماً من غير استثناء على الناحية اليسرى من عنق المرأة ، ولعل السبب هو طبيعة وضع الزوجين في أثناء العمل .

أما أصل عضة الحب فيختلف تماماً عن أصل القرص ، والعصر الشديد ، ومظاهر الطعن المذكورة قبلا .

وميل المرأة للعض في أثناء العمل ينشأ أساساً عن رغبتها في تقبيل شريكها قبلة أشد من أي قبلة إنسانية ، (وقد رأينا قبلا أن هذا الميل أشد في المرأة مما هو في الرجل ، لأن الرجل يستعين بقوته العضلية ويستعملها بتوحش وضراوة للإفصاح عن نشوته الحسية . ويقال : إن للتقبيل أصلا آخر ، فلعل أجدادنا في طورهم الحيواني البدائي كانوا

يعضون شريكاتهم فى أثناء المباضعة . ومن ثم يكون العض هو الأصل والتقبيل هو المظهر الثانوى المحرّف) .

ورغبة المرأة فى تقبيل شريكها تقبيلا يفوق التقبيل العادى يدفعها إلى المص القوى وإلى استعمال الأسنان بقوة ، فيشعرها بالرضا ، ويشعر الرجل المعضوض بالزهو والغرور . وشعوره هذا مركب ينسجه الألم والفرح .

أما عصر الفرح فى شعوره ، فيسرى بدنياً بالتأثير الشديد إلى الأعصاب ويسرى نفسياً برغبة المرأة المحبوبة الشعورية أو نصف الشعورية – فى إظهار حبها إلى أقصى الدرجات .

وأما عنصر الألم الذى لا يبدو فى أثناء التهيج الحسى الحاد أنه ألم ، فقد لا يحس به الرجل غالباً إلا خفيفاً جداً لأن عضات البضاع العادية لا تمزق الجلد ، فهى لا تقطع عرقاً صغيراً ، ولا تنزف دماً ، وأما تلك الرطوبة التى يلونها الدم تلويناً خفيفاً فى مكان الجرح ، فليست – فى العادة – إلا لعاباً امتزج به قليل من الدم نتيجة ضغط المرأة على لثتها ، فهى لا تحدث جرحاً حقيقيًّا بل مجرد خدش يتغير خلال أيام معدودة أو أسابيع على الأكثر ، فيتحول من لون قرمزى إلى أصفر مخضر ، ثم يزول دون ندبة .

إن الأحوال المماثلة لحال السيدة « اديث سوانيك » التى اتهمها

الشاعر « هين » بضعف الخلق على حين مَجَّدَها الإنجليز ، هي أحوال نادرة فلا يمكن اعتبارها أفعالاً عادية ، ولو أنه ليس من الضرورى أن يرتكبها أشخاص « شواذ » .

قال الشاعر « هين » عن معركة هستنجز : رأت المرأة على كتفه ثلاث ندبات ، فقبلتها ثانية ـ لأنها ليست جراحاً ناشئة عن الحرب ، ولم يتركها العدو ، بل كانت تلك الندبات الصغيرة الثلاث عضات تركتها أسنانها البيضاء !

إن عضات البضاع التى تركتها « إديث سوانك » لايكفى تفسيرها الشرح السابق ، وهى تكاد توحى بامتزاج دافعين فطريين هما حفظ الذات بالمهاجمة والتكاثر بالتناسل . ويحدث مثل ذلك فى بعض العناكب والحشرات التى لم تصعد درج التطور الحيوانى ، ويمكن إدراكها فى بعض أحوال الحيرة الفكرية . وهذا الانبعاث الوقتى الغريب لقوتين فطريتين ، قد يعلل كذلك بعض القبلات العادية الرقيقة .

وقد ينطبق هذا القول على دافع آخر قد يوحى بعضة البضاع ولعله « الكراهية الحسية المركزة » فمن الصعب أن نلحظ التنافر الفطرى أو العداوة بين الجنسين ، وهما يماثلان التجاذب بين الجنسين ، بل هما أكثر دواماً .

أما التجاذب فقد يستمر زمناً وهو يستمر غالباً ، ولكن التنافر يثوى ومظاهره أشد وأقوى ، فوراء الحب تكمن الكراهية متحفزة متوثبة

فى الانتظار[1] . والمؤكد أن هذا من أرسخ أسباب تعاسة البشر .

وهذا الاحتمال هو مايوحى بعضة البضاع ، وبضربة النصر على الردفين باليد المفتوحة ، وهى ضربة يلتذ الرجل بها حين يضرب شريكته إذ يحس بدافع قوى إلى ضربها هذه الضربة فى نهاية الجماع . هذه المظاهر عادية جداً ـ فى شيوعها وفى دوافعهـا الأساسية اللاشعورية .

فانبتعد عن هـذه النواحى المؤلمة لأن من أهم أغراض « الزواج المثـالى » أن ننتصر لدافع الحب ونجعله يتغلب على عدوه القبيح ، ولنتذكر مايؤيد مقـال إليس « الحب والألم » وهو شعر « ماتيلده ويسندنك » .

« إن كان الألم وحده سبب اللذة ، فشكراً وشكراً للطبيعة ، لأنها منحتنى هذا الألم[2] . »

اللمسات والعصر والضغط

يجب ألا تتخذ الملاعبة شكل القبل وحدها ، بل تتعداها فعلاً إلى اللمسات والملامسات اليدوية بـكل درجاتها ـ من المداعبة المهيجة

(١) سندرس وسائل مكافحة هذه العداوة بين الجنسين ، لنحاول أن نحفظ للزوجين سعادتهما بإطلاعهما على النواحى النفسية .

(٢) لحنها فاجنر للموسيقى .

الرقيقة والحك اللطيف الخفيف بأطراف الأنامل إلى الإمساك والعصر والضغط براحة اليد والأصابع معاً ، ولكن اللمسات الخفيفة عموماً هي الأكثر تأثيراً (١) .

وتأثير الملامسة اليدوية متساوٍ بالنسبة للشريك النشيط والشريك المستسلم ـ رغم اختلافه في اللون والنغمة ! فالتأثير أقوى ما يكون حين يحدث تبادل في النشاط والاستسلام ، ويكون أقوى من ذلك حين يحدث التبادل في الوقت نفسه ، والاستعداد النفسي ضروري جداً في كلتا الحالين ليقبل الشعور هذه المؤثرات دون تردد أو مقاومة .

أما بالنسبة للشريك المستسلم ، فهو يتأثر تأثراً يختلف والجزء الذي تداعبه اللمسات (راجع الفصل الثالث عن حاسة اللمس) ونعود إلى تأكيد أهمية المناطق الحساسة ، مع أنها ليست متماثلة في كل الأشخاص ، أو هي لا تتساوى في نسبة حساسيتها . وأخيراً ننصح كل

---

(١) في العلاج بالتدليك طريقة مماثلة هي العصر والعجن والقبض الشديد ، وطريقة أخرى للتدليك أشد تأثيراً في التهيج الشهوي هي لمسات أو ضربات مرنة خفيفة جداً ولا سيما على الوركين والجزء الحوضي فهي حينئذ أشد تأثيراً من الطريقة الأولى .

ولكنها نادرة في العلاقات الزوجية لعدم وضوحها ولحاجة من يمارسها إلى إتقانها بحذق ومهارة .

زوجين بوجوب كشف الاختلافات الشخصية ودراستها فى هذا الصدد ، واستعمال المعرفة الناتجة عن ذلك استعمالاً مخلصاً كثيراً .

وأما الشريك النشيط ، فيتأثر فى لمساته حسب المواضع الملموسة ، إذ يسره أن يرى ما ينشأ عن لمساته من البهجة والتأثير ، فاللذة المشتركة هى فى الواقع لذة مضاعفة . ويحدد درجة اللذة المكان الملموس بتكوينه الخاص وبعينه من الأعصاب . والأعضاء الحسية الخاصة وما يجاورها هى بالطبع بؤرة الجاذبية وشرك الخواطر .

وتبلغ الملاعبة ذروتها بالاتصال بالأعضاء الحسية الخارجية ، لأن هذه الأعضاء وحدها هى التى تهم فى هذه المرحلة من الملاعبة .

الأعضاء الحسية الخارجية

لنبدأ بالثديين والحلمتين فهما عضوان حسيان عظيما القيمة الشهوية وما أعظم حساسية الحلمتين حين يلامسهما اللسان أو الإصبع أو حين يمصان مصاً ، وتحدث اللمسات نشوة خاصة إذا كان بعض التهيج قد حدث فعلا . ويزيد هذا التأثير إذا كانت الحلمتان قد انتصبتا ، فهما قادرتان على الانتصاب (نسبياً) قدرة البظر والذكر . (ولكن تختلف طريقة الانتصاب لاختلاف تركيب الحلمة) .

وانتصاب الحلمة (الانتصاب الثديى أو التضخم الثديى) يمكن حدوثه نتيجة التأثير الآلى المباشر (كاللمس والمص) أو نتيجة الفعل

المنعكس متسقاً منسجماً مع انتفاخ سائر الأعضاء الحسية ـ لا سيما البظر ، ويندر أن يحدث نتيجة للمؤثرات النفسية ولكنه يحدث فى النساء ذوات المزاج الشديد والتحمس السريع .

وإذا كثر الانتصاب النهدى ازدادت الحساسية الثديية . ويقوى الإحساس الناتج إن كان يصاحبه تهيج فى موضع حساس آخر . وحين تداعب الحلمة والبظر فى وقت معاً بالملامسة الرقيقة ، فإنهما كليهما يتبادلان زيادة التأثير والتهييج فى كل منهما . وهذه المداعبة المزدوجة تعطى كثيراً من النساء أقصى لذة ممكنة ـ بخلاف لذات الجماع .

وحلمة الرجل تماثل حلمة المرأة فى تركيبها ، ولكنها صارت شيئاً أثرياً ، فهى أقل إحساساً بالمشاعر الحسية ، ولكنها قادرة على تلقى الأحاسيس الحسية وقادرة على الانتصاب (أو التصلب أو التوتر) .

وتهييج الحلمتين أمر لذيذ يستمتع به اللامس كما يستمتع به الملموس ولكن لذة اللامس أقل لذة من الملموس كما أنها لا تنشأ إلا بطريقة نفسية نتيجة شعور اللامس بأنه يبعث اللذة ، ويسبب المتعة . وتركيب الحلمات ومظهرها لا يكفيان وحدهما لإثارة التهيج الشهوى القوى .

أما النهدان فأمرها مختلف ، وهما جميلان للغاية ، يثيران الشهوة والفتنة ويخلبان النظر . وإذا مالت النفس للاقتراب من المرأة فإن مجرد رؤية صدرها أو رؤية ملامحه وخطوطه تكفى لإثارة الرجل ، ولمس هذا

الجزء من جسم المرأة المحبوبة يشعل الرغبة ويزيدها أواراً .

وتشتهى النساء أن تنال نهودهن الإعجاب واللمس الخفيف الشهى ، وينتظرن هذا التدليل وقد يوحين به إيحاء صريحاً أو مبهماً . ومع ذلك فالغالب أن الرجل (اللامس النشيط) هو الذى يتهيج بهذا اللون من الملامسة والمداعبة أكثر من المرأة الملموسة .

إثارة الأعضاء الجنسية

ويجب أن يخصص جزء عظيم من الوقت للقبل والملامسة باليد قبل لمس الأعضاء الجنسية حين تكون الألفة قد ربطت العاشقين برباط الانسجام التام ، وكذلك فى أى ملاعبة شهوية تسودها الرقة والاحترام.

وبعد تكرار العناق الوثيق والاحتضان الشديد وربت الأعضاء الثانوية ودلكها دلكا رقيقاً ، يجب أن تمسح اليد بطن المرأة والعانة والجزأين الغائرين من الفخذين مسحاً خفيفاً وجلاً لطيفاً ، مسح الفرجون (الفرشاة) ، ويجب أن تمر مروراً سريعاً خفيفاً على الأعضاء الجنسية ثم تنتقل حالاً إلى الفخذ الأخرى ، ويجب ألا تقترب من المكان الجنسى السامى إلا بحرص وحذر ، وبطريق اللف والدوران ، ثم تحاول دخول الحرم السامى فى رقة ولطف[1] .

(١) حاولنا فى الصفحات التالية أن نوضح الأمور توضيحاً تاماً مع الاحتفاظ للعلم بجلاله .

وفى هذه اللحظة تبدأ مرحلة العشق البـــدنى أو « التهييج الموضعى » .

وإذا كان البحث والربت والدلك بيد الزوج ، فإن فخذى المرأة تنفرجان قليلاً لمسته ، وتغدو أعضاؤها الخاصة أيسر منالا .

وقد تتهيج الأعضاء النسوية بملامساته السابقة فتتلقى قدراً أكبر من الدم وتبدأ فى التضخم ، وينفتح الشفران الخارجيان ويتباعدان ، فيكشفان البظر والشفرين الصغيرين . وأما غدد الممر فترطب الفرج بإفرازها الخاص اللزج الصافى الرائق .

وهكذا لا تجدُ يدُ الزوج اللامسة المداعبة أى صعوبة فى العثور على الفرج والاستمرار فى مداعباتها الرقيقة وتدليلها اللطيف .

سيحظى البظر بمعظم هذه المداعبات والملامسات ، فهو العضو الذى يبرز فى الوسط نتيجة تضخمه بتوارد الدم إليه ، ثم ارتداد الجلد الأمامى عنه . ولا تخطىء الإصبع فى تمييز هذه النقطة المرهفة الحس أكثر من غيرها (حيث تتصل حافة البظر وحافة الشفرين الكبيرين) ويزيد هذه الحساسية إرهافاً بل يضاعفها انتصاب هذا العضو النسوى الدقيق .

وهذا اللون من الملامسة يخلو أول الأمر من العناية والاهتمام ، ولكنه يثير لذة المرأة ويبهجها ويشعل شهوتها إشعالاً عظيما وتزيد شهوة الرجل لتأثره بانفعالها وشعوره بسرورها واستمتاعها بلمسته .

وبطبيعة الأمور تطول مداعبة البظر وتهييجه اللذيذ ودلكه مع ما يحوطه من أعضاء مجاورة : وهى الشفران الصغيران الداخليان وفتحة المهبل وقضيب البظر ، ولكن مقدمة البظر هى أهم أهداف اللذة والمتعة .

ويستمر هذا التهييج الموضعى فى أعضاء الأنوثة ، مع ما يصاحبه من قبلات وكلمات غرامية ويلتهب الشعور بتبادل الملامسات اليدوية ، وكلما استمرت هذه العوامل ازدادت شدة حتى يتم الإيلاج ، وبذلك تبلغ الملاعبة غرضها ونهايتها ، وتتحول إلى اتحاد بدنى نفسى تام هو الجماع .

لقد أكدنا أهمية « التبادل » فى التهييج الموضعى ، وقد يبدو أن مداعبة المرأة لعضو زوجها غير ضرورية كدور الرجل فى الملاعبة والمداعبة ، ومع ذلك فهى هامة قيمة جداً .

فالمرأة التى دربها زوجها على العلاقات الجنسية تدريباً تاماً صحيحاً والتى أسرها زوجها بحبها له لا تتردد ـ بل تندفع اندفاعاً آلياً ـ فى مداعبة أعضاء ذكرته ولمسها لمساً خفيفاً شهياً بيدها بمجرد تأثرها تأثراً عاماً وموضعياً واشتداد شهوتها تبعاً لذلك .

وفى هذا الوقت يكون الزوج قد بلغ غاية الانتصاب أو يوشك أن يبلغها ، ويبلغها فعلاً بمجرد لمسها لعضوه . وبمجرد إدراك المرأة أن زوجها قد تهيج يبعث فيها فرحة عظيمة لا تدانيها أى فرحة نفسية

إذا أرادت المرأة تهييجه تهيجاً طفيفاً ، فيدلك السطح الامامى للعضو دلكاً لطيفاً رقيقاً ، ولا سيما فى منطقة مجرى البول وحافة القمة .

أما إذا أرادت إثارته إثارة شديدة ، فيمسك القضيب بقوة من أعلى ويحاط بالكف والأنامل (الأصابع) ، ثم يدلك طرفه دلكاً دائرياً . ولكن يجب تليين هذا الطرف تليينا كافياً بالإفراز الهلامى الرفيع ، وإلا فقد يحدث ألم والتهاب بدلا من اللذة .

ويمكن إحاطة قيد القضيب فيبدو كأنه محاط بحلقة أو خاتم . وتحدث أشد أنواع الإثارة بدلك نطاق الجلد الأمامى للعضو دلكاً رقيقاً خفيفاً .

ولكنها تحسن صنعاً بعدم المغالاة فى تقدير قدرتها الخاصة و بمراعاة الاقتصاد . فى تهييجه تهييجاً ذكرياً مباشراً . فتطرف المرأة وسيرها إلى هدفها مباشرة سيراً مكشوفاً صريحاً وعدم مداورتها فى مظاهرها الجنسية قد ينفر منها زوجها ، وسنعود إلى ذلك ، ويحتاج النساء عامة إلى وقت

ولا شك أن « التهييج الموضعى » غير ضرورى للرجل إلا بين وقت وآخر ـ كأن يكون متأثراً ببعض الأسباب تأثراً ينقص تهيجه عن الحد العادى ، أو تقل رغبته عن رغبة المرأة ، أو يكون متعبا إثر جماع سابق .

ويتضح من الملاحظات السابقة أن العكس صحيح بالنسبة لنساء كثيرات ، وهو صحيح على الأقل ما دامت خبرتهن الحسية ناقصة .

لن يستطيع مثل هؤلاء النساء بلوغ ذروة اللذة المتبادلة فى وقت واحد بعد الجماع الكامل المثالى ـ إلا بعد إعدادهن وتعليمهن تعليما شاملا دقيقاً يشمل التمهيد الفنى ، والملاعبة الفنية المنظمة الدقيقة كما يشمل التهييج الموضعى على وجه خاص ، ويجب أن يبدأ الزوج دروسه بكل عناية وحرص ودقة ، ويدرب زوجه عليها بصبر ونظر ثاقب وروية ـ ولو

كان ذلك على حساب متعته الخاصة وكبح جماحه وشعوره .

وليس هذا التهيج الموضعى أمراً سهلا كما أسلفت عند ذكر ما يحدث فى فن الملاعبة الطبيعية الممتعة ، فقد لا تيسر المرأة ليد زوجها سبيل المداعبة .

وإذا أفلحت الكلمات فى بعث الطمأنينة والرضا ، بمساعدة الضغط الخفيف ، فليس معنى ذلك أن المرأة لابد قد تهيجت واشتدت بها الشهوة بدرجة تدعو لتضخم الأشفار وانبساط الفرج وانتصاب البظر .

وما دامت هذه الأعراض طبيعية مرغوبة قبل الجماع ، فمن الحماقة البالغة والأثرة السخيفة أن يحاول الزوج العمل قبل ظهورها . ولو أقبل على الجماع قبل استعداد زوجه بدنياً ، فمعنى ذلك أنه سيتركها متلهفة دون ارتواء .

ولا سبيل لمنع هذا الموقف السخيف إلا بإطالة فترة التهييج الموضعى ، فهو السبيل الأوحد لمنح الزوج الدرجة الضرورية من التضخم الموضعى والانبساط المحلى والاستعداد النفسى .

قال فان سوتن : « أرى أن أعضاء جلالتك (البظر) يجب أن تهيج بطريقة ممتعة لطيفة مدة طويلة قبل الجماع » .

وفان سوتن هو الطبيب الهولندى المشهور الذى استدعته الملكة

ماريا تريزا حين استشارته فى عقمها الباكر . وقد أثبت التاريخ عظمة هذه النصيحة وقدرتها الكاملة إذ أنجبت ماريا تريزا بعد ذلك ستة عشر طفلا !

ولن نناقش العلاقة بين العقم وعجز الزوجين عن بلوغ ذروة اللذة فى وقت واحد أو فى لحظتين متقاربتين ـ ولو أن البحث هام ممتع حقاً .

ولكننا نكرر حقيقة هامة لابد من تكرارها وتأكيدها وهى أن كثيراً من التعاسة الزوجية الناشئة عن برود المرأة الجنسى الظاهر ـ كان يمكن تفاديه ومنعه لو أن الأطباء والطبيبات لم يسمحوا لأنفسهم بالابتعاد عن شرح تفاصيل الحياة الزوجية الطبيعية وهى تفاصيل فنية كثيرة وهم مدفوعون إلى ذلك بتحفظ المهنة والحياء الزائف ، ويمتنعون عن تكرار النصيحة الثمينة التى أبداها ذلك الحكيم الخبير بطبيعة البشر والطب ـ للكته المفرطة فى العفة والتحفظ . .

ولو أن الطبيبات والأطباء نصحوا مرضاهم نصيحة هذا الحكيم الشهير لكانوا من تلاميذه ، بل من تلاميذ فلاسفة الأخلاق المسيحية . وسنثبت ذلك فى أثناء هذه الدراسة .

وقد يتأخر حدوث التهييج الموضعى الخاص ، أو لا يحدث إطلاقاً بسبب النقص فى إفراز المادة الهلامية عند المرأة نتيجة ضعف تأثر الغدد المهبلية بالمهيجات البدنية والنفسية السابقة ، والتليين (أو التطرية أو التزييت) إذا لم يكن كافياً ، فإن استمرار الحك فى المهبل وذكر المرأة ، ومدخل المهبل فى أثناء المداعبة اليدوية ، أو فى أثناء الجماع ـ يحدث

الألم بدل اللذة . ويجعل هذه الأنسجة الرقيقة الناعمة ملتهبة متألمة ، وإذا استمر التلامس تعسر أى نشاط حسى بسبب الألم الحادث ، فبمجرد معرفة أن التليين غير كاف ، أو تأخر حدوثه ، يجب استبدال الملين الطبيعى بملين صناعى ، يجعل الأجزاء ناعمة طرية تسمح لعضو الرجل بالانزلاق دون أن تلتهب .

والمراهم الدهنية المستعملة عادة لاتؤدى الغرض منها (وهو ضمان نعومة الذكر والفرج) لتيسير الإيلاج .

وتحدث هذه المراهم التهاباً لأنها لاتذوب فى الماء ، ولا يمكن إزالتها تماماً بأقوى غسيل ، فتحمر وتدفر (تزنخ كالزيت) وتحدث الالتهاب المؤلم . ومثل ذلك يقال عن (الفازلين) فمع أنه لايدفر إلا أنه لايذوب فلا يمكن غسله لإزالته تماماً ، ومن ثم كان استعماله فى الفرج حماقة خطيرة . والأدوية المستعملة فى أعمال الولادة لتسهيل إدخال إصبع أو آلة جراحية لا تصلح للمجامعة ، لأنها تحوى صابونا وجلسرين ، أو مواد مطهرة قوية ، ولذلك يؤدى الحك الضرورى الطويل ووجود هذه المواد إلى التهاب الأغشية المخاطية .

وأحسن المطريات الجنسية هى المستحضرات النباتية العشبية ، القابلة للذوبان فى الماء ، والتى لا تحوى إلا أقل مقدار من المواد الملهبة المهيّجة . وهى تكاد تشبه الإفرازات الطبيعية التى تستعمل بدلها .

ولكن الرطوبة الطبيعية ، التى تحدثها غدد اللعاب هى أبسط المليّنات وأقربها إلى الذهن ، واللعاب ميسور فى كل وقت ، ولا عيب فيه سوى أنه سريع التبخر ، ولذلك يقل فى الأحوال التى تتعذر فيها المجامعة الفعلية ، لنقص التطرية الطبيعية . وفى أثناء المداعبة الموضعية الطويلة عند الفرج أو فى أى مكان آخر ، يجب استعمال اللعاب للفرج تكراراً ــ لا لمرة واحدة . والأحسن والأسرع استعمال اللعاب ــ دون الالتجاء إلى الأصابع ــ بطريقة القبلة المهيجة أو تقبيل الأعضاء الجنسية أو القبلة الحسية) وذلك بالمداعبة والملامسة بالشفاه واللسان بطريقة رقيقة مهدئة .

تعمدت ألا أستعمل الألفاظ التى تدل على بلوغ ذروة اللذة عن طريق الملامسة باللسان والفم للأعضاء الحسية لأنى أرفض استعمالها إذ تكاد تدل فى الغالب دائماً على طرق غير مقبولة بينما هى هنا مشروعة مقبولة من الذوق الجميل : والصحة والخلق ، ولا اعتراض عليها مطلقاً . وقبولها من ناحيتى الصحة والذوق الجميل يتوقف تماماً على صحة الزوجين ونظافة جسميهما نظافة مطلقة لا تشوبها شائبة .

تقبيل الأعضاء الجنسية

والإثارة الحسية بهذه الطريقة لها مزايا كثيرة .

أولها : يصبح نقص الإفراز الموضعى من المزايا والمحاسن بعد أن كان من المساوىء .

وثانيها : شدة اللذة التى يُحدثها .

وثالثها : أن هذه القبلة تحدث شعوراً حاداً مرهفاً باللذة ، كما تحدث ألواناً متباينة من الاستمتاع بحاسة الحس واللمس ، وكلا الأمرين يضمنان أن النقص السابق يفيد بعد أن كان يعيب ـ إذ يبلغ التهيج الحسي والشهوة درجة عظيمة تساعد على التليين ، أو التزييت ، وهو دليل تأهب النفس والبدن للجماع الموفق الممتع للزوجين معاً (يحدث التليين بهذه الطرق وحدها ، أو بما يعززها) .

وتقبيل الأعضاء الجنسية يفيد بوجه خاص فى التغلب على خوف المرأة الساذجة الجاهلة ، و برودها الحسى ، وهو أمر محتمل فى المرأة التى لم يسبق لها التدرب الحسى الشهوى ولم تتيقظ شهوتها الجنسية تيقظاً واضحاً.

ولـكن يجب على الزوج أن يلتزم منتهى الرقة واللطف ، وغاية الاحترام الدقيق ! فالفرق بين العظيم والمضحك ليس إلا خطوة ! ومعنى هذا فى لغة الحب أن الفاصل بين الجمال العظيم ، والقبح المفرط فاصل دقيق رقيق ، حتى لقد نتجاوزه بعقولنا وحواسنا ونحن لا ندرى !

وسائل القبلة المهيجة وشيوعها

ولا ضرورة لوصف الوسائل الفنية لهذا اللون من تهييج الأعضاء الجنسية ، إذ يمكن استنتاجها من حديثنا المفصّل عن القبلة وعن تركيب أعضاء الأنوثة على الأخص .

وكذلك نستنتج دقائق التحليل ، ولـكنى أؤكد أن حاستى

الذوق والشم أكثر أهمية من قبلة الفم ! ولذلك يجب على الزوج المستسلمة أن تكون دقيقة للغاية ، حريصة على منع كل ماينفر زوجها ، أو يثير في نفسه شيئاً من المشاعر التي لا تحبها . ويزيد الموقف تعقداً وصعوبة وضع الأعضاء الجنسية وإفرازاتها ، فيجب أن تلتزم المرأة النظافة التامة المطلقة التي تصل إلى حد الوسوسة ، وقد ذكرنا بعض طرق الاحتياط والوقاية الخاصة في الفصل الثالث .

أما استمتاع الزوج النشيط لتقبيل أعضاء الأنوثة فهو استمتاع نفسي خالص : يتركز في الفرح بإبهاج الزوج المحبوبة وفي إثارة رغبتها ، وفي حدوث هذه اللذة والرغبة . (وقد تكون هذه اللذة النفسية العاطفية شديدة حادة ، فتنتقل إلى الأطراف احتقاناً وتضخماً) .

أما مشاعر الزوج المستسلمة فهي بدنية دائماً مهما اشتدت الدوافع العاطفية .

والرجل عادة هو النشيط في هذه المداعبة ، بل هو ينشط فيها أكثر مما ينشط في أي مداعبة أخرى ، لأنه بطبيعته أكثر قدرة ، ولأنه يختلف عن زوجه في سرعة انفعاله الشهوي ، فهو أنشط وأسرع منها ، وذلك أمر منتظر لأن المرأة تكون في فترة التعليم والتدرب .

وفي الظروف التي تبطؤ فيها انفعالات الرجل عن انفعالات المرأة تستطيع هي أن تفيد بذلك ، فتنشط أكثر منه خلال الطور الثاني من

أطوار الاتصال البدنى ، وحينئذ تستطيع أن تظفر بمنحه القبلة الجنسية بدلا من أخذها منه ، وسيكون توفيقها عظيما فى تقبيل عضوه .

فهل من الضرورى هنا أن نؤكد للمرأة أهمية الذوق الفنى الجميل واتخاذ الحرص والحيطة والدقة ؟

أمن الضرورى أن ننصحها بالابتعاد التام عن هذه الاتصالات خلال مراحل الزواج الباكرة ، فلا تجربها إلا بعد زمن طويل ؟

أمن الضرورى أن نذكرها بأنها تخاطر ـ أكثر مما يخاطر زوجها ـ باقترابها من هذا الفصل الخداع الخائن بين الجمال العظيم والقبح الوضيع؟

أعتقد ألا ضرورة لتحذيرها من ذلك كله ، لأنها تعرفه بفطرتها ، وتشعر به بكل مافطرت عليه المرأة من خفر .

ولكن الموقف النفسى يغدو صعباً للغاية ، حين تواتى الزوجين ذكريات الفرح والحب المتبادلة ، ويتم بينهما الانسجام والتوافق السعيد وتتاح للمرأة فنون التجربة ، فحينئذ تستطيع المرأة بمهارتها النسائية وجرأتها أن تستمتع بوليمة من الملاذ المنعشة .

فلتكن المرأة هى المغازلة المداعبة النشيطة فى بعض الأحيان ، وليست دائماً هى المداعَبة المغازَلة . وإنها لتستطيع ذلك دون أن تفقد شيئاً من عظمتها وكرامتها وعذوبتها الخاصة .

وحين تكون المرأة هى النشيطة الفعالة فى المغازلة والمداعبة ، تستطيع

أن تفصح عن حبها بطريقة محبوبة شهية جداً ، وتظهر لزوجها شكر[ها] وحنانها وترد له الجميل ، إذ يشعر أن دوره يتجاوز الشعور بالشهوة إ[لى] شيء آخر هو ابتعاث الشهوة ، وأنه يغدو مصدر الوحى والإيحاء والفت[نة] لزوجه . لن يكون الرجل محباً فقط ، بل محبوباً مرجواً مشتهى !

حين تقوى العلاقات إلى هـذا الحد ، وتنسجم انسجاماً عظيما يصبح استعمال التهييج والتقبيل للأعضاء الجنسية والاستمتاع به أمر[اً] يتوقف تماما على ميل الزوجين ومزاجهما وحساسية كل منهما وخبرت[ه] العملية . وقد يستمتعان بذلك فى وقت واحد ، أو يتبادلان الاستمتا[ع] وقتاً بعد وقت .

وفى كل فن أو لعب يعمد الماهر إلى الإفادة بكل الوسائل والاحتمالات لتزيد قدرته كمالا وتشعبا ـ دون أن يهمل الآثار الخطير[ة] والتفاصيل الدقيقة ، فهل تختلف الحال عن ذلك فى فن الحب وهو أعظمها وأغناها ؟

الفصل التاسع

الجماع

الجزء الأول : أسس بدنية وفنية

بالجماع تبلغ المداعبة هدفها وتصل العلاقات الحسية إلى غايتها ومنتهاها .

وحين يكون الزوج مثالياً ، يتقاسم الزوجان الاتحاد الودى الخالص تقاسماً كاملا متساوياً متبادلا ، ويلتقيان روحاً ، ويتلامسان بدناً ، ويصيران جسما واحداً وروحاً واحدة .

ومن حسن الحظ أنه لا يصعب بلوغ هذا المثل الأعلى فهو يحدث فعلا ، ويصبح شيئاً عملياً واقعياً .

ومن شروط الزواج المثالى المساواة التامة والتبادل التام بين الزوجين ، ولو أن الرجل ينقل والمرأة تستقبل وتتلقى . ومع أن الرجل نشيط فعلا ، ويجب أن يكون نشيطاً ، إلا أن المرأة ليست أداة أو آلة سلبية مستسلمة ـ كما كان الاعتقاد ، وكما هو الآن فى كثير من الأحيان . وعلى أى حال يجب ألا تكون آلة مستسلمة استسلاما خالصا ! فالاتحاد الحسى لا يحدث بدنياً (حسب قوانين الطبيعة) بطريقة صحيحة مناسبة إلا إذا تساوى الزوجان كلاهما فى المساهمة فى اللذة

الحسية والاستمتاع بها إلى أقصى درجات الاستمتاع و بلوغ الارتواء الحسى الكامل أو الارتخاء و إطفاء ظمأ الشهوة .

و إذا كان هناك اختلاف على المساواة بين المرأة والرجل فى الحقوق فى بعض الظروف ، إلا أن هذه المساواة واجبة لصالح الزوجين ، وواجبة من حيث توجيههما بالعلاقات الحسية واستمتاعهما بها على قدم المساواة ، ففى الزواج المثالى لا يلامس الرجل امرأة ساكنة مستسلمة ، بل هما يتواصلان و يتشاركان فى الجماع أو الاتحاد الحسى .

الطريقة

والاتحاد الحسى (البضاع أو الجماع أو العمل الحسى أو الاتصال الحسى أو المجامعة) هو الطور الثالث فى العلاقات الحسية .

و يبدأ هذا الطور (البضاع أو الجماع) بإدخال عضو الذكرة ، نشيطاً قائماً فى مهبل المرأة (و يسمى هذا العمل « الإيلاج ») ، و يبلغ هذا الطور نهايته أو ذروته بقذف الخلايا المنوية داخل المهبل وما يصاحب القذف من بلوغ ذروة اللذة أو ذروة الاستمتاع فى الزوجين كليهما و ينتهى الجماع بإخراج العضو من المهبل .

و يجب أن يتزايد التهيج و يتراكم فى جسمى الذكر والأنثى ليبلغا « قمة اللذة » أو ذروتها بعد سلسلة من الحركات الرابتة الطاعنة (احتكاك) . وكلما احتك عضو الذكر وضغط على ثنايا الجدران

المهبلية ووسائدها (ووسائد السطح الأمامى على وجه خاص) فإن أعصاب الذكر وأعصاب قمته تهيج بشدة ، ويبلغ التوتر (الضغط) نهايته ويحدث الارتخاء بفعل منعكس (سمبتاوى) هو قذف المنى .
وهذه المشاعر الحسية الطاغية المتزايدة تتلقاها القشرة المخية (المراكز العصبية العليا) وتحس بها نفسياً لذة عنيفة عارمة . وتتزايد هذه المشاعر فى قوتها حتى تبلغ ذروتها فى اللحظة التى يبدأ فيها قذف المنى ، فإذا حدث القذف استمر الشعور باللذة فى صورة أخرى هى الارتواء أو الارتخاء اللذيذ الممتع ، وحين ينقطع القذف تنتهى ذروة اللذة كما ينتهى الإفراز (البدنى) وتذوى المشاعر النفسية والبدنية وتموت إذ تصير رضاً نفسياً بدنياً ، أو استمتاعاً محققاً منتهياً ، أو لوناً من النشوة الناعسة .

تهيج الذكر والأحاسيس الموضعية

أما مهيجات الأعصاب الذكرية فتختلف فى شدتها كما تختلف فى نوعها ، وكذلك يشتد التباين فى مشاعر اللذة الناتجة عنها . ومن المهم أن نعرف مصادر هذه المشاعر اللذيذة ، فقد يكون المصدر موضعياً كطرف الجلد الذكرى الأمامى (٢٤ فى الرسم السابع) أو يكون الطرف الخلفى لقمة العضو . وقد يكون المهبل أوسع أو أضيق قليلا أو ناعماً أو رقيق الثنايا أو كثيرها . وكذلك يجب أن نرى إذا كانت فتحة المهبل تناسب قضيب الذكر تماماً أو تضيق عنه ، وهل يلمس طرف

الذكر الجزء المهبلي الرحمي (١٨ في الرسم الثاني) أو لا يكاد يبلغه .

فالجماع الكامل المثالي يحتاج إلى تناسق وانسجام في الأعضاء الجنسية لدى الرجل والمرأة كليهما . وعضو الذكر العادي لا يمكن تهييجه تماماً إذا كان المهبل واسعاً أو فضفاضاً ، وكذلك لا تستمتع أعضاء المرأة بالجماع إذا كان عضو الرجل ناقص الانتصاب . وإذا كانت الرغبة قوية في الاستمتاع الحسي ، فإن المهيجات البسيطة تكفي لإحداث القذف ، ولبلوغ درجة نسبية من الارتواء الحسي أو لإحداث الارتخاء على الأقل .

في هذه الحال يحس الإنسان بفقدان اللذة القصوى والارتواء الحسي الكامل المهدئ ، كما يحس بحاجته إلى تذوق التأثير النفسي الرقيق وما يصحبه من شعور الفرح والانتصار ، وكلها أمور ضرورية ليكون البضاع كاملا موفقًا .

أهمية اشتراك المرأة في « العمل »

ولهذا يرى الرجل كما ترى المرأة ـ رأيا تدعمه أثرة الرجل ، إذ لا يهتم بأن تكون زوجه باردة ، أو سريعة الانفعال نشيطة الاستجابة لحركاته ومشاعره ، أو ساكنة مستسلمة كأن الأمر لا يهمها . وهؤلاء الرجال الذين يجامعون أزواجهم دون اهتمام بمشاركتهن لهم في المتعة مستهترون ، بل يمتازون بالخشونة والوقاحة والغباوة والحماقة ، لأن التهييج

البدني الذي يستمتع به عضو الذكر بملامسة أعضاء المرأة الجنسية يزيد كثيراً بتهييج المرأة حسياً ورغبتها في الاستمتاع .

إن مشاركة المرأة في التهييج والاستمتاع وفي الجماع كله تمتع الرجل بلذات كثيرة ، فغدد الممر تفرز الإفرازات الملينة للتزييت والتشحيم ، وبسبب تهيج المرأة وشهوتها يتضخم البصل والبظر والجدران المهبلية كما تنكمش هذه الجدران انكماشاً لذيذاً ، وتشد عنق الرحم إلى أسفل ، وبذلك تحدث توتراً (ضغطاً) مرناً مطاطاً خلال الفتحة والممر ، فتعصر عضو الذكرة عصراً وثيقاً كما تحوطه بنعومتها المخملية ؛ وتتيح في الوقت نفسه أحسن الظروف لتهييج موفق آخر . وما ألذ متعة عضو الذكر بمعانقة المهبل واحتضانه الشديد وحرارته الشديدة وما فيه من نعومة الوسائد الرخصة و بضاضتها .

وهناك متعة أخرى ، وهي متعة شخصية حادة للغاية تتيحها انقباضات العضلات المهبلية وتموجاتها التي تحدث بين وقت وآخر في بعض النساء ـ ولا تحدث فيهن جميعاً ـ في أثناء التهييج الحسي القوي .

وهناك متعة هامة يحدثها انقباض عضلات قاعدة الحوض وهو انقباض لا إرادي يحدث في أواخر التهييج وخلال بلوغ ذروة اللذة ، وكذلك تنشأ المتعة عن انقباض هذه العضلات (ولا سيما العضلات المهبلية الرافعة والقابضة) وهو انقباض إرادي شعوري تحدثه المرأة

برغبتها لتزيد متعتها ومتعة زوجها[1] .

وأشد المهيجات تحدث عن تبادل الضغط والاحتكاك بين الذكر والمهبل . وواضح أن هذا الضغط يزداد شدة حين تتضخم الأعضاء النسوية بدرجة كافية ، وحين تنتصب لتحتضن عضو الذكر وتعصر عصراً . وسنذكر فى فصل قادم كيف يمكن الإفادة بهذا الاحتكاك بطرق مختلفة ، وسنفسر وسائله لأهميتها الكبرى .

والغالب أن الرجل هو الزوج النشيط فى الاحتكاك الجنسى والبضاعى ، أما المرأة فقد تساهم فيه بنشاط عظيم ، ولكن « حركاتها أخف عادة . ومع ذلك ففن الملاعبة والمجامعة مفعم بالأشكال والألوان الحسية المتناقضة المتباينة ، ويستطيع الزوجان تبادل دورهما فيها .

وحين يسود التوافق والانسجام بين الزوجين ، تستطيع المرأة بين وقت وآخر أن تساهم فى حركات الجماع بأن تدفع حوضها إلى الأمام فى الوقت المناسب ، ثم ترجعه إلى الوراء بسرعة ، وبذلك تزيد الإيقاع (الانتظام) والاحتكاك . وهنا يظهر خطر الحركة العنيفة الشديدة ، فقد ينزلق العضو الداخل خارج المهبل ، ثم لا يهتدى فى الحال إلى طريق العودة ، فيكون هذا الاضطراب من أسباب الامتعاض والضيق . وقد

(١) « اكتساب القدرة الحسية بالتدريب : رياضة بدنية خاصة بالنساء » كتاب فان دى فلد .

لا يتفق الزوجان في حفظ الزمن الصحيح المناسب للعمل المتبادل ، وبذلك تنقص اللذة بدلا من أن تزيد . وخير للزوجين أن يعرفا هذه الاضطرابات والخلافات لتجنبها .

أكدنا أهمية رغبة المرأة ولذتها الحسية في زيادة تهيج الرجل واستمتاعه بمختلف المشاعر والأحاسيس ، فالبضاع الحسي الكامل (المتبادل) يمتعه بدرجة أعظم وأشد من استمتاعه ببضاع دنيء حقير هزيل تافه بسبب عدم مشاركة المرأة . ولكن يجب ألا ننسى العامل الأهم ـ وهو الحب .

ونقصد بالحب العاطفة النفسية : عاطفة الحب ، وليس هذا تحليقاً في الخيال ، ولا كلام شعراء ، وليس وعظاً خلقياً . فأنا لا أتكلم إلا بصفتي طبيباً بدنياً يعرف شيئاً عن الناحية الحسية . وبهذه الصفة لا أشك في أن البشر لا يستطيعون أن يسعدوا حقاً في حبهم من الناحيتين العاطفية والنفسية إلا إذا كان لهذا الحب منفذ بدني واستمتاع بدني ، وكذلك لن يكون البضاع الحسي البدني كاملاً مثالياً إلا إذا كان ثمة اتحاد وانسجام وامتزاج روحي متبادل .

إن اللذة الحسية ، والعمل الحسي نفسه ، يعتمدان كثيراً على الوظائف العقلية والنفسية . والاستجابة النفسية ضرورة لا غنى عنها للاتحاد الحسي . وبدون هذه الاستجابة النفسية لا يحدث للرجل انتصاب

ولا شيء . ومع أنه من الممكن أن تستسلم المرأة للجماع دون رغبة فيه ، إلا أنه يستحيل عليها أن تشارك فيما تحتمله دون أن تستمتع به .

فالجماع الكامل الصحيح يحتاج من الزوجين إلى اقتراب أو تطلع أو تهافت نفسي حسي لا وجود له إلا بالحب .

بالحب وحده تبلغ اللذة الحسية ذروتها ، وتكون ذروة اللذة مبهجة سعيدة ، ويكون الارتواء كاملا ، وكذلك الارتخاء الناعس الحالم الذي يعقب الاتحاد الحسي يغدو هدوءاً كاملا .

لا يستغني الرجل عن درجة خاصة من التوتر (الضغط) الحسي ليستطيع المباضعة ، فإذا أعوزه هذا الضغط استحال عليه « الإيلاج » . أما المرأة فتستطيع عند الضرورة القصوى أن تبدأ العمل الحسي دون استعداد خاص .

وأما إذا كانت المرأة حادة المزاج ، سريعة الانفعال ، منسجمة كل الانسجام مع زوجها ، فإنها تستطيع بالتجربة والعادة أن تغير هدوءها وتبلغ ذروة اللذة حين يبلغها زوجها . (يقارن الرسم ب في هذا الفصل) وهي تستطيع أن تفعل ذلك بتوجيه إرادتها وانتباهها إلى الاستمتاع بكل ما يصلها من مؤثرات ، وهذا عمل نفسي تشترك فيه الإرادة النشيطة ـ عوامل العادة والتجربة الشعورية ونصف الشعورية ـ بدافع الود والحب .

أما إذا بدأ الرجل العمل الحسى بعد بلوغه درجة عظيمة من التوتر ، فيستطيع معاونة زوجه على مسايرته بقدر الإمكان بكبت شعوره بالتهيج الموضعى . وبذلك يزيد مقدار الاحتكاك الضرورى لإحداث القذف . وكل حركة من الحركات الداخلة الخارجة تزيد تهيج المرأة ، فتستطيع ملاحقته و بلوغ الهدف معه فى وقت واحد دون إجهاد مفرط .

وقد استعمل « كهرر » كلمة « المسايرة » فى مقاله « أسباب العقم وعلاجه » وقد شبه علاقة الزوجين فى المباضعة بعلاقة فارسين أو عداءين « يبدآن فى لحظة واحدة ويريدان أن تكون خطواتهما متساوية متناسقة غير مفرطة فى السرعة ليستطيعا بلوغ الهدف جنباً إلى جنب » .

ولكن هذه المقارنة لا تنطبق إلا على زوجين يستطيعان التحكم فى وسائلهما ورغباتهما بحيث يرضى كل منهما الآخر ، وقد أكد « كهرر » هذه النقطة بالذات .

وإذا كانت المرأة لم تكتسب الخبرة ، فإنها تحتاج إلى وقت كبير لتبلغ درجة القدرة الحسية الكاملة إذا لم يكن لها مزاج حسى قوى ولا خبرة سابقة . وليس من الخير تركها متأخرة لأنها لن تبلغ الهدف أبداً ، إذ سيبلغ الزوج «ذروة اللذة» قبل بلوغ المرأة هذه الذروة .

وحين يكون الشريكان فى عمل غير متكافئين ، فيجب على الأقدر الأنشط فيهما أن يتأخر قليلاً فى نشاطه ليحفظ للمرأة شغفها بالعمل وليضمن استمتاعها به . وقد حاولت توضيح ذلك فى الرسم ح

فى هذا الفصل ، وشرحت الوسائل اللازمة فى فصل سابق .

والرجل القوى (متوسط النشاط والتركيب الحسى) لا يستطيع إلا أن يلجأ إلى هذه الطريقة ليضمن التعادل والتكافؤ . فهو يتحكم فى شعوره ، ويؤجل القذف (وهو فعل منعكس) ولكنه لا يستطيع هذا التحكم والتأجيل إلا فى أضيق الحدود .

تتمتع المرأة بقدرة أكبر ومهارة أعظم . فإذا كانت خبيرة مجربة استطاعت إطالة مدة انفعالاتها أو الإسراع فيها لتستطيع مسايرة زوجها إلى حد عظيم . وهذه القدرة على المسايرة والانسجام ممكنة لأن أقوى مهيج يدفع المرأة إلى « ذروة اللذة » يحدث حين يبدأ الرجل القذف .

سنتحدث عن المظاهر التى تبدو على المرأة قبل التحدث عن هذه المؤثرات . ولقد أطلنا الحديث عن هذه المظاهر فى فصول سابقة ، فلن نحتاج إلا إلى إجمالها وتلخيصها .

حين يحدث اتصال بدنى أو نفسى أو مشاعر عقلية أو حين تجتمع الملامسة بالمشاعر يحدث تهيج حسى خاص ، وهو يحدث على وجه أخص استجابة للتهيج الناشىء عن ملامسة الأعضاء الجنسية الخارجية ومنها البظر وملامسة المهبل والجزء المهبلى من الرحم ، وحينئذ يزيد تدفق الدم إلى هذه المواضع ، فتمتد وتتضخم وتنتصب انتصاباً جزئياً (تتصلب) ، فتزيد حساسيتها وتصبح أقدر على معانقة عضو الذكرة

الداخل فيها فتحتضنه احتضاناً عاصراً قوياً وتوسده فى غلاف بض مرن ، و بذلك يزيد التهيج المتبادل .

تتبادل أعضاء الذكرة والأنوثة تقديم وسائل التهييج واستقبالها بالاحتكاك المتبادل نتيجة حركة الدخول والخروج التى يمتاز بها الرجل فى الاندماج الحسى والتى تأتيها المرأة من وقت إلى آخر . و يتبادل الرجل والمرأة هذا التهيج ، و يستمتعان بانقباض عضلات الحوض النسوى والأعضاء الجنسية النسوية ، وهو انقباض غير إرادى ، أو إرادى كله ، أو إرادى إلى حد ما .

و بجانب تهييج العضو لفتحة المهبل ، والمهبل ، والجزء المهبلى من الرحم ، يستطيع العضو تهييج البظر والجزء المشترك بين الشفرين الداخليين (الصغيرين) لأنه يمسح كل هذه النقطة مسح الفرجون « الفرشاة » .

وهو يستطيع ذلك ، لأن التهييج وقت الجماع يتوقف كثيراً على تركيب الجسم ، وجسم المرأة يختلف قليلا عن جسم أية امرأة أخرى . ومن أمثلة هذا الاختلاف : اختلاف حجم البظر ، واختلاف نمو الجزء المشترك بين الشفرين الداخلين (الصغيرين) ، وكذلك موضع البظر ؛ فالاختلاف فيه عظيم جداً ، إذ قد يكون هذا العضو عالياً جداً أو منخفضاً ، وهناك اختلاف فى زاوية الحوض ، ومحيطه ، وحركات الزوجين ونوعها .

يبدو أننا على صواب حين نعتقد أن البظر ما جاء فى هذا الوضع إلا ليشارك الفرج فى التهييج فى أثناء المباضعة .

إن هذا العضو حساس قابل للتهييج بدرجة عظيمة جداً ، وهو يبرز إلى أسفل حين يتهيج ، ويبدو كأنه يتحدى عضو الرجل و يضغط عليه ، وكل هذا يثبت رأينا فى وجوب تهييجه عند تهييج الفرج .

ولكن المؤسف أن هذا التهييج لا يحدث عادة فى نساء هذا العصر لأسباب منها نقص نمو البظر ، وارتفاع موضعه ارتفاعاً نسبياً ، وميل الحوض ميلا خفيفاً جداً ، وتجتمع هذه الأعراض كلها فى الغالب ، وسببها توقف النمو أو صغر الأعضاء الجنسية . وقد شاع صغر الأعضاء الجنسية بدرجات قليلة فى هذه الأيام (فى أمريكا وغرب أوربا) حتى كاد لا يعتبر مرضاً أو شذوذاً . وصغر هذه الأعضاء بدرجة كبيرة ليس نادراً ، ويجب اعتباره مرضاً واجب العلاج بسبب ما يحدثه من ألوان كثيرة من الشقاق والاضطراب الحيوى .

إن صغر الأعضاء الجنسية النسوية يؤثر فى وظائف الأنوثة ، فهو أهم أسباب « العقم » . وأما توقف البظر عن النمو فهو مرض — مهما كان بسيطاً لأنه يكون فى الغالب مصحوباً بنقص واضح فى المشاعر الحسية . وهناك أهمية خاصة لصغر حجم البظر وارتفاع موضعه إذ يمتنع عن التهيج الكامل فى أثناء المباضعة .

إن هذا الشذوذ الحسي ليس شيئاً صعب العلاج ، ولـكنه يعوق تبادل المشاعر والأحاسيس والحركات فى بدء الحياة الزوجية على الأقل ، ومن واجب الزوج أن يهتم به و يعالجه بعلمه ومهارته فى أثناء قيامه بدور معلم المرأة ورائدها فى الحياة الحسية ، وهو محتاج فى ذلك إلى مايلجأ إليه العاشق من فنون الغواية ، فإذا لم يفعل ذلك بقيت زوجه باردة وقد يستمر برودها وجمودها طول العمر ، فلا يلقى منها إلا استهتاراً وعداوة لمقاصده الحسية .

ولـكن البظر ناقص النمو قد ينمو إذا أتيح له النشـاط الحسى المستمر بضع سنوات ، وهو فى ذلك يشبه سائر الأعضاء الجنسية النسوية ولـكنه يفوقها كثيراً وهنا ينطبق القول « بالتجربة والعمل المستمر نقرب من الكمال » وهو قول ينطبق على نواح كثيرة فى الحياة .

ما أنواع التهييج التى تتلقاها المرأة فى أثناء الاتحاد الحسى أو الجماع ؟ يجب أن نميز بين الأحاسيس التى يحدثها تهييج المهبل والأحاسيس الناتجة من تهييج البظر ، فالاختلاف بينهما واضح ، ولو أن كلا منهما يمتاز بنوع من اللذة الحسية الشديدة ، ولـكن لـكل فريق من الأحاسيس نوعاً مختلفاً من اللذة ـ كما يختلف نوعان من الراح فى النكهة والمذاق ، ونذهب إلى أكثر من ذلك ، « فذروة اللذة » التى تحدث بعد تهييج البظر تختلف اختلافاً غريباً ـ ولـكنه ليس عظيما ـ

عن ذروة اللذة التى تحدث بعد تهيج المهبل ، بالرغم من تشابه النشاط الداخلي والانعكاسات ، والإفرازات الموضعية والرسائل المخية ، والارتواء الحسي الناتج .

فالمرأة تتمتع بمجال واسع من التباين والاختلاف فى اللذة الحسية ، لايتمتع به الرجل . وتتهيج المرأة تهيجاً بظرياً أو مهبلياً ويمتاز كل نوع من هذين النوعين بألوان كثيرة من مشاعر اللذة .

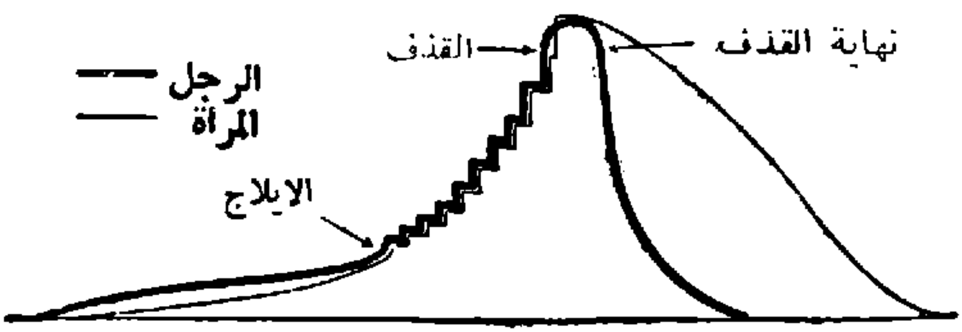
والبضاع الطبيعى يمتع المرأة بمزيج من هذين النوعين من التهيج والمتعة . وهـذا المزيج يحمل بين ثناياه لذة قصوى ، وقد يعجل ببلوغ « ذروة اللذة » ومن هنا نستنتج ألوان النصح والمنع ، ومع ذلك فوسائل التطبيق صعبة .

فإذا كان البظر عالياً جداً ، فيجب على المرأة أن تتخذ وضعاً يزيد ميل الحوض أو يتخذ الزوجان معاً وضعاً مناسباً . ويمكن إحداث هذه الملامسة (بين الذكر والبظر) بأن يترك عضو الرجل المهبل تماماً ويأخذ على عاتقه ذلك البظر ورتبه ومسحه وحكه بقمته كما تفعل الفرشاة ، ولكن ما أصعب الاحتفاظ بالهدف فى أثناء هذا العمل ! فتيار الإحساس اللذيذ المستمر ينقطع إذا حاد عضو الذكر عن عضو المرأة ، وأخيراً فهناك طريقة دلك المهبل بالذكر فى الوقت الذى يدلك فيه البظر بالإصبع .

ولكن البضاع الكامل يحتم أن يتركز التهيج فى المهبل وثغره والجزء المهبلى من الرحم . وهو أمر يساعد على تنوع مشاعر اللذة وتقويتها حتى تبلغ « ذروة اللذة » .

وفى البضاع الكامل العادى ، يجب أن يبلغ الزوجان ذروة اللذة فى وقت واحد تقريباً . والعادة أن يبدأ الرجل القذف فتلاحقه المرأة فى بلوغ قمة أحاسيسها ، أما اللذة التى يستغرقها إحساس المرأة لبلوغ المركز العصبى المركزى ، وليتحول إلى نشوة طاغية كبرى ، فهى قصيرة جداً لاتتجاوز ثانية واحدة . ما أعجب سرعة الانتقال فى الأعصاب !

إذا حللنا الجماع إلى مراحله وأجزائه ، فالأحسن أن نعتمد على رسم يظهر تزايد التوتر فى الزوجين ثم تناقصه بعد بلوغ ذروة اللذة .



الرسم ١ : الجماع المثالى

هذا الرسم المزدوج يوضح الاستمتاع باللذات الحسية والنفسية فى أثناء الجماع ، ولذات الحس والنفس متداخلة متشابكة ، والخط السميك يمثل

انفعال الرجل ، والخط الخفيف يمثل انفعال المرأة[1] .

يسير الخطان متوازيين حسب الرسم حتى لحظة « الإيلاج » ال[لتى]
يبدأ بها البضاع الفعلى ، فالخطان يمثلان اشتداد التهيج فى مرحلتى التهي[يج]
والمداعبة . وإذا كان الزوجان منسجمين متفقين فإنهما يبدآن البضاع [فى]
حال متقاربة من التهيج والبهجة والزهو والغرور بالقدرة الشخصية ، وم[ن]
هذه اللحظة يشتد التهيج ويتزايد حسب حركات الجماع وهى نصف إرادي[ة]
ولا يتخذ التهيج خطاً صامداً ولكنه يقفز قفزات سريعة كسرعة البر[ق]
ويتخذ التهيج فى الزوجين خطين متوازيين لتماثلهما واتحادهما تماماً ح[تى]
يبلغ الرجل الذروة بالقذف (وهو فعل منعكس) ، فتنحنى القوس .

وحين تتزايد عوامل التهيج وتسبب القذف ، لاتستطيع الإراد[ة]
التحكم فيه ، فيقفز السائل المنوى فى نقط صغيرة عنيفة الانطلاق نحو
الجدار الأمامى لمجرى البول ، ومن هذه اللحظة تزيد متعة الرجل زيادة
مفاجئة عظيمة حتى تبلغ ذروتها « ذروة اللذة » ، بينما تستمر الأفعال
المنعكسة فى الوقت نفسه ، فينطلق السائل المنوى من مجرى البول إلى
المهبل نتيجة انقباضات قوية لايمكن منعها بالإرادة الشعورية ، مع أنها
تنطلق بسبب عضلات إرادية . وفى الوقت نفسه ، يتجمع مزيج المنى
ويتدفق من مجرى البول إلى البروستاتة والقنوات المنوية حتى ينتهى
معين المنى ؛ وبانتهائه ينتهى الفعل المنعكس .

---

(١) سبقنى مؤلفون آخرون إلى تمثيل الانفعال بالرسم ومنهم « كهرر » .
وأكاد أشاركه فى تقديره ولو أن المدقق يلاحظ اختلافاً طفيفاً .

يبدأ هـذا الفعل المنعكس حين تضغط النقطة الأولى من سائل الحياة على جدران مجرى البول . وهو أول علامات « ذروة اللذة » ؛ كما أنه يقوى التهيج الحسى بدرجة عظيمة .

ولـكن ذروة اللذة الحقيقية العنيفة تحدث بعد بدئها بقليل ، حين تشتد الانفعالات الحركية وتقوى عوامل التهييج التى يشعر بها الرجل نتيجة لحركات المرأة التى تستجيب فيها لحركاته .

فحينئذ تهبط فجأة قوة الانطلاق المنوى لنقص مورد المنى . ويتخاذل الفعل المنعكس . وتذوى اللذة العظيمة ببطء أول الأمر ، ثم تتهاوى بسرعة حتى تموت مع الفعل المنعكس .

فالقوس العادية التى تمثـل ذروة لذة الرجل تشبه قوساً عالية ضيقة كمنقار الطير ، وهى تماثل حركات القذف ، فهى فى العـادة خمس انقباضات عضلية وقد تزيد إلى سبع ، وهذه الانقباضات تبدأ عنيفة ، ثم تصيبها حركة ثانية أو ثالثة أكثر شدة ، ثم تموت كما يموت الإيقاع الموسيقى ، وتصير هدوءاً لذيذاً عميقاً وارتخاء وانبساطاً ـ إلا إذا عاق ذلك تهييج جديد . ويرتخى عضو الرجل بسرعة ، ولو أنه قد يبقى بعض الوقت أكبر حجماً من حجمه العـادى . ويتوقف ذلك على الرجل وميوله وأهوائه وظروفه الخاصة ، وعلى مكان العضو فقد يبقى فى المهبل لحظة أو يسحب بعد القذف مباشرة . وعلى أى حال ، يجب ألا ينتهى العمل انتهاء مفاجئاً سريعاً بالنسبة للمرأة .

أما ذروة اللذة وأحاسيسها عند المرأة فأصعب وصفاً مما هى عند الرجل . وطريقتها البدنية أكثر تعقيداً ، ومع أن وظائف الجسم لا تعدو حدود الوظائف البدنيــة العادية إلا أنها كثيرة الاختلاف بين امرأة وأخرى ، وليس لذلك مثيل فى الرجال ، ولا يمكن ملاحظتها مباشرة إلا فى حالات نادرة شاذة .

وقبل الحديث عما يحدث تماماً فى أثناء ذروة اللذة النسوية ، نتحدث عن طبيعة الأفعال المنعكسة فى المرأة . وهنا يجب أن نذكر بوضوح حقيقة هامة : هى أن ذروة اللذة عند المرأة يمكن أن تحدث دون أن يسبقها قذف الذكر ، وذلك بالرغم مـا يحيط ذروة لذتها من أعراض بدنيــة ونفسية . أما المرأة الشديدة العزلة السريعة التهيج فقد تصيبها ذروة اللذة بضع مرات قبل أن يقذف الرجل المنى .

ومع أن هذا صحيح بدون نزاع ، إلا أن القذف فى الجماع العادى هو الدليل على بلوغ المرأة ذروة اللذة ، وعلى بلوغ الرجل هذه الذروة .

ويمكن أن يحدث هذا الأمر بطريقتين :

فقد يحدث الفعل المنعكس الأخير فى المرأة نتيجة شعورها بالانقباضات العضلية فى الرجل عند بلوغه ذروة اللذة .

أو يحدث نتيجة إحساسها بارتطام سائل الحياة بجسمها .

والطريقة الثانية لها أهمية عظيمة ، وهى تدل على رقة المرأة وحبها

الشديد وتعلقها العظيم بزوجها . إنها حلقة نهائية عظيمة فى سلسلة أعمال الحب العجيبة . ويخطىء من ينسى هذه الظاهرة أو يتجاهلها .

والمرأة وحدها هى التى تعرف سبب بلوغها ذروة اللذه أهو القذف أم إحساسها بانقباضات الرجل العضلية ؟

وهنا يتسع الفرق والإختلاف بين امرأة وأخرى ؛ فبعض النساء يؤكدن أنهن لا يستطعن بلوغ ذورة اللذة إلا إذا شعرن بدفق السائل المنوى فى الجزء المهبلى من الرحم ، ولكن هذه الطائفة قليلة من النساء . ومن السهل إثبات ذلك ، فنى الأحوال المناسبة تكاد ذروة اللذة تحدث دائماً بعد القذف المنوى ـ حتى حين تعجز المرأة عن الإحساس بملامسة المنى للجزء المهبلى من الرحم (نتيجة لاستعمال لبوس أو أى مواد أخرى أو نتيجة إزالة الجزء المهبلى من الرحم بعمل جراحى) ، أو حين يكون السائل المنوى قليلا جداً فى مقداره (نتيجة لتكرار الجماع أو قبل حدوث القذف) ، فهذا كله يثبت أن هذا النوع من الإحساس ليس ضرورياً ولا شائعاً .

ولكن من الخطأ إنكار أهمية ملامسة السائل المنوى ، ولو أن تأثيرها النفسى يختلف اختلافاً عظيما فى معظم النساء . ويجب ألا ننسى أن أكثر النساء لا يستطعن ملاحظة أحاسيسهن وتسجيلها ثم تحليلها ، فالأمر يحتاج إلى خبرة وتدريب .

والنساء اللاتي استطعن الإفصاح عن مشاعرهن في هذا الموضوع أجمعن على مايأتي :

زاد التوتر نتيجة الملامسة والمداعبات المهيجة ، فصرت في حال من التلهف الشديد والتهييج العظيم ، ثم شعرت ببدء ذروة اللذة في اللحظة التي أدركت فيها أول انقباض تشنجي يصيب الذكر وهو في داخل المهبل ولاحظت في الوقت نفسه أن التشنج يصيب جسم زوجي كله لبلوغه ذروة اللذة[1] .

إن اللذة القصوى التي تمتاز بها هذه اللحظة رائعة عظمى ، فلا يمكن زيادتها بأي تهييج آخر ، ولو زادت لما استطعت احتمالها .

ثم إني أحس بتدفق شلال من المقذوفات السائلة يشعرني بإحساس واضح لذيذ ، يهدئني بدرجة رائعة وينعشني ويبهجني في الوقت نفسه . وهو يساعدني على الاستمتاع الكامل بالنشوة والبهجة الناتجة عن حركات القذف الإيقاعية المنظمة ـ دون أن أشعر بالإعياء المفرط .

إني أحظى بالتهييج نتيجة تقلصات الذكر وأسكوب الراح المنوي وتأثيره اللطيف المهدىء ، وأستمتع بهذه اللذات الكاملة المنسجمة استمتاعاً يستمر في ذروته حتى ينتهي زوجي من ذروة اللذة ، وحينئذ تبدأ لذتي في الهبوط التدريجي » .

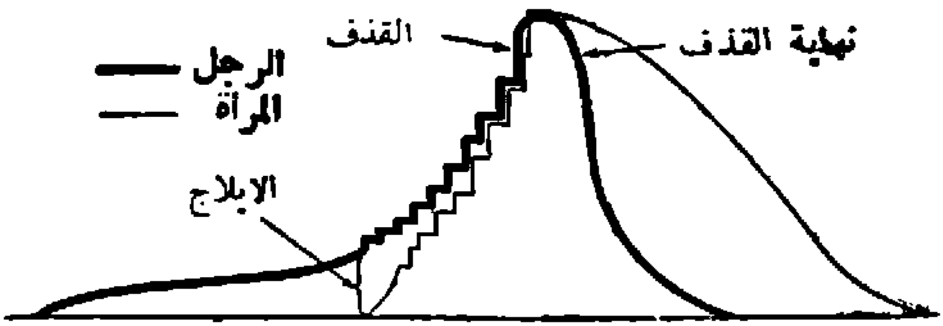
ويؤكد النساء جميعاً أن لذتهن تهبط هبوطاً تدريجياً وأنها لذة بطيئة للغاية ، إذا قورنت بما يبدو على الرجل ، وهو شيء لا يفوت امرأة قط .

---

(١) وهذا يثبت أهمية العنصر النفسي الخالص ، وقد سبق ذكرها

ولكن يجب أن نلاحظ أن هــذه المظاهر البدنية ، (ولا سيما تضخم الأنسجة المنتصبة تضخماً شــديداً) تقل بسرعة تفوق سرعة ما يصاحبها ، ومن ثم تعود الأعضاء الجنسية بسرعة إلى خمولها العادى قبل زوال المشاعر والأحاسيس .

لقد حاولنا توضيح ما ذكرنا توضيحاً هندسياً فى الرسم ا ، وهو يوضح مراحل التهيج والارتواء خلال الاندماج الحسى ، كما يظهر العلاقة بين النهايتين فى الرجل والمرأة .



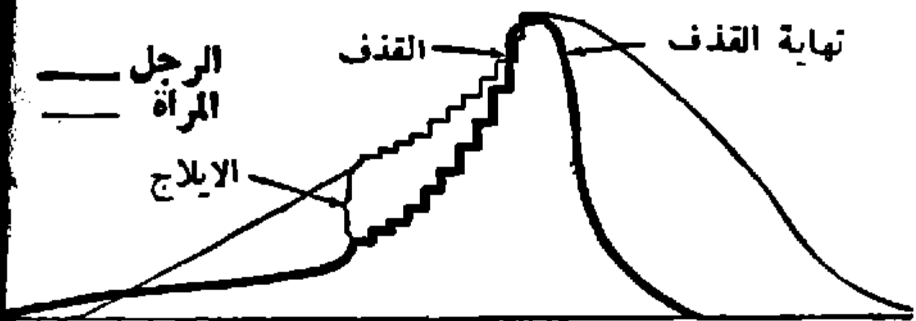
الرسم ب : ملامسة امرأة مجربة ماهرة دون إعداد وملاعبة

وهنا أضيف الرسم ب ، الذى يمثل مجرى الحوادث حين تحدث مجامعة بين زوجين منسجمين تدفعهما رغبة متبادلة دون أن يسبقها إعداد خاص (أى تمهيد وملاعبة قوية) ولكن استطاعت المرأة إصلاح الخطأ والنقص بخبرتها الحسية السابقة . ويظهر هــذا القوس بعض الاختلاف نتيجة لما يعمد إليه الرجل من تأخير وإطالة فى فترة التهيج .

أما الرسم حـ فيمثل جماعاً مع امرأة ســاذجة ، لا خبرة لها بالحياة الحسية ، وذلك بعد تهييجها بالملامسات الجنسية والملاعبة .

وفى الرسوم الثلاثة نرى أن الجزء الذى يسبق « الإيلاج » قص
بالنسبة لباقى الخط البيانى . أما مدة التمهيد والملاعبة فتختلف اختلا
لا نهاية له ولا حدود .

وهكذا يتضح أن الجماع الكامل الممتع يجب أن يرضى مطال
الجسم والروح معاً ، ويجب ألا يصيبه نقص أو إهمال .



الرسم حـ : جماع مع امرأة ساذجة لا خبرة لها بالحياة الحسية

ويثبت الرسمان ب ، حـ أن الود المتبادل ، والتحكم فى النفس
والمهارة والحذق تستطيع كلها أن تأتى بالعجائب ، فتزول المصاعب
وأسباب الشقاق والتنافر .

(ومن الصعوبات الخطيرة التى قد يجدها الرجل أن يبلغ « ذروة
اللذة » دون أن يصحبها التأثير المهدىء الذى تحدثه ملامسة السائل
المنوى لأعضاء المرأة (كما فى استعمال العازل أو الحاجز المطاط النسوى)
وقد يؤدى ذلك إلى تهيج المرأة تهيجاً موضعياً مفرطاً يصحبه تضخم
وتورم فى الأعضاء . وتستطيع المرأة إزالة هذه العقبة بمجهودها النفسى
كأن تتأمل شيئاً آخر برغبتها وإرادتها .)

أما إذا لم تستطع المرأة أن تفعل ذلك ، أو أصرت على ألا تفعله ، فإنها تتعرض للخطر ، وإذا تكرر الجماع فقد يصيبها التضخم الموضعى ، والتوتر الذى لا يزول ، وهو أمر لا يمكن التغاضى عنه نفسياً أو بدنياً ، ولا سيما إذا كانت المرأة أميل إلى الاضطراب العصبى .

وهذا المجهود النفسى ضرورى لإبعاد تفكيرها واهتمامها فى هذه الظروف ، ولكنه إذا تكرر وأضيف إليه نقص الاستمتاع باللذات الحسية ، وعدم الاستمتاع الكافى بذروة اللذة ، فكل هذه الأمور تجتمع وتحدث اضطراباً عقلياً نفسياً فى النساء ذوات الأعصاب المرهفة الحساسة ، وما أكثرهن ! ولكل هذا آثار هدامة تقوض السعادة الزوجية . ويستحيل علينا فى الوقت الحاضر أن نقدر مدى الاضطراب العقلى العصبى ، والشقاء الزوجى الناشىء عن نقص الاستمتاع الحسى والحرمان من الارتواء الحسى الكامل فى أثناء المجامعة . ولكنى مقتنع بأهمية هذه المأساة وبتكرار حدوثها بقدر مايهملها الأطباء وغير الأطباء .

وهناك عوامل أخرى تسبب نقصان الاستمتاع بالعمل الحسى العادى أو تمنع هذا الاستمتاع منعاً تاماً ، وهى أخطر من مجرد إنقاص متعة المرأة الكاملة ، وهى تنشأ فى العادة عن محاولة منع الحمل .

وفى هذه الحالات الخطيرة ، تبلغ المرأة درجة عظيمة من التوتر ، هى الدرجة التى تصل بها إلى ذروة اللذة فى الحالات العادية ، ومع

ذلك لاتبلغ المرأة « ذروة اللذة » لأن الرجل يقطع اتصاله بالمرأة فى هذه اللحظة قطعاً تاماً أو نسبياً ، فلا تروى المرأة ظمأها الحسى ، ولا تستمتع بلذة ، وتبقى متوترة ، ثائرة الرغبة ، دائمة القلق ، متورمة الأعضاء الجنسية وتقف انفعالاتها العادية البدنيـة والنفسية ، وهى أمور محزنة تسبب المرض فعلاً ، ولو تحدثنا عنها لطال الحديث وخرج عن مقاصد هذا الـكتاب .

فإذا قصرنا الحـديث على الحالات غير المرضية لرأيناها كثيرة شائعة ، وسببها سذاجة الرجل وجهله وحاجته إلى الحذق والمهارة ، أو يكون سببها بُعد الرجل عن الإخلاص والأمانة والأناقة والحماسة فى أثناء الجماع . وهو بذلك مجرم نصاب دجال لأنه يحرم زوجه من المتعة التى كان يجب أن تستمتع بها ، ثم هى لا تعرف اللذات التى تستطيع الاستمتاع بها والتى يجب أن يقدمها لها الرجل .

× قد يكون نقص الرجل فى الـكفاية والقـدرة شيئاً لا يريده ، وقد تتأثر المرأة وحدها بذلك ، إذ يستمتع الرجل بكل الحركات والانعكاسات . ولـكنه لايقدم لزوجه ما يكفيها من التهييج ، فتبقى جامدة ، ينقصها التهيج الحسى بسبب الجهل والسذاجة ونقص الخبرة و برودة المزاج .

إن إخفاق الرجل فى هـذا الصدد إخفاق جزئى غير مقصود ،

ولـكن هذا العذر لا يغير النتائج المحزنة ، وهى نتائج تظهر بسرعة ثم تبقى دائماً إلى الأبد .

ما أشد أثرة هؤلاء الرجال القساة الذين يهتمون بمتعتهم ولذتهم دون اهتمام بلذة نسائهم وإمتاعهن ، والمؤسف أنهم كثيرون !

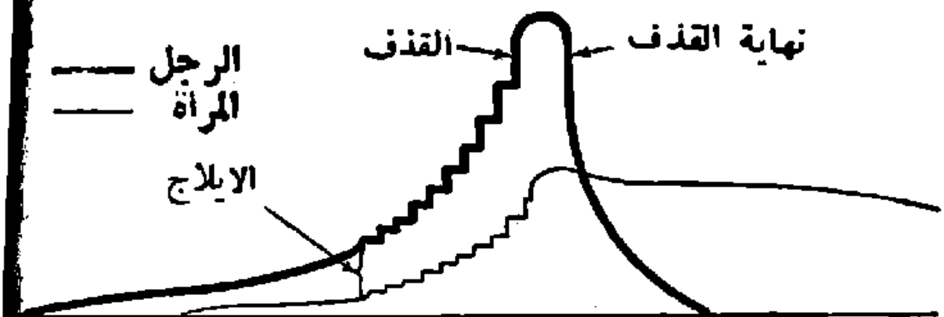
فلننعم النظر فى الرسم الذى يمثل المباضعة من جانب واحـد إذ يقوم بها الرجل دون مشاركة المرأة له فى العمل والاستمتاع . ويجب أن نقارن الرسم ء بالرسم حـ والرسم المثالى ا وحينئذ يتجلى الفرق عظيما .

وقد تـكون المرأة سريعة الانفعال ، حادة المزاج ، قوية التهيج ، ولـكنها تصاب بالإخفاق المؤلم ، فإذا تـكرر واعتادته صار شيئاً خطيراً ، وذلك حين يكون الرجل أقل من المستوى العـادى كأن يسرع فى القذف (القذف المبكر السريع) كما يحدث فى المصابين بالاضطراب العصبى . وهذه الحالات تشبه المرض ، وتحتاج إلى علاج طبى لاسيما إذا عجز الزوجان عن اتخاذ وسائل المهارة والحذق التى تساعدهما على الجماع الـكامل الممتع .

وقد حاولت فى الرسم ، أن أوضح مجرى التهيج الحسى فى النساء اللائى يبلغن درجة عظيمة من التهيج دون أن يستمتعن بذروة اللذة .

ويجب أن نذكر دائماً أن الخط الرفيع فى هـذه الرسوم لا يمثل تضخم الأعضاء الجنسية وحدها ، ولـكنه يمثل كذلك التوتر النفسى

والعقلى . والتوتر النفسى العقلى فى الرسم ء لا يرتخى ولا يهبط بعد بل
درجة عظيمة من التهيج ، بل يبقى مدة طويلة عند درجة التهيج العظ
دون إحساس بالمتعة ولا بلوغ لذروة اللذة . (وهذه مأساة مبكية مؤلمة



الرسم ء : جماع مع امرأة دون تهيج مناسب

ومعنى هذا أن الأعضاء الجنسية تهيج وتتوتر توتراً عصبياً طويلا ويتدفق فيها الدم بكثرة ، وهو أمر قد يكون مقبولا لفترات قصيرة ولـكنه مؤلم إن دام فترة طويلة .

وأما بالنسبة للنفس والعقل ، فيستمر التوتر الشديد دون ارتخاء وانبساط ، ويستمر التلهف اليائس دون إرضاء أو أمل فى الإرضاء ! وكذلك يستمر القلق الشديد واضطراب الأعصاب .

والجزء الأيمن من الخط النسوى فى الرسم (ء) له معنى غريب يخالف معنى الخطوط الصاعدة فى الجزء الأيسر من الرسوم ا ، ب . حـ فهذه الخطوط الأخيرة تمثل تزايد الشهوة واللذة ، ثم تمثل فى أجزائها الهابطة الارتخاء الممتع والإرضاء اللذيذ . ولـكنها تمثل فى الرسم ء إخفاقاً

مؤلماً وغضباً عصبياً ، وتعباً ، وغثياناً وألمـاً ، وتلهفاً لم يقابل إلا بالصد وتطلعاً أقفلت أمامه الأبواب بطريقة تدعو للاشمئزاز والأسى .

إذا حدث هذا عرضاً دون أن يتـكرر ، فلا ضرر فيـه ، لأن الإخفاق يمكن التغلب عليه ، كما أن العقل يستعيد هدوءه واتزانه إذ يتطلع إلى مناسبة أسعد وألذ .

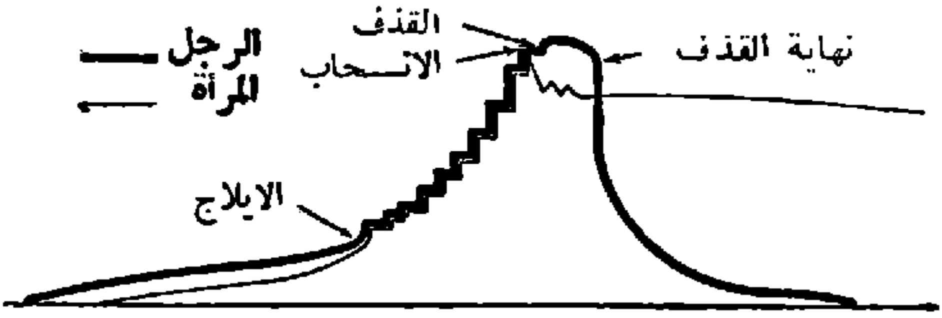
تشفى الأعضاء الجنسية من التهيج وتعود إلى حالها العادية الصحيحة . ولـكن الأمر يختلف كثيراً إذا تـكرر الإخفاق تـكراراً دائماً لا ينقطع . ويصبح تضخم الأعضاء الجنسية مستديماً ، ويـكثر ظهور الإفرازات المرضية ، وتضطرب وظائف الحيض وقذف البيض ، ويتدفق الحيض مؤلمـا أو يمتنع .

ويظهر التباين الشديد بين امرأة وأخرى ، ويدوم التهيج الجنسى والحساسية المفرطة ومعها آلام متنقلة أو موضعية أو غامضة تشغل كثيراً من ساعات الاستشارة الطبية عند الأطباء النسويين ، ومحاولة الطبيب علاج هذه الأعراض المؤلمة تدفعه إلى كتابة الأدوية المعقدة دون فائدة ، وقد تؤدى فى حالات كثيرة إلى أعمال جراحية خطيرة بالرغم من عدم جدواها . وهى عديمة الجدوى لأن سبب الضرر متجدد دائماً ، لا تحلم به المريضة ، ولا يدركه الطبيب إذ يخاف أن يسأل عن هذه الأمور لجهله بها أو لاستهتاره بآثارها .

ولهذا أحب أن أنصح الرجال المتزوجين جميعاً النصيحة التالية
إذا هيجت زوجك تهييجاً حسياً عظيما لم ينته عنـدها ببلوغ ذر
اللذة ، فهذا خطر وأذى . وإذا تـكررت إصابة زوجك بهذا الأذ
أدى الأمر إلى أضرار دائمة عنيدة تصيب البدن والنفس معا .

الجماع المتقطع

تصاب صحة المرأة بدنياً وعقلياً بهذه الأخطار الغريبة إذا كانت
وسائل الرجل هزيلة ، وتصاب بأضرار أكثر إذا زاول طرق (النصب
الزوجية أو الجماع المتقطع أو الانسحاب فى وقت لايناسب . وهذ
الطريقة شائعة لمنع الحمل ـ بالرغم من فشلها فى تأدية هذا الغرض
ويعمد الرجل فيها إلى الإسراع بسحب عضوه من المهبل فى اللحظ
التى يشعر فيها ببدء القذف أو يدرك فيها أنه لايستطيع تأجيل القذف
وبذلك يقذف المنى خارج المهبل ، ويبلغ ذروة اللذة مع القذف .



الرسم هـ : الجماع المتقطع

إنه حين يقذف خارج المهبل ويبلغ ذروة اللذة بعيداً عن زوجه

المسكينة يفقد شيئاً من قوة اللذة ، ولكنه يرضى نفسه ويروى ظمأه الحسى إلى حد ما ، أما زوجه المسكينة فلا تبلغ ذروة اللذة أبداً ، فالجماع المتقطع لايضره بقدر مايضر زوجه البائسة المتوترة المتهيجة المتطلعة عبثاً إلى الارتواء .

ومع ذلك فهذا القذف خارج المهبل لايخلو من ضرر لاسيما إذا كان الرجل رقيق الأعصاب ، ولهذا تكثر مظاهر الاضطراب العصبي عند الرجال بسبب القذف فى الخارج .

تنشأ بعض الأمراض نتيجة التهيج الحسى دون إروائه إرواءاً طبيعياً . وهذه الأمراض أقل فى الرجال مما هى فى النساء ، لأن الرجال ذوى القوة الحسية العادية يستطيعون التحكم إلى حد ما فى ذروة اللذة ، ولا يعتمدون على المرأة فى بلوغ هذه الذروة ، أما المرأة فلا تبلغ ذروة اللذة إلا إذا ظل الرجل بين أحضانها ولم يتركها . ومن هنا تكثر هذه الأمراض فى النساء وتقل فى الرجال الذين يقذفون فى الخارج .

ومع ذلك فهناك أمراض كتضخم البرستاتة سببها التهيج والتورم المستديمان نتيجة عدم الارتخاء الكامل بعد التهيج الحسى .

أما آثار هذا العمل (الجماع المتقطع) فى المرأة فخطيرة حقاً ــ إلا إذا كانت جامدة متبلدة الإحساس الجنسى ، فتبقى باردة مستسلمة خلال الاتصال الحسى كله ، وحينئذ فقط يكون برودها أو جمودها أو خَدَرُها الحسى من محاسن حظها . أما إذا أوتيت حظاً متوسطاً من الاستعداد البدنى أو العاطفى ، فالرسم ه يمثل ماتتعرض له من آلام .

وفى لحظة التلهف القصوى ، حين يبلغ التوتر التام والحلى أشده ، وحين يكاد التهيج يبلغ أقصاه ، ينقطع مجرى الحوادث العادى انقطاعاً مفاجئاً أليماً ، ولا تحدث « ذروة اللذة » وبذلك يهبط التهيج العصبى والتورم قليلا ولكنهما يبقيان فى مستواهما العالى مدة لانهاية لها .

تختلف آثار الشهوة الحسية النفسية والبدنية حسب ماتؤول إليه ، فإما أن تبلغ الشهوة غايتها وأشدها بالارتواء والاستمتاع والارتخاء ، و إما أن تصير تلهفاً يائساً لايرتوى ، وتطلعاً إلى المستحيل فتصبح غثياناً ونفوراً وألماً .

وأود أن أطالب قرائى بمراجعة هذه الحقائق وتذكرها دائماً لأهميتها العظيمة ولما تلقاه من إهمال . ومن الواضح أن توتر المرأة بعد قذف الرجل يكون أكبر من توترها قبله ، وهو كذلك أكبر من توتر امرأة تنقصها الخبرة ولم تحظ بملاعبة كافية ، هى تحتاج إلى وقت أكبر لتعود إلى مستواها العادى . فهناك خطر كبير متزايد من الآلام النفسية والتوتر البدنى ، وهو يتجمع ويتزايد فيصبح التورم مستديماً ، وتظل الشهوة الحسية عطشى متلهفة دون إرواء أو إرضاء ، ولذلك عواقب وخيمة خطيرة .

لقد أسهبت فى الحديث عن الجماع المتقطع مع أنه شاذ يجب ألا يذكر فى مجال الحديث عن الوظائف العضوية ، وذلك لأظهر النتائج

السيئة التي تحدث للمرأة بعد تهييج حسي واضح دون إروائها وإرضائها . وأرجو أن يكون هذا الإسهاب تحذيراً كافياً ضد الجماع المتقطع .

سيقول بعض الناس إن كثيراً من المتزوجين يستمتعون بالجماع المتقطع دون أن يتألموا من أي شيء .

والجواب على ذلك : إنهم يظنون أنهم لايتـألمون ، ولـكنهم محرومون ومعذبون .

ولا يمكن أن يستمتعوا بالبضاع المتقطع دون ألم إلا إذا كانت المرأة مصابة بالخدَر (البرود) الحسي والاستهتار بالناحيـة الحسية ، وإذا كان الرجل بارد الأحاسيس العصبية ، يهتم بإرضاء توتره الحسي وحده دون شريكته ، وبذلك لايحترم زوجه باعتبارها إنساناً وزوجاً شريكة ، وفي هذه الحال وحدها يستمتع الرجل الدنيء بالجماع المتقطع .

ولـكن هذه الأحوال كلها لاتتفق مع « النشاط الحسي الـكامل المنسجم الممتع » وقد اعتبرناه أســاساً لايقوم الزواج إلا به ، فإذا خلا الزواج من هذا الحجر الأساسي تداعى وانهار .

٨ إن البضاع المتقطع بالنسبة لذوي القدرة الحسية والقوة الحيوية الوافية ليس مجرد انحلال واضمحلال ولـكنه كذلك تدمير للعلاقات الزوجية ، وخطر يهدد صحة الرجل . وجريمة يرتـكبها ضد زوجته . فلننظر الآن إلى الحالات التي يمثلها الرسم ٤ .

لقد اقترحنا الوسائل لمنع النقص والعجز فى إرضاء المرأة حسياً، ومما اقترحناه مثلا التمهيد المناسب بالمداعبة والملاعبة وتهييج الأعضاء الجنسية. والواقع أن الوقاية خير من العلاج، ولكن العلاج الموفق فى هذه المسائل الدقيقة الرقيقة ليس أمراً سهلا، فكيف ينصح العلاج بالوقاية مع أن الإصابة قد حدثت فعلا ؟!

ولتوضيح ذلك نقول : إذا حدث القذف دون إبلاغ المرأة « ذروة اللذة »، فيجب على الرجل حالا أن يداعبها ويلاعبها ويعانقها ويلامسها لتبلغ أوج اللذة بالاحتكاك الحسى ومداعبة أعضائها الجنسية بيده، إلا إذا استبدت به الرغبة والقوة ودفعته إلى أن يبدأ من جديد ملاعبة جديدة، ومجامعة جديدة، وذروة اللذة أخيراً.

ولكن التهييج الحسى بالطبع أكثر تأثيراً فى الوقاية منه فى العلاج. وهو سهل لذيذ للرجل، وله قيمته من ناحية الذوق الفنى ولكنه حين يكون خاتمة للملامسة يحتاج إلى إجهاد يضيع قيمته الجميلة ولذته الفنية. فالوقاية هنا أفضل من العلاج، ولكن العلاج أفضل من إهمال العواقب السيئة.

وإذا عجز الرجل عن إبلاغ زوجه درجة اللذة القصوى « ذروة اللذة » بحك أعضائها الجنسية ودلكها، فوسائل العلاج الذاتى أفضل من لا شيء على الإطلاق، ولو أن الاعتراض عليها ليس بالقليل

لقد اتسع مجال المناقشة فى هذا الموضـوع منذ القدم ، والعجيب أن القدماء عرفوا الضرر الذى يصيب المرأة نتيجة عدم إرضائها فى الاتصال الحسى مع إن ضمير الحضارة الحديثة لم يتنبه حتى الآن لإدراك هذا الضرر .

ولقد درس هذا الموضوع فلاسفة الكاثوليك وبحثوا الصراع الحاق الذى ينتج عنه ، واضطرت المدرسة الحديثة إلى مناقشته ، وقال الواعظ العام « د . كرسـون » فى كتابه « المسائل الحسية : كتاب لإرشاد آباء الاعتراف » طبع باريس فى صفحة ١٧٢ :

« السؤال الرابع : هل يصح أن ينسحب الزوج بعد القذف قبل أن تبلغ زوجه ذروة اللذة ؟

من حقها أن تعمد فى الحال إلى الاحتـكاك بيدها الخاصة لترتوى وتنبسط » .

« ينـكر بعض الخلقيين هذا ، ولـكن الأغلبية العظمى توافق عليه . » « ومن حق المرأة أن تعد نفسها للاتحاد الحسى بتهييج الأعضاء الجنسية ، ليسهل عليها بلوغ اللذة » . (١)

وقد علق لوشيانى الذى نشر هـذا القبس ، وهو إيطالى من علماء وظائف الأعضاء ، فأصاب إذ قال :

« ما أعمق الحـكمة العملية التى تتجسم فى هذا الاستسلام ، والتى يراد بها إعادة الطمأنينة إلى المؤمنين ذوى الضمائر الحساسة ! »

---

(١) ذكر كريسون فى كلامه « قذف المرأة للبذور ! » وهو كلام مضحك لأن المرأة لاتقذف أى سائل منوى .

الفصل العاشر

المباضعة (الجماع)

الجزء الثاني : وظائف الأعضاء وفن الاتصال

نريد أن نعرف مايحدث تماماً للأعضاء الجنسية فى أثناء الجما
وفى أثناء بلوغ ذروة اللذة . وسنحصر كلامنا فى النقطة الثانية ، لأنن
قد انتهينا فعلا من دراسة النقطة الأولى فى إسهاب وتطويل فى الفصلين
الرابع والخامس وكذلك فى الفصل السابق (التاسع) .

وعرفنا زيادة توارد الدم فى أنسجة الأعضاء الجنسية كلها ، وشد
تضخم الأنسجة الإسفنجية ، وانتصاب البظر ، وإفراز غدد المم
وتفتح الفرج ، وانقباضات الجدران المهبلية وعضلات قاعدة الحوض

وقد عرفنا من ملاحظاتنا عند فحص السيدات ذوات الطبع
الحار أن الرحم ينقبض ويتغير وضعه قبل بلوغ ذروة اللذة[1] .

ومن المحتمل جداً أن عضلات قنوات البيض تساهم فى « حركة
الاقتراب » هذه ـ وذلك حسب مانستنتجه من دراسة أنواع الحيوان
دراسة مقارنة . وهناك إفراز إضافى يخرج من الرحم والقنوات وغدد

---

(١) خطاب هـ . فرندسنة ١٩٢٢ فى مؤتمر الأطباء والطبيعيين الألمان
وعنوانه « وظائف أعضاء التكاثر ومشكلة العقم » .

عنق الرحم[1] . وعدنا أخيراً إلى الرأى القائل بأن كيساً نامياً من أكياس جراف قد يتمزق فى أثناء الجماع وتنطلق منه بويضة .

وهكذا تشترك المرأة مع الرجل على قدم المساواة فى عضلات الأعضاء الجنسية وتساهم غددها واحدة واحدة كما تساهم جميعاً فى الجماع . وهذا التأكيد (بالإضافة إلى معلوماتنا الأخيرة عن مظاهر الحيض) يؤيد الآراء الشعبية والقديمة ، القائمة على المعرفة العلمية الحديثة بعد تخليصها من الخرافات و بعد مامرت بفترة من النفى والتكذيب .

وفى الوقت نفسه تحررنا من اعتبار المرأة مجرد أداة استمتاع ، ووعاء لاستقبال المنى ، وفرن لتفريخ الجنين ، واعترفنا بها مخلوقاً حسياً نشيطاً ناضجاً متكافئاً .

لقد كانت آراء القدماء مفعمة بالخطأ ، فصرنا الآن نحترم المرأة ونجلها ، فهل نستمر على الخطأ الذى اعتادوه ، ومن ذلك قول كريسون المذكور فى الهامش فى نهاية الفصل السابق « قذف المرأة للبذور ! » ، فالمرأة لا تقذف أى سائل منوى .

ولكن ماذا نقول فى القذف !

ما زال الأمر غامضاً صعباً للغاية بسبب اختلاف النساء اختلافاً عظيماً . وليس عند المرأة إفراز للمنى يشبه إفراز الرجل ، ولعل كلمة

(١) ذكرها « سليم » فى المناقشة التى أعقبت محاضرة « فرند » .

« القذف » يقصد بها « بلوغ ذروة اللذة » دون التأكد من أن شيئاً يقذف ، ولكن إذا كان ثمة مايقذف ، فما هو ؟ يظن العامة أو معظمهم أن هناك شيئاً يقذف أو يطرد أو ينطلق من أعمق أجزاء المرأة عند بلوغ ذروة اللذة ، والمعتقد أنه شيء عادى يجب حدوثه مماثلاً لما يحدث عند الرجل .

هل تحتم نظم الطبيعة انطلاق شيء ؟ لا شك أن شيئاً يقذف من بعض النساء ، أو أكثرهن ، ولكننا لم نتأكد من شيء !

أما الشيء الفريد المحتمل قذفه بشدة فهو المادة المخاطية السائلة الرقيعة التى تملأ غدد بارتولن أو غدد الممر الكبرى عند بدء ذروة اللذة . وقد رأينا أن هذه الغدد تبدأ إفرازها بمجرد التهيج الحسى . وكذلك تفرز غدد « سكن » ، ولكن إفرازها ضئيل لا يكفى « لقذف » . وكذلك نعرف أن الإفراز المخاطى يتدفق إلى الفرج لتليينه وتشحيمه ، وهو مفيد جداً لإعداد فتحة المهبل لاستقبال عضو الذكر بدون ألم . و يتراكم هذا الإفراز خلال حركات الجماع ، فيظهر بعضه فى قنوات الإفراز . وتتحمل الغدد المتضخمة ضغطاً قوياً فى أثناء التقلصات التشنجية الشديدة التى تصيب عضلات الحوض فى أثناء ذروة اللذة ، بينما يعمل بصل الممر عمل الوسائد والمساند . فالإفراز المتجمع من غدد بارتلن قد يصيبه ضغط فينطلق انطلاق العصير المقذوف ، و يقفز بشدة من فتحات هذه الغدد .

يمكن التحقق من هذا القذف حين تبلغ المرأة ذروة اللذة بعد ذلك بظرها وحده . ولكننا بالطبع لا نستطيع استخلاص نتائج صحيحة عن شيوع هذا القذف . ومن المستحيل التأكد من هذا القذف فى أثناء الجماع ولو أعلنت المرأة أنها « صبت » أو « قذفت » ، فلن يعنى هذا إلا أنها قد بلغت ذروة اللذة .

وليس من الممكن لها ولا لزوجها أن يميز أى إفراز هلامى مقذوف من غدد ممرها لأن ما يقذفه الرجل يفوق ماتقذفه هى أضعافاً مضاعفة .

ولا داعى لقذف أى مادة هلامية من الممر خلال ذروة اللذة ، ولو تجمعت لدينا وسائل التعليل والتفسير .

وأخيراً ، فإذا كان هذا القذف يحدث عند بعض النساء ، فإنه لا يحدث عند نساء كثيرات يتمتعن بوظائف حسية عادية .

وإذا صرفنا النظر عن القذف ، (ومن شروطه الانطلاق القوى العنيف) إلى إفراز نسوى خلال ذروة اللذة ، فإن هذا الإفراز لا يمكن أن يخرج إلا من الرحم نفسه .

ولعل النقطة الهلامية السميكة التى يفرزها بعض النساء بعد الجماع تخرج من الرحم خلال ذروة اللذة[1] ، ولكن يعادل هذا الاحتمال

---

(١) كان المنتظر نظرياً أن الجماع بالعازل المطاط يستطيع أن يفصل إفرازات الزوجين ، فتتضح هذه النقطة ، ولكنها لم تتضح عملياً .

أن هـذه المادة الهلامية لا يزيد إفرازها إلا عند المرض ، ولهذا فهي عادة صفراء غروية (عند المرض) ولـكنها شفافة أو تشبه اللبن بعض الشبه فى الحالات العادية ، كما أن عمل الرحم الأساسى المثالى يختلف فى ذروة اللذة . وسندرس هذا العمل الآن .

ومن الصعب أن نفسر استحالة ملاحظة هذا العمل أو تحقيقه فى أثناء المجامعة ، فنحن مضطرون إلى الاعتماد على ملاحظة الرحم ، ولاسيما الجزء المهبلى منه - خلال ذروة اللذة التى يحدثها تهييج شديد للبظر أو المهبل ، أو الجزء المهبلى الرحمى - دون جماع فعلى . وفرص هذه الملاحظة نادرة حقاً ، ومع ذلك تجمعت المعلومات من مختلف المصادر فاستطعنا تكوين فكرة صحيحة عن عمل الرحم واستجابته لذروة اللذة .

وتأكدنا من تقلص الرحم وانتصابه فى أثنـاء التهيج الحسى . وسننقل فقرة عن « ج. بلك » (وهو من أول المؤلفين الذين سجلوا هذه الظاهرة فى الكتب الطبية ، وقد وصف ملاحظاته عن الجزء المهبلى من الرحم ولاسيما الفتحة الخارجية عند بلوغ ذروة اللذة . والمرأة الموصوفة كانت مصابة بانتقال الرحم مما جعل الجزء المهبلى من الرحم مكشوفاً للعين ، وكانت هذه السيدة سريعة التأثر ، شديدة التهيج ، ولا سيما إذا لمس الجزء المهبلى الرحمى . وقد أدى التهيج المحدود إلى إحداث ذروة اللذة فى الحال) .

قال « ج . بك » :

« بدا الجزء المهبلي من الرحم أول الأمر قوياً هادئاً لا يتحرك ، عادي المنظر تماماً . وكانت الفتحة مغلقة ولم يكن في الإمكان إدخال أية آلة .

وبعد الاتصال مباشرة ، انفتح الثغر وأغلق بشكل تشنجي خمس مرات متتابعة أو ستاً ، بينما انسحب المحيط الخارجي انسحاباً شديداً إلى الداخل نحو عنق الرحم . واستمر هذا عشرين ثانية ، ثم ارتد كل شيء إلى هدوئه السابق . فأغلقت الفتحة واستعاد الجزء المهبلي من الرحم وضعه السابق »[1] .

ولدينا ما يقطع بأن النساء المتمتعات بالقدرة الحسية العادية ، وبوضع الرحم العادي ، تحدث فيهن تغيرات فريدة في أثناء ذروة اللذة . وهذه التغيرات متشابهة متماثلة سواء حدثت بعد ملامسة المهبل أو البظر . ولكنها تختلف اختلافاً عظيماً في شدتها بين امرأة وأخرى ، كما تختلف في المرأة نفسها باختلاف الظروف ، ولا نعرف السبب في ذلك .

تختلف النساء كذلك في مقدار الإفرازات المخاطية في عنق الرحم ودرجة قلويتها . ويقول الأطباء الجنسيون المعاصرون إن السدادة الهلامية (سدادة كرستلر) تقذف بشدة في أثناء تشنجات الرحم عند بلوغ ذروة اللذة . ولكنها تظل عالقة بجدار عنق الرحم لسمك قوامها ولزوجته وصلابته ، فهي تنغمس في السائل المنوي ، وتحمل كل

(١) لم أعثر على الأصل ، فنقلت هذا القبس مترجماً عن لوشياني .

ماتستطيع حمله من الخلايا المنوية ، ثم يمتصها الرحم عند مايحدث الارتخاء بعد الانقباضات التشنجية ، إذ ينبسط تجويف الرحم و يعمل عمل المضخة الماصة . وقد قبل كثيرون من المولدين هذا الرأى وتناسوا خبرتهم اليومية الفنية ، وتجاهلوا الاختلاف الواسع فى مقدار مخاط عنق الرحم ، و[illegible] يهتموا بملاحظة الأعراض الخاصة بذروة اللذة ، فهى ليست تافهة بالدرجة التى يتوهمها الأطباء الجنسيون ، ومع أن لدينا من الحقائق ما يثبت حركة السدادة الهلامية (سدادة كرستلر) إلا أن الأمر لا يصل أبداً إلى الدرجة التى يتحول فيها الرحم إلى صياد يبحث عن المنى بلسانه !

ولكننا نعترف بأن الرحم عند ذروة اللذة يرحب بالمنى ترحيباً نشيطاً حاراً ، ويعمد إلى امتصاصه وجذبه إذ ينقبض ثم ينبسط كما يعمد عادة إلى تحريك عنق الرحم ، حركة شديدة مستقلة ، ولهذه الحركة أهمية بالغة(١) ويغير الرحم موضعه فيهبط قليلاً نتيجة انقباض عضلات المهبل وتشنجات الجدار البطنى (عند ذروة اللذة) ، وبذلك تقترب فتحة الرحم من السائل المنوى . (ويعود بعدئذ إلى وضعه الأصلى بتوتر العضلات المرنة فى الرحم) ، وأخيراً فالمخاط الجاثم عند عنق الرحم يستطيع أن يساعد الخلايا المنوية على الصعود إلى أعلى بما يقدمه من أسباب الحماية والرعاية .

---

(١) وهذا القول العلمى الحديث يؤكد المثل القديم : « الرحم مخلوق يرغب فى المنى ويشتهيه » .

انتهينا من دراسة وظائف الأعضاء النسوية فى أثناء الجماع، كما تناولنا قدراً عظيما من الوسائل الفنية الضرورية فيه.

وقد درسنا بوضوح دور الرجل فى الجماع فى الفصلين السابع والتاسع فلن نحتاج هنا إلا إلى بعض النقط المتفرقة.

١ قد تطول مدة الانتصاب بعد القذف بسبب القوة العاصرة التى تمتاز بها عضلات المهبل ولا سيما إذا كانت المرأة شديدة الاستجابة، قوية العاطفة، وتأخرت ذروة لذتها أو طالت مدتها. فى هذه الحال تضغط حافة الفرج والمهبل بعضلاتها العاصرة على قاعدة عضو الذكرة بدرجة شديدة تمنع ذبوله السريع، وتستمتع المرأة بهذه اللذة، ولكن هذا الضغط العضلى قد يستمر طويلاً أو يكون عنيفاً شديد العنف، فيحدث اضطراباً مؤلماً وتضخماً غير طبيعى فى العضو، وصعوبة عند إخراجه من المهبل.

ومثل هذا يقال عن العضلات الرافعة التى تحيط بالممر النسوى من أعلى، فعملها جذاب فتان، وهو يزيد متعة الزوجين كليهما. وقوة هذه العضلات قادرة على إطالة مدة الانتصاب الكامل، وهى تيسر استمتاع المرأة الكامل وارتواءها الحسى التام، وذلك بالانقباضات الإرادية وغير الإرادية بالتشنجات المنعكسة غير الإرادية. وفى الحالات الأخيرة قد تحدث آلام تشل الحركة؛ وهى تؤلم الزوجين

معاً وقد تشمل طرف العضو (تحسن هنا مقارنة الاتحاد الحسى العادى فى الكلاب) .

الختان

يبدو أن للختان تأثيراً قوياً فى القدرة على العمل الحسى ، وليس السبب فى ذلك أنه يغير القدرة الحسية أو يزيدها ، ولكنه يؤثر فى حساسية طرف الذكر ، وقد يصعب على القارىء (الغربى) أن يصدق أن شعوباً بأ كملها تعمد إلى الختان ، فلا نرى فيها رجلا إلا مختوناً ، وبعض السلالات البدائية تختن رجالها بين وقت وآخر ، ولكن السبب هنا ليس اجتماعياً ولا دينياً .

روى فريد رنشى الكلام الطريف التالى : (١)

« يتجمع (الفتيان) الوطنيون فى المزارع والمحاط ، ويتحدثون فى الأمور الحسية حديثاً دائماً لا ينتهى . والمعروف أن المختون يقل عن غير المختون فى حساسية اللمس عند طرف العضو . ويعلن المختونون أنهم يستمرون فى الاتحاد الحسى قبل القذف مدة أطول من المدة التى يستمتع بها غير المختونين » .

ويرى فهلنجر فى كتابه « الحياة الحسية عند الشعوب البدائية » أن « هدف الختان هو على الأرجح إطالة مدة الجماع إذ أن طرف

---

(١) فى « علم الإنسان وفلسفة اللغات فى غينيا الألمانية الجديدة » طبع برلين سنة ١٩١٢ .

العضو المكشوف يحتاج إلى وقت أطول من العضو غير المختون ـ ليبلغ ذروة التهيج » .

ويتضح مما سبق أن معظم النساء يفضلن كثيراً إطالة مدة الاتحاد الحسى ، فليس عجيباً أن يقرأ فى المطبوعات القديمة والحديثة عن نساء حاولن عبثاً التوفيق بين استمتاعهن وشهواتهن ، فلا يقل الاستمتاع عن الشهوة الطامعة ، ولا تسبق الشهوة قدرتهن على الاستمتاع ، وقد اضطررن إلى تجريب كثير من الرجال ، ثم انتهى بهن المطاف إلى تفضيل الرجال المختونين .

ومن الصعب أن نعرف إذا كان نقص الحساسية فى طرف الذكر يسبب نقصاً فى استمتاع الرجال أو أن متعته تزيد بطول مدة العمل . ولكن السلالات البدائية والشعوب الشرقية خاصة تعتبر إزالة الجلد الأمامى شيئاً مفيداً حسياً ، لأنها تقدر قيمة إطالة الجماع إلى أقصى زمن . فالبشر يتطلعون إلى الاستمتاع بكل لذة حتى الثمالة ، كما يريدون إطالة مدة الاستمتاع بالجماع على الأخص لأنها تبدو قصيرة جداً . وهذه رغبة بدنية عادية تستبد بكل شخص مفعم بالصحة والحيوية وتستبد بالرجال خاصة سواء أدركوا ذلك أم لم يدركوه .

وثمة نقطة هامة : هى أن الإنسان الوحشى البدائى يقدر شهوة المرأة ورغبتها فى الاستمتاع ، فيحاول إمتاعها ، ولو أنه يستهين بها فيما جاوز

الناحية الحسية ، وقد يثقل عليها بالعمل و يعتبرها متاعاً ، فهو فى الناحية الحسية أرقى من الرجل الغربى المتوسط المتحضر . وهذا البدائى غير المتحضر لا يستمتع بالجماع ولا يتملكه الزهو بنفسه إلا إذا أمتع زوجه أشد الإمتاع ، فهو لا يفرح إلا باللذة التى يمنحها للمرأة وهو بذلك يشبه « دون چوان » الحديث(١) .

إطالة الجماع

ولكن الرغبة فى إطالة الملامسة قد تؤدى إلى الإفراط أو إساءة الاستعمال ، فإما أن يتكرر الجماع بسرعة من وقت لآخر و إما أن يتعمد الرجل إهمال التهييج والمداعبة أو ينقصها بدرجة كبيرة ، فلا يكاد يكون ثمة تهييج على الإطلاق ، وحينئذ لا يغدو الجماع شيئاً محتملا مقبولا .

وأعتقد أن إساءة الاستعمال بدأت حين عمد الرجل إلى الوسائل الصناعية لتشتيت تفكيره وانتباهه بالأكل والشرب والتدخين وغيرها

---

(١) مارسل برير : مقال عن « دون جوان » الحديث طبع باريس سنة ١٩٢٢ . يصف فيه أهواء الخبير الحسى ووسائله بأسلوب فاتن ودراية واسعة . ودون جوان الحديث لا ينبذ النساء ، وإنما يركز اهتمامه فى إسعادهن وإمتاعهن . وهو بذلك يشبه الرجل الفطرى أو الشرقى .

لم يقارن برير دون جوان الحديث بالرجل الشرقى ، ومع ذلك يرى القارىء اللبيب وجه الشبه من أول وهلة .

(وقد يتعمد توجيه أفكاره بعيداً عن أحاسيسه ، فتقل المؤثرات المخية التى تساعد كثيراً على بلوغ ذروة اللذة) .

* إن تأجيل بلوغ ذروة اللذة بإطالة التهيج والاستمتاع قد يؤذى الرجل ولكنه يمتع المرأة ويفتنها ويساعدها بدنياً ونفسياً ، فيصبح رباطاً حسياً متيناً يضم الزوجين ضماً وثيقاً ، وتفضل مزاياه أضراره . ولهذا لم أتردد فى النصح والالتجاء إلى هذه الوسائل ليعادل الرجل تأخر المرأة فى الاستمتاع بأحاسيسها حتى الذروة . ولكن اعتياد هذه الوسائل ينطوى على كثير من الضرر ، ونجد مزاياها بطرق أخرى .

وهنا نتساءل : إن الهندوس والجاويين وبعض الشرقيين اعتادوا المبالغة فى إطالة الجماع ، فهل تستمتع المرأة حقاً غاية الاستمتاع باحتكاك العضو داخل المهبل ؟

أشك فى ذلك ، لأن تعمد الرجل تشتيت انتباهه قد يحدث فيه لوناً من الجمود أو الخمول الموضعى ، أو يدفعه على الأقل إلى تحريك عضوه تحريكا أقل عدداً وعنفاً .

إن الجمود الطويل فى الاتصال الحسى ليس من صفات الشعوب الغربية البيضاء فى الحضارة الحديثة ، ويدفعنا إلى هذا الاعتقاد عوامل الجمال ـ ولو أن هذا الجمود الطويل قد يحدث بين وقت وآخر بأشكال معدلة مختلفة فى نهاية الاتحاد الحسى .

لا يمكن أن تقوم اعتراضات الذوق الجميل أمام أى إفراط فى تأجيل القذف ، ولكن هذا التأجيل يسيء تماماً إلى وظائف الأعضاء لأنه إيلاج دون قذف ، فهو جماع ليس جماعاً ، ووصال وليس وصالاً ، ولا أعرف إذا كان هذا العمل شائعاً بين السلالات البشرية الملونة . ولكنى أظن أنى قرأت عن شيوعه بين اليابانيين .

روى « هافلوك إليس » أن بعض الجماعات تحاول نشر هذه الطريقة فى الولايات المتحدة الأمريكية . وقد دعت « أليس ستكهام » إلى هذه الطريقة وحببت الناس إليها فى كتابها « كارزا » ، وشاركتها مارى ستبس فوصفت الطريقة بالعنوان نفسه ، ولو أنها لم تحبذ استعمالها دون قيد أو شرط .

نفد كتاب الدكتورة أليس ستكهام ، فنشرت مارى ستوبس الطريقة فى كتابها « الحب الزوجى » .

ومارى ستوبس نفسها دكتورة فى العلوم وفى الفلسفة . ويظن العامة أنها « دكتورة » تنتمى لإحدى المهن الطبية ، وتخطىء الصحف نفسها فتؤيد هذا الوهم . وهو أمر يؤسف له ، فكتاب « الحب الزوجى » منتشر معروف وهو يحوى كوثراً من الآراء القيمة التى تدل على شجاعة المؤلفة ، ولكنه فى الوقت نفسه يشيع أفكاراً لا يقبلها طبيب ، ولا يرضاها على الأخص أى طبيب نسوى ؛ ولا يتصور صدورها عن أية امرأة أو رجل درس الطب .

أما العامة فيتعلقون بهذه الأقوال ويبنون عليها أخطر النتائج لاعتقادهم أن مارى ستوبس طبيبة !

قالت مارى :

« أساس هذه الفكرة أنه بعد تبادل الشعور ، وحدوث الاتحاد ، تاج الزوجان إلى محاولة بلوغ الهدوء الكامل عقلياً وبدنياً ـ بدلا من يد التهيج بالحركة وما شابهها . ويتحقق هذا بقطع حركة الجسم ، ركيز الفكر فى تأمل المحبوب تأملاً روحياً » . (صفحة ١٩٠) .

(العبارة الأخيرة « وتركيز الفكر فى تأمل المحبوب تأملا روحياً » يد رأيى فى أنه ليس فى هذه الطريقة أى شىء غير محبوب نفسياً ـ وهو كس ماتقوله مارى) .

« والمتطرفون فى استعمال هذه الطريقة يذهبون إلى منع القذف بتاتاً كل المناسبات ، ولكن الآخرين يلجأون إليها لمجرد زيادة المدة بين رتين يحدث القذف فيهما » . (صفحة ١٩١) .

وهناك حالات كثيرة من الزواج يمتاز فيها الرجل بنقص قدرته سية ، فلايستطيع الاتحاد إلافى فترات نادرة لئلا تتأثر صحته تأثراًبليغاً . ذاتزوج هذا الرجل امرأة ورثت عن والديها الإفراط فى حب الشهوات ، لرغبة فيها بدرجة شاذة خارقة للعادة . فإنه يتعذب بالاتحاد معها حسياً يعذبها برفضه مجامعتها . ومن الممكن بالنسبة لمثل هذين الزوجين أن جآ إلى طريقة « كارزا » إذ قد تواتيهما بالصحة والهدوء المطلوبين ، ى الوقت نفسه تحفظ للرجل طاقته الحيوية فلا تضيع عبثاً ، كما تمنح المرأة ريده من اتحاد وهدوء لبدنها وأعصابها » . (صفحة ٨٥)

لاأود أن أناقش آراء المؤيدين والمعارضين لئلا أزيد حيرة القراء ، ومع ث نقلت كلام مارى ستوبس بنصه لأثبت بلسانها كيف أن شخصاً قادراً ليا يستطيع أن يصل إلى نتائج حمقاء حين يجرفه التحليل السفسطائى .

وكلام مارى ستوبس لا يقبله شخص ، بل لاشك أن قراء هـ
الكتاب يرفضون شرحها إذ كانوا قد استوعبوا حقاً مايحويه الكتاب
كيف تنتظر المرأة أن تهدأ أعصابها و يرتاح بدنها بعد إثارة الشـ
المتبادل وحدوث الاتحاد دون بلوغ درجة الاستمتاع القصوى بما فيها
انبساط خاص وارتواء وارتخاء شامل . إن كلام مارى لامعنى له
علم وظائف الأعضاء ، ولا يستطيع أى رجل عادى أو امرأة عا
الإحساس بالهدوء والارتخاء بهذه الوسيلة[1] .

أرى عكس ماتراه مارى ستوبس ، فالالتجاء إلى هذه الطريـ
أو اعتيادها سيؤدى إلى سخط دائم متزايد ، و إلى قلق وشقاء ، وتـ
متزايد فى الأعضاء الجنسية ، وتهيج عاطفى عميق ، واشتداد المز
والغضب ، وقد تحدثنا عن نتائجها الخطيرة .

ولهذا أحذر الناس تحذيراً صريحاً من هذه الطريقة ، ولم أ
أود أن أفسح لها كل هذه السطور لولا أنه يبدو أن المتزوجين يحاو
تطبيقها تخلصاً من الحمل ولأن كتاب مارى ستوبس[2] (الذى يذ

(١) « تهدأ أعصابها ويرتاح بدنها » ألفاظ غامضة تحتاج إلى تـ
طويل دقيق لكشف معناها . ولعل المؤلفة نفسها لا تعرف ماتقصـ
تماماً ، ولعلها ترمى إلى نوع من الرضا والارتخاء (زوال التوتر) .

(٢) إنصافاً للدكتورة مارى ستوبس أذكر أنها لم تؤيد هذا الـ
من الاتصال « كارزا » ولم تهاجمه ـ وعدم مهاجمتها الطريقة قد يو
بأنها تؤيدها .

هـذه الطريقة) كتاب شائع معروف بطبعته الانجليزية وترجمته فى لغات كثيرة .

لن يفقد تحذيرى شيئاً من قيمته إذا سمحت بهذا الاتحاد (الذى ليس اتحاداً) بين وقت وآخر بين زوجين متساويين فى الجمود الحسى (سواء أكان هذا الفتور المتبادل بدنياً أم ناشئاً عن التعب المفرط) ؛ وذلك حين يتطلعان إلى ملامسة بدنية وثيقة دون الحاجة إلى الاتصال الحسى الواضح .

٧ حجم أعضاء الزوجين

من الأمور ذات الأهمية الفنية تناسب حجم الأعضاء فى الزوجين.

يبلغ طول المهبل الفارغ فى حالة الهدوء الحسى مابين ٥و١٠،٧سم . وطول الجدار الأمامى ٧ سم بين ثغر المهبل (فتحته) حتى الجزء المهبلى من الرحم ، أما الجدار الخلفى فطوله من الثغرحتى القبو المهبلى ١٠ سم . ونحسب طول المهبل عشرة سنتيمترات للإيلاج ، ولكن طول محور الذكر المنتصب عند السطح الخلفى (الظهرى) ١٥سم . فهناك اختلاف واضح بين طول عضو الذكرة وغمد الأنوثة ، فكيف يتكافأ العضوان ؟

يحدث التعادل بسببين :

أولا : لايتم إدخال العضو حتى نهايته إلا فى بعض الأوضاع والحركات .

ثانياً : مرونة المهبل . وهى تختلف كثيراً بين امرأة وأخرى ، ولـكن الاختلاف عظيم حقاً . ثم إن انقباضات العضلات المهبلية ، ولا سيما العضلات الطولية لها تأثير معاكس ، ولـكن المرونة العادية هى التى تتغلب ، أما إذا كانت العضلات الداخلية نامية جداً ، وكان التهييج شديداً قوياً ، وخاصة عند بدء ذروة اللذة ، وحين يدخل العضو حتى النهاية ، فقد تحدث فى هذه الحال صعوبات جمة ومتاعب حادة ـ حتى لو كانت الأعضاء متوسطة الحجم .

وإذا كان الإدخال العميق عنيفاً مصحوباً بطعن شديد ، فإن تباين النسب قد يؤدى إلى تسلخ وتهتك فى القبو المهبلى . وهو أمر لا يحدث إلا نادراً فى الظروف العادية ، ولـكن احتمال حدوثه أمر يجب ألا يغيب عن البال . وهو محتمل أكثر حين تـكون الأعضاء الجنسية كبيرة غير متناسبة .

وإذا كانت الأعضاء صغيرة الحجم، فيجب ألا ننسى ماقد يتصف به المهبل من نقصان فى المرونة والانثناء ، وهو من أعراض المرض وتقدم السن .

ويجب أن نتذكر أن الأنسجة فى أثناء الحمل وقبل الولادة وبعدها مباشرة تـكون معرضة للتأثر بكل إصابة مهما كانت تافهة .

وأخيراً ، فقد يحدث التناقض البدنى الشديد حين يجتمع ذكر

كبير جداً بمهبل عادى ، أو يجتمع ذكر عادى بمهبل قصير للغاية ، والاحتمال الأول أهم ولو أنه ينفى احتمال الاستمتاع المتبادل .

ومع ذلك يجب ألا نتجاهل الخطر الشديد الناتج من اجتماع الظروف المتناقضة كالتباين الشديد فى حجم الأعضاء ، والتهيج العنيف ، والغزو (الدخول) الخشن ، وأهم من ذلك تعرض المهبل الرقيق للتأثر الشديد ـ وكل ذلك قد يؤدى إلى تمزق المهبل ، فيعرض حياة المرأة للخطر .

وهذا الخطر الشديد يرجع إلى حد ما إلى النزف الدموى الشديد نتيجة التمزق، وقد يكون سببه التهاب الغشاء البريتونى ـ إذ أن التمزق إذا حدث يحدث فى القبو المهبلى ويصيب الغشاء البريتونى الرقيق ، (الرسم الثانى) .

من الطريف أنه لايمكن استنتاج شىء عن حجم المهبل أو الذكر من منظر المرأة أو الرجل وصحته العامة وتكوينه البدنى الظاهر. وقد حدثت حالات مؤلمة زف فيها العروسان ، وهما يظنان أن الله قد أحسن بجمعهما ، وإذا بهما يجدان أنهما بعيدان عن التناسب والتوافق .

صغيرات الأجسام يمثلن العروس المثالية

ومع ذلك نلاحظ أن زواج الرجل الطويل القوى بامرأة صغيرة الجسم زواج موافق من الناحية الحسية ومن كل نواحى الحياة الأخرى .

ولعل غريزة الحماية تظهر فى هـذا الرجل حين يهم بالاتصال الحسى بزوجه ، كما يتصف بالحنان والرفق فى كل ميادين الحياة الأخرى ، فلا يقرب من زوجه ولا يعاملها إلا بعد إمعان الفـكر والحذر والرقة المتناهية .

والملاحظ أن النساء ذوات الأجسام القصيرة والعظام الصغيرة يستطعن غالباً مواجهة كل المقتضيات بقدرة المهبل ومرونته . وهن يمتزن كذلك بقوتهن وقدرتهن الحسية العظيمة ـ لا فى الجماع وحده ، بل فى انفعالهن المرح الطروب حين تشـتد الظروف العقلية والبدنية والآلام فى أثناء الحيض والحمل والولادة ، ويمتزن بسهولة تدفق اللبن فى نهودهن ، وسهولة الحمل وكثرته[1] .

ومجمل القول أن النساء الصغيرات جسما هن أقرب النساء إلى نموذج المرأه المثالى . ولـكن هذا لا يصح إلا إذا كان الجسم الصغير متناسباً تماماً فى كل نواحيه وكان النمو الحسى كاملا وافياً .

وحين يكون صغر الجسم ناشئاً عن الاضطراب والشذوذ ، فالغالب أن أعضاء المرأة الجنسية تـكون مصابة من ناحيـة أو أخرى بعيوب خطيرة فى تـكوينها ووظيفتها .

---

(١) يقول المثل الانجليزى : « النساء الصغيرات والدات كبيرات خصيبات » .

وهذا صحيح بوجه خاص فى حالات النمو المتوقف ، وهــذا النمو الناقص لا يكون مصحوباً بقصر الجسم أو دقة القسب ، فبعض الناس طوال بل عمالقة ولـكنهم مصابون بصغر شديد فى بعض أعضاء الجسم ويستوى فى ذلك الرجال والنساء .

صغر الأعضاء وتوقف نموها

وصغر أعضاء الجسم نتيجة توقف النمو يؤثر أسوأ التأثير فى الوظائف الجنسية ، وهو أقل تأثيراً فى ألوان النشاط البدنى أو العقلى الأخرى ، ويؤدى صغر الأعضاء إلى اضطرابات فى الحيض ، وصعوبة فى الحمل ، واحتمال إنزال الطفل ميتاً قبل الميعاد ، وقد يؤدى إلى العقم ، والعجز عن إرضاع الطفل من ثدى الأم ، ومن الناحية النفسية يسبب عزوفاً عن الجماع ، و بروداً وجموداً فى حركاته ، وقد يؤدى فى حالات قليلة إلى ضيق المهبل وعدم مرونته مما يجعل الجماع صعباً بل مستحيلا .

وتختلف كثيراً درجات توقف النمو فى العضلات الجنسية النسوية ، وليس صحيحاً أن كل الفتيات المصابات ببعض هذه الأعراض لا يصلحن مطلقاً للحياة الزوجية ، فذلك استنتاج أحمق .

وقد عرفت فى مهنتى سيدات كثيرات كان لديهن الكثير من المنغصات فى بدء حياتهن الزوجية بسبب نقص نمو بعض أعضائهن ، ومع ذلك صرن فيما بعد زوجات مثاليات راضيات وأمهات مدهشات

رائعات من كل الوجوه . ولقد كان الزواج لهن خير علاج إذ أ
الاتصال الحسى إلى تضخم الأعضاء الجنسية وزيادة تدفق الدم فيه
وامتصاص المواد المنوية المهيجة والحمل (وقد فشل الحمل أول الا
ثم أثمر) وأدت كل هذه العوامل إلى نمو الأعضاء نمواً كاملا .

ولكن الأطباء يعرفون نساء ليس الزواج لهن إلا موتاً وعذاباً
إذ أن نقص نمو أعضائهن الجنسية نقصاً شديداً يعجزهن عن مواج
مطالب الزواج ، فتتعذب المرأة بدنياً أكثر مما تتعذب عاطفياً أو عق
ثم تدرك بعد فوات الوقت أنه كان الأفضل لها ولزوجها ألا تتزو

أما النساء اللائى يشقين من نقص خفيف فى نمو أعضائهن الجن
نتيجة الاتصالات الحسية الزوجية ، فيحتاج أزواجهن إلى معين
الصبر ، الكرم وسمو التفكير وعظمة الروح وكبح جماح النفس وا
والظرف فى السنوات الأولى الصعبة ، وهى صفات لا تتوافر للجمي
ولن يستطيع أن يقبل على هذا الحب الزوجى وتضحياته العظيمة
فيها التضحية بالاستمتاع الحسى الكامل إلا رجال امتازوا بالبرو
أو سمت نفوسهم ، وعاشوا للمثل العليا وحدها .

نستطيع أن نقول دون تردد إن نقص نمو الأعضاء هو أهم مصا
الخطر البدنية ، وهو الذى يقلق النساء ويضايقهن فى الزواج ـ بصر
النظر عن بعض الأمراض الخاصة بالقلب والرئتين والكليتين .

أهمية الفحص الطبي وشهادات اللياقة للزواج

لهذا أؤيد المحاولات التي يراد بهـا تعميم الفحص الطبي قبل الزواج ، واستخراج شهادات اللياقة للزواج ، بل أقترح أن يشمل هذا الفحص الدقيق الشامل كل الفتيات المراهقات دون استثناء . وهـذا الفحص الدقيق فحص طبي شامل يقوم به أحد أطبـاء أو طبيبات المستشفيات ، ويشبه الفحص الذى تقوم به شركات التأمين على الحياة كما تقوم طبيبة نسوية بفحص الأعضاء الجنسية . وحينئذ يكون الفحص الأخير كاملا شاملا لايضايق ولا تتململ منه فتاة ، والأفضل أن تقوم الطبيبات بهذا الفحص ، فأنا أحبذ قيامهن بفحص البنات والنساء ، ولـكن المهم أن يحدث الفحص فعلاً .

ولتجنب مضايقة الفتيات ولتحامى إيذائهن نفسياً وعاطفياً يحسن تكرار الفحص بانتظام قبل أن تبدو فى الأفق بوادر الخطبة والزواج[1] . وإذا ظهر نقص أوعيب خطير ، فمن الخير أن يعلم الوالدان بوجوده فى الوقت

---

(١) أما الآباء والأمهات الذين يهتمون بحفظ بناتهن من الصدمات وما قد يثير ضيقهن واشمئزازهن ، فيستطيعون أن يمهدوا لهذا الفحص الطبي الشامل بعد إصابة الفتاة بتوعك خفيف ، ويستطيعون أن يطالبوا الطبيبة بالعناية بفحص النمو الجنسى بحيث يبدو أن هدف الفحص هو التأمين على الحياة .

المناسب ليتسنى علاجه ، وإذا كان هناك نقص قليل فى نمو الأعضاء ، فمن الممكن علاجه علاجاً مناسباً قبل التفكير فى الزواج .

لقد وفقت فى علاج حالات شديدة من توقف نمو الأعضاء الجنسية ، ولو تركت هذه الحالات وشأنها لجعلت الزواج صعباً مؤلماً جداً ، ولكنها تحسنت باتخاذ الوسائل المناسبة لتكون الفتاة نداً لزوجها تماثله وتساويه فى مطالب الزواج ، فإذا تم الزواج تم الشفاء[1] .

ومن الخير إنباء خطيب الفتاة فى أثناء فترة الخطبة بما فى خطيبته من نقص فى النمو ، لإشعاره بحاجتها إلى العناية والرعاية والرقة فى الجماع فى أول الحياة الزوجية ، وإشعاره بأنه من المحتمل أن يجد فيها بروداً جنسياً واستهتاراً بالمتع الحسية فى أول الحياة ليستعد لمعالجة الأمر بما يلزم من حذق ورقة وود ومهارة . وأفضل شخص يخبره بذلك كله عن خبرة وفهم هو طبيب الأسرة أو طبيبتها .

ومن الأفضل للرجل أن يعرف المسائل والمشاكل التى ستعترضه حتما فى حياته الزوجية ، فيخفف هذا كثيراً من الخفايا والمفاجآت التى لم يحسبها ! إن والدى الفتاة لايريدان أن يفاجآ بالمفاجآت الحسية المؤلمة بعد الزواج ، فمن حق الخطيب أو العروس أن يتمتع بحق والدى عروسه !

---

(١) فان دى فلد : مجلة الولادة الألمانية عدد١٣ ص ٧٩٩ سنة ١٩٢٦

إن صحة العروسين العامة تعطى فكرة عامة عن الاحتمالات والصعوبات الممكنة . أما عن الناحية الجنسية ، فيجب أن يخلو العروس (الخطيب) من الأمراض السرية . وهذا أهم أمر . ولكن الأمر يختلف بالنسبة للفتاة ، فإذا كانت عذراء فيجب نمو أعضائها الجنسية نمواً كاملاً شاملاً ، وهو أمر هام ولو لم ندرك أهميته[1] . سيتساءل القراء : ألا يؤدى نقص نمو أعضاء الذكرة إلى أخطار مماثلة ؟ والجواب لا ـ (عملياً) .

فلن تبلغ الأخطار ماتبلغه إذا كان نمو أعضاء الأنوثة ناقصاً .

التباين فى نسب الأعضاء الجنسية

إن نقص نمو الأعضاء الجنسية أندر فى الرجال مما هو فى النساء ، ومع ذلك نراه بين وقت وآخر ، وهو يبدو نقصاً فى السائل المنوى ، أو صغراً فى حجم العضو المنتصب .

(١) استخراج الشهادات الطبية قبل الزواج ينقذ العروسين من كثير من أسباب الشقاء والمرض ، ومع ذلك لايلقى ترحيباً من الطرفين ، ولكنى أرى أنه سيقابل بالترحيب إذا حدد كل منهما وكيلا مضموناً مقبولا يحفظ السر ، ويتقابل الوكيلان ويناقشان المسائل المعروضة ويتبادلان التقارير والشهادات الطبية . وكذلك يجب إرشاد العروس ليلة الزفاف إلى الصعوبات التى قد يلقاها فى عروسه نتيجة للاختلافات البدنية بين امرأة وأخرى .

وإذا عاشر ذكر صغير مهبلا كبيراً ، فاحتكاك الجماع العادى لا
يكفى لإحداث ذروة اللذة ، وستتألم المرأة أكثر مما يتألم شريكها
النشيط . أما نقص القدرة الحسية فى هذا النوع من الرجال ، ورغبتهم
الضعيفة فى الجماع فلا يكفيان لإشباع رغبات امرأة عادية الشهوة .

والغالب فى الشذوذ أن يكون عضو الذكرة كبيراً ضخماً بدرجة
خارقة للعادة ، فضخامة العضو أكثر شيوعاً من ضآلته ، ولو أن الشواذ
نادرة ، وهذه الضخامة وراثية فى الأسر يتصف بها الأبناء ويتوارثونها
عن الآباء والأجداد ، وهى شائعة فى سلالات بشرية ، فالزنوج مثلا
يتمتعون بضخامة عضو الذكور .

وإجمالاً ، فالعضو الكبير الضخم مرغوب عند النساء لما تحدثه
ضخامته من زيادة الضغط والاحتكاك فى أثناء الجماع ، ولا يمكن
اعتباره عيباً إلا إذا كان المهبل ناقص النمو . وكذلك عند بدء العلاقات
الحسية . ولا تحدث اضطربات بدنية فى الحياة الزوجية بسبب
ضخامة العضو إلا نادراً ، ولو أنه يجب على الرجل الذى حباه الله بهذه
النعمة أن يتصف بالعناية والرعاية حتى يتأكد أنه لا يؤذى زوجته
بضخامة عضوه .

وإذا كان المهبل واسعاً بدرجة غير عادية ، فلن يعوق الزواج
ولو أنه سيقلل من شدة اللذة ـ بالنسبة للرجل على وجه خاص . ونعترف
بصراحة بأن اتساع المهبل وفتحته شىء عادى يحدث بعد تكرار

الولادة ، ولكنه يؤثر تأثيراً سيئاً فى الرجل . ولا سبيل إلى نكرانه .

ولكن هذه المساوىء يمكن مواجهتها وعلاجها بأعمال الجراحة الدقيقة بعد الولادة و بتمرين عضلات المهبل والحوض (كما ذكرنا فى الفصلين الرابع والخامس) . ومجال التنويع واسع فى وسائل الاتحاد الحسى وهو يكفى لإزالة هذه العيوب وللاستمتاع بجماع ممتع (الفصل الحادى عشر) .

و إذا قلّت وسائل التهييج والفتنة بالرغم من الأعمال الجراحية ، والرياضة البدنيـة العضلية ، والافتنان فى وسائل الاتصال الحسى وأوضاعه وحركاته ، فلا مفر من اعتبار اتساع المهبل شراً لابد منه ، كالشيخوخة والموت !

وقد تغنى الرقة المضاعفة ، والوفاء الخالص ، والرعاية الحانية ، والمشاركة العقلية النفسية عما سلبته الحياة .

الفصل الحادى عشر

الملامسة (الجماع)

الجزء الثالث : أوضاع الجماع وحركاته

لسلوك الزوجين وحركاتهما أهمية عظمى فى الاتحاد الحسى .

لست مضطراً علمياً أو عملياً إلى ذكر الأوضاع الحسية ، ولعلها تفوق المائة ، وكلها مذكورة فى الموسوعات الشرقية الخاصة بالزواج .

ولكن من الخطأ إهمالها أو إهمال مناقشتها ؛ إذ أنها تمتاز بأهمية عملية كبيرة من ثلاث نواح :

أولاً : زيادة اللذة الجنسية .

ثانياً : منع الأخطار والإصابات صحياً .

ثالثاً : التحكم فى الحمل (منعه أو تيسيره) .

أما عن التحكم فى الحمل فكل وضع يزيد اللذة أو ييسر بلوغ ذروة اللذة فى الزوجين إنما يزيد فى الوقت نفسه احتمال الحمل . والوضع الذى يسهل قذف المنى فى داخل المهبل ييسر للخلايا المنوية أن تنفذ إلى الرحم . وإذا كان وضع الأعضاء الجنسية النسوية يمهد للمنى أن يستقر بجوار عنق الرحم ـ ولو كان ذلك بعد بلوغ ذروة اللذة ـ فإنه يزيد احتمال الحمل . ويشبه هذا أن تحتفظ المرأة بعضو الذكر قائماً منتصباً داخل المهبل ، فإنه يعمل حينئذ عمل السدادة .

ولكن فرص الحمل تنقص إذا أدى الوضع إلى ارتداد الخلايا المنوية عن المهبل إلى خارجه[1] .

يمكن التغلب بالأوضاع والطرق المناسبة على بعض مايعوق الجماع من شذوذ بدنى فى أحد الزوجين أو فيهما كليهما (مثل تضخم البدن فى الحمل أو السمنة) .

ويمكن منع الأخطار المصاحبة للجماع أو تقليلها ، وهى أخطار تهدد المرأة بوجه خاص حين لاتتناسب الأعضاء الجنسية (مثل تعرضها للتسلخ والتهتك ، وفى أثناء الحمل وغيره) . فإذا كانت الأوضاع غير مناسبة زاد احتمال الخطر والأذى .

وأخيراً ، فشدة الشعور اللذيذ تتوقف كثيراً على مسلك الزوجين وحركاتهما فى أثناء هذا الاتحاد الحسى الرائع .

تختلف درجة التهيج وموضعه حسب الزوجين ، ولذا تختلف المشاعر والأحاسيس الناشئة عن التهيج ـ فى القوة والنوع اختلافاً عظيما .

فالاختلاف أو التباين ممكن فى الجماع . وقد أثبت العالم القديم فى أقواله المأثورة أن اللذة لاتدوم لإنسان إذا اعتادها وكررها إلا إذا عمد إلى تنويعها وإفعامها بظلال من الاختلاف . فموضوع هذه الدراسة له أهمية كبيرة فى هناءة الزواج وإبعاده عن التعاسة والشقاء .

---

(١) ليس فى هذا القول ماينافض العوامل المذكورة قبلا .

الأوضاع

للجماع وضعان[1] أساسيان :

الأول : وضع التقابل ، وفيه يتقابل الرجل والمرأة وجهاً لوجه .

والثانى : وضع المخالفة ، وفيه يتجه وجه الرجل للأمام بينما تدير له المرأة ظهرها[2] .

وفى كل من هذه الوضعين يمكن تنويع الحركات والسلوك ، والكثير منها عملى موافق من وجهة نظرنا .

ويرى كثير من المؤلفين أن الوضع الثانى (وضع التخالف) هو الوضع الأساسى الطبيعى لأسباب حيوية علمية .

ولكنى مع الأغلبية أعتقد أن الوضع الأول (وضع التقابل) هو الوضع الأقرب لطبيعة البشر حسب تركيبهم التشريحى الحالى ، فنى هذا

---

(١) هناك وضع ثالث يلمس فيه وجه الرجل وبطنه جانب المرأة ، ولكن هذا الوضع لا يتفق مع وظائف أعضاء الرجل والمرأة ، فلا يستعمل إلا كنوع من التغيير إذ يخلو من كل سحر أو فتنة أو أناقة ، ولا يمتاز إلا بالتباين وبعض المساوىء .

وقد يصف بعض الشرقيين هذا الوضع لضمان الحمل عند تغيير مكان الرحم ، ولكن هذا الوصف قائم على أخطاء تشريحية شديدة .

(٢) فهو وضع الطيران والمتابعة ، أو العدو والمطاردة ؛ فالمرأة تعدو وتطير والرجل يتابعها ويطاردها .

الوضع تتفق زوايا الأعضاء المتلامسة ، فالمهبل يميل للأمام ، بينما يميل عضو الذكر للخلف . وبذلك يتفقان في الميل ويرضيهما وضع التقابل . وليس معنى هذا أن وضع التخالف ليس عادياً طبيعياً ، ولا هو أقل قيمة من ناحية وظائف الأعضاء .

سندرس الآن هـذه الأوضاع المختلفة وضعاً وضعاً حسب أهميتهـا في وظائف الأعضاء ، ونحللها لنعرف أفضل مناسباتها ، أي أننا سنرى ماينفع له كل وضع ومالا ينفع له .

أوضاع التقابل وجهاً لوجه

أوضاع التقابل ستة ، ندرسها بالتفاصيل لشدة تباينها :

١ ـ الوضع العادى (الوضع المتوسط أو المعتاد)

هـذا الوضع عادي معتاد ، بل هو متوسط بين الامتداد الشديد والانثناء الشديد . وفيه [ترقد المرأة على ظهرها ، وتفسح مابين فخذيها ، وتثنى ركبتيها ثنياً خفيفاً . ويرقد الرجل على بطنها مسنداً ركبتيه وكوعيه بقدر الإمكان على المخدع (السرير أو المقعد المنخفض الطويل) ليخفف عنها وزنه . وتستقر ساقاه وفخذاه بين ساقيها وفخذيها]

وهذا الوضع مناسب نفسياً وبدنياً .

فهو مناسب نفسياً لأنه يفصح عن رغبة الرجل الشديدة غير الشعورية في أن يشعر بأنه يحمى شريكته ويملكها ، وهو يرضى في الوقت نفسه مطالب المرأة النفسية المماثلة (فهي تريد أن تشعر بحماية زوجها بأنها لن تفلت من بين ذراعيه وأحضانه) .

ويسمح هذا الوضع - كما تسمح تعديلاته - للزوجين بزيادة متعة الاتحاد بتبادل القبل والملامسات ، وهو يتيح مجالا أكبر للعاطفة والمشاعر والأحاسيس نتيجة اتصال الجسمين وتلامسهما من الصدر حتى الفخذين . ولا يقلل من مزايا هذا الوضع المتوسط احتمال المرأة وزن جسم الرجل ، فهو ثقيل فى الغالب . ولا داعى للإطالة فى وصف هذه الحالات لشدة وضوحها .

ولن أذكر غير اعتراض واحد ، وهو خطر الضغط الخارجى الثقيل على الرحم الممتلىء فى فترة الحمل حين لايكون الجسم كله متضخماً فيجب عدم اتخاذ هذا الوضع فى هذه الحال .

أما التهييج الناشىء فى أثناء الجماع المتوسط (العادى) فهو عادى متوسط الدرجة فى زوجين عاديين فى استعدادهما للتهييج . ويكفى هذ التهيج للتوتر والارتخاء فى كلا الزوجين . وهذا الوضع متوسط فى شدة الأحاسيس اللذيذة .

أما إذا كان ثمة اختلاف بسيط بين أحجام أعضاء الذكرة والأنوثة بسبب صغر عضو الذكرة نسبياً أو ضآلته الشديدة ، فلن يبلغ الزوجان درجة التهيج بهذا الوضع « العادى » وأما احتمال الحمل فعظيم م

٢ — وضع الامتداد (التعديل - ١)

إذا كان عضو الرجل صغيراً فيمكن تحسين الأمور فى الوضع

العادى بالتحرك قليلا والامتداد .

بعد الإيلاج فى الوضع العادى ، تضم المرأة فخذيها وتمد رجليها أقصى امتداد ، بحيث يضم فخذا الرجل فخذيها و يضغطانهما .

يستفيد الرجل بهذا الوضع لأنه يزيد تهيج عضوه بطريقة بسيطة ولكنها فعالة ، كما يضمن أن عضوه لن يفلت من المهبل ، ويفلح وضع الامتداد على الأخص حين لا يكون عضو الرجل ضئيلا ولكنه غير قادر على القيام التام ، ويستوى فى ذلك أن يكون عجزه عن القيام مزمناً دائماً أو عابراً وقتياً ـ كما هى الحال بعد تكرار المباضعة تكراراً سريعاً جداً .

واحتكاك قاعدة عضو الرجل بالعانة حين يكون حوض المرأة مائلاً ميلاً مناسباً ، واحتكاكه بالشفرين الكبيرين المنثنيين ، واحتكاكه بالأجزاء الداخلية من فخذى المرأة ـــ كل أولئك تساهم فى زيادة البهجة واللذة . وضغط هذه الأجزاء يزيد الانتصاب والتضخم فى العضو الداخل كله .

وتستمتع المرأة فى وضع الامتداد بزيادة تهيج الفرج والفتحة المهبلية الخارجية ، والأهم من ذلك أن بظرها يتعرض أكثر للاحتكاك أو لضربات القضيب . وازدياد قدرة الرجل على الانتصاب لها قيمة عظيمة بالنسبة للمرأة .

ولكن عضو الذكرة القائم لا يستطيع التوغل عميقاً داخل المهبل إ

وتستطيع المرأة أن تفيد بالوضع الممتد بعد ضم ساقيها معاً سواء حدث ذلك عند بدء الجماع أو بعد الإيلاج مباشرة ـ وذلك لتحفظ المنى داخل المهبل باحتضان القضيب احتضاناً قوياً عاصراً فى المهبل بين فخذيها (حتى يذبل الانتصاب ويذوى) .

ويتم وضع الامتداد إذا حفظت المرأة الجزء الأعلى من بدنها مستوياً ووضعت وسادة تحت وركيها . ولا تنزل عنهما وإلا انقلبت فائدة الوسادة ، ويجب ألا تكون ناعمة رخصة جداً ولا مستوية ، بل تكون صلبة جامدة كالوسادة الطويلة التى تنام عليها . وكلما زاد سمك الوسادة زاد ميل جسم المرأة فى الوضع الممتد ، وهو الأفضل .

وشدة امتداد منطقة الظهر السفلى (المنطقة القطنية) تزيد ميل الحوض ، وترفع العانة ، وترفع معها ماهو أهم ، وهو البظر .

وبذلك تتعرض العانة والبظر للضغط الشديد المستمر والاحتكاك بالجدار الأمامى لعضو الذكر ، ويزيد احتكاكها فى هذا الوضع عما كان فى الوضع السابق المائل ، ويتعرض من البظر لتهيج أشد .

وواضح أنه للاستمتاع بآثار الامتداد استمتاعاً تاماً ، يجب أن تكون ساقا المرأة أفقيتين سواء كانتا مضمومتين أم منفرجتين ـ إذ أن أى انثناء فى الفخذين ينقص ميل الحوض ويتلف أثر الوسادة الموضوعة تحت

الوركين . ويمكن زيادة المهبل الحوضى إلى أقصى درجاته بمد العمود الفقرى ، والأهم من ذلك مد الفخذين من مفاصلهما مداً تاماً ، أى ترك الساقين معلقتين إلى أسفل .

ونحن (الأطباء النسويين) نعمد كثيراً إلى هذا الوضع فى أعمالنا ونسميه (تعليق فالنشر) .

الوضع الممتد الثانى (وضع التعليق : التعديل ب)

إن الامتداد التام لا هدف له فى الجماع . وهو يكاد يكون مستحيلا . ولكن بعض الكتب الشرقية تنصح باتخاذ وضع قائم على هذه المبادىء ولو أنها لم تتشدد فى المبادىء والقيود ، والمقصود بهذا الوضع تيسير عادة إزالة غشاء البكارة .

وهذا الوضع طريف جداً علمياً ويمكن استعماله فى العلاج الطبى .

[توضع المرأة فى هذا الوضع قرب حافة السرير أو المقعد الطويل . ويكون الجزء الأعلى من جسمها مائلا ممتداً إلى الوراء بقدر الإمكان ، والعجز عند حافة المخدع أو فوق حافته قليلا ، وأما الساقان فتتدليان إلى أسفل وهما منفرجتان قليلا . أما القدمان فيجب أن يستقرا فوق دعامة متينة ثابتة . ويجب أن تكون حافة المخدع ثابتة عالية علواً كافياً يتيح للرجل أن يعمل ، وهو يضع نفسه بين ركبتى عروسه واقفاً على قدميه كما تقول الوصفة الشرقية . ومن المستحيل عليه أن يرقد (أو ينظر إلى أعلى) ما اتخذ الجسم النسوى هذا الميل ، ولكنه عملياً يتخذ وضعاً مائلا بدلا من الوضع العمودى . وهو ينثنى إلى الأمام بقدر الإمكان ، واضعاً يديه على المخدع على جانبى شريكته .]

ما الغرض من هذا الوضع ؟ ولماذا يفضل للجماع الأول ؟

لم تذكر الكتب الشرقية أسباباً ، ولكن الطريقة منطقية معقولة ، وهى نتيجة الابتكار وتجارب القرون .

ولعل السبب فى اختيار هذا الوضع أن الرجل حين يدخل عضوه يضغطه إلى أسفل من زاوية منحدرة إلى اتجاه أفقى تقريباً ، ولا أظن أن للوضع تفسيراً تشريحياً ولو أن البظر يتعرض لتهييج أشد . والعضو الداخل وقاعدته يضغطان على قوس العانة ، فيستجيبان بمرونة .

فطرف العضو ينزلق انزلاقاً ناعماً فى داخل الممر وفى فتحة المهبل ، وتمتد الحافة الخالصة من غشاء البكارة امتداداً رقيقاً بدلاً من أن تتمزق تمزقاً عنيفاً مباشراً . فهذا الوضع يتيح له أن يتمزق بضغط الجزء الأكبر من عضو الذكرة ، أما الظروف الأخرى (كالوضع المعتاد) فتجعله يتمزق بطعنة خارجية حادة مفاجئة من الغدة (طرف العضو) بطريقة أكثر إيلاماً ولا سبيل إلى تجنب خشونتها الزائدة .

ومع ذلك لا ننصح بهذا الوضع (وضع التعليق) لعروسين جديدين بالرغم من مزاياه . ولكننا ننصح الرجل بإدخال قمة عضوه فى الجماع الأول بكل مايستطيع من نعومة ورقة محاولا أن يكون الإدخال أمامياً ، وأن يبسط (يمد) غشاء البكارة بدلا من أن يمزقها بعنف .

وأبسط طريقة لذلك فى الوضع المعتاد (المتوسط) ، هى أن يرقد

الرجل مائلا ميــلا ييسر له الاقتراب والإدخال من أمام ومن أعلى إلى أسفل بحيث يضغط العضو إلى أسفل فى ممره خلال قوس العانة النسوية .

ومع ذلك فقد أوصيت كثيراً باستعمال الوضــع الشرقى المعلق ، ووُفِّق العروس توفيقاً عظيماً ، ولا بأس بتأجيل المحاولة فتمر فترة قصيرة من الراحة والهدوء والاعتزال ، فبالرغم من تمزق البكارة تمزقاً موفقاً تظل بعض العقبات التى تعوق الجماع الكامل مثــل رقة الأنسجة وتعرضها للألم الشديد عند ملامستها ، ومثل الالتهاب الحاد الذى قد يصيب « الفجوة الزورقية » .

وفيما عدا ذلك ، فليس هذا الوضــع إلا لوناً من التنويع والتغيير يركز التهييج فى منطقة البظر والجدار المهبلى الخلفى عند المرأة ، وفى منطقة الجلد والجزء الأمامى من قضيب الرجل . ولــكن هــذه النتائج نفسها يمكن بلوغها بأوضاع أقل مشقة للزوجين ، فالاجتهاد الذى يعقب الجماع بهذا الوضع لاتعدله مزاياه .

ولا ييسر هذا الوضع للرحم استقبال المنى ، إذ لا يستطيع عضو الذكر إلا أن يدخل مسافة قصيرة ، ثم يرتد السائل المنوى إلى الخلف خارجاً من المهبل تحت عنق الرحم أو الجزء المهبلى منه .

٣ — أوضاع الانثناء :

وصلنا وضع الامتداد الشديد من الشرق الأدنى ، وجاءنا عكسه من

الشرق الأقصى وفيه ينثني جسم المرأة انثناءً شديداً في أثناء العمل ، وهذا الوضع كثير الشيوع بين أهل الصين — كما يدل على ذلك الرسم والصور المنشورة في « كتب الزفاف » .

وأحسن طريقة عملية هي أن [ترقد المرأة على ظهرها ، وترفع ساقيها بزاوية حادة مع جسمها ويكون الفخذان مركزين للزاويتين ، وتسند ساقيها على كتفي الرجل ، وبذلك تكون المرأة مشقوقة شقين بالرجل الذي يعلوها ويدخل عضوه ، بينما تحتضن المرأة عضوه وعنقه ورأسه . وفي الوقت نفسه يكون عمودها الفقري في المنطقة السفلى من الظهر (المنطقة القطنية) منثنياً بزاوية حادة ، وتكون فتحة الحوض متجهة إلى أعلى بقدر الإمكان ، فيميل الفرج ويكاد يكون مستوياً بدلا من أن يكون عمودياً كما هو في الوضع المتوسط المعتاد . وفي الوقت نفسه ، تشد أنسجة المنطقة بين الفرج والشرج بالوضع الذي اتخذه الشق الحوضي .]

ولهذا تتغير وسائل التهييج في أثناء المجامعة بهذا الوضع ، وتختلف عن وسائل الأوضاع الممتدة .

فعضو الذكر لا يدخل المهبل من الأمام ، ولكنه يضغط إلى الأمام قاطعاً المنطقة بين الشرج والفرج . ولا يلمس منطقة البظر الواقعة في الجزء الأمامي من الفرج . ولا تعامل قمة عضو الذكورة الجدارَ المهبلي الأمامي إلا عند الدخول ، فإذا أوغل العضو في الدخول تحتم عليه أن يغير وضعه ليساير اتجاه المهبل الذي يحتضنه ويحتويه وهو مضغوط إلى الخلف بشدة ، فقاعدة العضو المرنة تستجيب للضغط بضغط معاكس

قوى مماثل على الجدار الأمامى المهبلى . وهذا الضغط القوى المزدوج يسبب تهيجاً قوياً بالنسبة للوضع العادى الذى يشترك فيه عضو الذكرة والأنوثة فى الاتجاه بينما لايكاد يظهر فيه أى ضغط مباشر متبادل . وفى الوضع العادى (أو المتوسط) يتوزع التهييج خفيفاً متساوياً على الجهاز الحسى كله .

أما فى الوضع الحالى ، فالتهييج مركز فى الجدار الداخلى الأمامى للمهبل ، وفى الحافة الخلفية لفتحته ، وفى الحافة العليا لرأس الذكر أو قمته وفى السطح الأسفل لقاعدة العضو .

فأى الطريقتين تفضل ؟

يتوقف الأمر على رغبات الزوجين ومزاجهما فى العمل ، كما يتوقف على حال أجزاء الأنوثة فإذا كانت قد اتسعت وتضخمت ، وفقدت عضلات الجدار المهبلى قوتها وقدرتها على الانكماش ، (وهو أمر يحدث عادة بعد الولادة بضع مرات) استحال الاستمرار فى احتضان القضيب كله (كما ذكرنا فى الفصل التاسع) ، مما يحدث نوعاً من توازى عضوى الذكرة والأنوثة ـ كما هى الحال فى الوضع العادى . وبذلك يفقد هذا الوضع إحدى المزايا الهامة التى يمتاز بها الوضع العادى .

ثم إن العضلات المهبلية الإرادية (القابضة والرافعة) المرتخية تصاب بين وقت وآخر بالعجز عن الحركة الصحيحة الكاملة . وفى هذه الظروف

تحدث ألوان أخرى من التهيج تعوض تهييج العضلات المهبلية الإرادية فالوضع المنثنى يحدث توتراً فى عضـلات المنطقة بين الفرج والشرج ويضاف إليه ضغط قاعدة الذكر إلى الخلف ، وكلها أسباب مهيجة

ويضاف إلى هذا أن هذا الوضع يكشف الشق الحوضى ، ويفتحه قدر الإمكان ، فيستطيع عضو الذكر أن يدخل فى المهبل حتى قاعدته ويلمس الجسم عند العانة ، وهو أمر مستحيل بغير هـذه الطريقة ، كما أنه مفيد جداً إذا كان المهبل متضخماً .

وفى الحالات الأخرى ، يحتاج الرجل إلى الحذر حتى يعرف تماماً إلى أى حد يستطيع الإدخال .

ولـكن المهبل المتوسط الطول والمرونة يستطيع استقبال عضو متوسط الحجم واحتضانه واحتواءه ولو دخل كله . ولإ كمال الوصف نذكر أن الإدخال العميق واتجاه ممر المهبل كليهما ييسر الحمل .

والانثناء الشـديد تنويع مناسب ، وهو مفيد كذلك فى النساء ذوات المهبل الواسع الفضفاض .

ولـكن المجامعة فى وضع الانثناء الشديد لها أضرار ومساوىء فى الزوجين ، ولن يستطيع كل زوجين أن يقوما بأعبائه التى تشبه الألعاب الرياضية البدنية . كما أن الطريقة التى تفرض وضع ساق المرأة على كتفى الرجل تباعد الوجهين والصدرين والجزأين العلويين من الجسمين .

ومع ذلك فالوضع الممتد ليس ضروريا للاستمتاع بمزايا الانثناء . ويمكن الاستغناء عنه تماماً بوضع « التقطيع بحثاً عن حصى المثانة » إذاعنى الزوجان بأن يكون اتجاه العضو الداخلى قاطعاً المنطقة بين الفرج والشرج ، مستقيما نحو الجدار المهبلى الأمامى .

أما تفاصيل الوضع ، فهى أن ترقد المرأة على ظهرها ، وتثنى ساقيها عند الوركين ، وتفتح فخذيها وتباعد بينهما بقدر الإمكان ، وتثنى ركبتيها . فهذا الوضع يكشف الفرج ، وما وراءه حتى الشرج ، وهو أكثر مزايا من الانثناء الشديد الذى لا تنثنى فيه الركبتان . وأما تأثيره فيدل عليه اسمه (طريقة التقطيع بحثاً عن حصى المثانة ، وهو اسم موروث عن الجراحة فى القرون الوسطى) واستعماله ذائع فى جراحة التوليد .

والجماع فى هذا الوضع أكثر راحة للزوجين من وضع الامتداد الشديد ، ولذا نفضله عن الوضع السابق .

وثمة تعديلات ودرجات متوسطة بين الوضع العادى ووضع الانثناء فيمكن إنقاص الانثناء أو زيادته فى أثناء الاتصال ، فالفرص متاحة لتوزيع التهييج وزيادته وتعويض المساوىء التشريحية المحتملة .

فى الأوضاع السابقة ، كان الرجل يعلو المرأة ، ولكن يمكن أن تقلب الأوضاع فتعلو المرأة الرجل . والوضع الذى يقلب الوضع العادى ليس شائعاً عملياً ، ولكن تمكن محاولته لمجرد التجربة ، فليس له أى أهمية خاصة من ناحية وظائف الأعضاء .

ومع ذلك لدينا وضع آخر تعلو فيه المرأةُ الرجلَ ، وهو وضع طريف له أهميته القصوى .

٤ — وضع الفارسة

(مباعدة الساقين كما فى ركوب الخيل)

هذه طريقة الجماع التى اعتبرها الشاعر الرومانى « مارشال » عادية واضحة جداً ، حتى إنه لم يستطع أن يتصور وضعاً آخر يتخيل فيه هكتور وأندروماك ، وهما قدوة كل زوجين .

[يرقد الرجل على ظهره ، ويضع عند الضرورة وسادة تحت منطقة العجز ، ويثنى ساقيه قليلا ويرفع بهما فخذى المرأة . وإذا ما تم الإيلاج تترك المرأة نفسها فتهبط جالسة منفرجة الساقين قاطعة جسم الرجل كأنها تعتلى حصاناً وهى تواجهه منطرحة إلى الخلف بقدر الإمكان . ويبقى الرجل ساكناً ، ولكنها تبدأ حركات الاحتكاك البطيئة المقصودة ، وتظل جالسة قائمة ، ولكنها ترفع جسمها وتخفضه وتكرر ذلك ، وهى تندفع إلى الأمام بصدرها كله فى حركة إيقاعية مهتزة كأنها فارس يهاجم العدو . وفى أثناء حركة الهبوط تزيد ميل الحوض بقدر الإمكان ، أى أنها تحرك عانتها إلى أسفل وإلى الخلف وتمدفقراتها ولا سيما الفقرات السفلى (القطنية) .]

فإذا تحركت إلى أعلى نقصت زاوية الحوض كثيراً وارتفعت العانة وبرزت إلى الأمام . وكذلك تتحرك فى هذه الأرجوحة الحافة الخلفية لفتحة المهبل والجزء الأمامى من المنطقة بين الفرج والشرج .

وأما حركات الأعضاء الجنسية النسوية خلال الجماع فى وضع اعتلاء الخيل ، فيمكن تصورها بوضوح بتذكر صورة تقريبية لحافة العانة السفلى والبظر وفتحة المهبل . وهى بيضة أو شكل بيضى ، محوره القائم على قطره الأكبر قائم تقريباً ، ومحوره خلال القطر الأصغر يمتد من الخلف إلى الأمام، بينما تتجه الحركات من أعلى إلى الخلف و إلى أسفل ، ومن أسفل إلى الأمام و إلى أعلى .

أما نوع التهييج الذى تتبادله أعضاء الذكرة والأنوثة فى أثناء الحركة النسوية الهابطة فيشبه فى مواضعه أنواع التهييج المذكورة فى وضع الامتداد (٢) .

أما حين ترتفع المرأة فيقرب الإحساس من الإحساس الذى يتميز به وضع الانثناء . ولكن فى لحظة الإيلاج العميق (أعمق إيلاج) يحدث توافق تام وانسجام ، كما فى الوضع العادى (المتوسط) وإذا امتدت هذه اللحظة بالتوقف قليلاً فى حركتها الإيقاعية ، حدث قدر عظيم من الاهتزاز والانقباض العضلى ـ كما أشرنا .

وثمة احتمالات جديدة للأحاسيس لم نجدها قبلا ، لأن هذا الوضع مثل الانثناء يتيح إدخال عضو الرجل إدخالاً عميقاً فى المهبل ، و بذلك تلمس قمة العضو الجزء المهبلى من الرحم أو ثغر الرحم ، وإذا طال هذا التلامس غدا ضغطاً قوياً ، وحينئذ يحدث تدافع إيقاعى منتظم بين

طرف عضو الذكرة وعنق الرحم ، وهى حركة آتية ذاهبة ، إذ أن عنق الرحم ينحنى انحناء خالصاً حراً فى قناة المهبل ، وتستطيع المرأة فى هذا الوضع (بعكس الوضع الثالث) أن تحرك الحوض والبطن حركة جانبية فى كل الاتجاهات . وهذه الحركات المتأرجحة تمتد إلى الجزء المهبلى من الرحم ، وتدلكه بنهاية عضو الذكرة ، الذى يكاد يكون ساكناً لا يتحرك حين يبلغ الإدخال أقصاه . ويشتد هذا الاحتكاك ويقوى بسبب الضغط المتبادل المركز الثابت ، ويبلغ أقصاه بالتهييج بدرجة عظيمة حادة لا يبلغها فى أى وضع سابق ، والسبب الأكبر فى ذلك أن السطحين المحتكين يكادان يتشابهان شكلا وقواماً ، وبذلك يتداخلان ويتوافقان .

يمكن حدوث احتكاك عنق الرحم بطريقتين :

الأولى : فى خط مستقيم (جانبياً وإلى الخلف وإلى الأمام) بأن يتأرجح جسم المرأة .

الثانية : بتحريك الحوض حركة دائرية حلزونية .

ولكل من هاتين الطريقتين لون خاص وطابع خاص من اللذة الحسية ، أما الحركة الدائرية الحلزونية فتعطى الرجل لذة أشد وأقوى .

ولكن التوفيق فى تنفيذ الاحتكاك الدائرى الحلزونى فى وضع اعتلاء الخيل (وضع الفارسة) يحتاج إلى أعظم درجة من الخبرة والتحكم

فى العضلات بحيث يعمل بعضها مع بعض باتفاق وانسجام .

والواقع أن طريقة اعتلاء الخيل فى الجماع تتطلب من المرأة خبرة وتحكماً عضلياً يصعبان عليها لما تطلبه من وسائل حسية فنية وقدرة فى توجيه وظائف الأعضاء ، ولذا لا نتردد فى القول بأن الكثيرات يعجزن عن تعلم هذه الطريقة أو تنفيذها . وقد يكون فى جسم المرأة شذوذ تشريحى يمنعها وحدها أو يمنعها هى وزوجها من تنفيذ هذه الطريقة فى العمل ، وإذا كان المهبل قصيراً غير مرن ، أو حساساً سريع التأثر والإصابة ، فإن وضع الفارسة ينطوى على كثير من العيوب والأخطار .

وتحتاج العوامل النفسية إلى عناية خاصة فى هذا الصدد ، فوضع الاعتلاء لا يسمح بتبادل القبل واللمسات .

ولكن يقابل هذا أن الزوجين يرى كل منهما جسم الآخر رؤية كاملة ، ويرى الرجل خاصة جسماً نسوياً رقيقاً ناعماً رخصاً جالساً قائماً منثنياً إلى الخلف ، وهو منظر فاتن يثير أشد ألوان التهييج .

وكذلك يمتاز هذا الوضع على الأوضاع الأخرى بما يتيحه من فرص التحديق وجهاً لوجه ، والتأمل فى عينى الزوج ومراقبة مايظهر من تعبير وإفصاح فى أثناء الملاعبة والمداعبة والمجامعة المتبادلة ، ورؤية امتداد موجة التهييج حتى تبلغ قمتها اللذيذة ـ كل ذلك يزيد أسباب التهييج فى هذا الوضع .

ولاعيب فى اعتياد هذا الوضع باستمرار سوى جمود الرجل جموداً تاماً وقصر النشاط على المرأة ، وهو أمر يناقض طبيعة العلاقات بين الرجل والمرأة ، ولو استمر لصارت عواقبه وخيمة . وتبعاً لهذه الأسباب النفسية وحدها نستطيع أن نوصى باختيار هـذا الوضع فى الاتحاد ، ومن الناحية البدنية ، لن يفيد الإنسـان فى أثناء تأدية أى وظيفة طبيعية إذا أصر فى كل مرة على بلوغ أقصى مافيها من توتر ممـكن وحركة وتهييج شديد استجابة لهذا التهيج .

لاشك أن الجماع فى وضع الاعتلاء يستطيع حقاً أن يقدم للرجل والمرأة معاً ذروة التهيج والاستجابة وقمة اللذة الحسية البدنية .

ومن الممكن فى هذا الوضع ضم كل المؤثرات الموضعية المحتملة التى لايمكن مزاولتها إلا متجزئة فى سائر الأوضاع ، ومن الممكن مزجها وتنويعها وتقويتها فى عمل واحد رائع .

فالسبب الأساسى فى اختيار هذا الوضع هو الرغبة فى تجربة أشد ألوان التهيج والاستمتاع الممكنة . ومع ذلك أكرر القول بأن هذا الوضع الراكب يجب أن يكون تنويعاً شاذاً لايجرب إلا نادراً . ويجب ألا يعتاده الزوجان فى الاتحاد الحسى .

ومع ذلك فهو مناسب جـداً حين يختلف الزوجان فى القوة البدنية والمهارة ، فيكون الرجل متعباً مجهداً بينما المرأة منعمة بالطاقة

والحيوية واللذة . وهذا الوضع يغنى الرجل عن كثير من الإجهاد والإرهاق[1] ، دون أن يحرم المرأة من الاستمتاع الحسى الطبيعى .

أما إذا كانت المرأة متعبة وكان الرجل مكتمل القوة والعافية ، فالوضع الراكب غير مناسب مطلقاً ، ويجب ألا يحاول الزوجان تجربته ؛ كما يجب ألا تحاوله المرأة إن كانت حاملاً .

وإذا كان المهبل قصيراً بشكل ملحوظ ، أو كانت المرأة مصابة بصغر أعضاء الأنوثة لتوقف النمو ، فيجب عليه تجربة هـذا الوضع كما ذكرنا قبلاً ويحتاج الأمر إلى كثير من الرعاية والعنـاية عند تجربة هذا الوضع الراكب فى المغامرات الأولى .

وأخيراً يجب ألا ننسى أن هناك احتمالاً أكبر لغزو المنى للرحم فى أثناء القذف ، بينما ينقص هذا الاحتمال كثيراً بعد الملامسة مباشرة إذ يخرج السائل المنوى من المهبل .

٤ — الوضع الجالس

بعد هذه المناقشة الطويلة للوضع السـابق لن نحتاج إلى التـكرار فى تقدير الوضع الجالس وما فيه من ألوان التهييج عند الجماع . وسندرس وضع التقابل أولا .

(يجلس الرجل وتتعلق المرأة عبر فخذيه بينما ينفرج فخذاها . وقلت عمداً « تتعلق المرأة » لأنها لا تكون جالسة على الإطلاق ، فردفاها غير

(١) قارن ما قلناه هنا عن الإجهاد بما سنذكره فى الوضع الثامن .

ثابتين ولا مستقرين ، وركبتا الرجل منفرجتان لتتيحا له أن يباعد ما بين ساقى المرأة ، ويكشف أعضاءها الجنسية ، ويرفع حوضها أو يخفضه حسب إرادته .

وهو يدخل عضوه إلى أسفل بضغط قوى نسبياً ، فيقابل البظر ومقاومته المرنة . وفى هذه المرحلة والمراحل التالية فى العمل يحدث التهيج الذى يحدث فى وضع الامتداد (٢) . وتستطيع المرأة زيادة قوة الاحتكاك أو تعديلها فى منطقتى الحوض والبظر بتحريك حوضها جيئة ورواحاً فى حركة إيقاعية منتظمة كحركة بندول الساعة . ثم تنقص زاوية الحوض بقدر الإمكان ، وتدفع فرجها للأمام نحو الرجل ، فيرد الرجل حركتها بحركة مماثلة بحوضه فيضغط عضوه إلى الأمام ضغطاً يدخله فى أعماق الفرج .

ويمكن تقوية الإيقاع المتبادل كله ومساعدته بأن يمسك الرجل وركى المرأة وفخذيها بيديه ويضغطها بوركيه وفخذيه . وحين يحدث أعظم قدر من الإيلاج يكتمل التوافق والتناسب ـ كما فى الوضع الرابع ، وتتاح الفرصة لكل اهتزازات العضلات الإرادية فى جدران المهبل وما حوله .

وإذا كانت أعضاء الذكرة والأنوثة متناسبة منسجمة أمكن حدوث الاحتكاك المتبادل بين عنق الرحم وقمة عضو الذكرة ، وهو ما يمتاز به وضع الفارسة .

أما الوضع الجالس فيمتاز على وضع الاعتلاء بأن كلا الزوجين

يستطيعان الحركة بحرية دون تقييد ، ولو أن هذه الحرية تنطوى على احتمال اختلافهما فى الحركة ، وعجزهما عن الانسجام والتوافق معاً فى الخطوات وبذلك يضيعان فرص الاستمتاع الكامل الممكن .

وتتماثل درجات التهييج فى وضع الجلوس ووضع الاعتلاء ، إلا أن وضع الجلوس لا يتيح الاستمتاع بلذات الانثناء .

وليس فى هذا القول ترغيب عن الوضع الجالس ، ولو أنه لا يتيح الفرصة للاستمتاع بألوان البهجة والنشوة وبلوغ الدرجة القصوى من شدة اللذة اللذين يستمتع بهما الرجل حين يرقد على ظهره ويرفع عينيه إلى المرأة التى تعلوه وتعتليه (وضع الاعتلاء أو الفارسة) .

فما هى أهمية الوضع الجالس ؟

إنه يجمع أهم مزايا الوضع الرابع ، وينبذ مساوئه ، كما أن الوضع الجالس يتيح فرصة الإدخال مع العناية بمنطقة البكارة عناية خاصة ، فهو فى ذلك يشبه الوضع الثانى . وكذلك يتيح الوضع الخامس إكمال العمل سطحياً دون إيلاج عميق ، وبذلك يمنع الاتصال التام بالجزء المهبلى من الرحم .

أما التهييج الناتج فمحدود بالطبع ، ولكنه يكفى عادة لإحداث ذروة اللذة والارتواء والارتخاء المتبادل فى ذوى المشاعر العادية .

وإذا كان الرجل متعباً ناقص العافية ، فلن يساعده الوضع الجالس على

العمل بقدر مايساعده الوضع السابق ، ولهذا لا ننصح به فى هذه الظروف.

يمكن اتخاذ الوضع الجالس بين وقت وآخر فى حالات البرود الحسى الخفيف والجهل والسذاجة (نقص الخبرة) ، أو عند بدء العلاقات الزوجية ، فلعل هذا الوضع يهيج البظر أشد مما يهيجه أى وضع آخر ، كما أنه يتيح للرجل عند الضرورة أن يبذل النشاط المطلوب منه تماماً (بعكس الوضع السادس) .

وينفع الوضع الجالس كلما احتاجت أعضاء الأنوثة إلى مزيد من الرقة والعناية ، فهو يناسب فترة الحمل . فإذا حدث الجماع بالوضع الجالس خلال فترة الحمل وكان رقيقاً دقيقاً للغاية ـ انخفض كثيراً احتمال حدوث النتائج السيئة ولو كانت المرأة رقيقة جداً ، سهلة التأثر ، ولا يتهيج الرحم بالأفعال المنعكسة عن الأعضاء الجنسية .

أما تأثير الوضع الجالس فى الحمل عند إدخال عضو الرجل إدخالا عميقاً فيشبه تماماً تأثيره فى الوضع الرابع ، وإذا كان الإدخال خفيفاً أو سطحياً ، قلت احتمالات الحمل .

٦ — الوضع الأمامى الجانبى

وصف «أفد» الوضع الجانبى وجها لوجه بكلمات قليلة وافية ، فقال :
« للحب ألف طريقة ، ولكن الطريقة الهينة البسيطة هى الرقاد على الجانب الأيمن ، وكذلك الرقاد على الظهر مع النظر إلى أعلى » .

والجانب الأيسر ممكن ، ولكن الأيمن أفضل للمرأة عملياً ، لأنها تعطى الجانب الأيسر للرجل .

وهذا الوضع صعب إلا إذا رفعت المرأة الساق التى ترقد عليها . وبذلك تصبح فى الوضع الجانبي مائلة نصف الميل جانبياً وراقدة نصف الرقاد على ظهرها . ويقابل هذا أن الرجل يرقد على جنبه نصف رقاد ويتخذ الوضع المقابل لها ، وهو أمر ممكن بترتيب الوسائد ترتيباً مناسباً أما ساق المرأة العليا فيمكن ثنيها أو بسطها حسب الإرادة .

أما مزايا هذا الوضع الجانبي وعيوبه وأحاسيسه فهى متوسطة بين الوضع المتوسط والوضع المثنى (١ ، ٣) . ومن الممكن إحداث كثير من التغيير بزيادة ميل حوض الرجل أو المرأة أو بإنقاص هذا الميل .

وأهم مزايا الوضع الجانبي هى الراحة واليسر ، وتجنب ضغط ثقل الرجل على جسم المرأة .

وأما عيوبه فهى تركيز الضغط على ساق المرأة ، ويمكن تجنبه بالاقتراب من الوضع الأفقى العادى أو بالانثناء الشديد ورفع الساق الأسيرة ، وهذا الوضع يشل الرجل عن الحركة والعمل إلى حد كبير .

ب — أوضاع التخالف

هذه مجموعة ثانية من الأوضاع التي يمكن أن يتخذها البشر فى الجماع وهو يحدث من الخلف ، فهى أوضاع المخالفة أو التخالف ، ويمكن تسميتها أوضاع العدو والمطاردة ، أو الطيران والمتابعة .

٧ ـــ وضع الرقاد على البطن

فى الأوضاع المتوازية البطنية لايتفق اتجاه عضـو الذكرة
اتجاه المهبل ـ كما فى الوضع العادى (الأول) ، فحين تتخذ المرأة وض
بطنياً (ترقد على بطنها) يميل المهبل إلى أعلى من الخارج إلى الداخل
الجزء المهبلى من الرحم ، بينما يميل عضو الرجل فتكون قمته عال
وقاعدته منخفضة ، وهكذا يختلف ميل العضوين .

ويشتد اختلاف اتجاهى العضوين حتى يستحيل الجماع إلا بإصلا
الاتجاه ، وبدون تغيير الاتجاه لايمكن الإيلاج ، ويفلت عضو الذكر
عندما يمتد الحوض خارجاً إلى الخلف ويحيد عن الهدف . ومن الممكن
تجنب هـذا عملياً بأن تزيد المرأة ميل حوضها ما استطاعت بسحب
الوركين ، وانكماش الجزء الأسفل من الظهر ، وبذلك ينقص اتجـاه
المهبل إلى أعلى ويرتفع الفرج وفتحة المهبل . فإذا أضيف إلى ذلك تغير
وضع قوس العانة ، لكفى الأمران لمنع عضو الرجل من الإفلات
ولتيسير أمر الإدخال . وفى استطاعة المرأة منع إفلات هذا العضو إذا
ضمت فخذيها ضماً وثيقاً أو ضغطتهما معاً ، وبذلك تضيف إلى الاحتكاك
عاملاً مهيجاً إضافياً .

ويمكن مساعدة المرأة فى عملها بوضع وسادة صغيرة تحت حوضها ،

وليس تحت بطنها ، فلو انحرفت الوسادة إلى ماتحت البطن لتغير الميل ، وضاعت الثمرة الشهية .

ولا يتيسر التوفيق فى وضع الرقاد على البطن إلا لنحيفين ، أما إذا كان ردفا المرأة ثقيلين بنمو الأنسجة الدهنية فيهما نمواً عظيما ، أو كان الرجل سميناً فى منطقة البطن فهاتان العقبتان المتماثلتان تمنعان التوفيق فى العمل بهذا الوضع .

ويقل احتمال الحمل الموفق فى هذا الوضع لما يعترض دخول المنى إلى الرحم من ظروف مثبطة ، فقمة الذكر لاتدخل دخولاً كافياً لقذف المنى فى ثغر الرحم أو عند القبو المهبلى وهذا هو السبب الأول . أما السبب الثانى فهو أن السائل المنوى يتدفق أسكوبه على الجدار المهبلى الأمامى ، فيتسرب حالا إلى الخارج لانحدار الممر إلى الفتحة الخارجية .

وواضح أن السبب الأول لايساعد المرأة على بلوغ ذروة الاستمتاع والارتواء ، بل يعوق بلوغها ذروة اللذة .

لن تستطيع المرأة الاستمتاع الكامل فى وضع الرقاد على البطن إلا إذا كانت خبيرة محنكة ، سريعة الاستجابة ، أما إذا كانت حديثة العهد بالعلاقات الزوجية أو بطيئة التأثر والتهيج ففرصة الاستمتاع أمامها سيئة رديئة ولا سيما أن منطقة البظر لاتتأثر أو لا تكاد تتأثر ،

وهذا عيب مشترك فى كل أوضاع المجامعة من الخلف . ومن المساوىء التى تعانيها المرأة فى هـذا الوضع إحساسها بثقل وزن جسم الرجل وضيقها به ، وهو مالا تقاسيه بمثل هذه الشدة فى الوضع العادى .

أما الرجل فيفتنه هذا الوضع بمفاتن قليلة ، لاسيما أن عيوبه بالنسبة له أقل من عيوبه بالنسبة للمرأة . وكان يمكننا إسقاط الوضع البطنى من المناقشة ، ولـكننا أبقينا عليه لطرافة المقارنة بين توازى الجسمين هنا وتوازيهما فى الوضع الأول (الأفقى العادى) .

والجماع بالرقاد على البطن شائع عملياً أكثر مما نتوقع لأنه أضمن نسبياً فى الوقاية من الحمل .

ويلجأ إلى هـذه الطريقة كل زوجين يخافان التدخل فيما يعوق الوظائف الطبيعية بتفكير غير شعورى أو نصف شعورى .

٨ — الوضع الجانبي الخلفي

للوضع الجانبي الخلفى أهمية فى الزواج تفوق أهمية الوضع البطنى أو الوضع الجانبي الأمامى .

يحدث خلال الحيـاة الزوجية أن يحتاج أحد الزوجين إلى فترات قصيرة أو طويلة يحظى فيها بالمزيد من العناية والتدليل ، وقد يكون السبب فى ذلك سبباً جنسياً خالصاً أو غير جنسى .

وبسبب هذا التقييد يقاسى أحد الزوجين أكثر من الثانى ، وإذا

منعت الظروف الجماع فلا مناص من مواجهة هذه الضرورة وقبولها . ولكن يجب عدم الامتناع عن الجماع إلا فى أشد الحالات ضرورة ، لأن الامتناع إذا استمر زمناً طويلا كانت له آثار خطيرة بعيدة المدى لا يمكن إحصاؤها .

ولهذا أطالب المتزوجين والمتزوجات بالتحفظ الشديد فى مسألتى التقييد والامتناع . ويجب على كل طبيب أو طبيبة أن يفكر تفكيراً دقيقاً قبل أن يصدر حكمه بمنع الجماع ولا سيما منعه مدة طويلة . وتخفق وتفشل بعض حالات الزواج وتصير خراباً يباباً بمثل هذا المنع الذى قد لا تكون له أى ضرورة ملحة ، ومع ذلك يأمر الطبيب بالامتناع التام !

ويحدث كثيراً أن يهمل الزوجان أمر المنع ويتحدا فى الرأى اتحاداً عجيباً يهز القلوب ، دون أن يكون لعملهما أى آثار سيئة . وليس هذا مما يشرف الطب .

فتجب العناية العظيمة ومراعاة الحرص وحسن التقدير عند منع الجماع . وفى الأغلبية الساحقة من الحالات يحسن النصح « باتباع العناية والحرص » ، ولن تفلح النصيحة إذا كانت غامضة ناهية ، فيجب شرح النصح شرحاً بدنياً فنياً يناسب ظروف طالب النصيحة ، ومثل هذه النصيحة تشمل غالباً تفضيل استعمال الوضع الخلفى الجانبى وذكر إرشاده . والجماع بهذا الوضع أقل الأوضاع إجهاداً للزوجين ! ولا يحتاج

إلا إلى أقل قدر من الجهد ، كما أنه يخلو من العقبات الخارجية إلا أقلها . ويمكن تعديل التهييج بالدرجة التي يقتضيها الارتخاء والارتواء ، أما الذكر فيولج بقدر لا يتجاوزه بحيث لا يحدث أى ضيق أو التهاب فرجى أو مهبلى . وليس فى هذا الوضع احتمال أحد الزوجين لثقل جسم الزوج أو ضعفه .

والوضع الجانبي من الخلف قد يكون بالرقاد على الجانب الأيمن أو الأيسر ، وفى العادة يرقد الزوجان على الجانب الأيسر ، وبذلك تكون ذراع الرجل اليمنى ويده اليمنى حرتين طليقتين يمكنه بهما أن يعانق زوجه ويداعبها ، ويضمها ويلامسها .

وواضح بعد ذكر زوايا أعضاء الذكرة والأنوثة فى الوضع البطنى أن الجماع المريح يكون جانبياً خلفياً إذا لم يكن الجسمان متوازيين . أما الاختلاف فى زوايا الأعضاء الجنسية وميلها فيمكن تعديله بحيث يمكن الإيلاج حين يتباعد الجزآن العلويان من الجسمين (الجذعان) . وزيادة ميل الحوض النسوى ونقص زاوية الذكر يسمحان بالدنو والإدخال المناسب .

[فيجب على المرأة أن ترقد وقد انثنت ساقاها عند الوركين وانحنت للأمام بينما يمتد جسم الرجل كل الامتداد . وبتعديل هـذا الوضع وتحوير ميل الحوضين يمكن تغيير درجة الإيلاج وتحديدها بطريقة دقيقة .

أما التهييج فيشبه فى نوعه تهييج الانثناء ، والتهييج النسوى مقصور على الحافة الخلفية من فتحة المهبل والجدار المهبلى الأمامى ـ ومثله فى ذلك مثل الوضع الثالث . والتهييج الثانى (تهييج الجدار المهبلى الأمامى) هو الأقوى دائماً وهو أشد فى الانثناء (الوضع الثالث) بسبب ضغط الذكر على الجدار المهبلى . ولكن الأمر يختلف جانبياً ، بل ينعكس ، فيكون الاحتكاك أقل على الجدار المهبلى الأمامى وأكثر على الحافة الخلفية لفتحة المهبل حيث يكون أقل تأثيراً .

ونكاد نقول إن المرأة تتلقى أكبر احتكاك وأعظم تهييج حيث تقل الاستجابة ، فالبظر لا يتصل بعضو الذكر فى الوضع الخلفى الجانبى ، ولذلك فتهييج المرأة يكون قليلا للغاية إلا إذا دخل الذكر دخولا عميقاً . والتهييج الحادث لا يكفى إلا لبلوغ درجة خفيفة من ذروة اللذة فى امرأة حادة المزاج اعتادت تسيير نفسها تسييراً زوجياً منسجماً ، ولكن هذا الارتواء يرجع إلى عوامل نفسية عرَضية أكثر مما يرجع إلى عامل التهييج الموضعى .

وفى هذه الظروف يكفى أقل قدر من تشنج الارتخاء أو من ذروة اللذة لحدوث الارتخاء والارتواء و إزالة التوتر أو الضغط . ولا ضرر فى هذا القدر فى معظم حالات النقه أو فى الحالات التى تحتاج إلى علاج

إلا إلى أقل قدر من الجهد ، كما أنه يخلو من العقبات الخارجية إلا أقلها . ويمكن تعديل التهييج بالدرجة التي يقتضيها الارتخاء والارتواء ، أما الذكر فيولج بقدر لا يتجاوزه بحيث لا يحدث أى ضيق أو التهاب فرجى أو مهبلى . وليس فى هذا الوضع احتمال أحد الزوجين لثقل جسم الزوج أو ضعفه .

والوضع الجانبي من الخلف قد يكون بالرقاد على الجانب الأيمن أو الأيسر ، وفى العادة يرقد الزوجان على الجانب الأيسر ، وبذلك تكون ذراع الرجل اليمنى ويده اليمنى حرتين طليقتين يمكنه بهما أن يعانق زوجه ويداعبها ، ويضمها ويلامسها .

وواضح بعد ذكر زوايا أعضاء الذكرة والأنوثة فى الوضع البطنى أن الجماع المريح يكون جانبياً خلفياً إذا لم يكن الجسمان متوازيين . أما الاختلاف فى زوايا الأعضاء الجنسية وميلها فيمكن تعديله بحيث يمكن الإيلاج حين يتباعد الجزآن العلويان من الجسمين (الجذعان) . وزيادة ميل الحوض النسوى ونقص زاوية الذكر يسمحان بالدنو والإدخال المناسب .

[فيجب على المرأة أن ترقد وقد انثنت ساقاها عند الوركين وانحنت للأمام بينما يمتد جسم الرجل كل الامتداد . وبتعديل هذا الوضع وتحوير ميل الحوضين يمكن تغيير درجة الإيلاج وتحديدها بطريقة دقيقة .

أما التهييج فيشبه فى نوعه تهييج الانثناء ، والتهييج النسوى مقصور على الحافة الخلفية من فتحة المهبل والجدار المهبلى الأمامى - ومثله فى ذلك مثل الوضع الثالث . والتهييج الثانى (تهييج الجدار المهبلى الأمامى) هو الأقوى دائماً وهو أشد فى الانثناء (الوضع الثالث) بسبب ضغط الذكر على الجدار المهبلى . ولكن الأمر يختلف جانبياً ، بل ينعكس ، فيكون الاحتكاك أقل على الجدار المهبلى الأمامى وأكثر على الحافة الخلفية لفتحة المهبل حيث يكون أقل تأثيراً .

ونكاد نقول إن المرأة تتلقى أكبر احتكاك وأعظم تهييج حيث تقل الاستجابة ، فالبظر لا يتصل بعضو الذكر فى الوضع الخلفى الجانبى ، ولذلك فتهييج المرأة يكون قليلا للغاية إلا إذا دخل الذكر دخولا عميقاً . والتهيج الحادث لا يكفى إلا لبلوغ درجة خفيفة من ذروة اللذة فى امرأة حادة المزاج اعتادت تسيير نفسها تسييراً زوجياً منسجماً ، ولكن هذا الارتواء يرجع إلى عوامل نفسية عَرَضية أكثر مما يرجع إلى عامل التهيج الموضعى .

وفى هذه الظروف يكفى أقل قدر من تشنج الارتخاء أو من ذروة اللذة لحدوث الارتخاء والارتواء وإزالة التوتر أو الضغط . ولا ضرر فى هذا القدر فى معظم حالات النقه أو فى الحالات التى تحتاج إلى علاج

خاص ، وعلى أى حال فهى أقل ضرراً من طول مدة احتقان الأعضاء الجنسية والتوتر النفسى حين لاترتوى الرغبة الحسية .

أما إذا كانت المرأة الناقهة باردة المشاعر الجنسية ، خاملة المزاج الحسى فلن تفيد من الجماع الخلفى الجانبى إذ لايجعلها تحظى إلا بقدر ضئيل جداً من الاستمتاع ، فلا تبدو منها أى استجابة .

أما النساء اللاتى يتهيجن تهيجاً معتدلا ، فحالهن أصعب الحالات ـ إذ أن التهيج الحادث يهيج المرأة بدرجة شديدة جداً فيحدث احتقان موضعى وانتصاب فى أنسجة الفرج والمهبل دون أن تبلغ المرأة ذروة اللذة أو ترتوى ارتواء ممتعاً . وفى هذه الحالات ، يحسن الامتناع عن كل تهيج فلا يلجأ إلى الجماع حتى بالوضع الجانبى ، أو يمكن مواجهة المشكلة عند حدوث احتقان وتمدد أوّلى بزيادة التهيج وتقويته حتى ذروته ، و يمكن تنفيذ ذلك بثلاث وسائل :

أولا : تحريك الجسمين والحوضين ، وبذلك تتاح الفرصة لإيلاج مهبلى أعمق ، مما يزيد المساحة المتهيجة ، ويسبب ملامسة البظر للسطح الأسفل من عضو الرجل .

ثانياً : بزيادة العنف فى حك الذكر .

ثالثاً : بحك البظر فى الوقت نفسه باليد والإصبع (ونشير بهذه الطريقة خاصة حين تتعذر الوسيلتان الأوليان مع أنهما أشد تهيجاً) .

وإذا حدث الجماع جانبياً بالاحتياطات المذكورة ، فإنه يمنح من اللذة والمتعة والارتواء ما يكفى للقذف والارتواء إذا كان مزاج الرجل الحسى عادياً معتدلاً ، وهذا الوضع أوفق أوضاع الجماع لهذا الرجل وأكثرها راحة وأقلها إجهاداً . وقد يظن أن الوضعَ الذى تعتلى فيه المرأة الرجل كما تعتلى حصاناً أقلُّ إجهاداً للرجل إذ لا يرهق نفسه ولا يبذل جهداً شديداً بل لا يتحرك على الإطلاق فى هذا الوضع ، ولكنه لا يستطيع التحكم فى شدة مايصيبه من تهيج . وشدة التهيج هذه أكبر كثيراً مما هى فى الوضع الجانبى الساكن نسبياً . وربما كان أسهل الأوضاع للرجل وضع الاعتلاء (الذى يرقد فيه الرجل على ظهره رافعاً وجهه إلى أعلى ، بينما تعتليه المرأة) .

ويمتاز هذا الوضع بشدة الأحاسيس التى يهيجها ، فهو أشد إجهاداً وإرهاقا من الحركات النشيطة الواجبة فى الوضع الجانبى .

ويحسن اتباع هذا الوضع الخلفى الجانبى فى الحالات الآتية :

الحمل

حالات الضعف العامة .

حالات الضعف الموضعية أو الالتهاب فى أحد الزوجين .

وفى حالة الحمل تعتمد رقة الحركة على إيلاج الذكر إيلاجاً خفيفاً سطحياً . ويجب أن يكون الإيلاج خفيفاً جداً رقيقاً للغاية .

وفى هذه الظروف وبهذه الرقة يكون هـذا الوضع أسلم الأوضاع وأحسنها حتى فى حالات التهاب أعضاء الأنوثة الداخلية التهاباً مزمناً ـ لأن الوضع لا يتيح فرصة للجرح أو الاحتقان .

(تراجع النصائح المفصلة سابقاً)

والوضع الخلفى الجانبي يناسب الحمل بقدر مايناسبه الوضع العادى (الأفقى) .

٩ — وضع الانثناء

تركع المرأة فى هذا الوضع على ركبتيها ، بينما ينثنى جسمها بين الجذع والفخذين فى زواية حادة ، وتستطيع أن تمد جسمها أفقياً وتدعمه بيديها وذراعيها[١] أو تدعمه بمقعد طويل أو قصير ولكنه مناسب الارتفاع[٢].

وتستطيع المرأة الالتجاء إلى نوع ثالث غير هذين النوعين ، وهو أن تنحدر بجسمها إلى أسفل من الحوض إلى الرأس ، وتسند كتفيها وكوعيها على مقعد أو سرير منخفض (وهـذا الوضع مشهور بوضع الركبة والكوع ، ويستعمل فى الولادة) ، وتنشىء زاوية مع الفخذين أو الساقين المرفوعين . ويستطيع الرجل أن يركع وراء المرأة الراكعة أو

---

(١) مثل الحورية فى المجموعة البرنزية (الحورية وجنى الغابة) فى معرض نابولى الأهلى .

(٢) مثل الرسم الرقيق الجميل الذى رسمه جستاف كلمت (الرسم ٩٧ فى كتاب إدورد فكس « تاريخ الدافع الشهوى فى الفن » وقد نشره البرت لانجن فى ميونيخ) .

يقف وراءها بينما تنثنى على سرير أو أريكة [1] . ويستطيع أن يحفظ جسمه فى وضع عمودى تقريباً ، أو ينثنى عليها إلى أقصى الحدود حتى يستريح على كتفيها وظهرها الأفقى تقريباً . وفى هذا الوضع الثانى للرجل يتوازى الذكر والمهبل إلى حد كبير أو قليل ، ولكن يجب أن تتذكر فى هذا الوضع للجماع من الخلف أن التقوسات الخفيفة لأعضاء الذكرة والأنوثة لا يتفق بعضها مع بعض ، ولا تتداخل ولا تنسجم فى حركات الوضع واختلافاته .

حين يقف الرجل منتصباً عمودياً ، ويكون ظهر المرأة وجذعها فى وضع أفقى تقريباً فإن اتجاهى الذكر والمهبل لا يتفقان ، وعند الإدخال يلمس طرف الذكر (الغدة) الجدار الخلفى للمهبل ، ولا يمكن الإيلاج إيلاجاً أعمق إلا إذا كان ثمة ضغط متبادل من المهبل على الذكر إلى أسفل ، وضغط ذكرى عكسى إلى أعلى على جدار المهبل وإلى الخلف وهذا الضغط أو الاحتكاك قوى مرن يزيد التهييج فى الزوجين كليهما .

ويزيد اختلاف اتجاهى المهبل بين عضوى الذكرة والأنوثة إذا خفضت المرأة الجزء الأعلى من جسمها وكذلك بزيادة ميل حوضها . فالاختلاف يبلغ أقصاه فى أوضاع الركبة والكوع (أو الركبة والكتف)

---

(١) لن تحدث اختلافات جوهرية بين الأوضاع المذكورة وبين وضع تقف فيه المرأة على قدميها وتثنى جسمها للأمام بعيداً عن فخذيها بقدر الإمكان .

النسوية وتكون عضلات القطن (الجزء الأسفل من الظهر) مشدودة والردفان بارزين . وفى هذا الوضع ينحنى المهبل إلى أسفل انحناء بسيطاً. ويضغط الجزء الأسفل من منطقة العانة إلى الخلف ، فيقترب البظر من عضو الرجل ويلمس سطحه الأسفل . وبذلك يتهيج البظر باحتكاك الذكر فى الوضع المنثنى ــ وهذا مايشذ عن القاعدة العامة فى أوضاع التخالف .

وحين تركع المرأة (فى وضع الركبة والكوع) يبرز عامل جديد لم يكن ثمة مايدعو إلى ذكره فى الأوضاع السابقة . فهنا تهبط إلى أسفل محتويات التجويف البطنى ولا سيما الأمعاء وذلك بقوة الجذب الأرضى لها ، فتهبط إلى أسفل مكان من السرة بجوار الكبد مباشرة . ويتقوس الجدار البطنى ويبرز الأمام ويحدث فراغ فى الجزء الحوضى من التجويف البطنى . ويهبط الرحم إلى الأمام بقدر ماتسمح شرائطه العضلية ويكون جزؤه الأعظم أكبر انخفاضاً وهبوطاً . ويمتد المهبل ، ويبعد عنق الرحم أشد البعد عن فتحة المهبل .

أما أهم نتيجة عملية ، فهى اندفاع الهواء إلى الداخل فى القناة المهبلية بقوة الامتصاص فقد اتسع الممر ، وضغط جداره الخلفى إلى الوراء ، ويملأ الهواء كل الأنبوبة الأسطوانية المهبلية ، وتمتد الجدران وتنبسط ، ويصبح العضو مجوفاً كله (المهبل) شيئاً لا يكونه فى أى ظرف آخر ، إذ

يضحى فراغاً مجوفاً حقيقياً محوطاً بجدران ناعمة ، أما النتوءات والأطواء أو الثنايا التى تميز جدران المهبل فقد زالت ، وصارت ناعمة بضغط الهواء أو صارت أقل بروزاً على الأقل .

ونحن — المولدين والمولدات — نلجأ إلى هـذه الظاهرة فنجعل المرأة تتخذ وضع ذوات الأربع (وضع الـكوع والركبة) حين نفحص أسطح الجدران المهبلية وقد بسطها ضغط الهواء . ويستعمل هذا الوضع فى أعمال جراحية أخرى خاصة بالولادة .

واندفاع الهواء إلى المهبل له تأثير غير مقبول فى الجماع ـ إذ أن امتداد الجدران واضمحلال الثنايا يقللان فرصة تهيج الزوجين بالاحتكاك المتبادل .

ويتحرك الذكر حركة الـكباس داخلاً خارجاً ، وقد يدفع إلى الخارج بعض الهواء من التجويف المهبلى ، فيصاحب ذلك صوت مسموع منفر لا يسر ، يعيد إلى الذاكرة صوت حسيس الآلات وصفيرها.

وإذا عاود الزوجان الجماع بعد حين أو بعد بضع ساعات ، يخرج الهواء من المهبل بصوت مسموع يدعو للنفور والزهد والضيق .

وإذا كانت فتحة المهبل صغيرة ضيقة نسبياً نخطر هذه الظاهرة البغيضة يقل كثيراً ـ لأن أعضاء المرأة تحتضن الذكر وتحيطه إحاطة وثيقة تامة .

أما إذا كانت فتحة المهبل متسعة مرتخية متهدلة الحافة (كما يحدث

بعد الولادة بضع مرات) فلابد من حدوث هـذا الصوت المنفر بعد الجماع باتخاذ وضع ذوات الأربع . ولذلك يحسن الابتعاد عن هذه الطريقة ابتعاداً تاماً فى مثل هذه الظروف .

ووضع الركوع تنويع شائع محبوب . ولعله أول تنويع يتخذه كل زوجين يرغبان فى التنويع وتغيير الوضع المعتاد .

فما السبب ؟

هل التهيج هنا أشد ؟ .

وهل الوضع مريح أو خلاب فتان ؟ وهل منظره جميل من ناحية الذوق الفنى ؟

كلا ، وأعتقد أن النـاس لا يفضلونه إلا لرغبتهم فى التنويع والتغيير والتبديل ، ولـكنهم لا يعرفون تماماً مايريدونه . ولذا يختارون الطريقة التى يلاحظون شيوعها فيما يقل عن الإنسان مرتبة .

ومع ذلك نستطيع إرجاع هـذا الميل البشرى للوضع الحيوى فى الجماع إلى غرائز وراثية يشعر بها الإنسان نصف شعور .

ييسّر الوضع التـاسع دخول المنى إلى الرحم ولا سيما إذا حدث القذف قبل أن تثنى المرأة جسمها للأمام ثنياً تاماً ، وحين تفعل ذلك تنثنى حالاً للأمام فتتلقى السائل المنوى وتبقى هكذا قليلاً .

وطريقة الركوع مناسبة فى أثنـاء الحمل ، لأن وضع الرحم يتغير للأسباب السالفة ولثقله فيبعد عن طعنات الذكر الـكاملة ومع ذلك

يجب اتخاذ الحرص التام فى أثناء الحمل بسبب تباعد الذكر والمهبل ، ولأن الجدار الخلفى المهبلى أسهل تأثراً وأسهل رقة وتعرضاً للإصابة فى المرأة الحامل ، ويجب عدم تعريضه لقوة طعنات الذكر وهى طعنات عنيفة عمودية تقريباً .

١٠ — الوضع الجالس الخلفى

[فى هـذا الوضع الأخير يجلس الرجل ، وتجلس المرأة على حجره ، ويستمر الجماع هكذا . ويفسح الرجل فخذيه قليلا ، ولـكن المرأة تفسح فخذيها إلى آخر الحدود الممكنة ليتيسر الدنو ولينفتح فرجها . وفى الوضع الجالس العادى يميل جسمها للأمام فيتعسر الإيلاج ويتعرض الذكر لفقدان اتجاهه خلال حركات الجماع المنتظمة (الإيقاعية) وعند انفلاته من تحت قوس العانة . ويمكن منع ذلك بأن تزيد المرأة ميل حوضها ، وتقوس وركيها ، وتضغط للخلف فتحة المهبل وتنحنى إلى الأمام بينما ينحنى الرجل للخلف . وباتباع هذا كله يمكن إدخال الذكر إدخالا عميقاً كافياً .]

ويجب أن تجلس المرأة عند أبعد مكان خلفى من الجزء الأسفل من بطن الرجل . وهكذا يشبه هذا الوضع الأخير وضع الاعتلاء من الخلف ، وليس لتنوعه فائدة أو مزايا إذا قورن بالوضع الجالس الخلفى ، ولذا لن نسهب الحديث عنه .

وحين تزيد خبرة المرأة ومهارتها ، تستطيع فى هذا الوضع وفى نوعه الجالس وجهاً لوجه ــ أن تقوم بحركة حلزونية كحركة فتاحة السدادات (فتاحة الفل) فى أثناء دخولها اللولبى الحلزونى داخل السدادة . ويقوى

الرجل هذه الحركة بحركات منسجمة مماثلة ، فتحدث أحاسيس مماثلة لأحاسيس وضع الاعتلاء . ولكن القيام بهذه الحركات اللولبية الحلزونية الدائرية أصعب كثيراً فى الوضع العاشر مما هو فى الوضع الرابع . ولن يستمتع الزوجان به قدر استمتاعهما بوضع الاعتلاء .

ولكن يقابل هذا أن الذكر إذا دخل دخولا كاملاً حتى بعد تعديل وضع الزوجين تعديلا طفيفاً ـ لحدث تناسب وانسجام ، وتوافق وتداخل ، فإذا كان العضوان متناسبين منسجمين لأمكن حك قمة الذكر بثغر الرحم . ويُحدث هذا الاحتكاك تهيجاً حاداً مماثلا لما يمكن حدوثه حين يجلس الزوجان وجهاً لوجه أو فى وضع الاعتلاء حيث يبلغ التهيج أقصاه .

والتهيج فى الوضع العاشر أقل حدة لأن الإيلاج أقل عمقاً ، ولأن الضغط بين قمة الذكر وعنق الرحم أقل شدة واتصالا .

فوضع الجلوس من الخلف أقل مزايا وأكثر عيوباً من سائر الأوضاع والطرق . ولا فضل فيه سوى أنه ييسر الجماع العملى فى وقت واحد مع الملاعبة الشهوية والمداعبة اليدوية(١) .

ويمكن استنتاج وسائل التهيج الموضعى وتعديلها فى الوضع الجالس ـ من وصف طريقة الجماع .

ونلخص الآن أوضاع الجماع المختلفة ومزاياها فى جدول .

(١) مثلا : بدلك البظر أو الضغط على النهدين بيد الرجل .

جدول الأوضاع الممكنة فى المباضعة وأنواع التهييج المناسبة لكل منها وأثرها فى الحمل مع إرشاد وتحذير

الوضع	نوع التهييج: فى المرأة	نوع التهييج: فى الرجل	إرشاد	تحذير
١ـ الوضع العادى الحمل ممكن	معتدل فى كل الأعضاء الجنسية وخفيف فى منطقة البظر	معتدل فى العضو كله	للاستعمال العادى	يحدث الحمل بعد الشهور المبكرة . السمنة .
٢ـ الوضع الممتد الحمل أقل احتمالا	الجدار الخلفى للمهبل منطقة البظر	حافة الجلد الأمامى (٢٤ بالرسم ٧) والسطح الخلفى للعضو	عضو الرجل صغير أو انتصابه غير كامل . لمنع إيذاء البكارة عند الإيلاج . يعدل فى باكورة الحمل . إيلاج خفيف عند التهاب الرحم أو تزحزح المبيض .	الرجل أعلاها طول مدة الحمل بعد الأشهر الأولى مهما اختلفت تعديلات الوضع
٣ـ الوضع المثنى مناسب للحمل	الجدار المهبلى الأمامى الحافة الخلفية لفتحة المهبل لا يتأثر البظر	ظهر القمة السطح البطنى لقاعدة العضو .	حين يكون المهبل فضفاضاً متضخماً متهدلا .	عند صغر الأعضاء الجنسية وفى الحمل ، والالتهاب الداخلى المزمن ، وتزحزح المبيض .

الوضع	نوع التهيج: في المرأة	نوع التهيج: في الرجل	إرشاد	تحذير
٤ـ تباعد الساقين وانفراجهما كما في ركوب الخيل الحمل أقل احتمالا	تهيج قمة الذكر عنقَ المهبل أعظم تهيج ، وتصحب ذلك أنواع التهيج المذكور في ثلاثة الأوضاع السابقة .	مذكور «في المرأة»	حين يشتهي الزوجان بلوغ ذروة اللذة الحسية حين يكون الرجل أقل قوة	المهبل قصير . صغر الأعضاء الجنسية . تجنب هذا الوضع في المرات الأولى من الجماع. الحمل، الالتهاب المزمن، تزحزح المبيض . ليس مناسباً للاعتياد.
٥ـ الوضع الجالس وجهاً لوجه الحمل أقل احتمالا (في الايلاج العميق) وأقل إمكاناً في الايلاج القليل	تهيج البظر عند الإيلاج العميق يشبه التهييج تهيج الوضع الرابع ولكنه أقل قوة . عند الإيلاج الخفيف يشبه تهيج الوضع الثاني	مذكور «في المرأة»	لمنع إيذاء منطقة البكارة بإيلاج عميق إذا لم يكن استمتاع المرأة كافياً وبإيلاج خفيف عند التهاب المهبل أو غيره ، وفي الحمل، والتهاب المبيض وتزحزح المبيض	كل النصائح المناسبة للايلاج « الخفيف » لا تناسب الإيلاج « العميق » :
٦ـ الوضع الجانبي وجهاً لوجه	كالوضع العادي (الأول) تعديلاته أحسن والتحكم فيه أسهل .	مذكور «في المرأة»	للراحة كما في حالة النقه أو التعب وضغطه خفيف على بطن المرأة .	

مناسب [illegible]

الوضع	نوع التهيج: فى المرأة	نوع التهيج: فى الرجل	إرشـــــاد	تحـــــذير
٧ ـ الوضع البطنى (الرقادعلى البطن) الحمل أقل إمكاناً	لايتهيج البظر يتهيج الجدار المهبلى الأمامى وحافة الفتحة وحدها . لا تتهيج المرأة تهيجاً كافياً إلا إذا كانت سريعة التهيج .	حافة الجلد الأمامى . السطح الظهرى للذكر		الحمل ممنة البطن الرجل أثقل وزناً .
٨ـ الوضع الخلفى الجانبى لايقل عن الوضع العادى ١ فى إمكان الحمل .	تهيج ضئيل كما فى الوضع السابق	كالوضع السابق	أنسب الأوضاع إن كان أحد الزوجين أو كلاهما مريضاً أو ضعيفاً . إيلاج سطحى فى الحمل ، والإلتهـاب ، وتزحزح المبيض	

الوضع	نوع التهيج: فى المرأة	نوع التهيج: فى الرجل	إرشـــــــــاد	تحـــــــــذير
٩ ـ الوضع المنثنى من الخلف أقل إمكاناً للحمل	يتهيج الجزء الأكبر من الجـدار المهبلى الخلفى . ويتهيج البظر إذا كانت المرأة فى وضع الكوع والركبة	تهيج عظيم فى ظهر القمة (الفدة) ، وكل السطح الظهرى للعضو . وإذا كانت المرأة فى وضع الكوع والركبة لامس السطح الأسفل من الذكر البظر والعانة	مناسب للحمل . العناية واجبة فى الحمل . وكذلك عند تزحزح المبيض والتهاب الرحم ومايجاوره .	إذا كانت فتحة المهبل فضفاضة متضخمة ، أحدث الهواء شخشخة (صوتاً) . تجنب هذا الوضع خلال الشهرين الأخيرين فى الحمل
١٠ ـ الوضع الجالس من الخلف غير مناسب للحمل	الجدار الأمامى المهبلى . الحافة الخلفية للفتحة . فى الإيلاج العميق يحتك طرف الذكر بعنق الرحم. لايتأثر البظر. يسمح الوضع بملامسة الفخذين والنهدين	الجلد الأمامى (٢٨ فى الرسم السابع) والسطح الظهرى للعضو . وفى الإيلاج العميق ، يتهيج طرف العضو	ننصح بهذا الوضع ، مصحوباً بالمداعبة والملاعبة إذا كان استمتاع المرأة ناقصاً .	لاينفع فى الإيلاج العميق عند صغر الأعضاء الجنسية وقصر المهبل ، والحمل ، وتزحزح المبيض .

أوضاع الخلف : وجهاً لظهر (من الخلف)

ملاحظات نهائية وتلخيص

نختم الآن دراسة المباضعة من ناحيتي الوسائل الفنية والوظائف العضوية ، ولقد صارت الدراسة علماً واسعاً ، ولست آسف على الإطالة في البحث إذ كان لابد أن يكتب هذا البحث يوماً ما بيد أحد المتخصصين .

كان لابد من كتابة هذا البحث للأطباء ولغير الأطباء . أما الأولون فيحتاجون إليه إذ لا يكفي أن يعرفوا أن في العمل الحسي ألواناً من المرض والانحراف . ولابد للطبيب أو الطبيبة أن يعرف معرفة عميقة دقيقة كل ما يتصل بالجماع من أنواع عادية صحية ليستطيع إرشاد من يستشيرونه إرشاداً صحيحاً في كل مايتعلق بالزواج ، وليستطيع (الطبيب) أن يشرح للزوج الأسباب شرحاً مفصلا مسهباً عند الضرورة ، لأن الحقائق المعروفة والألفاظ العادية لن تعجب الزوج وقد يفضل السكوت عليها .

وكثيراً ما يجد الطبيب حالات من المرض ، أو رغبة في ضمان الحمل أو منعه ، أو يشكو الزوجان من الاختلاف الحسي وتهديده سعادتهما الزوجية وإخلاصهما الزوجي وصحتهما البدنية والنفسية أو صحة أحدهما على الأقل ، وحينئذ يجب على الطبيب أو الطبيبة أن يقدم يد المعونة ، وينقذ الزوجين بالإيحاء والإرشاد الدقيق المؤسس على دراسة وظائف الأعضاء دراسة كاملة ولن تواتيه القدرة على المساعدة والإنقاذ إلا بالمعرفة الواسعة والدراسة الدقيقة .

أما غير الأطباء والطبيبات من العامة ، فيهمهم الأمر كثيراً ، فلقد قال بلزاك في أحد أقواله الحماسية عن الزواج :

« المرأة فى الحب قيثارة لاتكشف أسرار تلحينها إلا للقدير الذى يعرف كيف يحركها ، ولا أقصد بذلك العنصر النفسى » .

ولكن من ذا الذى يستطيع أن يلعب بهذه القيثارة الإنسانية الرقيقة لعباً منسجماً صحيحاً ـ إلا إذا كان يعرف كل أوتارها ونغماتها ومشاعرها ؟ لن يلعب بها لعباً ماهراً سوى العبقرى الذى عركته التجارب الطويلة وحنكته المحن والأخطاء الكثيرة !

ولكن المحن والأخطاء فى الزواج أمر مؤلم ثقيل جداً . فالزوج الذى لايريد أن يخطىء والذى يريد أن يسعد حقاً ـ يجب أن يدرس القيثارة وفن الموسيقى . وحتى الآن لم يتيسر له الوصول إلى كتاب للقواعد والإرشاد . وقد حاولت بهذا الكتاب أن أقدم له ماينقصه ، ولكن أريد أن يتذكر أنى لم أكتب الصفحات السابقة ليقرأها قراءة عابرة أو يقرأها لمجرد الاستمتاع ، فالشرف والضمير يمنعانى من الكتابة لهذه الأغراض الرخيصة ، بل لقد كتبت ما كتبت ليدرسه بإمعان وتدقيق وإجلال .

فإذا استوعب القارىء هذه المحتويات[1] ، ففى استطاعته الانتقال من الموضوع الرئيسى إلى ألوان التغيير والتنويع . وإذا تمكن من

---

(١) قال بلزاك : « يجب ألا يتزوج رجل قبل دراسة التشريح ، وتشريحه جسماً نسوياً » ولكن الدراسة الدقيقة تغنى عن التشريح .

الموضوع علماً وفنـاً استطاع دخول جنة الاستمتاع حسب مواهبه ، وسيرى حينئذ أن القيثارة الرنانة أصبحت تفتن افتناناً فى تلحينها ، وتبهجه وتعجبه ، وتفعمه باللذات الطاغية ، شاكرة كلما اختبرها ، وسيشكرها بقوله :

« لم يحدث أبداً أن اتصفت امرأة بصفات المرأة كما اتصفت ياعروسى . ولم تعرف امرأة ماعرفته قط . . لم تعرف كيف تقبلين وكيف تمنحين عناق الحب لذات عظيمة متجددة[1] » .

إن أروع بهجة فى الجماع هى إكمال لذات الاتحاد وتجديدها ، وبذلك نثبت رغبتنا فى منح اللذة والبهجة والسعادة منحاً سخياً ، ونثبت أننا لا نريد الاستمتاع وحدنا ، بل نريد إمتاع الشريك ، وأن الحب الواهب المنعم يرسم تفاصيل الحياة الحسية ، وأن مايبتغيه من اتحاد البدن بالبدن اتحاداً لذيذاً هو اندماج الروحين معاً .

« حين يتحد أحدكما بالآخر ، فاستشعر عظمة ماتفعل فى أثناء العمل ! ولتخلص فى عملك ، ولتبذلن نفسك وعقلك كما تبذل بدنك ! »[2] .

---

(١) من أغنية ذائعة فى جورجيا ، كتبها ا . تلسو ، ونشرتها جريدة « مركورد فرنس » سنة ١٩٠٧ .

(٢) عمر حلبى : « الكتاب » .

الفصل الثاني عشر

الملامسة

المباضعة (الجماع)

الجزء الرابع : أعراضه أخرى فى أثناء الجماع وما بعد النشوة

سنختم الآن علم الجماع بذكر الأعراض التالية التى تحدث فى كل من جسمى الرجل والمرأة . وقد أهمل المؤلفون ما ذكرنا من وظائف الأعضاء والوسائل الفنية ، ولكنهم أطالوا الكتابة عن مظاهر الجماع فى مختلف الكتب الطبية .

وقد رأينا أن الوظائف الجنسية العملية فى أثناء المباضعة هى وظائف غدية (من الغدد) ووريدية وشريانية ، وعضلية وعصبية . وهذا التقسيم صحيح إجمالا فى الجسم كله .

يتأثر نشاط كثير من الغدد ، والغالب أنه يزيد . وإذا تأخر الارتواء الحسى كثيراً توقف تدفق اللعاب بطريقة مؤلمة للغاية[1] . ولكن الاقتراب من ذروة اللذة يزيد إفراز اللعاب كثيراً حتى يلزم البلع بطريقة الانقباض والتقلص .

ويزيد إفراز البول بالتهيج الحسى ، كما يزيد بأنواع أخرى من التوتر النفسى أما غدد العرق فيغزر إفرازها فى اللحظات العظمى وقبلها بوقت قصير ، ويختلف الأشخاص اختلافاً ملحوظاً فى هذا الإفراز ، ولكن العرق يتدفق من الإبطين ومن تجاويف الركب فى كثير من النساء خاصة ، ولا

(١) مقارنة : جفاف الزور عند الرعب الشديد .

يحدث إفراز العرق خلال الجماع وحده ، ولـكن يحدث كذلك خلال الملاعبة بل خلال التمهيد .

يزداد نشاط الإفراز فى الجسم كله ويتعاون مع غدد الجلد فى جذب المحبوب وتهييجه (وهذا عمل طبيعي غير شعورى) بالتأثير فيه بالروائح ، وقد أدركنا قوة الشم والروائح فى الإيحاء الحسى .

ويحدث تغير آخر فى الدورة الدموية ، إذ تنقبض الأوعية الدموية الدقيقة وتنبسط ، فيحمر الجلد احمراراً عميقاً (كما فى الخجل) ثم يعقبه شحوب شديد ، ويحمر بياض العين ، ويزيد ضغط الدم ، وتقوى ضربات القلب وتصبح أشد وأسرع .

تزيد كل هذه المظاهر زيادة مستمرة بازدياد التوتر البدنى، والتهييج الشعورى . وتبلغ هـذه الأعراض أقصاها قبل ذروة اللذة مباشرة ، وتستمر على أشدها فى أثناء ذروة اللذة ، ثم تبدأ الهبوط التدريجى بهبوط المشاعر والأحاسيس . فالخط البيانى الذى يمثل هذه الأعراض يوازى تقريباً خط الجماع العادى .

وتضطرب الدورة الدموية اضطراباً شديداً بمـا يبدو فى التنفس من أعراض غريبة ، فحين تقترب الأحاسيس العظيمة يصبح تنفس الزوجين سريعاً غير عميق ، ويزداد اضطرابه ، ويذهب انتظامه ، ويحدث مايعوق الاحتراق الداخلى فيتراكم ثانى أكسيد الـكربون

فى الدم ومن خواصه أنه ينشط (يهيج) المراكز المخية التى تتحكم فى ضغط الدم وفى تدفق الدم . وهذا يؤثر فى الأنسجة المفعمة بالأوعية الدموية فى الأعضاء الجنسية (عضو الذكرة ، والبظر ، وبصل الممر) ويزيد تضخمها الذى يبلغ غايته حين تبدأ ذروة اللذة . فاضطراب التنفس وعدم عمقه يساعدان على تنشيط العمل الحسى فى كلا الزوجين .

أما ازدياد الضغط فليس من العوامل المساعدة ، ولعله من سوء حظ الزوج ، فكثيراً ما أحدث شللاً فى كثير من الرجال متوسطى السن ذوى الأوعية الدموية الجامدة فى أثناء الجماع .

وتلعب العضلات دورها كذلك ، وهو دور معقد يحتاج إلى تعاون العضلات وانسجامها فى العمل . والأعمال التى تحدثها إرادية وبعضها أفعال منعكسة تحدث آلياً فى أثناء الجماع ، وهناك أعمال خارجية مجهدة تحدث شعورياً وقد تصير تشنجاً أو تقلصاً فى أثناء ذروة اللذة أو قبلها . وهى فى الواقع تعقب ميلاً إلى الزيادة الحادة ثم يعقبها ارتخاء أو انبساط .

وأهم هذه الأمثلة حركات التشنج فى العيون والجفون ، وهى تميز ذروة التهيج الحسى ، وهى علامة لا يخطئها الزوج فى زوجه ، (أو فى زوجها) . وتحدث فى بعض الأشخاص آلام شديدة تشل الحركة ، ويغلب أن تحدث هذه الآلام والتقلصات فى الفخذين والساقين ، ويكثر ظهورها فيهم بدرجة لا تسر .

وفى خلال العمل الحسى يكثر صدور الصيحات الخافتة والتنهدات والتأوهات ، والأصوات التى لا تفصح عن مشاعر أو أفـكار .

وكذلك تتعاون العضـلات غير الإرادية فى الأعضاء الجنسية نفسها ، ولهذا التعاون أهمية عظيمة ، كما تتعاون على الأوعية الدموية فتحدث فيها ضعفاً دموياً زائداً وتغيرات فى الدورة الدموية . ولهذه العضلات غير الإرادية حركات تشنجية متكررة تؤدى إلى إخراج الغازات من الأمعاء ، وعدم التحكم فى البول ، وانقباض المثانة انقباضاً تشنجياً ، وبالطبع لا يحدث تبول فى أثناء الجماع لأن طبيعة الانتصاب تغلق الجزء الأمامى من مجرى البول . أما إذا ارتخى عضو الرجل ، وهيجته يدٌ بعد الجماع ، فقد يحدث التبول قبل تمام الانتصاب . .

ولـكن الأمر يختلف فى المرأة لأن تضخم أنسجتها المنتصبة لا يعوق التبول ولا يسد المثانة ، ولذا فقد يخرج البول فى نقط صغيرة دقيقة عند اشتداد تهيجها . ولعل انقباض الأمعاء الغليظة أو المثانة أو انقباضهما معاً يرجع إلى امتداد التهيج من المراكز العصبية الجنسية إلى المراكز العصبية فى الأعضاء المجاورة .

فمن المظاهر المثالية التى تميز أعمال الشهوة الحسـية انتقال المشاعر من المناطق العصبية المتأثرة ، وغزو قلاع ومناطق جديدة فى المخ والنخاع غزواً تدريجياً بهذا الدافع الحتمى المسيطر القوى .

قال لوشياني : « يبدأ (الدافع الحسي) في فصوص المخ الخلفية ، ويكتسح مراكز السمع والبصر منتقلا إلى الفصوص الأمامية المتحكمة في مركز الحركة واللمس ، ومن ثم إلى مراكز الشم ؛ ثم تنتقل في أثناء العمل الحسي مزهوة منتصرة خلال العمود القوي بأكمله » .

ويؤثر التهييج الحسي في الجهاز العصبي كله تأثيراً شديداً ، ويظهر أعراضاً عامة ولا موضعية كثيرة ، فالأعراض التي تبدو في الدورة الدموية والغدد ـ والحركات ـ كلها تنبع عن أصل عصبي .

وتتأثر الحواس الخمس كلها تأثراً شديداً ؛ فحدقة العين يزيد تأثرها بأشعة الضوء ، ويتمدد إنسان العين حين ينقل ذروة اللذة فيتألم أشد التألم إذا أصابه ضوء ساطع باهر ، وتتعاون هذه الحساسية الشاذة مع التشنجات العضلية فتحدث مايبدو في العين من إفصاح وتعبير وانفعال شديد وكلها مما تمتاز به « ذروة اللذة » .

وتزداد حاسة الشم إرهافاً ، وهناك أفعال منعكسة لاتفصح عن شيء من الأفكار والمشاعر ، وهي أشد ظهوراً في المرأة منها في الرجل ، وهذه الأفعال المنعكسة تثبت العلاقة بين الأعضاء الجنسية وبعض مناطق الغشاء المخاطي الأنفي . وتحدث في أثناء الجماع مظاهر تدل على هذه العلاقة ، ومنها العطش ومشاعر الشم القوية .

وكذلك تشتد حاسة السمع .

ولكن أكثر الحواس تأثراً بالانفعال الحسى هى حاسة اللمس وهو أمر ملحوظ فى أثناء التمهيد للاتصال ، ويزداد بالتدريج حتى يبلغ اللمس أشد درجات الإرهاف فى أثناء العمل (الحسى) . ويظهر فى الجسم خَدَرٌ « تنميل » له أصداء وانفعالات تزيد التهييج الحسى وتقويه ، وهو يتركز على الأخص فى الأعضاء الجنسية نفسها ثم ينفجر ذروة اللذة .

وعلى ذلك لا يخلو هذا القول من تناقض شديد ، فبالرغم من اشتداد قدرة الحواس على استقبال المشاعر فى أثناء التهيج الحسى ، لا يعير الإنسان فى هذه الحال أى انتباه لما يحيط به من أشياء كانت تثير أشد انفعالاته فى الظروف الأخرى ، فكأنما يصاب الإنسان فى أثناء التهيج الحسى بالعمى والصمم ، فلا يرى من العالم شيئاً ولا يكاد يسمع منه أى صوت ، وقد يقاسي أشد الضربات والآلام ، ولكنه يتجاهلها لأنه لا يريد إعارتها أى اهتمام . وحتى لو زاد إحساسه بالألم نتيجة اشتداد مشاعره الحسية اشتداداً وقتياً ، فإنه يتعمد شل شعوره نحوها ، لأنها قد تعوقه عن هدفه الرائع العظيم الذى يجذب كل قواه . ففى الاتحاد الحسى يصبح الجسمان والروجان شيئاً واحداً ، وتنصرف وظائف المخ والتفكير المعتادة إلى المشاعر الحسية العظيمة وتتعاون معها الإرادة والخيال ؛ بل يذوبان فيها .

فى هذه اللحظة الحيوية النشيطة الرفيعة ، وعند اقترابها ، تزيد درجة الجاذبية والسحر البدنى حتى أقصاها ، وتفيض الألوان بالحياة ؛ وتكبر العينان ويشتد تألقهما ، وتشتد عضلات الوجه ، ولذا تزول التجاعيد والخطوط من وجوه الرجال المتوسطين فى السن ، الغارقين فى الهم ، ويمتد الشباب إلى محياهم نضراً رقراقاً . وتستمر هذه الفتوة العابرة لحظات قليلة ساحرة ، حتى تقبل ذروة اللذة فتظهر مزايا الجنسين : قوة فى الرجل ، ونعومة ورقة وتعبيراً فى المرأة[1] .

إن الوظيفة الحسية تستغل الجسم والروح معاً ، فلا عجب إذا أدت هذه الوظيفة إلى الاجتهاد والتعب .

ولكن يجب أن نفهم هذا الانفعال وندرسه دراسة صحيحة مفصلة ونتأكد من أن الاتصال الحسى العادى متعب وليس ذلك بسبب إجهاد العضلات ، ولكن لكثرة مايتطلبه من الأعصاب . والارتخاء المفاجىء بعد التوتر الشديد لا يحدث تعباً فقط ، بل يؤدى إلى درجة من الإجهاد كالتى نلقاها فى سائر الوظائف ، ولا سيما العقلية والنفسية .

وكلما زاد التوتر اشتد هبوطه المفاجىء ، واشتد الإجهاد والإعياء ، ولهذا نرى أن الجماع السريع (المقصود به مجرد « التفريغ » البدنى !) والذى لاتصحبه المؤثرات المهيجة يكون أقل إجهاداً (لمدة قصيرة) من

---

(١) يقارن وصف هافلوك إليس : دراسات نفسية فى الحياة الحسية .

جماع بين زوجين متحابين يشتركان فيه بروحيهما وبدنيهما ، ويساهمان فيه بالفن الرفيع واللذة الطاغية القصوى . (وهذا مايفسره العامل الأول) .

وأما العامل الثانى فيشرح لنا حقيقة قديمة خالدة عرفها العالم كله ، وهى أن المرأة التى تذوى لذتها برقة وبالتدريج (يقارن الرسم ١) تقل عن الرجل تعباً وإجهاداً ، ولا شك أن رجلا هو الذى قال الجملة الشهيرة : « بعد الجماع تحزن كل المخلوقات » ،

ويندر أن يكون التعب مفرطاً مؤلماً ، فالشعور الحادث بعد الجماع شعور ناعس حالم يدفع إلى النوم . أما إذا أرهق الجسم إرهاقاً زائداً بتكرار البضاع تكراراً سريعاً جداً ، أو باندفاع الجسم إلى الجماع وهو لايزال فى تعب إثر جماع سابق ، فحينئذ يشعر الجسم بالتعب العظيم ، بل يشعر بانهيار نسبى (ولو أنه وقتى) ، ويعلل هذا الانهيار مايحتاجه الشريك النشيط (الرجل) من بذل جهود ضرورية خاصة .

ويمكن أن يحدث هذا الإجهاد ضرراً ملموساً ، ولكنه نادر جداً ، وذلك حين تجتمع أسباب الإجهاد والإعياء ، كأن يطالب جسم ضعيف أو مريض بتأدية مغامرات عنيفة زائدة . ومع ذلك فالغالب أن النشاط الحسى المعتدل لايؤذى أحداً ولو كان مريضاً .

وللاتحاد الحسى تأثير مفيد فى عقل الزوجين وبدنهما ، لاسيما حين تعقب الارتخاء الناعس راحة قصيرة ، ولا ضرورة للنوم الفعلى ،

فينشأ لون من الشعور بالرضا العميق والاتزان ، والهدوء البدنى والعقلى والثقة بالنفس والقوة مما يصعب بلوغه بكل هذا الكمال بأى وسيلة أخرى . وأعظم متعة يتذوقها البشر هى التى يتذوقها كل زوجين يتبادلان الحب حقاً فى فترة الراحة والتأمل بعد المجامعة .

وهناك لذة تفوق كثيراً تلك اللذة العظيمة الشاملة التى يستمتع بها الزوجان وقت بلوغ ذروة اللذة ، وهى اللذة التى تملأ الفترة التالية للجماع ، فلذات هذه الفترة تربط كل محبين ، إذ يرقدان متعانقين جنباً إلى جنب بينما تعمل الطبيعة عملها ، فتروى أحلام اليقظة أفكارهما ، ويعود التفكير إلى الاستمتاع باللذات والأفراح التى انغمسا فيها منذ حين ، وتلتقى روحاهما وتتحدان ، ولو أنهما غير متحدين بدنياً .

وهذا أول أطوار النهاية ــ أول أطوار مابعد النشوة .

الملاعبة بعد المباضعة

هذه الملاعبة عمل هام ضرورى فى العلاقات الحسية ، والمؤسف أنه لاينال إلا أشد الإهمال . ومن عادة كثير من الرجال أن يتباعدوا بعد الجماع مباشرة ، وهو أمر شائع حتى فيمن يحبون أزواجهم ، ولا سبب لذلك سوى الجهل أو الإهمال ! يدير الرجل وجهه ويبدأ الشخير بينما تشعر زوجه بهبوط تلهفها الحسى (أو تطلعها الجنسى) هبوطاً تدريجياً ، وبذلك يحرم الرجل نفسه من أعظم المتع العاطفية والنفسية ، كما يفسد

تأملات الزوج التى تحبه أشد الحب ، إذ يظهر أنه لايعرف شيئاً عن طبيعة المرأة ، وحنانها الجميل وحنوها الرقيق فى الحب ، وعن التقدير العظيم الذى يبعثه فيها الاستمتاع الحسى . وعن حاجتها إلى المداعبات والقبل والـكلمات الحارة التى تدوم زمناً أطول مما تدوم ذروة اللذة . يبدو كل هذا سراً مغلقاً أو كتاباً مغلقاً لهذا الزوج الجاهل .

إن فترة الملاعبة بعد الجماع تثبت إذا كان الرجل إنساناً ناضجاً متحضراً من الناحية الحسية الشهوية (أو هو ليس كذلك) .

يجب على الرجل الاستمرار فى إمتاع زوجته وملاعبتها بعد إشباع رغباته . وما أسهل هذا الواجب ! يكفى أنه يمنحها كلمة حب أو قبلة ، أو لمسة رقيقة ، أو عناقاً .

يكفى المرأة المحبة أن تعرف أن الأمر بالنسبة له كذلك لا ينتهى مرة واحدة بزوال عاصفة اللذة القصوى « ذروة اللذة » ، ويكفيها أن تعرف أن سعادته تستمر وتتجاوب أصداؤها خلاله — كما تتجاوب وتستمر خلال بدنها ونفسها ، وهى لاتشتهى شيئاً أفضل من إتاحة الفرصة لإثبات اللذة القصوى التى بعثها فى أرجائها .

و «الملاعبة بعد الجماع» مهمة ضرورية جداً للجماع المثالى ، ولا سيما أنها تحتم اشتداد الحب والشغف ، وتؤكد فرط الحب والوله .

و « الملاعبة بعد المبـاضعة » جزء رئيسى من الاتصال الجنسى إذ

يتبادل فيه الزوجان المشاعر الرقيقة السامية وألوان العاطفة الحانية. ولا يقلل من قيمة هذا التبادل أنه يقوم فى أغلبه على العنصر النفسى، وأن الملامسة البدنية ليست إلا شيئاً ثانوياً، بل إن اعتماد هذا الطور على الناحية النفسية يجعله أرق الأطوار وأكثرها روحاً وعاطفة وإيثاراً.

ولهذا لانستطيع الإطالة فى الحديث عن هذا الطور، لأن الحديث عن وسائله الفنية لن يكون حديثاً بدنياً، بل نفسياً. ولن نعطى الحديث حقه إلا بدراسة نفسية كاملة للحب فى أرق صوره وأدق تياراته، وأعمق خفاياه المتعارضة والمتناسقة، وليس هذا مجال حديثنا.

ولذلك أقصر الحديث على اقتراح واحد هو تنمية هذا الجزء من العلاقات الحسية بأعظم عناية ودقة! دون إفراط، فى الوقت نفسه!

وإذا كانت المبالغة مكروهة فى كل مجال، فإنها مكروهة هنا أكثر وتحتاج الناحية النفسية إلى أعظم قدر من اللباقة والرشاقة.

ويمكن إجمال فن الملاعبة التالية للجماع بأنه إطفاء لحالة التهيج وإنقاصها بالتدريج، وإعادة الأحوال إلى الاتزان العادى والكبح الطبيعى. والغرض المثالى من هذا كله هو الارتخاء الهادىء والتأمل الساكن.

ويجب أن تنسجم الطرق المستعملة مع ضرورات البدن وحاجاته فهذا الشرط ضرورى فى هذا الطور، كما هو ضرورى فى الأطوار السابقة. والقاعدة الذهبية هى عدم الالتجاء إلى أى تهييج قوى قد يزعزع

ما يرمى إليه الزوجان من عودة الاطمئنان والهدوء التام : فحين يعود السكون الشامل والكبح الكامل يجب عدم إحداث أى تهييج يحيد بالزوجين عن الهدف .

وإذا كان الزوجان فى مقتبل الشباب وعنوانه ، فقد يفضلان التهريج والتنكيت ، والضحك والملاعبة بعد ذروة اللذة العاصفة ، وقد يستمران فى ذلك حتى تهب عليهما موجة جديدة من الشعور تصل بهما إلى الذروة . وقد يكون الزوجان أكثر نضوجاً وأوفر حيوية فيبدآن الملاعبة الشهوية من جديد قبل أن تنتهى موجة الهبوط .

وفى هاتين الحالتين ، تتأخر الخاتمة ، ولكن هذا التأخر لا ينفى القاعدة الذهبية ، وهى أن الهبوط النهائى أو نهاية المناسبة الشهوية يجب أن تعقب ذروة اللذة مباشرة ويجب عدم تأخيرها بتهييج جنسى جديد .

أما الوقت الذى تستغرقه الملاعبة بعد الجماع ، فلا يمكننا تحديده ، لأننا لا نستطيع تحديد نهايتها . وفى الزواج المثالى تتحول غير ملحوظة إلى تمهيد لجماع جديد . ولو طالت الفترة بين مناسبتين فإن ذكريات المناسبة السابقة وأصداءها تظل حية باقية فى كلة حب أو نظر أو همسة حلوة تذكر الزوجين بمتعة مشتركة وأمل عذب فى تجديدها .

ولو ذهب هذا الأمل سدى ، أو افترق الزوجان إلى الأبد ، لبقيت الذكريات الحلوة والإحساس بالشكر الجزيل ، والاعتزاز والزهو

والابتهاج مادامت النفس تتذكر أى شيء ، ولن تخمد أبداً أصداء هذه السعادة التى لا مثيل لها .

وإليك قبساً من الكتاب الرابع من سلسلة الكتب التى أرسلتها « هلويز » إلى زوجها « أبلار » بعد انقضاء سنوات طويلة على فراقهما الذى اضطرا إليه اضطراراً :

« حقاً ! إن ملاذ الحب التى استمتعنا بهـا معاً عزيزة إلى نفسى ، حبيبة إليها . حتى إنى لن أستطيع أبداً أن أفقد لذة الاستمتاع بها ، ولن تزول هذه الملاذ من مرآة ذاكرتى .

ومهما تلفت ، فإن هذه الملاذ تمثل أمامى ، وتتيقظ الشهوات القديمة وقد أتحسر على ما فعلناه معـاً ، ولـكنى أتنهد وأحزن لأننـا لا نستطيع أن نفعل مثله من جديد !

إنى لا أتذكر فقط أفعالنا معاً ـ أنت وأنا ، ولـكنى أتذكر كل مكان وساعة حدثت فيها أفعالنا . إنهـا مطبوعة مع صورتك فى أعماق نفسى ، ولذلك أحيا معك فى هذه الذكريات لحظة لحظة مرة ثانية . وهى لا تسمح لى بالنوم ، أو الراحة ، أو النسيان .

وكثيراً ما يهتز بدنى ، ويخوننى ، فيكشف رغبـة نفسى ، وتخوننى الألفاظ ، فتفصح عما لا أستطيع أن أقوله . »(١)

---

(١) مترجمة عن اللاتينية ، وتقارن بآخر قصيدة توماس هاردى : « تأملات زهرة ثائرة » .

أقوال مأثورة

١ — يشيع بين معظم الرجال جهل بوظائف أعضاء المرأة ، وهو جهل مطلق لا يصدق . (كاميل موكلير)

٢ — ستحبون يوماً ماوراء نفوسكم ، فتعلموا الحب أولا ! (نيتشه)

٣ — إن من يتعلمون الحب سيكونون دائماً معلميه .

(برناردى — دون جوان)

٤ ـ إذا كتب لك أن تكون معشوقا ـ فاعشق ! (سنكا)

٥ — هذه قصيدة كاملة توقظ التطلع والتلهف ، لتنعشها وتنميها ، وتزيدها وتهيجها وترضيها . (بلزاك)

٦ — الحب حق لا يحرم منه محب ،

لن يستطيع المحب أن يستمتع بالمحبوب استمتاعاً كافياً ،

(من قانون الحب فى القرن الثانى عشر)

٧ — ما أقل حب من يستطيع بالكلمات أن يفصح عن حبه ومقداره ! (دانتى ـ الحياة الجديدة)

٨ — بالزواج وحده تكمل المرأة الرجل ، ويكمل بها . وكمال البشر يتكون بالرجل والمرأة معا . (هيل)

٩ — الفرح كمال . (سبينوزا)

١٠ — لا أعرف إذا كنت متخبطاً فى الخطأ ، ولكنى أرى أن المسألة الحسية جذر وزهرة .

ومع أن الإنسان يعمل ليلا ونهاراً لصالح الإنسانية ، ومع أنه يضحى بالطيبات ، بل بالحياة نفسها ، فى سبيل ذلك ، إلا أن ذلك كله يبدو عبثاً إذا أهمل الإنسان الوظائف الحسية أو قلل من شأنها ، فهى معيدة الشباب إلى الأبد ، وهى المدرسة الأولى لتعلم التضحية والإيثار الحقيقى .

« س . هـ . ربنج » : (الصحة الجنسية)

(ربنج كاتب سويدى مشهور فى المسائل الحسية)

١١ — أثمن مباهج الحس تصدر عن القلب والخيال . (دفو فنارج)

١٢ — يستوى شغف الزوج وشرفه إذ يحتمان عليه معاً ألا يسمح لنفسه مطلقاً بأى استمتاع حسى لم يدفع زوجه إلى اشتهائه .

١٣ — أعف زوج تستطيع أن تكون كذلك أشد النساء شهوة واستمتاعاً (فهذا حقها ، والاستمتاع والعفة لا يتعارضان) .

١٤ — إذا كان ثمة تنويع واختلاف بين مناسبة حسية وأخرى (كما فى النغم) ، فالرجل يستطيع دائماً أن يستمتع بالسعادة بين أحضان امرأة واحدة لا تتغير .

١٥ — تبدو عبقرية الزوج فى سرعة تفهم ألوان المتعة وظلالها فى الحب ، وفى السيطرة عليها وتنميتها ، وفى الإفصاح عنها إفصاحاً فريداً موحداً . فإذا لم يكن بين الزوجين حب ، فليست هذه العبقرية إلا لوناً من الإثم والدنس ، وإذا ساد بينهما الحب فلن تكون إثماً .

١٦ — دور المحب أيسر من دور الزوج ، فمن واجب الزوج إظهار الذكاء كل يوم وهو أمر صعب بكثير من نطق الألفاظ الحلوة المعسولة من وقت لآخر . (خمسة الأقوال الأخيرة منقولة عن بلزاك)

١٧ — لنخلع ثيابنا ، فيلقى الجسم المحب عارياً جسم المحبوب العارى فى معانقات الحب . (بولس سلنتريس)

من « لمحات غرامية يونانية » قبسها كرل برزندز

١٨ — ليعرفن كل منكم نفسه ، فالعاقل من تخير لنفسه ما يناسبه ، ولن تُسعد الجميع بهجةٌ واحدة . « أفد » (فن الحب : السفر الثالث)

١٩ — لا تسرعن فى الخطو مهما دفعتك العاطفة ، فربما كانت المرأة التى تحبها متأخرة عنك أشد التأخر ، و إذا شئتما الطيران؛ فحلقا معاً ! ولتمتزجا لحماً وعقلاً فى لحظة واحدة من العناق الممتع الرائع .

« أفد » (فن الحب : السفر الثانى)

٢٠ — حين ينطلق الزوجان من القيود يندفعان فى ملاعبات الحب ومداعباته اندفاعاً يمثل أرفع ألوان النشاط الإنسانى التى تواتى النفس والبدن . و يتبادلان كأس الراح المقدسة التى تحمل أشد اللذات وأبهج المتع التى يمكن أن تخطر ببال رجل أو امرأة .

(« هافلوك إليس » وظائف الملاعبة الحسية)

الزواج المثالى

السِّفر الرابع

• النظم الصحية فى الزواج المثالى

الحب المتبادل بين الرجل والمرأة يحدد مجال الحياة المشتركة بينهما — خلقياً وصحياً . « فيرى »

النظم الصحية فى الزواج المثالى

تعريف الموضوع وتحديده وتنسيقه

علم الصحة الزوجية يضع مجال الحياة المشتركة المتبادلة فى وضع صحيح ويحسن صحة الزوجين فيسعدهما فى حياتهما المشتركة ، ويجنبهما كل مايعرض صحتهما وسعادتهما للخطر ،

فهو يشمل كل النظم الصحية الحسية وكثيراً من نواحيها النفسية . ومعالجة الموضوع كله تخرج عن أهدافنا ، ولذلك نقصر هذا الكتاب على النظم الصحية الجنسية فى الزواج ـ بمعناها الدقيق المحدود .

ويمكن تقسيم هذه النظم إلى قسمين هما : الصحة البدنيـة ، والصحة النفسية . ولكن يجب ألا ننسى أن العوامل البدنية والنفسية تتفاعل ويتأثر بعضها ببعض ، ولا سيما أن وظائف الجسم الحسية لها دائماً عنصر نفسى قوى فى كل زوجين يتبادلان الحب ـ أى فى (الزواج المثالى) .

البكارة ومعناه الانتقال من حال إلى حال ، و بدء فصل جديد من أهم فصول الحياة النسوية ومن أهم الحوادث فى حياتها ، وهو حادث فريد ، فهو الترحيب بالأعمال الحسية النشيطة ونتائجها وواجباتها أخطارها .

وعلى أى حال ، فإذا كان هذا الخوف الحائر غير إرادى أو غير شعورى أو إذا كان شعورياً ، فهو شىء يجب إدراكه واحترامه . وليس معنى هذا أن يقابل الفتى العروس بالخضوع أو العطف المفرط المنطوى على الغباوة والحماقة والضعف أو الشفقة فى غير موضعها . ولكن يجب عليه إظهار رقة المعاملة ودقة التقدير ، وعليهما تتوقف كثيراً سعادة عروسه وسعادته ــ فطريق الزواج تحدده ليلة الزفاف .

العقبة البدنية التى يلقاها الفتى هى غشاء العذراء وحده ، إذ يجب ألا يلقى من عروسه معارك دفاعية ، وحركات اشمئزاز ونفور ، أو فخذين ملتصقتين لا تنفرجان ، فإذا ظهرت هذه الأعراض المثبطة فإنها تدل على أن العروس لم تستعد استعداداً نفسياً كاملاً ، وأنها يجب أن تدلل حتى تذلل . ويجب ألا يحاول الفتى مطلقاً تمزيق الغشاء حتى يرى من عروسه استعداداً كاملا بعد تدليلها وتذليل مقاومتها . ولذا يقول بلزاك « يجب ألا تبدأ زواجك بحادث اغتصاب » وأعتقد أنه لو حدث الاغتصاب لانتقم الزواج لنفسه انتقاماً يدوم سنوات كثيرة .

ذكرنا الضرورات الأساسية اللازمة لهذا العمل الفنى الحتمى فى

الفصل الحادى عشر ولا نحتاج هنا إلا إلى ذكر أن الذكر يجب أن يتقدم من أعلى إلى الأمام - حين ترقد المرأة فى الوضع « العادى » بحيث تنزلق الغدة فى الممر ثم فى الفتحة الصغيرة الموجودة حتى فى العذارى . و بينما يستمر العضو فى الضغط - ليغزو الجسم النسائى ، يمتد الغشاء العذرى امتداداً شديداً ، ثم ينشق عادة فى موضعين ، على اليسار واليمين إلى الوراء ، وهو أمر يؤلم المرأة إيلاماً قصيراً عابراً تحتمله ذات الغشاء الرقيق العادى والإحساس العصبى المتوسط .

و يستطيع الزوج إنقاص فترة الألم فى لحظة الإيلاج - لو قابل مقاومة الغشاء بحركة ضاغطة أمامية سريعة بدون خشونة ولكن فى عزم وتصميم . وتستطيع العروس أن تساعده إذا هى لم تصرخ ولم ترتد إلى الوراء مذعورة وجلة ، بل تحاول أن تقابل حركات عروسها بأن تدفع جسمها نحوه بحركة سريعة خفيفة ، فسرعان مايتمزق غشاؤها و يدخل العضو فى بدنها .

وتفقد المرأة دماً من التمزقات الصغيرة الحادثة فى الغشاء ، ولكن خسارتها من الدم بسيطة وسرعان ماتقف . أما الأحوال الشاذة التى يطول فيها الإدماء و يغزر ، فيجب فيها أن ترقد العروس ساكنة على ظهرها ، وتضم ساقيها ولا تلمس جراحها . لا تحاولى تجفيف الجروح لأنها ستتوقف من تلقاء نفسها ، و يندر أن تحتاجى إلى طبيب .

وإذا لم يتمزق غشاء العذراء بسهولة وسرعة، فيجب ألا يحاول الفتى الإيلاج، بل يؤجله إلى اليوم التالى أو مابعده؛ لأنه إذا استمر فى محاولاته مدة طويلة، أو كررها بعد فترة قصيرة، أو لجأ إلى العنف، فلن يجنى من ذلك غير زيادة حساسية عروسه للآلام وزيادة خوفها العصبى، وبذلك يزيد الصعاب ويضيع فرصة النجاح فى الإيلاج وإزالة هذا الحاجز بسهولة. و «الضغط إلى الأمام بعزم» يجب أن يتم بدقة وعناية، بحيث يمكن الامتناع عنه فى الحال إذا بدا أن الغشاء متين أو كان الألم شديداً أو كانت العروس خائفة شديدة الوجل.

تقول ستيلابرون: لن تشعر امرأة بالنصيب الأولى من حلاوة الحياة وبهجتها إذا لم يدخلها زوجها فى العلاقات الحسية بمنتهى المهارة والتدريج. والمحب الممتع الموفق يجب أن يتصف ببعد النظر وحسن الإدراك بجانب الذكرة وحرارة العاطفة، ويراعى وحدة عروسه وعزلتها، ويستطيع ضبط نفسه ضبطاً تاماً. وسيرى أن لذته الخاصة وسعادته الشخصية ستكون أكمل وأمتع فى النهاية.

ويقول عمر حلمى الحكيم المسلم فى (الكتاب):

وإذن يجب أن تتقدم إلى الأمام مشفقاً حذراً بغاية الحكمة والتعقل ولا تضغط ضغطاً عنيفاً مندفعاً لتتغلب على المقاومة المرتعشة التى تتلقاها من حاجز العذراء. تعلم كيف تضبط جماح رغبتك القوية. وإذا كانت الصعوبة كبيرة، فلا تتردد فى إرجاء حق الدخول إلى الليلة التالية أو الليلة الثالثة.

ما أحكم الشرقيين! وما أذكاهم وأرق شعورهم فى هذه المسألة،

وفى كثير من أمور الحب إذا قورنوا برجالنا الغربيين الذين يتجاهلون كل الاعتبارات ولا يهتمون إلا بحقهم فى اللذة ـ خوفاً من أن تظن بهم الظنون ، ولئلا يقال إن الفتى عاجز رخو لا يصلح . إن كثيراً من الأجناس والطوائف الدينية والاجتماعية تنصح بتأجيل المضاجعة الأول يومين أو ثلاثة أيام بعد الاحتفال بالزفاف . ويقول بلوس بارتل فى كتابه « المرأة » : إن العروسين فى أرخبيل (بندا) لا يتجامعان إلا بعد مرور ثلاث ليال تنام فيها امرأة عجوز أو طفل صغير بينهما .

وإذا تم الإدخال (الإيلاج) بنجاح ، فلن يحتاج الأمر عادة إلا إلى حركات قليلة ليتم القذف لأن العروس يكون حتما فى أشد حالات الهياج . ومن المحتمل فى هذه المرة أن الاحتكاك الناشىء من هذه الحركات لا يكفى لإبلاغ العروس (المرأة) ذروة اللذة . ولو اشتد تهيجها الحسى بدرجة كبيرة، فإن الصدمة النفسية البدنية تقلل كثيراً من لذتها وشهوتها ، فالفرصة ضيقة محدودة ، لاتسمح بإمتاعها فى الاتصال الحسى الأول الذى يخلق منها امرأة. ولا أنصح بمحاولات الاحتكاك الطويل لإبلاغ المرأة ذروة اللذة ، فالجروح الصغيرة الحديثة الناشئة عن إزالة الحاجز العذرى يجب ألا تمس أكثر من الواجب ، ففى هذه المرة وحدها أرى أن التئام الجروح التئاماً سريعاً أهم من استجابة المرأة استجابة كاملة للملامسة واستمتاعها بها . أما فيما عدا هذه

المرة ، فيجب أن تستمتع المرأة بالجماع استمتاعاً كاملا ، وتستجيب له استجابة تدل على مشاركتها فيه . وقد أكدت ذلك وأوضحته كثيراً .

ألا يستطيع الرجل إمتاع العروس إمتاعاً كاملا بعد إزالة غشائها العذرى ليضمن استجابتها ومشاركتها وارتياحها ؟ ألا يلجأ العروس إلى إثارتها إثارةً حسية بالتقبيل الحسى أو الملامسة بالإصبع ؟

إذا رأى الزوج بعد القذف أن عروسه قد تهيجت بدرجة تجعلها تشتهى بلوغ ذروة اللذة ، وكانت العلاقة الزوجية بين العروسين الفتيين وثيقة بحيث لا يتعارض التحفظ الغريزى مع رغبتها ، فتتحتم الاستعانة بالتهييج الجنسى حتى تبلغ العروس ذروة المتعة ، ولكن يجب حصر التهييج فى البظر ، دون أن يمس غشاء البكارة ولا مدخل الفرج .

هل يجب التمهيد للملامسة الأولى بالتهييج الجنسى ؟

يتوقف هذا على العروس وحالها النفسية ، ومع ذلك أميل إلى المعارضة فيه لأن النتيجة الحسية تمحوها تماماً آلام إزالة العذرة . والأحسن أن يكتفى أول جماع بإزالة العذرة وافتتاح الممر الحسى .

وإذا حاول الرجل الإمعان فى نشاطه فى هذه المناسبة الحرجة ، فقد يسىء بذلك إلى عروسه ، ويثير اشمئزازها ويضايقها ويجرح حياءها وهو حياء عروس خجول عذراء لم تجرب شيئاً مما تجربه فى هذه

اللحظة ، فيجب أن يمتنع الرجل عن ذلك النشاط لأن الموقف عصيب خطير بما فيه من عوامل ومعارك نفسية ! وحياء المرء حلو ثمين ، فيجب على الزوج إظهار احترامه وتقديره لحيائها (ولو استهانت به العادات والملابس الحديثة) . وليكن جماح نفسه فى فترة التدليل التى تمهد للبضاع الحسى الأول ، وهو تدليل موضعى .

ويجب أن يخصص معظم وقته وجهده فى التدليل للعناق والمداعبات ، وإظهار الإعجاب والشعور الرقيق ، والتقبيل واللمس الخفيف . وليحذر الفتى إثارة عروسه إثارة حسية عنيفة . أما أقوال بولس سلنتريوس (١٧) فى الأقوال المأثورة بآخر السفر الثالث ، فيجب ألا يطبقها الزوجان إلا بعد مدة طويلة من الحياة الزوجية . وليس معقولا ولا مقبولا أن تطالب العروس الخجول بتسليم جسمها تسليما تاماً فجائياً لنظرات الرجل مهما كان عزيزاً لديها . وإظهار العضو الذكر لها لن تكون له نتيجة غير زيادة رعبها وخوفها النفسى اللاشعورى ـ نتيجة لما تتوهمه من ضخامة العضو ضخامة لم تعتدها عيناها .

وليست كل عروس طفلا صغيرة تذوب خجلا ! وواضح أن التروى وضبط النفس وحسن التقدير اللازمة لبدء الحياة الحسية مع فتاة عذراء خجول لا تناسب فتاة ليس لها من صفات العذراء غير غشائها .

وفى الغالب لا يبلغ العروس درجة الانتصاب الكامل والاحتقان

(التضخم) الموضعي التام ، ولذلك قد لا يكفي إفراز التليين الطبيعي (المذي) لتيسير الإيلاج ، وتتعسر إزالة البكارة وتتطلب وقتاً أكبر ، كما تصبح أمراً مؤلماً ثقيلا . فلا بد من استعمال ملين صناعي فوق الفرج مباشرة . ويستطيع الفتى أن يشرح لعروسه شرحاً رقيقاً ظريفاً أنه يضع الملين ليمنع عنها الألم ، فتسمح له بذلك بارتياح وسرور ، وتبتهج بما يظهر على عروسها من عناية بالغة مفرطة .

ويجب أن يكون الملين نقياً نظيفاً ، فالنظافة المطلقة ضرورية في العروسين معاً ـ لا لمجرد الذوق الجميل ، بل لأن أي جرح يجب أن يبقى بمنأى عما يلوثه ، مهما كان الجرح دقيقاً وأنى كان موضعه .

شهر العسل

بعد ليلة الزفاف يبدأ شهر العسل . وما أكثر أفكار الشبان عن هذا الشهر ! وما أبعدها عن الحقيقة ! فهم يظنون ـ كما يتجلى في أفكارهم وأحاديثهم الخاصة ـ أن ليلة العرس ولمية من اللذات العنيفة ، ويتوقعون سلسلة متصلة من اللذات الحسية المتتابعة ، المتجددة المستمرة لاحدود لها ولا نهاية ، منذ الأسابيع الأولى في الحياة الزوجية .

ولكنهم يخطئون ، فشهر العسل تمرين وتدريب . ويجمع المتخصصون والمتخصصات على أن المرأة العصرية يجب أن تدرب نفسها على تنمية متعتها الحسية وبلوغ ذروة اللذة في الملامسة . وهم يرون أنه من العادي

فى وظائف الأعضاء أن تكون حساسية المرأة ناقصة فى فجر الحياة الحسية النشيطة . ولذلك يجب على العروس أن تتعلم الإحساس بملاذ البدن الحسية والشعور بذروة اللذة الفعلية . و يرى المتخصصون أن النساء جميعاً بدون استثناء يكن فى بدء حياتهن فى خَدَرٍ أو برود حسى وقتى .

ومهما بالغ التقدير ، فإنه على جانب كبير من الصحة والواقع لـ فيجب أن تتعلم العروس ماتفعله فى أثناء المباضعة ، و يجب أن تتدرب على ما تشعر به فى أثناء هذا العمل الفريد وطريقة الشعور به !

إن فجر الحيـاة الزوجية مدرسة تتدرب فيها المرأة على يد زوجها لـ فيجب أن يتصف بصفات المدرب المعلم من الصبر وضبط النفس . وهما صفتان يصعب على الرجل الاحتفاظ بهما فى أى طور من أطوار الحياة الحسية العارمة ، فليس شهر العسل الذى يتلهف عليه كل عروس ــ وليمة فاخرة من الملاذ المتنوعة المتجددة ، بل هو مدرسـة يتعلم فيها الفتى و يختبر زوجه و يتولى تعليمها ، كما أنهما يتدربان معاً على الإيثار و إسعاد الزوج . إن شهر العسل هو شهر التطهر الروحى والسمو النفسى .

وما أحق العروس فى هذه الفترة الزوجية بتذكر حكمة الروس :

« التجربة مناسبة فى كل وقت ــ حتى فى الزواج الموفق » !

ضرورة التدرج

لا بد أن تتدرج المرأة فى تيقظها الحسي ، وهو تيقظ يختلف فى سرعته بالطبع بين امرأة وأخرى . وأحسن نصيحة هى « التمرين والتدريب دون إجهاد وإفراط » ، والتدريب والمسايرة لازمان لتنمية الناحية الحسية كما يلزمان لتنمية كل القوى العقلية والبدنية الكامنة .

ويجب أن تحظى المرأة بالراحة الكاملة الوافية والرعاية اللازمة فى الأيام التالية لفض غشاء العذرة ؛ إذ تكون منطقة هذا الغشاء مؤلمة سريعة التأثر . ولا ينبغى للتمرين إلا أن يكون خفيفاً رقيقاً جداً فى فترة وافية إذ يكون الفرج أقرب إلى الاحمرار والالتهاب نتيجة للاحتكاك الذى لم يعتده قبلا وما يتبعه من تورم وتضخم .

ويجب أن يساير التدريب قدرة المرأة على الاحتمال والتقدير ، ويتدرج خطوة خطوة إلى الأمام متفادياً كل النزوات المفاجئة والقاسية الهوجاء ، ولا داعى للتحسين والتعقيد فى فن المباضعة فى الأيام الأولى الباكرة ويجب التأخير فى تنويع الطرق والأوضاع إلى ما بعد شهر العسل ، لتتاح للمرأة فرصة كافية لتتعلم فيها « تعليماً أولياً » .

إن المراحل الأولى شاقة مضنية مثيرة للأعصاب ، فيجب عدم تعقيدها بإضافة فنون الملامسة العالية .

الفصل الرابع عشر

الصحة البدنية

الجزء الثانى

القوة الحسية وتأثير الوظيفة الجنسية فى النفس والبدن

أسس الزواج المثالية الصحية

إذا استعان الفتى بالتبصر وضبط النفس أمكنه التغلب على أخطار التخبط فى المراحل الأولى ، مثل زيادة جمود العروس وخدرها الأصلى أو تهيجها تهيجاً عاماً أو موضعياً ، وقد ذكرنا « نشاط الزوجين نشاطاً حسياً قوياً منسجماً » . فما هى أسسه الصحية ؟

نحتاج لكى نفهم هذه الأسس إلى دراسة الزوجين من نواحى المهارة والقدرة والقوة الحسية . وسيتضح لنا تأثير الحياة الخارجى فى مقدار هذه القوة الحسية وفى الاتصال الحسى عامة ، ومدى هذا التأثير وطريقته . ونستنتج من ذلك القواعد الصحيحة للنشاط الحسى .

نبدأ بتأثير الوظيفة الجنسية ونشاطها بدنياً ونفسياً ، وقد ذكرنا معظم النقط الهامة فى إسهاب ، فلاداعى لتكرارها ، ونكتفى باختصارها.

الحمل

تتأثر المرأة جسماً وعقلاً تأثراً بديعاً بالنشاط الحسى فى ذاته .

وأقول « فى ذاته » لأن الحمل من نتائج هذا النشاط البدنية وهو

أوضحها وأهمها من ناحية التكاثر، ولكن آثاره المعقدة فى الجسم والعقل تختلف تماماً عن آثار النشاط الحسى فى ذاته . ومع ذلك فالحمل محمود العواقب ، لأنه وحده الذى ينمى أعضاء المرأة غاية النمو ويجعلها تؤدى وظيفتها تماماً ، لكنه يشوهها فى الوقت نفسه .

والحمل دليل اكتمال البلوغ البدنى والقدرة البدنية ، كما أنه يغير كثيراً من الأعمال البدنية (مثل التمثيل البدنى) تغييراً كبيراً حتى لتبدو هذه التغيرات البدنية أشبه بالمرض فى الأحوال العادية .

وأخيراً ، فالحمل مرغوب شهى جداً لكل امرأة عادية الغرائز ، لأن معناه « الأمومة » وهى أشمل وأعجب تجربة يمكن أن تلقاها المرأة فى حياتها ، ومع ذلك فهذه التجربة تهيج علامات القلق العصبى[1] وهى علامات فريدة تظهر فى الوقت نفسه بشكل عادى تقريباً .

لن نناقش هذه الأمور إلا مناقشة عابرة ، لأنها تستحق كتاباً ، كما أننا لم نفهم تماماً موضوع الحمل من بعض نواحيه[2] .

---

(١) فسر « هبرر » الأحلام فى مقاله « نفس الحامل » فى مجلة الولادة الألمانية سنة ١٩٢٥ .

(٢) يراجع « الخصب والعقم فى الزواج » تأليف فان دفلد .
وقد تحدث فيه عن تحديد النسل أو تشجيع الحمل حسب الإرادة .

الخوف من الحمل

للتفكير فى الحمل أثر خطير فى العلاقات الحسية بين الأزواج . ولن يبلغ الجماع كل غاياته ولذاته الممكنة إلا إذا خلا تفكير الزوجين من مخاوف الحمل ، وساعدت الظروف على إبعاد هذه المخاوف .

فالخوف من الحمل يتسبب غالباً فى إنقاص بهجة الأعمال الحسية والانفعالات النفسية بدرجة تجعل انفعالات البدن مكبوتة مقيدة ، وكثيراً مايخفق الزواج ويتحطم تماماً بسبب هذا الخوف وعواقبه[1] .

لقد أوضحنا هذه الحقائق فى صدر البحث ، كما ذكرنا أن العقم قد يفسد السعادة الزوجية ، ولهذا طالبنا بحل مشكلة الأبوة والأمومة طبقاً لرغبات الزوجين كليهما ، وذلك بجانب ضرورة النشاط الحسى القوى المنسجم وهو أمر مستحيل بدون حل مشكلة الأبوة والأمومة .

---

(١) « إن الأطباء الذين يقضون حياتهم فى دراسة الحياة الحسية الإنسانية ـ يعرفون أن الخوف من الحمل عبء يثقل على عقل كل امرأة ذكية مسئولة فى هذه الدنيا . وثمة حالات كثيرة من « البرود الحسى » ليس لها سبب حقيقى سوى الخوف من الحمل » .

(من كتاب وليم ج ربنسن « نظرات طبيب إلى الحياة » طبع جورج ألن وأنون سنة ١٩٢٧ لندن صفحة ٥٦)

تأثير النشاط الحسي المنتظم

نعود إلى تأثير النشاط الحسي في المرأة ، وقد عرفنا أن النشاط المنتظم لوظائف الأعضاء الجنسية له آثار حيوية وتشريحية سعيدة مبهجة للغاية ، وذلك بشرط أن يكون نشاطاً منتظماً حقاً ، فيستطيع غالباً أن يشفي اضطراب الطمث وآلامه ، وهو يقوي البدن وينميه عامة ، كما يبدل ضمور الطفولة وتناسبها البدني بما يناسب المرأة الناضجة من شكل وقوام وتناسب ، وذلك هو الشأن على وجه خاص فيما يتعلق بصدور النساء ، والحياة اليومية تؤكد لنا ذلك حين نرى امرأة نعرفها فإذا بصدرها قد نضج بعد مرور سنة أو سنتين من آخر مرة رأيناها فيها عذراء ، ثم نعرف أنها قد تزوجت خلال الفترة التي لم نرها فيها .

ولكننا لانعرف أي العوامل المعقدة يحدث هذا النمو والنضوج ، وما أكثر ما في المباضعة من العوامل المعقدة !

لن يكون السبب هو بلوغ ذروة اللذة مرات كثيرة ، ولو أننا قد نعلل بذلك زيادة توارد الدم وما يتبعها من التضخم . فالفتاة التي اعتادت إمتاع نفسها بنفسها يتضخم بظرها وأشفارها ، ولكنها لاتنمو نمواً متصلا كاملا .

ونضوج جسم المرأة بعد الزواج لايرجع كله إلى امتصاص جسمها للمواد المنوية ، لأن المرأة المتزوجة التي تواظب على الجماع دون السماح لجسمها بامتصاص المني (بأن تستعمل حاجزاً في أثناء المباضعة)

تظهر تقدماً عاماً ونمواً ثديياً ، ولو أنه من المحتمل أن هذا النمو أقل مما كان يحدث لو كان جماعها كاملاً عادياً طبيعياً ـ لاحواجز فيه ولا قيود .

فالنتائج المفيدة التى تنشأ عن الملامسة المنتظمة يمكن إرجاعها إلى اجتماع العوامل كلها ، ومن ثم فإن نقص أحد هذه العوامل ينطوى على الضرر أو نقص الفائدة . وليس العامل النفسى أحدها ، فالانسجام الحسى فى أثناء النشاط هو فى الواقع دواء نفسى شامل ، وهو ينمى كل مافى المرأة من القوة الكامنة وعذوبة الخلق ، وينضج حكمتها واتزانها وهدوءها وحكمها على الأمور .

وليس هذا نتيجة اجتماع الأفعال والمشاعر الحسية وحده ، فهو يحدث بعد كل مناسبة موفقة سعيدة . فكل تجربة حسية مبهجة تحيى المرأة الصحيحة الجسم وتنعشها نفساً و بدناً[1] .

أما إذا زاد وقت التهييج كثيراً ، وانطوى على نوبات مفاجئة من الآلام الحادة فى فترة قصيرة وجيزة ، فلا تحدث لذة قصوى ولا سرور شامل ، بل يحدث التعب والإنهاك والضعف البدنى والعقلى .

---

(١) « العلاقة الحسية السعيدة المنسجمة تحيي مخ المرأة ، وتنمى خلقها ، وتضاعف حيويتها » من كتاب السيدة ستلا برون « التنوع والتنويع الحسى » طبع سنة ١٩١٦ .

وإذا استمر هـذا التعب وقتاً قصيراً دون أن يتكرر ويشتد ، فلا يستحق اهتماماً . أما إذا جاء التعب بعد راحة طبيعية استغرقت بضع ساعات ، أو تكرر حدوثه ، فهو الدليل على تجاوز حدود النشاط المأمون . وإذا استمرت الأعراض أكثر من يوم ، فالاعتدال واجب .

أما الفاصل بين الإجهاد والإفراط فيختلف تماماً بين امرأة وأخرى . وقدرة المرأة على التهيج ثم الانبساط (الاستمتاع) تتوقف على تركيبها البدنى ، ومزاجها ، وحالتها الصحية ، وسلوكها النفسى وعوامل التعب خاصة ، كما تتوقف على أسباب خارجية عامة سنعود إلى تفصيلها .

تختلف هـذه المسألة بين امرأة وأخرى ، كما تختلف بين وقت وآخر فى المرأة نفسها ، فقد تبلغ درجة الإفراط بسهولة فى بعض الأحيان ، وقد تتسع حيوية المرأة لمطالب أرقى ورغبات أشد . فالمسألة مرنة مطاطة لأن القوة الحسية عظيمة ، وقدرة المرأة الصحيحة المتيقظة حسياً عظيمة جداً بل هى أعظم كثيراً من قدرة الرجل العادى فى المتوسط .

ليس هـذا عجيباً ، فالرجل يقذف المنى حاوياً الألوف المؤلفة (الملايين) من مركبات خلوية شديدة التعقيد هى الخلايا المنوية . أما التوتر النفسى والإجهاد البدنى فيكاد يتقارب فى الزوجين .

ولا يعنى هذا مطالبة الذكر بتقديم الخلايا المنوية إذا كانت قد

تراكمت فعلاً بمقادير كافية خلال فترة طويلة من الوقت ، وهى فترة تختلف طولاً ، فالمنىّ يتجمع مضافاً إليه المواد الثانوية الخارجيـة من البرستاتة ، ويُخزن وهو على أتم استعداد للقذف .

ولـكن الأمر يختلف تماماً إذا استنفد المنى المخزون وأدى النشاط إلى مطالبة جسم الذكر بالمزيد من المنى . فـكل تهيج شديد يستلزم قذفاً ، وهـذا معناه الإجهاد الشديد على الأعصاب المحلية الحساسة وأنسجة الأعضاء التى تفرز سائل الحيـاة ، ويحتاج التهيج إلى جهود بدنيـة وعقلية عظيمة ليمـكن إحداث حالة التوتر (التهيج) اللازمة لإشراك باقى الجسم إشراكاً فعالاً فى العمل الحسى .

فلن يستطيع رجل أن يـكون على استعداد لمواجهة هـذه المطالب دائماً فى كل وقت . وحتى فى الحدود العادية المعقولة ، تختلف قوة الذكور (الحسية) اختلافاً عظيماً ، فهذه القوة تتوقف على السن ، والبنية ، والمزاج ، والسـلالة ، ومكان الإقامة وعاداته ، والتدريب ، والمؤثرات الحسية والنفسية والنواحى غير الحسـية والظروف الأخرى . وهى تختلف بين ذكر وذكر اختلافاً لا نعرف أسبابه . ويتفاوت الرجال فى القدرة الحسية ، فبعضهم أبطال مهرة سـباقون وبعضهم ضعاف خاملون ، ولـكن لا علاقة لهذه القوة أو الضعف بقوة الجسم أو ضعفه ، أو لعلها علاقة ضئيلة جداً (فقد يكون القوىّ ضعيفاً حسياً ،

وقد يكون الضعيف الهزيل ذا قوة حسية جبارة) .

وقد تتأثر القوة الحسية بقدرة الغدد المنوية (إفراز المنى) أو لعلها تتوقف إلى حد ما على مقدار السائل المنوى المقذوف كل مرة .

ويعلن بعض الرجال أنهم يستطيعون بإرادتهم الخاصة أن يمنعوا بعض المنى من الخروج ، فهم يسمحون لجزء من المنى بالخروج ولكنهم يحتفظون بالباقى ليقذفوه فى الاتصال التالى إن كانوا ينوون بعد قليل . ولكننا لا نعرف تماماً أسباب قدرة الرجال الحسية .

وكل ما نعرفه بلا شك أو جدل — أن بعض الرجال الصحاح العاديين يستطيعون فى أحسن سنواتهم فى عنفوان الشباب أن يباضعوا أزواجهم مرتين كل أسبوع ، وفى ظروف شاذة قد يستطيع الرجل مباضعة زوجه مرة كل يوم ، ولكن هناك رجالاً من الشواذ النادرين يستطيعون تكرار العمل الحسى ثلاث مرات أو أربع مرات أو أكثر فى تتابع مستمر أو على فترات قصيرة جداً خلال أيام معدودة دون أن تتأثر صحتهم أو تقل لذتهم ونشوتهم . إذا طُولب رجل قوى أو ضعيف بمطالب حسية أكثر مما يستطيع ، فإن جسمه يرفض العمل مهما اشتد تهيّجه ، ولا يقذف أى سائل . وهذا الجدب الوقتى الطارىء شىء عادى بعكس « الارتخاء » الأصلى أو « العجز عن المباضعة » فهو مرض واضح يعجز الرجل عن المباضعة ولو لم يتهيج إلا باعتدال تام .

وهذا الجذب الحسي الطارىء عادى ، بل هو مفيد للرجل الصحيح الجسم ، فهو وسيلة للدفاع الذاتى عن الجسم ضد الإفراط والإجهاد . وإذا حدث هذا الجذب أو العجز الطارئ فيجب منع أى تهييج حتى يرتاح الجسم ويقوى ثانية . وهو فى الغالب يقوى بعد فترة وجيزة جداً . ولكن يجب ألا يتكرر كثيراً التعب البدنى الحسى والجذب (العجز) الوقتى نتيجة الإجهاد الزائد ، فالاعتدال واجب فى كل أمر حتى فى العجز الحسى !

وتتأثر صحة الرجل العامة تأثر سيئاً إذا طولب دائماً بأكثر مما يستطيع حسياً ، وكذلك يؤدى الإفراط المرأة لأنه يحرمها من الاستمتاع الكامل بالانبساط والانفعالات . أما إذا حدث هذا البلاء حدوثاً عرضياً عابراً بعد لذة قصوى ، فليس فى ذلك مايزعج .

وتستطيع المرأة « تحمل » المباضعة أكثر مما يستطيع الرجل ، بل هى تستطيع أن تسمح له بالمباضعة ولو لم تكن لها رغبة فيه ، وتستطيع أن تحمى نفسها حماية جزئية من الإجهاد المفرط بأن تلتزم الهدوء والسكون والجمود ، وهو ممن بتحكم العقل تحكماً مقصوداً ، ولكن هذا لن يعوق العمل الحسى . ولن يستولى عليها العجز الوقتى التام إلا إذا أصابتها أعراض مرضية نتيجة لأمراض مختلفة .

والإفراط فى النشاط الحسى عند الرجل أمر منتظر نسبياً ، ويتخذ

هذا الإفراط غالباً شكل الاتصال المتكرر السريع سرعة مفرطة .

ودلائل الإفراط الحسى متشابهة تقريباً فى الرجل والمرأة ، وقد أحصيناها . وأظهر دلائل هـذا الإفراط عند الرجل هى الآلام الخفيفة فى الوركين ، وهناك مظهر أهم هو نقصان الوضوح والتركيز فى أعمال المخ .فيجب تفادى هذا التأثير الهدام ، لأنه قد يستمر استمراراً عنيداً ، وقد يلازم الرجل طول حياته .

ويستطيع صاحب الذكرة القوية أن يباضع زوجه مرتين أو ثلاثاً بضاعاً متتابعاً قد تكون له أحسن الثمرات فى بعض الأحيان .

يقذف الرجل المنى بسرعة حين ينقطع عن المباضعة أياماً ، وتفوت سرعةُ القذف على المرأة لذةَ الاستمتاع بالتهييج الذى يسبق بقذف ، أو لا يرضيها هـذا التهييج إلا بصعوبة . فى هذه الظروف ، يستمتع الزوجان بالجماع إذ يخلصهما من التوتر ويرضى ظمأهما ولكنهما لا يستمتعان بلذات الملامسة إلا أقل استمتاع ، ومن ثم لا يكون هذا البضاع دليلاً كافياً على الحب .

ولن يقتل الحب سوى الإخفاق فى الاتصال الحسى ! والإخفاق الأول يمكن علاجه وتعويضه بتكرار البضاع فى أقرب فرصة . أما وقت إعادة الاتصال أو تكراره فقد يكون فى الحال أو بعد نحو ساعة من الراحة أو يكون فى الصباح التالى ، فهو يتوقف على قوة الذكرة ،

والميل المتبادل بين الزوجين وعوامل كثيرة أخرى ، فلا يمكننا تحديد خطةٍ ثابتة أو توجيه نصيحةٍ محددة .

ومع ذلك ، تفيد النصائح والتوجيهات الآتية :

إذا كانت ذكرة الرجل مواتية كافية ، فيجب أن تكون النشوة التالية للبضاع متداخلة فى مقدمات البضاع التالى ومداعباته . وهذا يتيح كوثراً من الفرص العظيمة لإطالة فترة الملاعبة وزيادة تنويعها تنويعاً رقيقاً أنيقاً . وحين تهدأ سورة الذكرة (فى الرجل) ينفسح المجال ليجمع الجسم شمله ويستعيد نشاطه ويجدد قواه ، فيكون التهييج متبادلاً منسجماً ، وتكون الفرصة كافيه لتذوق كل مباهج الحب المتبادل ، والإفصاح عن كل الشهوات والأحلام ، وقد تتخذ المرأة دوراً أنشط مما اعتادت .

وإذا استطاع الرجل بعد هذا العمل أن يرتاح تماماً ، أو ينام على وجه أخص ـ فلن يكون ثمة مجال للتعب دون مبرر . ولهذا السبب ننصح بأن يكون تكرار الملامسة فى وقت مبكر من المساء . أما إذا أحس الرجل فى اليوم التالى بالتعب العقلى والآلام التى تدل على الإجهاد الحسى ـ بدلا من الإحساس بزيادة العافية والانتعاش النفسى وجلاء القدرة العقلية النفسية ، وذلك مايجب أن يحس به الرجل العادى بعد الاتصال ، فحينئذ (عند الإجهاد) يجب الامتناع عن تكرار المباضعة ،

ويجب تأجيل موعده إلى فرصة تالية بعد أيام قليلة . ومن الممكن أن يتعلم الزوجان بهذه التجربة الرغبة فى المزيد من النشاط الحسى ، كما تتاح فرص الابتكار للمرأة بالاتصال المتكرر الكثير باتخاذ أوضاع مبتكرة ـ كالوضع الرابع والخامس والعاشر فى الفصل الحادى عشر .

والمرأة أقدر من الرجل على الإفراط فى الجماع ، وقد يبدو هذا مناقضاً لمحتويات الفصول السابقة ، إذ وصفنا المرأة بأنها أبطأ تهيجاً ، وذكرنا شيوع الخدر الحسى النسوى وهو البرود أو الجمود .

ولكن هذا تناقض سطحى خداع ، تتضح حقيقته عند دراسة تاريخ الحياة الحسية فى عدد كبير من النساء خلال الأطوار والفصول المختلفة من حياتهن ، والقارىء الواعى لن يجد تناقضاً أو اضطراباً فى الحقائق .

توضيح وتلخيص

العروس الحديثة « باردة » فى الغالب لاتهتم بالملامسة ، وقد تستهتر بها . ويجب أن تتعلم كيف تحب وتباضع وتستمتع بالمباضعة ، وقد لا يوفق الزوج فى تعليم المرأة فن الاستمتاع بالملامسة ولا سبب لهذا الفشل سوى استهتاره بالأمر وعدم اهتمامه بتعليمها . ومن ثم تبقى دائماً « باردة » ، وهذا هو السبب فى شيوع « البرود الحسى » أو الخدر الحسى بين النساء المتزوجات وقد يُصلح رجل آخر ما أهمله الزوج ، فتتعلم المرأة فن الاستمتاع الحسى على يدى رجل آخر غير زوجها ! وحتى لو أثبت الزوج

أنه معلم كفء قدير ، فلن تصل الزوج الشابة إلى درجة من الحماسة الحسيّة تماثل درجة زوجها وكثيراً ما يحدث هذا التأخير ، فيجب إصلاحه ومراعاته بالطرق المقترحة فى صدر البحث . فالمرأة لن تبلغ درجة النضج فى الاستمتاع الحسى إلا بالتدريج ؛ و إذا بلغت ذروة هذا النضج ، فلن يكفيها التهييج الخفيف الذى يكفى لقذف منى زوجها بعد انقطاعه عن البضاع أياماً معدودة . وقد أوضحنا كيف يمكن إرضاء المرأة فى هذه الظروف ؛ فإن شهوتها للاتصال الحسى فى الحياة الزوجية السعيدة تكون قد صارت مماثلة لشهوة الرجل على الأقل ، بينما تتفوق المرأة على الرجل فى الاحتمال والقدرة الحسية العادية (من حيث المقدار والمدد لا النوع) ؛ وللتعليم والتعوّد أثر عظيم واضح .

وقد استنتجت من خبرتى العملية فى مهنتى ضرورة تحذير الرجال المتزوجين بألا يعوّدوا أزواجهم درجة من النشاط الحسى المتكرر القوى إذ قد لا يستطيعون الاحتفاظ بها أى فترة من الوقت . إن من الرجال من يستهتر فيفرط فى اتصالاته الحسية مع زوجه إفراطاً فى القوة والعدد ، ولكنه لا يستطيع الاستمرار فى منح زوجه هذه اللذة المتكررة العنيفة فترة طويلة . ومن النساء كثيرات تمتاز الواحدة منهن بمزاج حسى معتدل ، وهى تستمتع أشد الاستمتاع إذا أتاح لها زوجها ولائم منبسطة كثيرة الأنواع من اللذات الحسية ، ولا يهمها أن تكون هذه الولائم متباعدة فى الزمن ، ولكن

يهمها أن يمنحها زوجها كل مايستطيع من لذات ، كما يطالبها بأكبر قسط منها ، وحينئذ لن تتألم ولن تمتعض إذا هدأت العاصفة الحسية وذوى نشاطها وجاءت فترة من الهدوء والسكون .

ومن النساء طائفة أخرى (لعلها أقل عدداً من سكان الشمال) ، تبلغ الواحدة منهن الدرجة القصوى من المتعة الحسية ، ثم لا تستطيع تخفيف حدة شهواتها وتعديل رغباتها إذا تعذرت هذه الدرجة الحسية القصوى . وحينئذ يتعذر على الزوج أن يعيد إلى القماقم العفاريت التي أثارها وأخرجها منها ، أي يتعذر عليه أن يطفىء شهوات زوجه بعد أن ألهبها إلى هذا الحد المفرط ، وللزوج أن يختار فإما أن يترك شهوات زوجه متقدة دون إطفاء وإرواء ، وبذلك تصاب باضطراب عصبي[1] يهدم سعادة الزواج وهدوءه ؛ وإما أن يحاول إرضاءها وتلبية رغبتها الثائرة ، فيجهد نفسه إجهاداً حسياً مفرطاً دائماً (مزمناً) لا ينتهي مادام حياً !

وهذا الإجهاد الزائد يضعف الرجل عقلياً وبدنياً ؛ ويصيبه بالاضطراب العصبي . ومن الصعب تفضيل أي الشرين ، ومن ثم تنهار الأعصاب

---

(١) أصبح معروفا الآن بين أطباء الأعصاب أن نفس المرأة تتأثر تأثراً (نفسياً) كلما كبتت أو اخمدت رغباتها الحسية (شعورياً أو لا شعورياً) ، ويظهر هذا التأثر بشكل اضطرابات عصبية .

والصحة ويذبل الحب وتذوى السعادة ولا يبقى شىء . وتحليل مثل هذه الحالات المؤلمة ليس صعباً ، بل يفيد القراء ، ولهم فيه عظة . وسيفهم كل قارىء من الكلام مايناسب حاله .

وعلى أى حال ، فالرجل الذى تزوج امرأة مرهفة الإحساس ، متحمسة للمباضعة ، يحسن صنعاً إذا لم يحاول إرضاء شهواتها المتقدة غاية الإرضاء ، ولو واتته القوة والقدرة ـ لأنه إذا أرضاها مرة فقد لا يستطيع إرضاءها ثانية ، فيدفع الثمن غالياً ويندم حين لا ينفع الندم .

توافق الزوجين فى السن

وعلى ضوء أسباب الشقاق والتنافر التى ذكرناها الآن نناقش مسألة عملية هامة ـ ولو أهمل الناس أسباب الشقاق وتجاهلوها .

ماهى السن التى يتزوج فيها الرجل والمرأة ـ مع مراعاة التقاليد والعلم ؟

يذهب بعض المثاليين إلى المطالبة بتزوج الرجال والنساء فى سن مبكرة والشباب غض ، وبذلك لا يكون ثمة فرق بين الزوجين من ناحية السن ، ويطلب آخرون أن يكون الفرق بين سن الزوجين كبيراً فيكون الرجل أكبر سناً وخبرة بنحو عشر من السنين !

وقد أوضحت فى الصفحات السابقة أن الرجل هو معلّم زوجه ومرشدها فى المسائل الحسية ؛ فمهما تحمس النظريون للزواج المبكر ، فلن أستطيع الاعتماد على فتى صغير يجهل الحياة لأنه لن يستطيع القيام بهذا

العمل الصعب الدقيق (تعليم زوجه و إرشادها فى المسائل الحسية) .

تستفيد الحياة الزوجية كثيراً إذا تزوج رجل الثلاثين فتاة العشرين . ولكن هذه الفائدة لا تدوم إلا فى بدء الحياة الزوجية ، أما التوافق أو الانسجام الحسى لمدة طويلة فيشمل ناحية المقدار (القوة الحسية ومرات الجماع) ؛ والأفضل لذلك أن يكون الفرق بين عمرى الزوجين أقل من عشر سنوات . ورجل الخمسين يبدأ يشيخ ببطء ، و إذا استمر فى نشاطه الحسى باعتدال وانتظام (كما نصحنا فى آخر الفصل السابع) ، فقد يحتفظ بقدرته على الملامسة حتى سن متأخرة مستمتعاً بها غاية الاستمتاع وممتعاً شريكته بالدرجة نفسها ، ولكن تنقص ببطء قدرته على تكرار المباشرة على فترات قصيرة ، كما تقل رغبته الحسية ببطء وتدريج .

وفى أيامنا الحديثة تعتبر نساء الأربعين شابات ، ويؤكد هذا ماقاله الكاتب النفسى جيمس دجلس : إن امرأة الأربعين فى أيامنا لا تقل شباباً ونضرة عن امرأة الثلاثين منذ مائة سنة .

أما « المرحلة الوسطى من العمر » فتبدأ عادة فى الخامسة والأربعين ومن بعدها فى أكثر الأحوال ، ولم أحدد الرقم (٤٥) إلا لأنه رقم دائر . وأما بين سن الأربعين وسن انقطاع الطمث انقطاعاً تاماً ، فلا تقل رغبة المرأة فى تكرار الملامسة بل تشتد شهوتها عما كانت فى السنين

البكرة.[1] ولقد بالغ الأدب الحديث فى تأخر جفاف المرأة وذبول شبابها وسمى هـذه السن « سن الخطر » . وعارض ذوو الحـكمة فى تشويه الحقائق على هذا النحو . ومع ذلك ينطبق هذا القول على بعض النساء ويعرف كل طبيب نـوى خبير بالنفوس ما يؤيد هذا القول .

فإذا كانت شهوة المرأة تتغير ، أوتسرع قليلاً ، أو كانت ناضجة ، اعتادت الاتصال الحسى الممتع النشيط لمدة سنوات ، وأحست أنها أصبحت تنال عناية أقل و إمتاعاً أقل فى الفترة تهددها فيها أفكار التحول وتستبد بعقلها الواعى حلاوة الماضى وشبابه المتفجر الجميل ـ فنى هذه الحال يكون الحرمان كافياً لملء عقلها بألوان مختلفة من الاضطراب والصراع العقلى والنفسى ، ونتائجها كثيرة لا تحصى . ويكون من حسن الحظ أن تقتصر أعراض هذا الاضطراب والصراع على المرأة وحدها وعلى « اضطرابات عصبية » خفيفة ،[2] قد تتحول إلى اضطرابات نفسية عصبية شديدة أو مآس منزلية ، وكم يكون الأمر أدهى إذا حدثت هذه المـآسى بعد مرور سنوات من السعادة العظيمة المتبادلة ، ولم يفسدها أحد الزوجين .

ولذلك أرى أنه من الإفراط والبعد عن الحـكمة أن يـكون فرق

---

(١) يؤيد هـذا القول بحث الطبيب ر . لتو . دكنسن « متوسط الحياة الحســية عند النساء » إذ لاحظ أن سن انقاع الطمث ٤٩ وليس ٤٥ بين نساء الأوربيين الشماليين والانجليز والأمريكان .

(٢) تراجع أجزاء الفصل السادس الخاصة بانقطاع الطمث وبدء مرحلة العقم والهدوء النفسى العقلى وما يسبق ذلك .

السن بين الزوجين عشر سنوات أو خمس عشرة سنة وبخاصة إذا كانت العروس فى العشرين من عمرها . وأرى أن نصف هذا الفرق أحسن وأفضل ، فيكون الرجل أكبر سناً من عروسه بما لا يقل عن خمس سنوات ولا يزيد عن سبع (١) .

لهذه الأسباب ، أرى أن أنسب سن لزواج الرجل هى سن الثلاثين وأنسب سن للفتاة تتراوح بين العشرين والخامسة والعشرين . وينطوى هذا التفضيل على كثير من المزايا ، مع ملاحظة أخطار الأمومة المتأخرة قليلا فقد تقدم طب الولادة والنساء بوسائله الحديثة الماهرة .

---

(١) قد تكون النتائج أدعى للسعادة إذا كان فرق السن كبيراً كأن يكون خمس عشرة سنة أو عشرين سنة . فإذا تزوج رجل متقدم فى السن دون أن يكون عجوزاً كهلا فتاة فى ريعان الصبا وفجر الشباب فزواجهما غالباً موفق منسجم جداً ، فالعروس لن تعرف غير الاتصال المعتدل ولن تعتاد غيره ، كما أن فى استطاعة الزوج أن يستمر فى بضاعها بضاعاً حسياً معتدلا سنوات كثيرة دون أن تنتظر المرأة أو تتوقع المزيد .

الفصل الخامس عشر

أسباب شخصية وخارجية تؤثر في المباضعة

قد تتأثر الوظائف الحسية بطرق كثيرة مختلفة نتيجة الظروف الشخصية والخارجية . ولقد ذكرنا بعض هذه الظروف في الفصل السابق ، وفي الفصل الثاني الخاص بالمشاعر الحسية والمؤثرات النفسية وإفرازات الغدد ، وفي الفصل الثالث الخاص بالمشاعر الحسية والحواس الخمس .

وخرجنا من تلك الدراسة بأن هناك أسباباً متعددة تنشط الرغبة الحسية أو تسكبتها ، وهذه الأسباب قد تنبع داخل الجسم أو تأتي من خارجه . وتتيح الحياة الزوجية المجال لإرضاء الشهوة الحسية ، وواضح أن هذه الشهوة نفسها وما يتعلق بها من بضاع ومشاعر قد تنشط أو تخمد في أثناء الزواج . ولكن يجب ألا ننسى أن الأمر يتعلق بشخصين اثنين يتأثران به في وقت واحد ، كما أنه يجب أن تنسجم رغباتهما وأهواؤهما .

وفي الجزء الأخير من الفصل السادس ، تحدثنا عن خصائص المرأة الأساسية ، كما تحدثنا عن خصائص الرجل في الفصل السابع وهي خصائص يجب مراعاتها هنا .

وتحدثنا في السفر الثالث عن العمل الحسي وتوابعه وما يؤثر في طريقته وعدد مزاله وتعديلاته ، فلن نحتاج إلى التكرار ، ونكتفي

بتدعيم بعض النقط وتوضيحها وتوكيدها من ناحية المبدأ والتطبيق .

لم نتحدث للآن عن تأثير الطعام والشراب فى الرغبة الحسية والقدرة (القوة) ، وسنتناول الآن هذا الموضوع بعد أن قتله الناس بحثاً .

ظهرت فى القرنين السادس عشر والسابع عشر كتب خاصة تصف بدقة تامة كل أنواع الغذاء السائل والجامد التى تثير الرغبة ، وتقوى المتعة أو الاستمتاع الحسى ، وتدعم القدرة أو القوة فى المباضعة . وقد اشتركت الكتب الشرقية والأوروبية وبخاصة الفرنسية فى وصف الأطعمة المختلفة التى تزيد التهيج الحسى ، بل اشتركت كذلك فى ذكر أجزائها وطرق تحضيرها . ولكن كثيراً من هذه الأطعمة يعتمد على الخيال دون الواقع ، ويتضح هذا من أول نظرة . فلقد وصف السحلب لزيادة التهيج الحسى — لا لسبب سوى أن اسمه « أوركس » وهو الاسم اليونانى للخصيتين ! وهكذا اشترك الوهم والرمز والسحر فى عمل هذه الوصفة !

ومع ذلك ، فلا شك أن فن الحب قد قاسى كثيراً من التأخر والانحلال وفشل فى استعمال المصادر والموارد التى يمكن استعمالها دون أذى . ولكن بعض النساء النادرات يحتفظن فى بيوتهن بوصفات مفيدة موروثة . وقد سمعت — من مصدر موثوق به — عن كتاب مخطوط فى فن طهى الأطعمة المهيجة ، وقد تناقلته سيدات أسرة فيما بينهن بالوراثة بنتاً عن أم عن جدة . ولم أستطع للأسف أن ألخص هذا الكتاب ، ولكن الصديق الموثوق به جرب الكتاب بنفسه واستمتع بثماره ، وهو فعلا رجل يمتاز بقوة الذكرة والتجربة الحسية الواسعة .

يتهيج النشاط الحسى بالطعام الوافر ، أما التغذية المحدودة أو الناقصة فتعطل الوظائف الحسية .

واللحم مهيج وكذلك لحم الغزال .

والبيض له صيت ذائع فى تقوية الناحية الحسية ، فهو مهيج كما أنه يفيد نشاط الرجل بعد إفراطه فى الجماع . ويقال إن أكل البيض يساعد على تكثير الخلايا المنوية .

ويشارك (الأرز باللبن) البيض فى خواصه فيما عدا تكثير المنى ، وكذلك يشابهه البنجر والجزر والقنبيط مطبوخة باللبن .

وأشد الأطعمة تأثيراً هو حساء الجنبرى ويشبهه فى نكهته وإثارته الطبق الشرقى « حساء عش الغراب » .

ومن أهم المواد التى تفتح الشهية وتزيد شهوة الجماع : الكرفس والخرشوف وكشك ألماظ ، وسبب شهوتها تأثيرها الواضح فى الكليتين ؛ فهى ترشح وتطرد وحدها ، كما أنها تهيج المجارى البولية إلى حد ما .

والطحالب السوداء هى حلقة التدرج بين الطعام والتوابل ، ولا يمكن تجاهلها .

وتأتى بعد ذلك التوابل نفسها ، ولا سيما الزعفران[1] والدارصينى (القرفة) والفانليا والفلفل والنعناع الأخضر والزنجبيل .

(١) عرف الفينيقيون الزعفران واستعملوه كثيراً واعتبروه من توابل الحب . وكان يضاف للفطائر ليكسبها نكهة وطعماً . وكانت هذه الفطائر تؤكل تكريماً لعشتروت . ويقال إن بعض عادات الطهى الفينيقى مازالت باقية فى الجنوب الغربى من انجلترة وكورنول وديفون .

المشروبات

والمشروبات الكحولية أهم مشروبات التهييج الحسى ، فالكحول له تأثير منشط إن أخذ بمقادير صغيرة ، أما إذا زادت المقادير فإنها تشل الوظيفة الجنسية بدنياً ، كما أنها تزيل القيود والموانع النفسية . واعتياد الإفراط فى المشروبات الكحولية يؤذى الأعضاء الجنسية ووظائفها وهذا بخلاف السكر من وقت لآخر .

والإفراط فى شرب الشاى والقوة وتدخين الطباق (السجاير) له أضرار ملموسة ، واستعمال هذه الأشياء الثلاثة فى وقت واحد بمقادير صغيرة قد ينشط تنشيطاً خفيفاً (كما هى الحال فى الكحول) ، ولكن ما أندر الأشخاص الحساسين فى هذا الصدد !

والمقادير الكبيرة من المشروبات الحمضية (كشراب الليمون) تنقص فى العادة الرغبة الحسية .

الأدوية

وبجانب الأطعمة التى تؤكل باستمرار أو من وقت لآخر بقصد التغذية أو المتعة ، تؤخذ بعض المواد فى ظروف خاصة ، وقد تؤثر فى الجسم تأثيراً حسياً كما تؤثر فيه تأثيراً عاماً شاملاً . وقد يكون هذا التأثير مقصوداً أو بطريق غير مباشر ، فالأدوية الحاوية للبروموز والفاليريان والمسكنات والمخدرات ، لا يقتصر تأثيرها على بسط التوتر

العام وإزالة التهيج ، بل يتعداه إلى شل الدافع الحسى وإحباطه والقضاء عليه ، فهى تفيد فى إخماد الحياة الحسية لمن يرغب فى ذلك .

وثمة أدوية أخرى تفيد فى التقوية واستعادة العافية كما تنشط الناحية الحسية وتفيد الصحة والعافية . ومن أمثلة هذه المقويات الأدوية الحاوية للفوسفور وتأثيرها الحسى النافع قوى واضح .

وهناك أدوية تنقص التوتر العام وتكبت وظائف المثانة والأمعاء ، ولكنها تنشط الرغبة . وأهم أمثلتها الأفيون ومشتقاته .

ويجب على الأطباء عند وصف الدواء مراعاة تأثير الأدوية المختلفة من حيث تنشيطها وإخمادها الرغبة الحسية .

تسمى الأدوية المهيجة (الأدوية الأفرودية) بالنسبة لربة الحب الإغريقية « أفروديت » وهذه الأدوية تهيج الرغبة الحسية وتزيدها كما تزيد التكاثر .

وأقدم مشروبات الحب هو « حساء الحب » (وكان يقصد به حساء الشهوة) ، وقد عرف فى الحضارات الأشورية والمصرية والفارسية والصينية . واشتهر نساء «تسالى» بخبرتهن العظيمة فى عمل هذا الحساء . وكان يشمل أجزاء تدعو للنفور والاشمئزاز ، ومن هذه الأجزاء : ذنب حصان مولود حديثاً ، وأجزاء من سرة الحصان ، والإفراز المهبلى لإناث الخيل وقت تهيجها الحسى ، وألسنة بعض الطيور ، ودم الحمام ، وزعانف السمك ، وحشرات أخرى ، والحرباء وغيرها من المواد القذرة .

وحدث فى روما أن انتشرت صناعة « حساء الشهوة » وشغلت الناس كثيراً ، فمنعها المجلس التشريعى وفرض على المخالفين عقوبات ثقيلة ، ولكن ذهبت جهوده أدراج الرياح .

وهذه الأجزاء الحيوانية تدعو للغثيان ، ولا تدل إلا على التأثر بالسحر ورموزه ، ولكن استعمال مخ النعاج والبقر الصغير قد يكون مرجعه العلم البدائى القديم ، فتأثيره قد يكون عظيماً لاحتوائه على مادة « ليسثين » وكذلك استعمال غدد الحيوان من رحم وخصية . وهنا نتساءل : هل لجأت سيدات « تسالى » إلى استعمال هذه الأشياء استناداً إلى استنتاجات تقليدية أو بدون شعور ، وعلى أى حال لقد كانت هؤلاء السيدات أسبق علماء النقص الحسى وأول من عالجه علاجاً عضوياً حديثاً [ومن مهمات طبياً لسبقهن فى هذا العلم] .

واختيار الأعشاب الطبية لمشروبات الشهوة كان أساسه الرمز والسحر فى معظم الحالات ، وقد كانت هذه المشروبات تعطى بقصد إثارة الشهوة بالنسبة لشخص واحد هو المرأة التى تقدم حساء الشهوة .

أما المواد والمشروبات ذات الأثر العكسى فكانت قليلة الشهرة فى الأدب والقصص . ومن هذه المواد مادة تمنع الحب وتقتله بعد تنشيطها تنشيطاً بالسحر ، وهى خلاصة ساق وجذور زنابق الماء البيضاء .

وقد عرف الأقدمون المسكنات العشبية ذات الأثر الواضح مثل جذور الفالريان والجويدار وشاع استعمالها استعمالا شعبياً . وللفالريان رائحة منفرة وطعم قوى يستمر أمداً طويلا .

وفى العصور الوسطى كان الناس يؤمنون بفائدة « حساء الشهوة »

ويكثرون من صنعها . ولقد دفع تيار السحر إلى الاعتقاد فى بعث الحب الناضج الذى لاتمكن مقاومته من أول نظرة كما فى قصة تريستان وإزولت . واهتم الناس كذلك بمحاولة زيادة القوة البدنية باستعمال الأدوية .

ومع أن أجزاء هـذه الأدوية كانت فى الأصل رموزاً خالصة ، إلا أن عصر النهضة العلمية اشتهر باستعمال أخطر الأدوية استعمالاً مسرفاً مفرطاً[1] .

وكانت هذه الأدوية تؤثر أول تأثير فى الأعضاء البولية ولا سيما مجرى البول فتهيج أشد التهيج ، ثم ينتشر التهيج إلى الأعضـاء الجنسية المجاورة . وكان ذلك حال الأدوية التى تحوى « كانثاريدين » مثل : « الإكسير الإيطالى وحبوب استحلاب الشهوة والجرأة » ولـكن قد يصـل التهيج والاحتقان فى يسر إلى المثانة والـكليتين فيسبب أشد العواقب إيلاماً وخطورة .

لم تهتم الصيدلة ــ إلا فى السنوات الأخيرة ــ بتقديم أدوية واضحة التأثير فى الوظائف الحسية ، فإذا صرفنا النظر عن العـلاج العضوى بخلاصات الغدد الصم وزرع أجزاء من الغدد فى الجسم ، فقد استطاع

(١) يمكن مقارنة كتاب الطهى المنزلى الذى وضعته « كاترينا سفورزا » من بيسارو سنة ١٥٠٠ م . وكتاب مونتاج ممر « ماركيز دساد » فى المنشور الرابع لجماعة الدراسات النفسية الحسية البريطانية . وكذلك وصف حيلة رجال القصر الفرنسيين على « سيزار بورجيا » ، وقد سجلها « برانتوم » .

الصيادلة فى مستهل القرن العشرين تركيب دواء فعال حقاً هو « يوهمبين » وهو مادة قوية مأخوذة من قلف شجر اليوهمب . وهى تؤثر تأثيراً فعالاً مقوياً فى الوظائف الحسية فى الرجل والمرأة على السواء .

ويثبت هذا أن التهيج الحسى بالأدوية أمر ممكن فعلا ؛ وأن الوصفات الشعبية المتداولة قد تكون لها قيمة علمية جوهرية ، فقد اتضح أن زنوج غرب أفريقية الاستوائيــة ظلوا يستعملون ــ للتهيج الحسى ــ قشور شجر اليوهمب خلال أجيال لا تعد ولا تحصى .

ومن المحتمل جداً أن الأدوية الهامة التى تتناولها المعتقدات القديمة أو الحديثة فيها مايثبت صلاحه علمياً الآن أو فى المستقبل . ولــكن الأدوية ذات الأثر الشديد الواضح لابد أن تترك آثاراً فى الجسم ، وهو مايفعله اليوهمبين على وجه التأكيد ، والطبيب الخبير يستعمل اليوهمبين فى حالات محدودة مخصوصة بقصد إفادة مرضاه ، ولا يقتصر استعمالها على معالجة عجز الذكور (ارتخاء الذكور) ، فهو يستعمل كذلك فى النساء لعلاج اضطرابات الطمث الخطيرة .

أما جمهور العامة فيجب ألا يقرب هذه المـادة القوية السامة إلا باستشارة الطبيب ونصيحته ، وهذه المادة قد تكون مركزة أو خفية فى الأدوية السرية التى يعلن كثيراً أنها تعيد الذكرة .

إن عجز الرجال الحسى حال معقدة خطيرة ، وهى تنشأ عن أسباب

كثيرة متنوعة فيجب أن يترك أمر علاجها للطبيب المتخصص دون سواه .

ومحاولات زيادة الرغبة الحسية والقوة الحسية العادية باستعمال الوسائل الصناعية القوية لابد أن تؤثر تأثيراً ضاراً إن آجلا أو عاجلا . فإذا أراد الزوج إمتاع زوجه المحبوبة فى ظروف استثنائية بزيادة الاستجابة لرغبتها ، فيحسن أن يزيد قدرته الحسية بالمأكولات والمشروبات الخاصة بذلك ، فنتائجها حسنة .

الوسائد والحمامات الخاصة

ومن الوسائل التى يستطيع الرجل الالتجاء إليها مالا يضر إذا لم ينفع مثل وضع الوسائد الساخنة عند الجزء القطنى (الأسفل) من الظهر واستعمال الحمامات الطبية (كحمام الحمض الكربونى) . والوسادة الساخنة ذات تأثير فعال حقاً فى بعض الحالات .

لقد وصفت الحمامات الكربونية (المشبعة بالحمض الكربونى $ك أ_2$) للرجال والنساء على السواء ، فنجحت التجربة نجاحاً باهراً ، ويمكن استعمالها بالانغماس التام أو بالحمامات الجالسة (حمامات ستز) .

وينفع محلول الحمض الكربونى صناعياً أو طبيعياً ، وفى أماكن الاستشفاء المائى تنصح السيدات المصابات بالجمود الحسى (الخَدَر الحسى) بالانغماس فى الحمامات الكربونية انغماساً تاماً آماداً طويلة . وتنجح الطريقه نجاحاً باهراً وخاصة إذا كان الزوج متحمسًا لمساعدة زوجه

كأن يقيم معها ، وكذلك إذا كان البرود الحسى جزئياً نسبياً . وقد تنفع طرق أخرى غير الطرق المائية ، ولكن الملاحظ عموماً أن الخدر الذى يستطيع الزوج علاجه فى بيته ، لا تستطيع علاجه الأماكن المائية .

وبالنسبة للرجال ، ينفع الانغماس التام فى الماء الكربونى نفعاً عظيماً إذا فقدت الشهوة العادية بسبب التعب الخفيف أو الإجهاد ، فهذه الحمامات تزيل التعب إذا لم يكن مفرطاً ، والإجهاد إذا لم يكن زائداً حقاً . وهى تحدث تنبيهاً أو تنشيطاً ضئيلاً للأعضاء الحسية والجزء الأسفل من الظهر (القَطَن) .

وإذا كان المطلوب تهييج منطقة الحوض والأعضاء الجنسية دون غيرها ، فيجلس الرجل والمرأة فى حمامات « ستز » أو فى حمامات الفخذين ، وهذه الطريقة سهلة تركز الأثر فى منطقة الحوض .

أما الحالات الخفيفة التى تتميز بعدم الحساسية فى بعض المواضع أو تمتاز بتأخر الإحساس ، فتنفع فيها الحمامات الجالسة (حمامات ستز) أو حمامات الفخذين باعتبارها تمهيداً يسبق الاتصال مباشرة . ولكن الطبيب الذى يصف هذه الطريقة يحسن صنعاً لو تذكر أن المرأة تضيق بالوسائل المعروف أنها جزء واضح من برنامج للجماع محدد الزمن والتفاصيل ، بل إن ذوق المرأة لا يستسيغ هذه الوسائل ، كما أن مشاعرها الحسية قد تخمد وتكبت أمام هذا البرنامج . ويمكن التغلب

على هذه الصعوبة بأخذ حمام منتظم دافىء للفخـذين كل مساء قبل الذهاب إلى المخدع ـ حتى إذا جاء الجماع بعده بقليل ؛ لم يفقـد عنصر المفاجأة ، وهو عنصر هام فى كل اتصال عادى كامل الجمال .

ليس هناك أى اعتراض على استعمال هذه الوسائل المقصودة بين وقت وآخر ، ومع ذلك يجب ألا ينسى الزوجان أن هذه الوسائل لاتغنى عن التمهيد للاتصال الحسى بالملاعبة البدنيـة النفسية . والواقع أن الفتور الحسى والسذاجة فى أحد الزوجين أمر يمكن علاجه مادام لم يصبح مرضاً مستعصياً ، إذ يمكن تعويض نقص الخـبرة وكذلك الفتور الحسى ، كما يمكن التغلب عليهما بالتمهيـد للمباضعة تمهيداً كافياً طويلاً بالملاعبة الحسية الفنية التى تشمل الجسم عامة والأعضاء الجنسية خاصة ، والواقع أنه لايمكن الاستغناء عن المهـارة الفنية والابتكار فى هذا الصدد ، ويجب على المرأة ألا تتردد أو تتأخر فى استعمال مهارتها الفنية وابتكارها فى تهييج زوجها ، وخاصة حين يلم به تعب أو خدر (عجز) وقتى .

الانتقال

وثمة عوامل أخرى هى المؤثرات البدنيـة التى تحدثها حركات الانتقال . وأقصد بذلك الذبذبة أو الرجرجة المنتظمة (الإيقاعية) التى يتأثر بها الجسم فترات طويلة . ولذا يحـدث للرجال انتصاب حين

يركبون الخيل ، أو يقودون عربة ، أو يسافرون فى القطار . و يحدث الانتصاب فى حالات قليلة نادرة حين يركب الشاب سيارة أو دراجة .
ومن ذلك نستنتج أن الهزات أو الذبذبات القصيرة السريعة العنيفة هى الأكثر تأثيراً وتهييجاً ، أما الهزات الطويلة الممتدة التى تشبه التأرجح فهى أقل تهييجاً . ويجب ألا ننسى أن هذا الانتصاب لايحدث نتيجة تأملات وأفكار حسية ، فقد يبدأ الانتصاب والعقل مشغول جداً بأمور مختلفة للغاية ، ولا يصل للشعور إلا بعد أن تصبح شيئاً واضحاً لاسبيل إلى إغماض العين عنه . وحينئذ يثير الانتصاب أفكاراً حسية تناسبه ، وقد تؤدى هذه الأفكار إلى العمل (البضاع) إذا أتيحت فرصة . وذلك تفسير كثرة البضاع وشيوعه فى أثناء السفر والترحال أو بعده مباشرة ـ حتى بين زوجين يستطيعان المباضعة بدون سفر وترحال .

وليس عندى معلومات كافية عن تأثير الانتقال فى النساء من هذه الناحية ، ولقد لقيت نساء ممن تمتع الواحدة منهن نفسها بنفسها إمتاعاً حسياً ذاتياً ، وقد اعترفن لى بأن الأسفار والرحلات « تدفعهن » دفعاً إلى الانغماس فى عادة تعافها عقولهن وتقاومها وترفضها . وأعرف سيدات عاديات لم يشعرن بأى تهيج بسبب السفر والانتقال . وعلى أى حال فمن الصعب على أى رجل ـ ولو كان طبيباً ـ أن يسأل النساء فى مثل هذه الأمور الحسية الخاصة الدقيقة .

وقت النشاط

مازالت الآراء مختلفة أشد الاختلاف فيما يتعلق بدافع النشاط الحسى ، وهل يختلف حسب دورةٍ خاصة بالأجسام البشرية وما أنواع هذه الدورة الخاصة بكل إنسان .

وسبب الاختلاف فى الرأى أن الناس يميلون بطبيعتهم إلى تعميم مايستنتجونه من ملاحظاتهم وتجاربهم ، كما أنهم يلاحظون انتظام دورات الرغبة الحسية فى مناسبات مختلفة واستمرارها آماداً مختلفة .

وليس لهذا السؤال أى قيمة رئيسية فى الأسس الصحيــة للزواج المثالى ـ إلا إذا ثبت صدق هذه الملاحظات الشخصية ثبوتاً شاملا قاطعاً .

يعتقد الكثيرون أن الرغبة الحسية تزيد فى الربيع إلى أقصى درجاتها ، وهو مايشابه فصل السفاد والتزاوج فى عالم الطير والحيوان ، وما تظهره أعياد الربيــع فى القبائل والسلالات البدائية من صبغهم كل شىء بالصبغة الحسية ، ولو صحّ هذا النشاط الربيعى[1] لتأثر به الزوجان كلاهما ولتحتم أن يحدث نشاط مثل هذا فى الخريف ، كما يجب أن تقل الرغبة فى الشتاء ، والأمران كلاهما لايحدثان فى الواقع ولم تثبتهما ملاحظاتى الشخصية . وعلى ذلك فمثل هذه التقلبات الحسية الثائرة بالفصول (اشتداد الرغبات الحسية أو هبوطها) يجب ألا تقلق

(١) تدل الإحصاءات على أن أقصى نسبة من الحمل تحدث فى شهر مايو .

مزاج الزوجين ولا تحدث بينهما شقاقاً أو نفورا .

يزعم بعض الرجال أنهم تحققوا فى أنفسهم من وجود أسبوعين أو شهر تشتد فيه الرغبة وتبلغ أقصى درجاتها . ولو حدث حقاً أن هناك دورة منتظمة للرجال وأنها تتبادل مع دورة نسوية منتظمة تستمر أسبوعين لكان من العسير حقاً أن يتفق الزوجان فى توحيد الأهداف والانسجام التام .

والشائع أن زيادة الرغبة الحسية وهبوطها الدورى أكثر ظهوراً ووضوحاً وشيوعاً فى النساء مما فى الرجال . ولكن يقابل هذا أن الذين يفصحون عن آرائهم فى هذا الصدد يختلفون فى التفصيل اختلاف النساء الممكن استشارتهن فى الأمر نفسه ـ مع أن أصحاب هذه الآراء مقتنعون بآرائهم كل الاقتناع ويعتبرون أفكارهم أساساً لقوانين الحياة .

وأحظى الآراء بالتأييد مايتعلق بالدورة المنتظمة التى تبلغ أقصى درجاتها كل أسبوعين ، هما فى العادة الأيام التى تسبق الطمث مباشرة والأيام الوسطى بين طمثين متتابعين ، وتذهب الكتب إلى أن أيام الدرجة القصوى فى فترتيها تستمر ثلاثة أيام أو أربعة . أما الفترة التى تسبق الحيض مباشرة فهى أكثر ثباتاً وشدة ، وأما الفترة الوسطى بين طمثين فهى أخف وقد لاتلحظها السيدات « الباردات » وذوات الحساسية الضعيفة ، ومن ثم تستمر فترة الشهوة (نصف الشهرية)

طوال الشهر كله دون أن تشعر المرأة باختلاف . وتُكبت حدة الفترة بين طمثين عند الإصابة ببعض الأمراض ، وعند التعب البدني أوالعقلي ، والإجهاد المزمن ، والإرهاق العصبي ، والقلق المستمر . أما فترة النشاط التي تسبق الطمث فلا تختفي إذا اشتدت هذه الاضطرابات والأمراض .

وقد دافعت « ماري ستوبس » عن هذا الرأي دفاعاً قوياً شاملاً وأظهرت ملاحظاتها . وقد نقلنا في صفحة ٣٦٩ قبساً من كلامها في كتابها « الحب الزوجي »[1] .

فلنقارن رسم ماري ستوبس بالخطوط البيانية في الرسم الخامس من هذا الكتاب ، وهي التي تمثل انتظام الوظائف الحيوية في جسم المرأة ، فنلاحظ أن فترة النشاط الحسي الشديد التي تسبق الطمث عند ماري ستوبس تتفق مع أقصى شدة لهذه الوظائف المتنوعة التي تمثلها خطوط الرسم الخامس المتنوعة . واتفاق الرسمين كامل ملحوظ في خط الحرارة . وقد أسلفت أن هذا الخط الحراري يمكن الاعتماد عليه واعتباره خطاً مثالياً يمثل أهواء الوظائف الحيوية كلها .

فمن الواضح أن الفترة التي تسبق الطمث ، والتي تشتد فيها رغبة المرأة للجماع ــ تدل على انتعاش كل وظائفها (البدنية الحيوية) ، كما أن نشاط الوظيفة العامة واشتداد الرغبة في الجماع يرجعان إلى مايفرزه

---

(١) « الحب الزوجي » للدكتورة ماري كرمثل ستوبس (دكتورة في الفلسفة وفي العلوم) .

« الجسم الأصفر » من إفرازات مهيجة تبلغ أقصاها فى هذه الفترة دون سائر الأيام الثمانية والعشرين[1] .

إن الجسم الأصفر والمبيضين لاتتحكم بنفسها فى نشاطها . ولعل هذه الوظائف وأعمالها تخضع للمراكز النامية فى المخ . ونحن نتفق فى ذلك مع اسكنر ، ل . ر . ملر ، ماتس وايوالد ، وغيرهم .

والنساء اللائى يعانين نقصاً فى القدرة الحسية والميل الحسى يعالجن بامتصاص خلاصة المبيض بطريقة مناسبة . ولدينا تقارير عن نتائج هذه التجارب العملية ، ولكنها للآن ليست مؤكدة .

وهناك سبب موضعى ثانوى لاشتداد الرغبة الحسية قبل الطمث ، هو زيادة توارد الدم فى الأعضاء الجنسية واحتقانها وتضخمها تبعاً لذلك .

والذروة (الدرجة القصوى) الثانية فى رسم مارى ستوبس تبدأ مباشرة بعد اليوم الذى كتبت عليه فى رسمى « التبويض أو قذف البيضة » أى تمزق كيس جراف . فهذه الذروة الثانية تتفق مع حركة النشاط التصاعدى فى الوظائف الحيوية كلها ، ويدل عليها تكوين « جسم أصفر جديد » كما وصفنا فى الفصل السادس . ولكن نلاحظ أن هنا شهوة مابين الطمثين تنخفض ثانيةً بعد ثلاثة أيام أو أربعة

---

(١) (قارن مجلة الولادة الألمانية العدد ١٠ سنة ١٩٢٥) ولو أن هذا الاستنتاج لايكاد يفهمنا شيئاً .

كما تقول مارى ستوبس . ولـكن خطوط الحرارة ، وتضخم أغشية الرحم ، وتـكوين جليـكوكن (مادة نشوية) ، وتوتر المبيضين - كل أولئك ترتفع خطوطها فى الوقت الذى ينمو فيه « الجسم الأصفر » . ويشاء الله أن ينشط دافع النشاط الحسى قبل قذف البيضة مباشرة وهو أمر هام يمهد للتكاثر .

واشتداد الرغبة الحسية فى اليومين الثانى عشر والثالث عشر بعد بدء خروج الحيض - لايدوم ولا يستمر ، ومع ذلك فهو ليس شائعاً . وقد أوافق مارى ستوبس على أن كثيراً من النساء يشعرن بزيادة الشهوة قبل الطمث مباشرة ولو أنى لا أوافقها على مدى شيوع هذه الظاهرة ، إلا أنى أخالفها فى فترة اشتداد الشهوة بين طمثين فهى تقل فيهـا عن المعتاد فى الأيام التى زعمت فيهـا مارى ستوبس أنها تزيد عن المعتاد[1] .

وأميل إلى موافقة « مرشال » فى أن الفترة التى تبلغ فيها المشاعر الحسية أشدها هى فى العادة الفترة التى تعقب انتهاء الحيض مباشرة[2] .

---

(١) المقصود هنا أن فترة اشـتداد الشهوة تقل فى شدتها عن الأيام السابقة لها . ولمنع الخطأ أكرر أنى لاحظت حالات تزيد فيها الشهوة منذ اليوم الثانى عشر حتى اليوم الرابع عشر ، ولـكنها حالات شاذة .

(٢) ذلك مانقلته مارى ستوبس عن كتاب « وظيفة التـكاثر » .

ولقد ذكرت الكتب القديمة أن الشهوة للجماع تشتد عند نهاية كل حيض ، وأحياناً قبل انقطاع الحيض . ويرى « فر برنجر » أن اشتداد الشهوة للجماع يرجع فقط إلى الامتناع الوقتي عن المباضعة في أثناء الحيض . وأنا أميل إلى رأيه[1] .

وهناك آخرون يحددون لتمزق كيس جراف وقتاً يسبق الوقت الذي حددته له ، فهؤلاء يؤكدون اشتداد الرغبة الحسية بعد الحيض ، ويستدلون على ذلك بما يظهر في (فصائل الحيوان الثديي) النواهد القريبة من البشر من مظاهر عادية تساعد على التكاثر[2] .

وتشتد المشاعر الحسية غالباً بين اليوم الثامن واليوم العاشر بعد الطمث ، مع تضخم ظاهر في الأعضاء الجنسية . تلك هي الحالات التي أتمثلها في ذهني عن اشتداد (الضغط) نتيجة نضوج أكياس جراف .

والنقط المذكورة ليست وحدها الفترات الحادة المرهفة في شهوة المرأة ، فالنساء يملن غالباً إلى تسجيل أيام أخرى يؤكدن أنها موسم شهواتهن العارمة الخاصة ، ومن أمثلتها أيام الحيض نفسه . ومع ذلك

---

(١) مشكلة الدورة الجنسية النسوية بمجلة الولادة وأمراض النساء العدد الأول من المجلد ٤٧ .

(٢) قارن مقال جريل « طبيعة العقم » في مجلة الولادة الألمانية سنة ١٩٢٥ بالعدد الخامس صفحة ٢٣٣ .

يؤكد بعض النساء أن شهواتهن لاتشتد اشتداداً عارماً فى دورات منتظمة متجددة . ولعل ذلك حال الأغلبية العظمى من النساء ـ بخلاف فترة اشتداد الشهوة قبل الطمث .

ولتوضيح هذه المسألة المعقدة أنكر وجود نظام دورى لتجدد الرغبة الحسية تجدداً دورياً فى نساء عصرنا .

وكذلك أنكر وجود دورة متجددة منتظمة لشهوة الرجل .

ولكنى أرى أن بعض النساء ـ بخلاف الرجال ـ تشتد شهواتهن الحسية اشتداداً وقتياً متجدداً منتظماً « دورياً » . وتبلغ الشهوة أقصاها فى الغالب قبل الطمث مباشرة . وبجانب ذلك تشتد شهوات بعض النساء فى فترات أخرى تميز كل امرأة على حدة . ولكن النساء لايشتركن فى انتظام شهواتهن انتظاماً دورياً .

يجب على الزوج إذا أراد زواجاً سعيداً أن يدرس فترات اشتداد الرغبة عند زوجه ليراعيها ، دون أن يقصر الجماع على هذه الفترات التى تشتد فيها رغبة زوجه .

ترى مارى ستوبس أن من حق المرأة التى تتجدد دورة اشتداد شهوتها كل أسبوعين ـ أن يباضعها زوجها بضع مرات ـ خلال ثلاثة الأيام أو أربعة الأيام التى تشتد فيها شهوتها للجماع ، كما يجب أن تستغنى عن الملامسة فى عشرة الأيام التى تفصل فترتى اشتداد

الشهوة ، ولا تقبل على المباضعة إلا إذا حدثت مؤثرات خارجية تهيج الزوجين كليهما .

وهذا نص كلامها :

« إن أحسن تنظيم متبادل للاتصال الحسى بين زوجين هو تخصيص ثلاثة أيام أو أربعة لتكرار الجماع ، على أن تتبعها فترة عشرة أيام دون أى اتصال – إلا إذا حدث دافع خارجي قوى يثير رغبة الزوجين معاً . »

« وحينئذ يحاول الرجل أن يوفق بين رغباته وطبيعة زوجه بحيث يحدث الانسجام » . (صفحة ٧٣ من كتاب مارى ستوبس)

والخطأ فى هذا الرأى هو تعميم ملاحظاتها الشخصية . والأدهى من ذلك الزعم بأن إهمال المرأة للناحية الحسية خلال مرحلتى الراحة (وكل منهما عشرة أيام) هو شىء عادى حقاً .

ومن حسن الحظ أن هذا الزعم لايتفق مع حقائق الواقع . فالمرأة العادية هى التى لم يصبها خدر أو جمود حسى ، أو جهل وسذاجة ، وهى التى تحب زوجها حقاً . وهذه المرأة لها شهوة وقدرة حسية لاتقل مطلقاً عن متوسط شهوة الرجل وقدرته الحسية – وذلك بصرف النظر عن الاختلافات التى تصيب اشتداد شهوتها .

وعلى ذلك فليس رأى السيدة مارى عادلاً . وحرام أن تمنع الزوج من الاتصال الحسى لأن المرأة نفسها لاتريد هذا الحرمان كما أن الرجل لايريده !

أما المرأة الفاترة أو الناقصة من ناحية النشاط الحسى ، فقد يهمها هـذا الرأى لأن الزوج قد يحاول إزالة فتورها الحسى بتدريبه الماهر ولـكنه يلقى منها معارضةً وانفعالاً سيئاً ، وهو أمر يؤذى الزوجين معاً .

ولهذا أرى أن الزعم السابق ينطوى على كثير من الخطر والخطأ ، ولهذا أطلت الحديث عنه .

والقول بأن رغبات المرأة هى وحدها الأهم والتى تجب مراعاتها ـ إنما هو قولٌ خطأ وبعيد عن الحق ، كما أنه يناقض وجوب التضحية والبعد عن الأثرة فى العلاقات الحسية ، فهو قولٌ مفعم بالخطأ ويجب الابتعاد عنه كما يجب الابتعاد عن فـكرة « حقوق الذكر » « وواجبات الأنثى »[1] التى تحاربها مارى ستوبس .

إنى أرى ماتراه مارى ستوبس ، فليس للذكر حقوق ولا على الأنثى واجبات ، وقد اتضح هذا فى كل ما كتبت . ولـكن من الخطأ والحماقة أن نستبدل خطأ بخطأ لايقل عنه ضرراً .

ولدينا طرق أحسن وأفعل من طرق كتاب « الحب الزوجى » ،

---

(١) كانت النتيجة أن حاجات أحد الزوجين صارت أهم من حاجات الزوج الثانى . ونشأ عن ذلك التحدث عن حقوق الرجل وواجبات المرأة . (من كتاب مارى ستوبس . الحب الزوجى)

وهى كفيلة بضمان الانسجام وتعـــادل شهوات الرجل والمرأة فى الزواج المثالى .

حقاً إن للرجل والمرأة فى الزواج المثالى حقوقاً وواجبات متشابهة متعادلة ، بل لهما كليهما حقان : حق الاستمتاع وحق الإمتاع .

ولا يجوز أن تطغى حقوق الرجل على حقوق المرأة ، ولا حقوق المرأة على حقوق الرجل !

فليحترم الزوج زوجه ، ولتحترم الزوج زوجها ، فلن تتمتع المرأة بدون الزوج ، ولن يستمتع الرجل بجسمه بدون زوجه .

ولا يلجأنّ أحدكم إلى الخداع والاحتيال على الآخر .

الفصل السادس عشر

المباضعة فى ظروف بدنية خاصة وفى أثناء الطمث

قد يبدو هـذا الموضوع محيّراً ، ولـكنه لا يحير جماعات كبيرة من البشر ، ومن المؤمنين من ذوى العقائد المختلفة . فالمرأة الحائض نجسة وهى أذى ، ولمسها فسق محرم ، وذلك فصل الختام .

ليس بين الشعوب الشرقية تقاليد تمنع الاتصال فى أثناء الحيض ، ولا يتقيد اليهود بهذه القاعدة إلا رسمياً ، ولـكن التمسك بالأفـكار القديمة تمسكاً « حنبلياً » أوحى إلى الناس بأن الاعتزال فى فترة الطمث يمكن اعتباره عادة .

« وهنا نتساءل : هل الاعتزال (ترك البضاع) ضرورى حقاً من الناحية الصحية ، أم هو خرافة بدائية لاأساس لها ».(١)

ومع ذلك فالموضوع يحتاج إلى دراسة واسعة لاتحيز فيها ؛ لأن الباحث العظيم « كوسمان » يرى هذا الرأى نفسه .

(وقد مات فى سن مبكرة ولو عاش لاستفاد الطب منه كثيراً) وسنميز بين الأسباب النفسية والبدنية .

قد تشتد رغبة النساء فى الجماع فى أثناء الطمث أو فى بعض أيام من التى يخرج فيهـا الحيض ، وقد يزيد دافع الاقتراب الحسى فى الرجل

---

(١) فى كتاب كامنر: الطبعة الأولى الألمانية ص١٨٢ «الزواج والمرض» .

نتيجة لحيض زوجه ، وهنا تتأثر المسألة بمؤثرات عميقة معقدة . وقد أشرت إلى ماسميته مؤثرات الشم .

يتأثر بعض الرجال العاديين بالشم تأثراً شديداً لا يستطيعون مقاومته ، وقد يعرف الرجل أن زوجه حائض دون أن يشم أى رائحة خاصة بذلك ، فتدفعه المعرفة إلى احتضان زوجه التى يحبها . ولعله يتحمس هذا التحمس بسبب ذكرياته عن تجاربه القديمة معها ، فبعض الأزواج يستمتعون غاية الاستمتاع بالمباضعة فى أول الدورة الشهرية أو فى آخرها ، ومع ذلك فليس هذا الشعور إلا بدائياً فطرياً .

لقد تعمدت أن أقول « فتدفعه هـذه المعرفة إلى احتضان زوجه التى يحبها » لأن المرأة يجب أن تكون محبوبة حقاً إذا كانت تجذب الرجل عند الحيض ، ويجب أن تكون زوجه التى تعاشره وتشاركه فى العلاقات الحسية الدائمة ، وبذلك يتبادلان الألفة ومراعاة الأحوال الخاصة .

فإذا لم تتوافر هـذه الشروط ، كان الطمث دافعاً للابتعاد أكثر مما يدفع للاتصال .

ومساوىء الحيض المنفرة كثيرة تشمل الزوجين معاً ، فإذا تركنا جانباً صالح المرأة ، فهناك عوامل أخرى تتعلق بالذوق الفنى الجميل والتواضع والخوف من إثارة الاشمئزاز ، والتأثر بأفكار النجاسة مما يوحى بالقذارة ، ويؤيد هذا ما ذكره الإنجيل عن الشعوب القديمة الأولى التى اشتهرت فى الوقت نفسه بتعدد الأزواج .

ويعترف رجال الدين المسيحى بأن هذه الأسباب المانعة تتبخر كلها عند مناقشة هذه الآراء وإرجاعها إلى أصلها[1] .

ربما كان للمنع أسباب معقولة تبرره ، فقد تفقد الحائض كثيراً من الدم ، وقد تبدو عليها أعراض ثانوية واضحة أو غير واضحة ، فحين يكثر فقدان الدم يكون هناك مايبرر الاعتزال ، أما حين يبدأ الطمث وحين ينقطع فلا يكون للاعتزال مبرر .

هل للاعتزال مبررات ونتائج بدنية ؟

أما من ناحية الرجل فقد قيل : إن ما يخرج فى الحيض يحوى مواد قد تسبب التهاب الغشاء المخاطى لمجرى البول عند الرجل (التهاب المجارى البولية) . ولا أصدق هذا ، فليس ثمة دليل قاطع على أن الإفرازات الحسية النسوية لها تأثير كاوٍ مهيج مهما قيل عن الخواص السامة لعرق المرأة الحائض وإفرازاتها .

ومن رأيى أن هذا المرض ينشأ عن الجراثيم . وقد قابلتنى حالات كثيرة تشبه التهاب المجارى البولية لم تسببها جرثومة السيلان ، وقد حدثت بعد البضاع فى أثناء الطمث ، وقد استطعت تحديد نوع الجراثيم التى تسبب الالتهاب بزرعها وإكثارها . وقد تكون هذه الالتهابات

(١) يبيح الدكتور الفونسو ليجورى الاتصال التام فى فترة الحيض .

خفيفة يمكن علاجها ، ولو أن بعضها يصعب على العلاج وأعراضها خطيرة منفردة .

ويتم شفاء معظم حالات التهاب المجارى البولية بسرعة شفاء تاماً بعد غسلها بمحلول مطهر للغسل ، ولا تحتاج إلى علاج آخر . ومع ذلك فقد تتعقد الإصابة وينشأ عنها مرض فى القلب وقد أمكن العثور على مقادير كبيرة من الجراثيم فى الدم .

وإذا كانت المرأة قد أصيبت بعدوى ، فتنشأ الالتهابات عن إهمال النظافة العامة وخاصة فى منطقة المهبل ، فإذا لم تهمل النظافة فليس ثمة خطر .

وقد ينشأ الخطر حقاً عن جراثيم السيلان الحقيقية التى قد تختفى فى المجارى التناسلية للرجل أو المرأة نتيجة إصابة سابقة لا يشعر بها الإنسان أو لا يتذكرها ، ولعلها تكون قد فقدت قوتها الحيوية ونشاطها بعض الوقت . ولكنها قد تعاود نشاطها وحيويتها فى أثناء الطمث فتخرج مواد الحيض وتتسرب إلى مجارى الرجل البولية ، وتظهر أعراض السيلان من جديد . وعلى ذلك فقد تظهر إصابة خفية ظهوراً فجائياً بعد مباضعة فى فترة الحيض .

أما الأضرار النفسية التى تصيب المرأة فتشبه الأضرار التى يعانيها زوجها وكذلك الأضرار المذكورة فى الفصل السادس مثل التهور فى الحكم على الأمور والبعد عن الاتزان العاطفى فى أثناء الحيض .

وثمة عوارض بدنية أخرى مثل :

(١) آلام خاصة (كالصداع واضطراب الهضم ، وغيرهما) ويشعر بها نساء كثيرات فى وقت يسمينه حقاً « وقت الشدة » .

(٢) تضخم الأعضاء الجنسية تضخماً لابد منه ، وهو يزيد المتعة والتوتر (الضغط) الحسى إلا أنه قد يجعلها حساسة رقيقة ، معرضة للتسلخ ، سهلة الإصابة .

(٣) توارد الدم من الأعضاء الجنسية وإليها نتيجة للتهييج .

وقد يحدث مع العامل الثانى (٢) نزف شديد أو يعود الدم إلى التدفق فى أثناء المباضعة بعد أن يكون قد امتنع .

وقد يسبب التضخم آلاماً شديدة مختلفة الشدة ، فإذا تكرر حدوثها البغيض صارت شيئاً مزمناً .

(٤) وقد تصاب الأنسجة الموضعية بحساسية تجعلها أسهل إصابة وأسرع نزفاً منها فى أى وقت آخر ، فيسهل تسلخها بسبب تضخم الأنسجة وتأثير الإفرازات المخاطية خلال بضعة أيام متتابعة .

ولهذه النقطة أهميتها لأن الأنسجة الحساسة معرضة للإصابة بتسلخات دقيقة وتضاف إليها عوامل أخرى كتوقف النمو وعدم تناسب الأعضاء ، وضراوة الرجل (يراجع الفصل العاشر) . والطمث يتيح

الفرصة للإصابات ! ثم إن التسلحات الخطيرة يمكن حدوثها بسهولة أكثر إذا كانت الظروف معاكسة .

(٥) إن التعرض للإصابة والعدوى يشمل الجسم كله كما يشمل الأعضاء الحسية على الأخص . ومعظم هذه الجراثيم ترحب بالوسط الذى تتيحه إفرازات الحيض ، فتتكاثر بسرعة عظيمة ونشاط عجيب . وذلك حال الجراثيم الكامنة فى أعضاء المرأة والجراثيم التى تدخل من الخارج فى أثناء المباضعة .

وهناك أمراض خفية أو مزمنة أوشبه مزمنة يغلب ظهورها فى أثناء الحيض . وإذا كانت الأعضاء الجنسية مصابة بأمراض أو التهاب ، فإن ميلها للظهور يزيد بحدوث المباضعة فى أثناء الحيض .

تلك هى النتائج الممكن استخلاصها من التجارب العملية والملاحظات والبحوث العلمية فيما يتعلق بالبضاع فى أثناء الحيض ونلخصها فيما يأتى :

لا نعترض على المباضعة بدرجة خفيفة معتدلة فى أثناء الطمث إن اتخذ الزوجان وسائل النظافة التامة المطلقة وكان كل منهما يرغب فى البضاع ـ وذلك بغض النظر عن التقاليد والعادات الشرقية . ولكن الأصل هو الامتناع عن البضاع فى الأيام التى يتدفق فيها الحيض بشدة ، وذلك لأسباب تتعلق بالذوق الجميل .

وكذلك يجب الامتناع عن المباضعة ، وعن الاقتراب الحسى

أو النفسيّ عند حدوث الاضطرابات الخفيفة ، أو الميل للنزف ، أو الحساسية الزائدة وغيرها من الأعراض التي تصيب أجزاء المرأة ، وخاصة في التهاب المبيضين والقنوات التهاباً كامناً .

ويجب الامتناع التام عن المباضعة خلال الطمث إن كان ثمة مايرجح وجود جراثيم كامنة في أعضاء الرجل أو المرأة — وحتى لو لم تظهر أي آثار ملموسة نتيجة لوجود هذه الجراثيم [1] .

الجماع وقت الحمل

أما الجماع وقت الحمل فموضوع أكثر تشعباً وتعقيداً من الجماع عند الحيض . ويصعب كثيراً على الطبيب أن ينحاز إلى ناحية دون

---

(١) فإذا كان في أعضاء المرأة الجنسية مثل هذه الجراثيم ، فيجب أن تمنع المرأة عن البضاع . أما الرجل فيجب عليه اتخاذ التدابير للوقاية من الإصابة بهذه الجراثيم ، لشدة احتمال حدوث العدوى .

وإذا كان الرجل يحمل الجراثيم وكانت المرأة خالية منها ، فيجب الابتعاد وتفادي الإصابة في كل وقت ، وفي وقت الحيض على الأخص . وفي هذه الحال لا يسمح بالبضاع إلا باستعمال حاجز يتلفع به الرجل .

وفي الحياة الزوجية يحدث الأمر الأول ، ولكن يندر حدوث الثاني . ومن الصعب عملياً تحديد الزوج المصاب ، بل قد يكون الزوجان كلاهما مصابين . والتشخيص الصحيح يحتاج إلى تكرار البحث الدقيق ويحتاج إلى معرفة وخبرة في علوم الطب والجراثيم والحياة . فإذا تعذر على الزوجين استشارة طبيب حاذق ، فمن صالحهما الاعتزال وقت الحيض .

الأخرى فى هذا الموضوع ، ولا سيما إذا كان واسع المعرفة العملية والعلمية خبيراً بالحياة وطبائع البشر ، وتتوقف على نصيحته أمور كثيرة مثل صحة الزوج الحامل ومستقبلها البدنى ، بل تتوقف عليها حياتها بالذات وحياة الطفل وصحته مستقبلا ، كما تتوقف عليها السعادة الزوجية . وقد مر بى وقت كنت فيه خبيراً بالطب ، جاهلا بالحياة ، لا أهتم إلا بما فيه نفع للسيدات اللاتى أرعاهن ، وكنت أصدر الأوامر بمنع معانقة الأم ، ولكنى ندمت على ذلك كله حين تعلمت فى مدرسة الحياة أموراً أهم بكثير من مجرد وقاية الجسم من الخطر . وأعزى نفسى بخاطر طريف ، هو أن أولئك السيدات ربما كن يسخرن منى ويهزأن بأقوالى ويفعلن عكسها فى الحال ، وهن يبتسمن ابتسامات خفية ـ ولا سيما إذا لم يظهر شيء من الأضرار المفروض حدوثها . ولكن يخطىء من يظن أن الجماع وقت الحمل ينطوي على أخطار جسيمة .

فلندرس المبررات والنتائج بكل دقة ، ولنذكر دائماً أننا لا نعرف تماماً بعض النواحى المتعلقة بالموضوع ، بل نجهل كثيراً منها .

وسنعتمد على ما لدينا من معلومات قليلة فى مناقشة الموضوع ، والوصول إلى حل وسط فيه ونحدد له الطرق والأوقات المناسبة .

فلنبدأ بدعوى الاتهام التى يقدمها المعارضون للمباضعة فى أثناء الحمل . وهاك خلاصة أقوالهم وحججهم :

قد يحدث انقباض وتهيج فى الرحم بعد المباضعة مباشرة ، فيقذف الرحم محتوياته ، ومعنى ذلك أن الجماع قد يكون سبباً فى الإجهاض ، أو يكون سبباً فى ولادة الطفل قبل موعده فيخرج ناقص التكوين حياً أو ميتاً أو يحدث آلاماً كآلام المخاض (الولادة) ـ ويتوقف ذلك على الطور الذى بلغه الحمل .

وقد يصاب الجنين إصابة مباشرة ، أو يتحطم جسمه فى الحالين الأوليين : وهما الإجهاض أو خروج الطفل إلى الدنيا حياً أو ميتاً ؛ أما الحالة الثالثة (الولادة قبل الميعاد) فتحدث فيها تمزقات فى الأغشية ، تطيل فترة الولادة وتؤذى الأم والطفل معاً .

وفى كل هذه الظروف يبدو خطر الإصابة بحمى النفاس إذا أدخل عضو الذكر جراثيم الأمراض أو جراثيم الانحلال إلى أعماق المهبل ، حيث تتكاثر بظروف الإجهاض والولادة ، وهى كلها ظروف مواتية لتكاثرها كما تتاح الفرص لهذه الجراثيم فتتسرب إلى الرحم والقنوات والتجويف البطنى ، فتقضى على المرأة أو تؤذيها أذى شديداً .

ويحتج معارضو المباضعة فى أثناء الحمل بأن الأنسجة الجنسية تكون رقيقة متورمة ، بل تكون أكثر امتلاء بالدم وأسهل تعرضاً للتسلخ مما هى عند الطمث . ففى أثناء الجماع قد تحدث تسلخات صغيرة يكون خطرها وقت الحمل أشد من خطرها وقت الحيض ، إذ يكثر نزف الدم

وتسهل الإصابة بالجراثيم المعدية . وأى تسلخ كبير فى الأعضاء الجنسية عند الحامل هو إنذار خطير بنزف شديد جداً لأن هذه الأعضـاء تـكون مشبعة متضخمة بالدماء فى وقت الحمل .

ومن الناحية العملية ، تحدث هذه التسلخات نادراً إلا إذا كان الزوج خشناً غبياً بدرجة غريبة غير مقبولة . ولعل السبب فى حدوث هذه التسلخات هو تمدد المهبل فى الوقت نفسه ، فهو عضو عظيم المرونة والانثناء . وقد تخرج من فتحة المهبل قطرات دقيقة من الدم ، ولـكن يمـكن منعها تماماً بالعناية والرعاية المناسبة ، واستعمال المواد الملينة (المشحمة) المناسبة للإيلاج .

فحساسية هذه المواضع وامتلاؤها بالدم خلال الحمل ليست حاجزاً يمنع المباضعة ـ بقدر ماهى دافع قوى لاتخاذ الحيطة الـكاملة واللباقة اللازمة وقت الجماع .

وهناك سبب قوى آخر يمنع الاتصـال الحسى فى أثناء الحمل هو انتفاخ البطن وارتفاعها حين تتقدم شهور الحمل . فأى ضغط ملموس على بطن المرأة خطأ عظيم فى أشهر الحمل الأخيرة ، ولـكن يمكن علاج هذه المشكلة باتخاذ الأوضاع والحركات المذكورة فى الفصل الحادى عشر ، و بذلك يتجنب الزوجان خطر الضغط على البطن .

ولا ندرى إذا كانت المواد المنوية التى تمتصها أعضاء المرأة خالية

من الضرر أم تضر المرأة فى وقت الحمل ، فمن المؤكد أن الأغشية المهبلية تكون وقت الحمل أقدر على امتصاص المنى . ولعل الجسم يدافع عن نفسه ضد المواد الضارة بإفرازات خاصة يفرزها . وليس لدينا للآن أى دليل على إصابة المرأة الحامل كيموياً نتيجة للمباضعة ؛ فإذا ظهر هذا الدليل فيجب على الزوج استعمال الحاجز[1] .

وقد قلنا إن بعض الأمراض الكامنة تظهر بعد الجماع فى أثناء الطمث ، وكذلك تظهر جراثيم هذه الأمراض الكامنة بعد الجماع فى أثناء الحمل ؛ بل إن خطر ظهورها وقت الحمل أشد من خطرها عند الحيض . ولكن العلاج متشابه فى الحيض والحمل .

فإذا ظهرت أى عدوى من أى نوع فى أعضاء المرأة خلال الحمل ، فيجب عدم إثارة هذه العدوى بالمجامعة مهما كانت الحجج أو الأسباب .

والمعتقد أن الرجل قد يصاب بالتهاب الأعضاء البولية بسبب الإفرازات المهبلية التى تخرج من جسم امرأة حامل صحيحة (غير مريضة) . والأساس الذى يعتمد عليه هذا الرأى يشبه أساس الإصابة وقت الحيض ، وعلاج الأمر هو العناية التامة بالنظافة المطلقة فى الزوجين كليهما .

فإذا استبعدنا خطر الإصابة السابقة بالأمراض والجراثيم ، فلن

---

(١) إن امتصاص جسم المرأة (غير الحامل) للمواد المنوية يقويها ، فلماذا لا يقوى هذا الامتصاص المرأة الحامل ؟

تبقى غير المجموعة الأولى من الاعتراضات وهى خطيرة هامة لأن سائر الاعتراضات يمكن علاجها باتخاذ وسائل الوقاية و بالتعديلات المناسبة .

ولكن أخطار الجماع وقت الحمل تتجمع كلها فى أمرين :

الأول : أهناك خطر كبير حقاً فى احتمال الإجهاض أو الولادة قبل الأوان بعد المباضعة مباشرة ؟

والثانى : إذا حدثت ولادة بعد الجماع ، فهل هناك احتمال للإصابة بحمى النفاس ؟ وما أكثر الإصابة بهذه الحمى !

تؤكد هذه الأمور إحصاءات نشرها « بوبنز » ولكن عدد الحالات التى اعتمد عليها قليل جداً فلا يمكن الاعتماد عليها اعتماداً نهائياً ، كما لا يمكن القول بأنها تمثل الحال تمثيلا وافياً شاملا . ويضاف إلى ذلك أن النساء المجربات الفقيرات لسن أمثلة واضحة ساطعة للنظافة الشخصية والعناية بالصحة ، كما أن أزواجهن لايزيدون عنهن نظافة وصحة . وأعتقد أن احتمال الإصابة بحمى النفاس يقل كثيراً إذا اعتاد الزوجان كلاهما غسل أعضائهما الجنسية وتنظيفها كما اقترحت سابقاً . وليس لدينا مصادر نرجع إليها للاجابة عن السؤال الأول ، ولا نعرف نسبة الحوادث التى يقذف فيها الرحم الجنين بسبب الجماع أو بعده . ولكن للطلمين على خفايا الحياة الزوجية يؤكدون أن هذه النسبة ليست كبيرة ، فيجب ألا نغالى فيها . وإذا كان كل جماع وقت الحمل يؤدى إلى الولادة لكانت حالات الولادة قبل الأوان أكثر مما هى فى الواقع الآن[1].

(١) لايمكننا أن نحسب فى ذلك حالات الإجهاض . وإذا كان ثمة عدد كبير من الحالات تحدث نتيجة الجماع باستهتار ، إلا أن معظم حوادث الإجهاض لايبيحها القانون .

وقد تعلمنا من التجارب الطبية أن الخطر يبلغ أقصاه خلال ثلاثة الأشهر الأولى من الحمل ، وهو خطر عظيم حقاً بين طائفة من النساء يظهر فيها الميل إلى ولادة الطفل ناقصاً قبل الأوان أو يسهل فيهن السقط . وعند نهاية فترة الحمل يزيد احتمال حدوث آلام الولادة بعد الاتصال .

وقد يكون هناك مايبرر البضاع فى أثناء الحمل ، ولن ننكر ذلك . فأخطار الجماع وقت الحمل تقل إلى حد كبير إذا كانت المرأة صحيحة الجسم غير معتدلة ، ولم يظهر الرحم ميلا إلى العمل قبل الأوان (كبقع الدم الصغيرة وآلام الانقباض) أو لم يظهر هذا الميل فى حمل سابق أو فى كل أحوال الحمل السابقة ، وكذلك إذا روعيت العناية التامة واللباقة والكياسة فى أثناء العمل الحسى (تجنب الإيلاج العميق) و إذا تفادى الزوج الإفراط فى تهييج الفرج من الخارج والداخل ، واتصف الزوجان كلاهما بالنظافة التامة المطلقة ،(1) و إذا روعى الاعتزال التام (عدم الاتصال الحسى) خلال أربعة الأسابيع الأخيرة .

يجب أن نعرف أولاً إذا كانت المرأة نفسها ترغب فى الاتصال الحسى خلال الحمل أم لا ترغب فيه . وهنا نرى أنه من المستحيل تعميم ملاحظاتنا

(١) يمكن منع دخول الجراثيم والمواد الخطيرة إذا اتخذ « الوضع الأمامى الجالس » فهو أفضل من «الوضع الخلفى الجانبى» (وقد ذكرناهما فى الفصل الحادى عشر) مع استعمال مادة نقية غير شحمية بعد خلطها بعطهر لا يضايق ولا يهيج .

عن تغير شدة الرغبة الحسية عند النساء الحاملات . ومعظم الكتاب الذين يتحيزون فى هذا الموضوع يعلنون هبوط الرغبة الحسية فى النساء الحاملات ويكادون يجمعون على تشبيه النساء بإناث الحيوان القريبة من البشر . وهناك آخرون ـ وهم أقل عدداً ـ يرون عكس ذلك تماماً إذ يرون أن الرغبة الحسية النسوية لا تزيد نتيجة تضخم الأعضاء الجنسية وامتلائها بالدم فى أثناء الحمل .

وقد لاحظت فى أثناء عملى أن الرغبة الحسية تشتد بدرجة لا يمكن إنكارها فى حالات كثيرة من أشهر الحمل الباكرة ، بل إن اشتداد الرغبة الحسية فى المرأة يكون ظاهراً مميزاً حتى ليعتبر أهم علامات حدوث الحمل[1] .

وعلى أى حال ، فليس لدينا قاعدة عن تأثير الحمل فى المرأة من ناحية المشاعر الحسية . وهناك عوامل أخرى كمزاج المرأة وتركيبها البدنى ودرجة الحمل ، وقد ظللت سنوات عدة أهتم بهذا الأمر فاجتمعت لى الملاحظات التالية :

إذا كانت العلاقات الحسية بين الزوجين معتدلة قبل الحمل ، وكان استمتاع المرأة بالملامسة معتدلا أو ناقصاً ، فإن الرغبة الحسية (إذا كان لها وجود) تزول تماماً بسرعة بمجرد أن تعلم المرأة أنها حامل . وفى

(١) لعلنا نجد تفسير ذلك فى مراحل التطور التى تمر بالمبيضين ووظائفهما بعد الحمل مباشرة ، وهى تغير وظائف البناء فى الجسم (الفصل السادس)

الغالب تظهر المرأة الحامل كراهية شديدة لأي اقتراب أو اتصال حسي .

أما إذا كانت العلاقات الحسية بين الزوجين قبل الحمل تسير وفق مناهج السفر الثالث من هذا البحث ، فإن رغبة المرأة لاتقل ، بل قد تزيد ـ في النصف الأول من فترة الحمل . وقد يحدث العكس ، فتشتد الرغبة الحسية ـ كما ذكرنا . وأما النصف الثاني فتقل فيه الرغبة الحسية بالتدريج ، ولكنها تبقى حتى النهاية دون أن تزول تماماً[1] .

(١) وهذه الرغبة الحسية لاتزول حتى بدء آلام الولادة . وقد اتضح أن الجماع يكثر حدوثه نسبياً خلال مراحل الولادة الأولى وهو ما يعلل ظهور حمى النفاس . فهل يعزى ذلك إلى ظهور رغبات المرأة الحسية ظهوراً مفاجئاً ؟ قد يبدو هذا متناقضاً ولكنه غير مستحيل . ومع ذلك فمن المستحيل الآن تقديم حقائق ثابتة في هذا الموضوع

وأعتقد أن سبب البضاع بين زوجين متحابين هو الرغبة المتبادلة في إمتاع الزوج وإسعاده (أو إسعادها) بمختلف الطرق النفسية ولعلاج الألم والخوف والرغبة في الحماية والمواساة وغيرها (الفصل الثالث) .

فهذا البضاع لايرجع إلى التفسير الشائع الذي يعلل الجماع بضراوة الذكر وخشونته واستهتاره وأثرته الحيوانية ، ولا يعود إلى ماتعتقده الحمقاوات من أن الجماع يسهل الولادة . وربما كان هذا القول صحيحاً في بعض الحالات ، ولكنه فيما عدا ذلك يرجع إلى الأسباب النفسية المذكورة. وقد اقتنعت بذلك تماماً من تجاربي الكثيرة في حياتي الطبية العملية .

ومع ذلك يجب طبياً عدم إطالة الجماع أو الاشتداد في حركاته في هذه الظروف مهما كانت النتائج النفسية حسنة شهية .

سننتقل من الحديث عن الدافع الحسى الناشىء عن الغريزة والفطرة إلى الحديث عن عاطفة المرأة وهى شىء شعورى أرق . ولكننا نريد قبل ذلك أن نلفت الأنظار إلى أمرٍ عام ؛ هو أن الحامل تكون أسعد حظاً إذا كانت من النوع الذى لاتقل شهوته ولا تزول بسبب الحمل .

ألم يظهر لنا علم النفس الحديث أن نفس المرأة تنفعل انفعالاً إذا كبتت رغباتها الحسية ، فتظهر عليها أعراض المرض وأهمها الحيرة والقلق وهما لون من الاضطراب العصبي[1] . ولا أستنتج من ذلك إلا نتيجةً منطقية واحدة ، هى أنه من الحكمة والصواب أن يستمر الجماع العادى وقت الحمل ، ودراسة اللاشعور (دراسة نفسية) تدعم هذا القول .

وعقل المرأة الواعى وشبه الواعى يحدوها إلى الاستمرار فى علاقاتها الودية مع زوجها إذا كانت تحبه ، وتشمل هذه العلاقات الناحيتين الفنية والبدنية ؛ بل إن الحمل يدفع المرأة إلى زيادة التعلق بزوجها والاعتماد عليه ، ويجعلها تتطلع إلى أن تحظى أكثر من قبل برعاية

(١) هذا لون من الاضطراب العصبي ، فهو قلق لا شعورى غير محدد ، أو هو « خوف بدون غاية » وذلك بعكس الخوف المتعلق بهدف محدد .

ولقد كتب هبرر فى العدد السابع سنة ١٩٢٥ من مجلة الولادة الألمانية مقالا طريفاً عن « نفس الحامل » ولو أننا نخالفه فى رغبة الحامل الحسية .

زوجها وظرفه ومغازلاته الرقيقة . وإذا تقدم الحمل زاد شعورها بمنظرها المتغير فتنهار حالها النفسية ، ويستبد بها الضيق ، وتخاف أن تفقد قدرتها على فتنة زوجها . فإذا اعتزلها الرجل اعتزالاً مقصوداً ظنت أنه يهملها إهمالاً قاسياً يدل على عدم اهتمامه بمشاعرها ، وبذلك تصاب بجرح عاطفي أشد خطراً من أى أذى بدني يحدثه النشاط الحسى (وذلك بفرض أن المرأة وزوجها يتمتعان بصحة تامة) .

وعلى ذلك فالمرأة تشتهى استمرار الاتصال الحسى بزوجها فى أثناء الحمل كما كانت الحال قبله . وهى ترغب فى ذلك ولو لم تدفعها غرائزها . إنها تريد استمرار الجماع بجماع قلبها وعقلها وحكمتها .

وهى على حق ، إذ يكاد يستحيل على الرجل أن يمتنع فجأة عن الاستمتاع الحسى الكامل لبضعة شهور بعد أن اعتاد النشاط الحسى كما يستحيل عليه أن يمتنع عن مداعبة زوجه ومغازلتها . ويصعب عليه أن يدنو من زوجه مداعباً ممهداً للمباضعة (مما يزيد تهيجه الحسى بعد رقاد شهوته بالاعتزال الاضطرارى) ثم يكرر هذا التمهيد للمباضعة ، وفى كل مرة لا يتمتع بما مهد له ، وهذا أمر صعب حقاً ، وبعض الكتاب يتحمسون للاعتزال الحسى ويؤكدون أنه لا يضر ، ومع ذلك يجب أن يعترفوا بأن هذا الكبت الحسى المتكرر وهذا الاضطراب الحسى سيؤديان حتماً إلى أغراض عصبية أو اضطراب المزاج ونقص القدرة على القيام بأى

عمل ، والقيام بالعمل العقلى على وجه أخص . وإذا أراد الرجل اعتزال زوجه تماماً ، فلن يستطيع ذلك إلا بالابتعاد عنها ، واعتياد هذا الامتناع بطريقةٍ منتظمة .

ولـكن المرأة المحبة تود أن تمنع هذا الابتعاد والتحفظ (الامتناع) بكل طريقة وبأى ثمن . ومن النساء مَنْ لا ترى فى الزواج أكثر من ملجأٍ تحتمى به من العوز والاعتماد على نفسها فى كسب الرزق ، ومن ثم يستبد بها القلق والحيرة إذ لا يضمن لهـا أحد نتائج ابتعاد زوجها عنها فقد يرتمى بين أحضان ناعمة أخرى تعرف كيف تستفيد من بعد الرجل عن زوجه واعتزاله إياها ، ومن يضمن لها أن يعود إلى أحضانها حين تتغير الظروف وتسمح لها باستقباله ثانية ؟

كل هذه الأسباب تـكفى لإقناعى بأن دواعى الاستمرار فى الملامسة فى أثناء الحمل أقوى وأصح ممـا يمنع هذا الاستمرار . فيجب أن يحذر الأطباء عندما ينصحون بالاعتزال (عدم الاتصال الحسى) خلال فترة الحمل ، وليحصروا تقييدهم على «الحالات الضرورية القصوى» كما يقول كوسمان . و « الحالات الضرورية القصوى » تشمل الأمراض الخاصة واحتمال إنزال الطفل ميتاً ، وتوقع الولادة بعد وقت قصير . وأود أن أؤكد هذه الحالات الشاذة لقرائى غير الأطباء . ويهمنى أن أوصيهم باستعمال كل حرص وحذر ورقة وظرف فى الجماع فى أثناء الحمل ، فهذه الصفات ضرورية لصالح المرأة والجنين .

وأخيراً نلفت النظر إلى ضرورة العناية بما يبدو فى الحمل من أعراض بدنية ونفسية .

ولا شك أن الزوج الذى عاون زوجه بإرشادها وتعليمها و بصداقته وحبه العميق ، والذى أعَدَّ زوجه لولائم الحب المثالى العظيمة ، لن يخذلها فى وقتٍ تتكاثر فيه عليها المطالب العظيمة والأخطار الشديدة .

كم تطول فترة الراحة والسكون الحسى (الاعتزال) بعد الولادة ؟

سنهمل هنا الحديث عن التقاليد المعقدة الشائعة عند الشعوب السامية ، ونهمل هنا عادات الشعوب البدائية وفكرة « قذارة » الأم بعد الولادة ، فمناقشة هذه النقط ليست إلا تكراراً لما سبق بحثه خاصاً بالحيض .

فلندرس المسألة من ناحية بدنية خالصة .

تحتاج الوالدة إلى فترة راحة واستجمام بعد الولادة لتعود أعضاؤها الجنسية إلى حالها الطبيعية ، ويرى الناس عامة أن فترة الاستجمام تتراوح بين ثمانية أيام وأسبوعين ، وهى مدة اختيارية ، تختلف حسب السلالة البشرية والدين والمركز الاجتماعى والاستعداد المالى وغيرها من العوامل الكثيرة ، والأفضل أن نمد هذه الفترة إلى أسبوعين .

أما فترة الراحة والاستجمام فى العرف الطبى ، فهى المدة التى تعود فيها الأعضاء الجنسية إلى حالها الطبيعية العادية بعد ما قاسته من ضغط وتغير فى فترتى الحمل والولادة . والعودة إلى الحال الطبيعية تستغرق بين

خمسة أسابيع وثمانية أسابيع ، وتتوقف على المناخ والسلالة وطبيعة كل امرأة ؛ وهي تستمر غالباً ستة أسابيع ، ولكنها تنتهي بمجرد ظهور الطمث مرة ثانية في النساء اللائي لا يرضعن أولادهن بأثدائهن .

ونود أن نفرق بين « فترة الراحة والاستجمام » ، و « عودة الأعضاء الجنسية إلى حالها الطبيعية » .

أما فترة الراحة والاستجمام فتدوم أسبوعين ، وأما عودة الأعضاء الجنسية إلى حالها الطبيعية فتشمل فترة الراحة والاستجمام في طواياها ، وهذه العودة الطبيعية تستمر ستة أسابيع تقريباً . والمؤسف أن المولدين والمولدات عادة يهملون إعطاء الأمهات وأزواجهن أي نصائح دقيقة عن العودة إلى الجماع ، كما أن الوالدات وأزواجهن لا يسألون المولدين نصحاً إلا في حالات قليلة شاذة . ومن ثم تخرج النساء الفقيرات من المستشفيات بعد ثمانية أيام أو عشرة ويعدن إلى بيوتهن في معظم المدن ، وسرعان ما يبدأ الاتصال الحسي من جديد .

أما المؤلفون الذين تناولوا هذا الموضوع ، فهم قلة ، وهم ينصحون بالاعتزال مدة طويلة هي مدة عودة الأعضاء الجنسية إلى حالها الطبيعية ولا يسمحون إلا نادراً بتقصير هذه المدة مع استبعاد الخطر ، فيقطعون منها « أسبوعاً أو أسبوعين » .

ولا أرى داعياً للاعتزال ستة أسابيع كاملة ما دامت الوالدة قد عادت إلى صحتها وحالها العادية .

وثمة ثلاثة أخطار رئيسية يجب تحاميها ، وكلها تتعلق بالأعضاء النسوية :

١ - العدوى .

٢ - النزف الدموى .

٣ - تهييج الجروح التى بدأت تلتئم .

ولقد أخرجت من المستشفيات والعلاج الخاص ألوفاً من السيدات بعد الوضع باثنى عشر يوماً أو أسبوعين ، وقل أن نصحت بالاعتزال حين يثبت الفحص الأخير عودة الجسم إلى حاله الطبيعية العادية ، وأعرف أن كوثرا من هؤلاء النساء - إن لم يكن معظمهن - قد عدن إلى الجماع بمجرد عودتهن إلى بيوتهن . وقد فحصت الأغلبية الساحقة من هؤلاء النساء مرة ثانية بعد ستة أسابيع من الولادة ، ولم أجد فيهن حالة واحدة ظهر فيها أى مرض أو اضطراب فى عودة الأعضاء الجنسية إلى حالها الطبيعية وكان السبب هو الجماع ، ولو أنه أمر شائع الحدوث (وقد لاحظت حدوث إصابات حديثة بالسيلان كانت ستحدث إن آجلاً أو عاجلاً ولو طالت فترة الاعتزال) .

ولماذا تحدث الملامسة أى مرض أو اضطراب ؟

تتفتح الأبواب لجراثيم حمى النفاس فى الأيام التى تعقب الولادة مباشرة ، ولكن الحال تختلف عن ذلك تماماً بعد أسبوعين . والتسلخات (ولو كانت كبيرة فى المنطقة بين الشرج والفرج) لديها

وقت كاف للالتئام - إلا إذا كان الطبيب قد أسرع بحرم الوالدة من رعايته قبل الأوان المناسب . ويبقى بعد ذلك خطر النزف من الرحم ، فالتهييج الحسى - دون شك - يحدث تضخماً موضعياً ، ولكنه يزيد قوة الانقباض العضلى فتعوض العواقب السيئة الناتجة عن زيادة توارد الدم .

وحالة المرأة الصحية بدنياً وعاطفياً - بعد أسبوعين من الوضع - لا تصلح سبباً لمنع الجماع . إنها تحتاج حقاً لمزيد من الرعاية والعناية ، فقد أدت عملاً كبيراً خطيراً (الولادة) وما زالت تكمله بالرضاعة . ومن حقها أن تتاح لها كل الفرص الممكنة لتستريح وتحظى بالرعاية الخاصة ، ولكن هذا كله لا يمنع العودة إلى الاتصال الحسى فى أرق صورة مع الاهتمام بمقدمات الجماع ، والألفاظ المعسولة التى تشعر المرأة بالإعزاز والتقدير ، ولا ينتقل الغزل إلى الاتصال الحسى إلا بالتدريج البطىء . ويجب ألا يتلون باللون الحسى الحيوى القوى إلا خطوة خطوة .

إن مواضع الملامسة تكون شديدة التأثر ، فإذا حدث جماع فيجب أن يتم بغاية الحرص والرقة بالوضع العادى دون تهييج جنسى مفرط ، وأعتقد أن مثل هذا الجماع مفيد مستحب عند المرأة الصحيحة أكثر من الانقطاع عنه ، وأعتقد أن المرأة السليمة تفضله بعد أسبوعين إذا كانت لم تتألم كثيراً فى الولادة وعند استجمام الجسم بعدها .

ولا أنصح مطلقاً بأن تحمل المرأة حملاً جديداً ، ولكن يندر

حدوث الحمل خلال ستة الأسابيع التى يستجم فيها الجسم وتعود فيها الأعضاء الجنسية إلى حالها الطبيعية . و يقل احتمال خطر الحمل إذا كانت المرأة ترضع بثدييها .

أما الطمث فيعود إلى الظهور بعد الوضع بستة أسابيع تقريباً ، وهو أمر تتوقعه المرأة التى لا ترضع طفلها ، و يغلب أن يكون مقدار الدم المفقود كثيراً غزيراً ، فليس من الحكمة زيادة التورم والتضخم بالتهييج والجماع ، بل يجب الامتناع التام عن كل نشاط منذ تظهر الأعراض الأولى حتى بعد زوالها تماماً بيومين .

أما الجماع فى الفترة بين بدء الحمل ونهاية الفترة التى تعود فيها الأعضاء الجنسية إلى حالها الطبيعية ، فيجب أن يكون فى النصف الأول من هذه الفترة (أربعة أشهر أو خمسة) بمنتهى الرقة والعناية ، و بدون تهييج عنيف و بشرط أن تكون المرأة متمتعة بالصحة التامة والظروف العادية . ومنذ منتصف الشهر الرابع يجب أن تقل مرات الجماع بالتدريج وينقطع تماماً قبل موعد انتظار الولادة بأربعة أسابيع على الأقل .

فإذا انقضى أسبوعان على الوضع ، وكانت الولادة عادية ، فيمكن معاودة الجماع بمنتهى العناية والرقة والحرص ، و يمكن زيادتها بالتدريج حتى الأسبوع السادس من الوضع ، وحينئذ تعود إلى عددها العادى ، و يمكن معاودة التحمس والاشتداد فى الجماع .

أما فترة الحيض الأولى ، فيجب الامتناع فيها تماماً عن الجماع .

الجماع فى أثناء المرض

يحتاج موضوع السلوك الحسى فى أثناء المرض إلى ملاحظات ضرورية لن نسهب فيها رغم طرافتها وأهميتها العظمى - لئلا يطول الكتاب .

يجب أن نميز بجلاء بين تأثير النشاط الجنسى المباشر و بين ثمار هذا النشاط من حمل وولادة واستجمام تعود فيه الأعضاء الجنسية إلى حالها الطبيعية ، ففى أكثر أنواع المرض الشديد يكون لأعمال التكاثر (ثمار النشاط الجنسى) تأثير خطير معاكس ليس للعمل الجنسى نفسه ، وسنهتم هنا بتأثير العمل الجنسى وحده .

من الواضح المؤكد أنه يجب منع الملامسة فى كل الأمراض التى قد تحدث العدوى فيها بين الزوجين (إلا إذا اتخذت الاحتياطات الصحية الملائمة) . و يجب الامتناع تماماً عن الاتصال الجنسى إذا كانت أعضاء الذكرة أو الأنوثة مصابة بأمراض حادة .

والتهاب الأعضاء الجنسية التهاباً مزمناً يمنع بنفسه كل عمل جنسى بسبب مايحدثه من آلام ، أما إذا كان الالتهاب خفيفاً فقد يشتد و يعود مؤلماً .

وعلى ذلك أرى أن الأطباء النسويين قساة جداً فى هذا المنع والتقييد ؛ إذ يجب ألا ننسى أن الامتناع الجنسى التام بين زوجين له أضراره - إذا طال المرض .. فيجب على الطبيب حين تتاح له

الفرصة ، أن ينصح بالاعتدال فى الانغماس الحسى ، كما يجب أن يؤكد ضرورة العناية بكل مايمنع الضرر المحتمل (كاتخاذ الأوضاع المناسبة للاتصال الحسى ـ وقد ذكرت فى الفصل الحادى عشر) .

ومن الممكن اتخاذ إجراءات جراحية إن كان من المحتمل أنها ستجعل الجماع أقل إيلاماً . وإذا أخطرت مريضة بأخطار العمل الجراحى ومساوئه ، وأخطرت كذلك بما يحتمل حدوثه عند إهمال الجراحة فلن ترفض الجراحة ، بل ستفضل إبقاء سعادتها الزوجية المؤكدة على أخطار العمل الجراحى وآلامه التى قلت كثيراً فى السنوات الأخيرة .

ونحن الأطباء يجب أن نتردد طويلا قبل التوصية بالمساعدة الجراحية ، فالعلاقة الزوجية إذا تهدمت وذوت كان لابد من الرجوع إلى مشرط الجراح .

لا يهتم الأطباء بحفظ قدرة المرأة الجنسية واستعادتها هذه القوة ، وهذه حقيقة هامة ، ويندر أن تطالب النساء بذلك مطالبة واضحة صريحة ، بل إنهن لايكدن يفكرن فى المستقبل وصوره ومزاياه .

ويتجنب معظم الأطباء هذا الموضوع كله بسبب التحفظ ولو أنه خطأ كبير ، أو يتجنبونه بسبب عدم تقديرهم أهميته . ولكن موضوع النشاط الحسى والقدرة والتجربة الجنسية لا يقل مطلقاً عن أهمية الخصب والقدرة على التكاثر التى نهتم بها فى تقديرنا الطبى اهتماماً شديداً له أساسه فى الحق والصواب .

إن القوة الاقتصادية لاتتأثر إن كان كسب الرزق بالعمل اليدوى أو العقلى ، وهذه القوة هى الحيـاة نفسها . وكذلك لاتشعر بروعة الحيـاة و بأنها تستحق أن نحياها ونحافظ عليها إلا بقدر مانرغب فى الاستمتاع بالحياة الجنسية ولذاتها ومعانيها . ولهذا يجب عدم الاقتصار على الحالات التى اضطررت إلى ذكرها ، بل يجب تعميم النصح فى كل الحالات المتعلقة مباشرة أو غير مباشرة بالنشاط الحسى ومزاولته . يجب علينا ـ نحن الأطباء ـ أن نهتم بأهمية الوظيفة الجنسية الاهتمام العظيم الذى تستحقه عند قيامنا بالفحص والتشخيص والمقارنة والنصح والعلاج .

وتؤثر حالات المرض العام الشديد تأثيراً ينقص الشهوة والقوة والقدرة (فى الرجال خاصة) بسبب ماتحدثه من إجهاد وإرهاق . ولـكن أنواع الحمى المختلفة تزيد الشهوات الجنسية اشتعالاً كما تزيد القدرة الجنسية بدرجة طفيفة لمدة قصيرة . ويعقب الجماع وما فيه من التوتر العضوى العام ـ انهيار شديد .

ويؤثر المرض فى الجهاز العصبى فيزيد التهيج فى الأمور الجنسية . ويضاف إلى هذا الضعف الشديد . وهذا الموقف الصعب الشديد قد يزداد سوءاً بالرفض والإخفاق ، وليس من حق الزوج (الرجل أو المرأة) ولا من حق الطبيب أن يمنح حق الجماع أو ينكره على المريض ـ مهما تعقدت الأسباب وتناقضت .

وأخيراً تجب الإشارة إلى ماللجماع من عواقب قاتلة مميتة فى كثير من الرجال الذين تتصلب شرايينهم بسبب ارتفاع ضغط الدم الذى يصاحبه .

وكذلك نؤكد حقيقة ذائعة ، هى أن الجماع العادى يستطيع أن يؤثر تأثيراً محموداً مرغوباً فى كل حالات المرض العصبى .

العناية بأعضاء الجامعة ونظافتها

تحتاج العناية بالأعضاء الجنسية إلى تفصيل لاسيما فيما يتعلق بتنظيفها وغسلها . وقد تبدو هذه الملاحظات والإرشادات تافهة ، ومع ذلك فهى هامة ، لأننا نهمل وسائل التنظيف ، وقد نستعملها بطريقة تؤدى إلى الضرر المحتم . وقد كررنا أهمية هذه الوسائل .

وتنظيف هذه الأعضاء صعب حقاً لصعوبة الوصول إلى الثنايا والفجوات الدقيقة والالتصاق بالمادة الشحمية البظرية أو الذكرية . وقد شرحنا هذا كله وأطلنا الشرح فى الفصلين الخامس والسابع .

وأطالب غير الأطباء بمراجعة هذين الفصلين قبل الاستمرار فى قراءة هذه الفقرات .

إن النظافة التامة المتكررة تزيل المادة الدهنية البظرية أو الذكرية ، كما تزيل المواد العضوية المتحللة التى تتجمع على الأعضاء الجنسية والحاجة ماسة إلى تكرار الغسل والتطهر لاسيما أن فتحة البول فى وسط الأعضاء الجنسية الخارجية ، والشرج يجاورها وخاصة فى المرأة .

فالإرشادات التالية ضرورية جداً للتخلص من المواد الدهنية والإفرازات الدقيقة وجراثيم الأمراض .

إرشـــــاد للرجال

(بالإضافة إلى التطهر العادى والغسل)

١ — نظف رأس الذكر (قمته) بعناية صباحاً ومساء ، وكذلك السطح الداخلى للجلد الأمامى وحافته ، ويحتاج الأمر هنا إلى جذب الجلد الأمامى للخلف ليمكن التنظيف . واستعمل فى ذلك ماء نظيفاً وقطعة صغيرة من النسيج[1] مبتلة بالماء ولا بد من تجديد قطعة النسيج كل مرة فلا تستعمل قطعة مرتين .

٢ — تجنّب تلويث الملابس الداخلية فى أثناء التبول ، فإذا تلوثت فيجب تغييرها . وكذلك يجب تغيير الملابس الداخلية بكثرة ما أمكن . ويسرى هذا الكلام على الجلاليب والمنامات (بيجاما) .

٣ — ننصح باستعمال قطعة من النسيج النظيف لمسح العضو مسحاً رقيقاً ، وتنظيفه بعد التبول .

---

(١) والنسيج الجراحى (لنت) باهظ الثمن ، ولكنه ضرورى فى هذا المجال . وعلى أى حال فلن يحتاج الرجل إلا إلى قطع صغيرة جديدة يستطيع أى بيت متواضع أن يحتمل ثمنها ، فإذا لاحظنا أنها ضمان ضد المرض ، أدركنا كم هى زهيدة الثمن .

٤ — يجب غسل العضو وتنظيف قمته (كما فى ١) بعد الاتصال الجنسى أو فى نهاية الملاعبة التى تعقب هذا الاتصال .

٥ — قد يظهر التهاب فى العضو بعد استعماله استعمالاً عنيفاً كما يحدث حين يقل « التشحيم » فيحدث فى الجلد مايحدو إلى خدشه بالأظافر (الأكلة) ويحدث حرقان ، وتضخم خفيف واحمرار فى حافة الجلد الأمامى للعضو ، فإذا حدث شىء من هذا ، فيجب توخى العناية التامة والرقة الشديدة فى التنظيف بالنسيج مع جذب الجلد الأمامى للخلف ، وامسح مسحاً رقيقاً ، وانثر مسحوق « التلك » على العضو كله نثراً خفيفاً بحيث لايتكاثر ولا يتراكم . (طبقة رفيعة جداً من الذرور) . واهتم بنثر هذا المسحوق على قمة العضو وحافة الجلد الأمامى . والمقصود بهذه الطبقة الرفيعة من المسحوق منع الاحتكاك بين قمة العضو وحافة الجلد الأمامى .

للنســـاء

(بالإضافة إلى التطهر العادى والغسل)

(١) نظفى الفرج (الجزء الظاهر الخارجى) كل صباح ومساء مع العناية الخاصة بالثنايا والفجوات المحيطة بالبظر والشفرين الصغيرين . استعملى قطعة نظيفة من النسيج كلما ذهبت للمبولة ، ونظفى بماء دافىء قليل الدفء ، ثم جففى برقة وعناية بفوطة نظيفة . ولا تحكى الأعضاء حكاً .

(٢) عليك بالتنظيف بعد التبول ـ ما أمكن ـ لإزالة كل آثار البول . واستعملى مغسل الأعضاء الجنسية (بِدِيه) والنسيج النظيف والماء الدافىء قليلاً أو الماء الباردة . جففى بمجففة نظيفة .

(٣) نظفى فتحة الشرج بعناية بعد التبرز واستعملى نوعاً جيداً من ورق التنظيف لإزالة كل الفضلات الجامدة وامسحى فقط من الأمام إلى الخلف ، ولا تمسحى أبداً من الخلف للأمام . ثم اغسلى من الأمام للخلف ، فالمنطقة بين الفرج والشرج يجب تنظيفها بكل عناية .

أما إذا أخطأت الطريقة فى إزالة الفضلات ، فقد يحدث ما حدث لسيدات كثيرات إذ أصبن فعلا بضرر شديد . وأخيراً فاستعملى ماء جديداً ونسيجاً جديداً لتنظيف الفرج (الجزء الخارجى الظاهر) من قطرات البول . ويجب تجنب تلويث الفرج بفضلات البراز والامتناع عن كل ما يؤدى إلى هذا التلويث ـ بكل طريقة وبأى ثمن .

(٤) تجنبى تلويث البياضات بالبول أو البراز أو الإفرازات . وغيرى البياضات إذا تلوثت ، فمن الضرورى الإكثار فى تغيير الملابس الداخلية ومفروشات المخدع .

(٥) يجب الاهتمام بالنظافة فى أثناء الحيض اهتماماً شديداً للغاية . ويجب تغيير اللفات والمجففات الصحية بكثرة كلما أمكن ، ولا تستعملى فى ذلك سوى المجففات النظيفة تماماً . وغيرى ملابسك الداخلية يومياً

على الأقل ، و إذا استطعت فغيريها مرتين كل يوم .

(٦) بعد انتهاء الاتصال الجنسى ، أو الملاعبة التى تعقب هذا الاتصال ـ اغسلى الفرج بعناية ودقة (كما هو مشروح فى ١) .

(٧) قد يظهر فى الفرج التهاب بعد العمل الشديد ، ولا سيما حين يكون التشحيم صعباً ، أو إذا أحدثت إفرازات الطمث أو غيرها احمراراً أو حرقاناً ، أو أكلة ، أو تضخماً طفيفاً أو أى تسلخ دقيق تافه فيجب تنظيف الفرج بعناية تامة ورقة شديدة ، ومسحه مسحاً رقيقاً لتجفيفه ، ثم ذره بمسحوق التلك من قطعة من النسيج مغمسة بهذا المسحوق . ذرى فوق الفرج والشفرين الصغيرين . و إذا كنت تثقين فى امرأة أخرى فاستعملى رشاشة المسحوق وكررى ذلك بعد كل تنظيف .

و إذا حدث التهاب فضاعفى النظافة ، فهى ضرورية لا غنى عنها . وتجنبى ما يدعو لالتهاب جديد فى هذه الأجزاء حتى يعود الشفاء (ويجب أن يحدث الشفاء بسرعة) .

(٨) لا تستعملى « الدش » للتنظيف ، فهو يتلف أعمال المهبل الكيموية وما فيها من تطهير طبيعى ، و إذن فلا تستعملى « الدش » إلا بناء على نصيحة طبية . ومع ذلك فالطبيب النسوى الحديث يتجنب كتابة هذا النوع من الغسيل .

نصائح للرجال والنساء

— عليك باستعمال الماء النظيف النقي . و إذا تعذر الماء المرشح ، فيغلى الماء قبل الاستعمال(١) .

— عدم استعمال الإسفنج ورشاشات المساحيق .

— عدم ارتداء الملابس الصوفية في مناطق الأعضاء الجنسية .

— عدم الاقتراب من أعضائك الجنسية أو من أعضاء زوجك إلا إذا كانت يداك نظيفتين نظافة مطلقة تامة ، فهذا أمر هام جداً ، وهو أهم للنساء .

إني أرجو القراء والقارئات ، وأتوسل إليهم لصالحهم ألا يعتبروا هذه الإرشادات شيئاً متعباً أو مبالغاً فيه . فإهمال أي شيء منها قد يحدث أوخم العواقب ولو اختفت العلاقة بين السبب والعاقبة .

لن يكون الزواج مثالياً سعيداً إلا بالاحتماء بالنظافة البدنية .

---

(١) ليس في طلب غلي الماء أي مبالغة ، فقد نشرت في سنة ١٩٠٧ مقالا عن تسع حالات من العدوى في أعضاء الأنوثة . وكان السبب فيها الاغتسال بماء النبع غير المرشح ، ثم انتقلت العدوى إلى أزواج أولئك السيدات التسع . وفي المقال معلومات أخرى ، وكان عنوانه « بلاستوميست (نبات دقيق جداً) والتهاب أعضاء الأنوثة » في مجلة الولادة الألمانية عدد ٣٨ سنة ١٩٠٧ .

الفصل السابع عشر

صحة العقل والنفس والشعور

يمكن الاحتفاظ بالصحة والعناية بها بتحسين وظائف الجسم الطبيعية ، ومناهضة كل مايهدد الجسم .

وكلما اشتدت قوة الجسم وقدرته على تأدية وظائفه استطاع مغالبة الأذى والمرض . فالجهود المبذولة فى تحسين قدرة الجسم على تأدية وظائفه لها فائدة صحية مزدوجة ، ولكن يجب عدم الإفراط فى هذه الجهود بأى حال لئلا تحدث أذى بدلاً من الفائدة .

فلنعتبر « الزواج المثالى » بين زوجين جسما واحداً حياً مستقلاً ، ولندرسه فى ضوء شعارنا الصحى : « استمتاع دون إفراط ، وكفاية دون مبالغة » .

ولقد حاولنا فى الفصول السابقة وضع أسس المهارة البدنية الفنية التى تيسر لهذا الجسم تأدية أهم وظائفه وهى الاتصال الجنسى بالدرجة الكاملة الصحيحة التى يجب أن يؤدى بها ، وقد نصحنا بتجنب الأخطار والمتاعب والأضرار التى تنشأ عن الخطأ فى العمل ، وانتهزنا الفرصة فنصحنا كلا من الزوجين بعدم الإجهاد والإفراط الحسى .

وأوضحنا أن النشاط الحسى يفيد النفس (والمزاج والقدرة العقلية) فى كلا الزوجين ماأتفق وقواهما العامة والخاصة (الجنسية) . وأود أن نكرر هذه النقطة ونعيد الاهتمام بها ، فالإجهاد والإفراط فى هذه

الناحية يضران الجسم عامة والأعضاء الجنسية خاصة ولا سيما فى الرجال. والنشاط الجنسى العنيف لا يتفق ولا ينسجم مع الجهد العقلى الشديد فى كثير من الناس، ولا سيما الرجال. والزوجان المثاليان يجب أن يتفقا فى التفكير و يعترفا بهذه الصعوبة و يستعدا لها.

و يقودنا هذا الرأى إلى مبدأ صحى أساسى، وهو أنه يجب ألا تتغلب أى وظيفة من وظائف البدن على سائر الوظائف، لأن الجسم يئن و يتألم إذا أهملت الوظائف أو ذَوَى دورها، بسبب تغلب وظيفة واحدة.

وحين نطبق هذا المبدأ فى الزواج المثالى، فمعناه أنه مهما ارتقت العلاقة الحسية المتبادلة، فيجب ألا تطغى العلاقة الحسية على العلاقة الفكرية المشتركة بين الزوجين، و يجب ألا تنقص منها، أو تؤثر فى الود النفسى والمشاركة النفسية بين الزوجين، فيجب أن يتساوى الجسمان والعقلان والعواطف والمشاعر فى الانسجام.

و إذا تحقق الزواج المثالى، شمله الانسجام العام بطبيعة الأمور، فالزوجان يظلان حبيبين ما استمرت بينهما المشاركة فى الحياة الحسية وشدتها ومداها. وكل حبيبين يتوافقان و ينسجمان انسجاماً روحياً.

ولا خطر من الحرمان النفسى، ولكن الخطر ينشأ من الإفراط فى الاعتماد على العاطفة والانغماس فى المشاعر لأنه يسئم الزوج الذى يعتمد على هذا الإخلاص المتقطع.

ولا يتسع المجال لمناقشة أسباب هذا الانغماس وعلاجه . ويكفى أن نشير إلى خطره إثباتاً لمبدأ الحياة العملى السابق .

(فليكن بين الزوجين حب ، وليكن بينهما تعلق ، ومشاركة متبادلة فى أمور العقل ، ولكن لابد من الود الخالص والوفاء العميق الكامل فى كل لفظ وعمل ، ومع ذلك فليترك كل من الزوجين لزوجه فراغاً كافياً ، وراحة كافية ، ووقتاً كافياً . وليحترم كل منهما شخصية زوجه ورغبته فى أن يخلو إلى نفسه . وليتعلم كل منهما متى يترك الثانى لنفسه وكيف يتركه .)

وهاك درساً ثانياً من أهم دروس الحياة :

[لو أن كل رغبة جنسية أشبعت إشباعاً تاماً ، لنشأ خطر التخمة التى تنشأ بعد كل إفراط . وحينئذ تخيم ظلال التخمة المميتة المدمرة على كل العلاقات الجنسية فى الزواج ، وهو أمر لابد أن يحدث إن عاجلاً أو آجلاً . والزواج المثالى نفسه لا يستطيع مقاومة هذه الظلال البغيضة مقاومة تامة ، فهو عرضة للتأثر الشديد بالإفراط فى العلاقات الحسية .

قد يقال إن الزواج المثالى يتصف بنشاطه الحسى المنسجم القوى ، وما فيه من سحر التنويع والاختلاف ، فهو لا يسئم مثل النشاط المتشابه الممل الذى ينبع عن الجهل بالأمور الحسية ، ومع ذلك فإن الكمال المثالى والدقة التامة يحملان فى أطوائهما احتمالاً قاتلاً قاضياً هو « الإفراط فى العلاقات الحسية » .

وهو احتمال مؤسف ثقيل ، بل خطر أشد وأقسى لأنه يداهم الزوجين العاشقين ويفاجئهما وهما فى غفلة عن الخطر ، وبذلك ينزلقان فى منحدر خداع خؤون ، وإذا بهما قد فارقا سماء السعادة على حين غرة .

ومن أهم الواجبات النفسية محاربة هذا الشقاء بتجنب الإفراط أو التخمة بطريقة دقيقة ماهرة وتحفظ حكيم فى فترات مناسبة . وليس أنفع للزوج من أن يتذكر نصيحة بلزاك :

« ما أشقى الزوج الذى لا يترك لزوجه شيئاً تتطلع إليه ! »

ترفع المرأة قيمتها فى عين زوجها إذا مزجت سحرها الجميل الخلاب بين وقت وآخر بالتحفظ والتظاهر بالخوف لتزيد الرجل ولعاً بها ورغبة فيها .

وقد سجل شكسبير وصف هذه المرأة وصفاً خالداً حين وصف « ايموجين » فى قصته « سمبلين » :

« عاقتنى عن لذتى المشروعة وتمنعت ، وكثيراً ما توسلت إلى أن أنتظر ، بينما الحياء يضرج وجهها بحمرة الورد ، حتى ليكاد منظره العذب أن يبعث الدفء فى كوكب زحل بالرغم مما فيه من برد ! »

ولكن يجب ألا تنسى المرأة أن المبالغة فى الزهو والغرور والتحفظ وتظاهرها بالخوف من الرجل لتجذبه إليها ــ تؤذى الزواج المثالى ولا تتفق معه ، فالأمر كله يتوقف على طريقة التمنع وظروفه .

وقد كتب « ريمى دجورمون » : « للنساء طرق فى التمنع وعدم إعطاء أنفسهن ، وهى طرق أشد إبهاجاً وإمتاعاً من أى شىء » ،

ولكن هذا التمنع لا يثير المتعة واللذة إلا إذا كان ممتلئاً بالرقة

والنعومة والرشاقة ، وبحيث لا يكون نوعاً من الأثرة البغيضة .

وللتحفظ الشخصي فائدة أخرى في تجنب (رفع الكلفة المستمر) في تفاصيل الحياة وفي المظاهر العادية الشائعة .

وهنا تغني لمحة سريعة عن تخصيص صفحات للشرح ، وقد أفصح عنها بلزاك (وقد أشرنا قبلا إلى معرفته الواسعة و بصره الثاقب ، وهي أحسن ماقيل في هذا الصدد) : « الرجل الذي يفاجيء زوجه في أثناء ارتدائها ملابسها في حجرتها الخاصة إما أن يكون فيلسوفاً أو أحمق » .

لقد تناولنا موضوعاً من أهم موضوعات الزواج المثالي والعلاقات الزوجية العادية . ونعود الآن للزواج المثالي في ضوء الصحة النفسية لنسأل عما إذا كان لابد من مساويء تصاحب تقوية الزواج المثالي وإطالته ودعمه وإعلاء العلاقات الجنسية بين الزوجين وصقلها . والسعادة التي يستطيع أن يجلبها الزواج المثالي ـ يمكن شراؤها بأبهظ التكاليف على حساب الاتزان النفسي بين الخبرة والقدرة الإنسانية الكاملة وبين المعايير الخلقية في سائر نواحي الحياة .

وذلك حال الزاهدين — في المزاج أو الرأي أو فيهما معاً — سواء أكانوا يتبعون مذهباً دينياً واضحاً ، أم لم يكن لهم مذهب ، فهؤلاء لا يحتاجون لسعادة الزواج المثالي أوهم يعزفون عن التطلع إليها ! وهم ينبذون هذه اللذة الإنسانية القصوى لأنها تناقض رأيهم في الطهر والنقاوة

وفى (تقديس الحياة بتخليصهم من كل القيود والروابط التى تربطهم بالأرض ، وتحويلها إلى النواحى الروحية)[1] .

وتمعن بعض الجماعات المسيحية فى تخليص نفسها من القيود الدنيوية وفى ضرورة محاربة هذه الأهواء ، بينما يشتط بعضها (وهو الأقل) فى هذا الطريق إلى نهايته . وقد أظهر « تسيلوفن شفر » فى كتابه فلسفة الزواج أن : « عقيدة الإثم — ولا سيما فيما يتعلق بالشهوات والتجارب الحسية — تؤثر فى سلوك المسيحى نحو نزوات البدن ، وهى توصم بالإثم والدنس بدلا من تمجيدها واعتبارها لب الوجود وذروته — كما ترى العقائد الأخرى »[2].

لن يتعارض الدين مع الزواج المثالى فيمن يتمسكون بالإيمان حقاً ويحاولون تطبيقه فى حياتهم (فالزواج المثالى لايدخل فى حسابهم) وهناك آخرون لايتقيدون بالتحيز أو العقائد الدينية الموروثة ، وهؤلاء لايتوزع وفاؤهم وولاؤهم .

ولكن ما حال أولئك الذين تتحكم فيهم المثل العليا الخلقية ، والتقاليد الدينية ، والرغبات الحسية بدرجة شديدة متساوية ؟

ويمكن تحوير السؤال وتوجيهه التوجيه العملى ، فيصير :

كيف تؤثر العقائد الدينية المنتشرة فى العالم الغربى فى أسس الزواج المثالى المذكورة فى هذا الكتاب ؟

---

(١) تسيلوفن شفر : فلسفة الزواج ص ١٥٢ .

(٢) فلسفة الزواج ص ١٥٤ .

يجب ألا نتجاهل هذا الموضوع أو نتجنبه ، فهو يؤثر أشد التأثير في الناحية النفسية من الزواج المثالي – إذ أنه لو حدث حقاً تعارض وتناقض بين أرقى أطوار الزواج البشرى و بين قواعد السلوك والعقائد الدينية لأدى ذلك إلى العراك النفسى والتنافر والتنازع بين الزوجين مما يعرض علاقتهما النفسية للخطر والاضطراب .

وللموضوع أهميته ويجب ألا نتجنبه لما ظهر من ميل للزهد في الجماعات المسيحية المنظمة التي تتمسك بالتقاليد وتهواها . ويستطيع الزواج المثالي تحوير نفسه محتفظاً بخواصه الأساسية إذا تعارضت بعض تفاصيله المعقولة المرغوبة مع العقيدة الدينية ونواحيها العملية .

راجعت الانجيل ورجال الدين ودور الكتب في بالرمو ونسوريخ ، و « الطب في الإنجيل والتلمود » (بروس) ، وطب القساوسة (كابلمان – برجمان) وكتب الأخلاق الكاثوليكية التي كتبها سنكر ، والفونسو ماريا دليجورى ، وسكافيني وكريسون ، وجورى . أما مراجعى البرتستنتية فهى محاورات لوثر وكتب فريسيس ولند ، وجروتشك ، وستفن ، وموسوعة الأخلاق والدين .

ويصعب علينا تلخيص ما تراه هذه العقائد لما فيها من تناقض وتعارض .

وللعبريين قواعد تقليدية محددة واضحة أخذوها عن الشريعة الموسوية ، وأهمها منع كل العلاقات الحسية بما فيها من جماع أو لمس أو مس لبدن المرأة (فهى في الشريعة الموسوية نجسة) خلال الحيض وفترة عودة أعضاء الأنوثة لحالها الطبيعية بعد الولادة ، ويستمر الأمر كذلك حتى تستحم استحماماً تقليدياً مفروضاً عليها بعد فترة محددة من الزمن ، وحينئذ

تغتسل وتتطهر . ولا ضرورة لذكر هذه القواعد بالتفصيل ، فاليهود يعرفونها وغيرهم فى غنى عنها .

ومع ذلك تحدد هـذه الشريعة فصولا عدة للامتناع والاعتزال بين الزوجين ، ولا تعارض فيما عدا ذلك من أسس الزواج المثالى . والواقع أنها تؤكد نصائحى من بعض النواحى ، فهى تصر إصراراً على ترك العروس الجديدة فترة كافية بعد إزالة بكارتها (ولو أن هذه الفترة تعتبر طويلة طولا لا داعى له من الناحية الطبية) . وهم يرون أن فقدان الدم الطفيف من العذرة الممزقة يشبه انتهاء فترة الحيض ، ويطالبون بالامتناع والاعتزال بين الزوجين سبعة أيام فى الحالين كلتيهما .

والأرثوذكس من «أتباع كالفن» ينبذون الجماع وقت الحيض ، ويشبهون اليهود فى ذلك ، ويشيرون إلى نصوص العهد القديم فى سفر «اللاويين» .

ففى الإصحاح الخامس عشر : « وإذا كانت امرأة لهـا سيل ، وكان سيلها دماً فى لحمها ، فسبعة أيام تـكون فى طمثها ، وكل من مسها يكون نجساً إلى المساء » .

وفى الإصحاح الثامن عشر : « ولا تقترب إلى امرأة فى نجاسة طمثها لتكشف عورتها » .

وفى الإصحاح العشرين : « وإذا اضطجع رجل مع امرأة طامث وكشف عورتها عرى ينبوعها وكشفت هى ينبوع دمها ـ يقطعان كلاهما من شعبهما »

ولا أدرى أكان أتباع « كالفن » البرتستانت يحسبون فى فترة الاعتزال سبعة الأيام التالية للحيض ! ولـكن لا شك أن بعض المقامات تميل إلى هذا الرأى فى المسائل الحسية ، وهو رأى يهودى خالص .

أما نبذ كل الأعمال التى قد تؤدى إلى منع الحمل ، فهو مبدأ جنسى

عند الرومان الكاثوليك ، وهو يماثل قواعد البروتستانت واليهود وله أساس فى « العهد القديم » .

ولكن يجب أن يكون مفهوماً جلياً أن هذا الأمر (منع الحمل) مستقل تماماً عن أساس الزواج المثالى .

فأساس الزواج المثالى أن العلاقات البدنية الجنسية تستعين بالمعرفة الصحيحة والفن الوافى فى منح الزوجين معاً متعة دائمة كاملة ، وتزيد حبهما المتبادل وتساهم فى إمتاعهما بحياة مفعمة بالسعادة الخالدة المشتركة .

فهذا الأساس لاينطوى حتماً على قواعد منع الحمل العلمية ، بل إن الطرق المعروفة المستعملة الآن تناقض غالباً مطالب الزواج المثالى إذ تقلل من التهييج وتدمر الانفعالات الطبيعية ، وتفسد الأحاسيس اللذيذة العادية ، وتثير الذوق السليم وتقتل الرغبة فى الجماع .

تؤثر أسباب الحمل وعواقبه تأثيراً كبيراً فى السعادة الزوجية ، وكثيراً ماتفسد العلاقات الجنسية وهو أمر نلمسه كثيراً . ولكن الموضوع معقد مهم ، ويحتاج إلى كتاب مستقل ليوفيه حقه ـ كما ذكرنا فى تقديم الكتاب . ولم أتناول موضوع منع الحمل فى هذا الكتاب لهذا السبب ، ولئلا تتراكم مشاكل الكتاب الكثيرة وتزداد تعقيداً .

وخلاصة القول أن الزواج المثالى يجب ألاّ يتعارض مع الأمر الكاثوليكى الخاص بالابتعاد عن طرق منع الحمل وكراهية هذا المنع لأسباب دينية . وليس من نصائحى للمتزوجين مايستفز شعور المتدينين

فى المسائل الجنسية (فيما عدا بعض النصائح الخاصة بالمرض) .

وأما فيما عدا ذلك من أسس الزواج المثالى ، فيسرنى أن أؤكد حقيقة ثابتة هى أن الآراء التى نصحت بها فى أسس الصحة البدنية للزواج المثالى يجب أن تتفق تماماً مع المذاهب الدينية والقواعد الخلقية ـ لأنها ليست إلا تطبيقاً للقاعدة الذهبية القائلة بعدم إيذاء الجار أو الطفل الذى لم يولد (والجار فى الزواج هو الزوج رجلا أو امرأة) .

وأكرر هنا أن نصائحى الخاصة بالجماع وقت الحيض ، وعند عودة الأعضاء الجنسية لحالها الطبيعية بعد الولادة ـ لا تتفق مع القوانين التقليدية العبرية ولا مع آراء بعض البروتستانت . وقد لفت النظر إلى هذا التعارض لفائدة من يهمهم الأمر ، ولمنع سوء التفاهم ، ولئلا يستنتج القراء آراء تخالف آراء الكتاب (ثم يظنون أنى أخدعهم) . ولكن هذا لا يمس مطلقاً أساس الزواج المثالى .

وتصرح القواعد الخلقية الكاثوليكية بالجماع خلال هاتين الفترتين دون تحفظ ما دام لا يؤذى صحة المرأة أو حياتها . والآراء الدينية المختلفة تتفق مع آرائى الطبية اتفاقاً عاماً فى موضوع الجماع وقت الحمل والمرض ، وقد يكون فيها اختلاف شخصى يختلف فيه الأطباء !

ولا يعارض اليهود والبروتستانت أى معارضة فى تنويع طرق الجماع وأوضاعه ، فليس هناك ما يدعو لافتراض أنهم يعتبرون « الوضع الطبيعى المعتاد » الوضع المقبول الصحيح دون غيره ، أما الكاثوليك فيسمبون

فى التفصيل ويرون أن اتخاذ الأوضاع الأخرى (غير الوضع المعتاد) هفوة أو مخالفة أو إثم يمكن غفرانه .

أما الملاعبة والتهييج الموضعى أو الجنسى فيلتزم اليهودوالبروتستانت السكوت فيما يتعلق بهما ، وليس السكوت منعاً ، بل هو موافقة ورضاً . ولكن الكاثوليك يتفقون معى إذ يسمحون بالتهييج الموضعى استعداداً للجماع الطبيعى وإكمالاً له .

ومن الطريف أن نقارن بين تعريف الجماع العادى على أسس بدنية خالصة (فى أول الفصل الثامن) وبين تعريف الكاثوليك الذى قامت عليه قواعد الكنيسة وقيودها ، فهى مقارنة منيرة موضحة إذا تتبعناها نقطة نقطة ، ولكن يؤسفنى أن أسقط هذه المقارنة من الكتاب ، وأتركها للقارىء المهتم ذى المعرفة الواسعة المتصلة بالأخلاق والدين ووظائف الأعضاء ، فهى هامة جداً للمقارنة .

وأؤكد عن يقين أن هذه المقارنة تثبت التناسق التام بين وظائف الأعضاء والشريعة السماوية ، وتثبت صحة المعادلات التالية إثباتاً قاطعاً باهراً .

الصحيح فى علم وظائف الأعضاء : صحيح شرعاً بل هو أمر سماوى : خير خلقياً : مشروع يقره الدين .

وعكس هذه المعادلات كلها صحيح .

ولكن مارأى البرتستانت فى هذه المسائل والمشاكل والأفكار ؟

من الصعب العسير تكوين رأى فى ذلك لأن البرتستانت موزعون متفرقون ، لا تجمعهم وحدة ، فهم يشبهون اليهود والكاثوليك .

وقد سألت الكثيرين من رجال الدين البارزين فى كل قطر وصقع ،

ومن كل رأى ومذهب ، فأجمعوا دون استثناء على أنهم لم يختبروا هـذه الناحية من السلوك الإنسانى وأنهم لا يعرفون رأياً أو عقيدة فى صددها . وقالوا إنهم لم يثيروا مسألة الحلال والحرام فى الزواج ولم يناقشوها بينهم وبين أنفسهم ولا بينهم وبين أتباعهم ، وأنهم لا يعرفون المطبوعات الفنية — فيما عدا حالة واحدة . ولكن أستاذاً من مدرسى الدين ساعدنى على الوصول إلى هذه المطبوعات ، وأنا مدين له بالشكر . ولكنى لم أروغاق بهذه المطبوعات لأنها لم تتناول الإجابة على أسئلتى إلا إجابة جزئية .

والرأى العام الذى خرجت به يتفق مع قبس تاريخى من « موسوعة الدين والأخلاق » البريطانية هو السطور التالية :

« مال لوثر فى تقسيمه الحلال إلى التخفيف بل الإهمال والتوسع . وتوسط فى الأمر أتباع مذهب الورع والتقوى (الذى ظهر فى ألمانيا أواخر القرن التاسع عشر) فنشأت الأخلاق المسيحية بمعناها الشائع الآن . ولكن تقسيم الحلال والحرام كان أشد وأدق بين البيورتان الكالفنيين . وهو أدعى للحزن والندم على كل تفريط .

وأعتقد أنى أقرب إلى الحق إذا قلت إن أتباع لوثر يقربون من الكاثوليك فى النظام الخلقى ، فهو نظام مفصل كبير واسع التأثير دون أن يكون مهملا فضفاضاً . ويتشابه البروتستانت المحدثون مع أتباع لوثر وكنائس الإصلاح أو البروتستانت الأرثوذكس ، ولا سيما أتباع « كالفن » فهم يتصفون بأمثلة من الميول الخلقية تبدأ بالتحرر التام فى تقدير الأمور تقديراً خاصاً شخصياً وتنتهى إلى قيود أتباع مذهب التقوى التى تشتط فى المنع والعزل .

ويبدو فى الكنيسة الانجليزية أن الانجليكان المترفعين يشبهون الكاثوليك

فى هذا الصدد كما يشبهونهم فى نواح أخرى . ويبدو أن الباقين يقربون من أتباع « كالفن » . أما البرتستانت والأرثوذكس فى الولايات المتحدة الأمريكية فيعدلون أنفسهم تعديلا ظاهراً وفق تعاليم البورتان القديمة .

فالبروتستانت لا يتقيدون بأى قواعد أو عقائد فى سلوكهم الجنسى الزوجى ، بل يخضعون لإرشاد ضمائرهم الشخصية ، وهذا الإرشاد يختلف حسب التعاليم الدينية القديمة ورغبة الشخص فى التحرر التام داخل القيود المعتادة أو التقيد الشديد المحكم(١).

كيف نوفق بين الآراء الدينية الموروثة والزواج المثالى ؟

إن الزواج المثالى لا يهم الذين يأملون فى الاستمتاع باطمئنان العقل والروح ، أو الاستمتاع بشهواتهم بتحويل الحياة إلى وجوهها السامية الزوجية وتخليصها من كل ماهو أرضى بدنى (فمن الزهاد والمتنسكين من يقطع دهره كله متعبداً منصرفاً عن الدنيا إلى مابعدها ، جاعلا لسان حواسه الأرضية دائماً سماوى اللغة) فليجدوا السعادة أنى شاءوا ، وكلما ضحوا لأغراض سامية واتتهم السعادة وكافأتهم مكافأة نفسية ، ولكن فلسفتهم فى الزهد لا تتفق مع فلسفتنا وآرائنا .

ليس المهم أن تدعم هذه الفلسفة بنصوص العهد القديم أو العهد الجديد أو غيرها . ولكن من المفيد أن تتذكر أن هذا الزهد بعيد عن أن يكون مسيحياً أصلا وأساساً — كما يظن كثير من المسيحيين .

فنحن نجد الميل للزهد فى الحياة الجنسية وفى نبذها تماماً فى كل

---

(١) وهنا تبدو أهمية مطبوعات « كوبك » ومؤتمراته .

الأماكن ، وبين كل الأعمار المختلفة ، وفى الجماعات الصغيرة ، وفى كثير من الشواذ الذين يجمعون الأتباع حولهم .

ومن أمثلة الزهد قبل ظهور الدين المسيحى « المدرسة الفيثاغورية الجديدة » التى رأت أن النشاط الجنسى فسق بالروح واستمتعت بالاعتزال التام والبعد عن كل ما هو جنسى . ولقد نشأت هذه المدرسة الفلسفية فى الاسكندرية خلال النصف الأول من القرن الأول قبل المسيح ، وازدهرت فى الزمن المسيحى الباكر ، فمن المحتمل أن الميل للزهد فى الإيمان الجديد يرجع إلى تأثير هذه المدرسة الفلسفية . وأما بعد ظهور المسيح فقد ظهر معلمون خلقيون جمعوا بين التصوف والزهد .

أما الذين لا يميلون إلى التطرف ، فأرجو أن أكون قد أوضحت لهم أن الإيمان الدينى والزواج المثالى أمران متفقان لا يتعارضان ولا يختلفان ، وأنهم يستطيعون أن يبحثوا عن السعادة والإيحاء والدعم الخلقى فى هذين النبعين العظيمين (الزواج المثالى والإيمان الدينى) دون نفاق أو صراع يهدد صحتهم النفسية . ولكن ذلك كله يقوم على شرط أساسى لا غنى عنه هو : فهم الزواج المثالى فهماً صحيحاً .

إن الزواج الحقيقى تنطوى أهميته ومعناه على الحب كما أكدت دائماً . وهو الحب بمعناه الروحى ، وهو بلفظ أدق وأوضح : الاتحاد والامتزاج والاندماج بين العنصر النفسى (الروحى) والعنصر البدنى فى العشق الجنسى .

ومن الخطأ العظيم اعتبار الافتنان الدقيق فى الجماع غاية لنفسها

وليس وسيلة . والذين يرتكبون هذا الخطأ سيصابون بالإخفاق والانخداع رغم علمهم وخبرتهم ـ بقدر ما كانوا يصابون لو كانت تنقصهم الخبرة والدراية : فالجماع ليس غاية لنفسه ، ولكنه وسيلة ضرورية لبلوغ غاية .

ومهما تنوعت اللذة الحسية العارمة ومهما ارتقت ، فلن تجلب وحدها السعادة الحقيقية بدون تلك الراحة النفسية التى يتطلع إليها البشر ، والتى يجب أن يتطلعوا إليها دائماً(١) .

وينكر هذه اللذة فلاسفة الدين الخلقيون ومعترفو هيدلبرج ، وكذلك يقسو قسوتهم فى الحكم مذهب العقليين ومذهب اللا أدرية (وهم الذين لا يستطيعون الوصول إلى حكم ويترددون بين الشك واليقين) .

وكل مَنْ يتمتع بجمال الذوق الفنى أو بطبيعة عاطفية لا يتصور لحظة واحدة أنه يمكنه كسب السعادة بالحواس دون العنصر النفسى . ومثل هذا الشخص لا يستطيع ولا يرضى ملاعبة امرأة الملاعبة الواجبة فى الزواج المثالى لتهييج الأعضاء الجنسية ـ إلا إذا كان مدفوعاً بالحب الذى يمزج البدن بالنفس . وإذا أعوزه الحب لم يستطع الملاعبة بل يستحيل عليه الإقدام عليها ولا يشعر إلا بالنفور والدنس .

(١) « هل أنت كفء أو غير كفء للزواج » كتاب ث فان دفلد

حين يربط الحب بين زوجين فإنهما يتطلعان إلى تحقيق هدف من جماعهما أو اتحادهما البدنى الوثيق ، وهو الإفصاح عن رغبتهما فى أن يصيرا شخصاً واحداً ، وهما يسعيان إلى هـذا الهدف وهما يعلمـان أو لا يعلمان .

وهذه الوسيلة التى يلجآن إليها للإفصـاح هى الوسيلة الصحيحة الفريدة التى تركتها لهما الطبيعة فيجب الحرص على المهارة والدقة فى استعمال هذه الوسيلة المفصحة ، بالسيطرة على مجالها ومداها ، وتنوعها وتباينها ، ورقتها وجمالها .

أرجو أن يسـاعد « الزواج المثالى » كل زوجين على هذه السيطرة ، وعلى حفظ هذه الوسيلة للإفصاح بكل قوتها وكمالها خلال السنوات الممتدة أمامهما !